
منهج الإمام علي
في
بناء الإنسان وإنسانية الدولة
أعمال المؤتمر العلمي الوطني الثاني
لمؤسسة علوم نهج البلاغة



رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد 3665

مصدر الفهرسة:	IQ-KaPLI ara IQ-KaPLI rda
رقم تصنيف LC:	BP38.02.M8 A4 2019
المؤلف المؤتمر:	المؤتمر العلمي السنوي لمنهج الامام علي (عليه السلام) في بناء الانسان (2 : 2017 : كربلاء، العراق).
العنوان:	منهج الامام علي (عليه السلام) في بناء الانسان وانسانية الدولة: اعمال المؤتمر العلمي السنوي الثاني
بيان المسؤولية:	[إعداد مؤسسة علوم نهج البلاغة. العتبة الحسينية المقدسة].
بيانات الطبع	الطبعة الاولى.
بيانات النشر:	كربلاء، العراق : العتبة الحسينية المقدسة، مؤسسة علوم نهج البلاغة، 2019 / 1440 للهجرة.
الوصف المادي:	5 مجلد ؛ 24 سم.
سلسلة النشر:	العتبة الحسينية المقدسة؛ (678).
سلسلة النشر:	مؤسسة علوم نهج البلاغة؛ (177)
سلسلة النشر:	سلسلة المؤتمرات العلمية؛ (2).
تبصرة ببليوجرافية:	يتضمن ارجاعات ببليوجرافية.
موضوع شخصي:	الشريف الرضي، محمد بن الحسين، 359-406 للهجرة – نهج البلاغة.
موضوع شخصي:	الشريف الرضي، محمد بن الحسين، 359-406 للهجرة – نهج البلاغة. عهد مالك الاشتر.
موضوع شخصي:	علي بن ابي طالب (عليه السلام)، الامام الاول، 23 قبل الهجرة-40 للهجرة – احاديث.
موضوع شخصي:	علي بن ابي طالب (عليه السلام)، الامام الاول، 23 قبل الهجرة-40 للهجرة – سياسة وحكومة – مؤتمرات.
موضوع شخصي:	علي بن ابي طالب (عليه السلام)، الامام الاول، 23 قبل الهجرة-40 للهجرة – نظرية في الاقتصاد – مؤتمرات.
موضوع شخصي:	علي بن ابي طالب (عليه السلام)، الامام الاول، 23 قبل الهجرة-40 للهجرة – معجزات – مؤتمرات.
موضوع شخصي:	علي بن ابي طالب (عليه السلام)، الامام الاول، 23 قبل الهجرة-40 للهجرة – نظرية في بناء الانسان – مؤتمرات.
موضوع شخصي:	علي بن ابي طالب (عليه السلام)، الامام الاول، 23 قبل الهجرة-40 للهجرة – نظرية في الاخلاق – مؤتمرات.
مصطلح موضوعي:	نظام الحكم في الاسلام – مؤتمرات.
مصطلح موضوعي:	النظام الاداري في الاسلام – مؤتمرات.
مصطلح موضوعي:	الاسلام والمجتمع – مؤتمرات.
مصطلح موضوعي:	الاسلام وحقوق الانسان – مؤتمرات.
مصطلح موضوعي:	احاديث خاصة (رد الشمس).
مصطلح موضوعي:	الاخلاق الاسلامية –مؤتمرات.
مصطلح موضوعي:	الفقر – العراق–تاريخ–مؤتمرات.
مصطلح موضوعي:	البلاغة العربية–مؤتمرات.
مصطلح موضوعي:	اللغة العربية – نحو–مؤتمرات.
مؤلف اضافي:	شرح لـ (عمل) : الشريف الرضي، محمد بن الحسين، 359-406 للهجرة – نهج البلاغة.
اسم هيئة اضافي:	العتبة الحسينية المقدسة (كربلاء، العراق). مؤسسة علوم نهج البلاغة – جهة مصدرة.
عنوان اضافي:	نهج البلاغة.

تمت الفهرسة قبل النشر في مكتبة العتبة الحسينية

سلسلة المؤتمرات العلمية (٢)

المؤتمر العلمي الثاني

منهج الإمام علي (عليه السلام) في بناء الإنسان وإنسانية الدولة

أعمال المؤتمر العلمي الوطني الثاني لمؤسسة علوم نهج البلاغة

الجزء الرابع

للمدة

13-14/ ربيع الأول/1439هـ الموافق 2-3/ 12/ 2017م

إصدار



الطبعة الأولى

١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م



العراق - كربلاء المقدسة -مجاور مقام علي الأكبر عليه السلام
مؤسسة علوم نهج البلاغة
هاتف: ٠٧٧٢٨٢٤٣٦٠٠ - ٠٧٨١٥٠١٦٦٣٣
الموقع الألكتروني: www.inahj.org
الإيميل: Info@Inahj.org



﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾

صَدَقَ اللهُ العَلِيُّ العَظِيم

مريم: ٥٥

المحور اللغوي والأدبي

أثر الحذف في تماسك النص

في عهد الإمام علي (عليه السلام) لمالك الأشتر (رضي الله عنه)

أ. م. د. كاظم عبد الله عبد النبي

كلية الإمام الكاظم (عليه السلام)

مقدمة

يتناول البحثُ الحذفَ بوصفه أسلوباً نصيا بلاغيا مهمّاً من أساليب الكلام الذي يسهم بشكل واضح في تماسك النص وتعلّق أجزائه بعضها مع بعض، وقد استثمره الإمام علي-عليه السلام- استثماراً عجيباً في رسالة العهد الذي كتبها إلى عامله مالك الأشتر، فوجدنا قدرته الفنية العالية في توظيفه لصالح النص، وقد استعمل فيه أنواعاً مختلفة: كحذف العبارة، أو الجملة، أو الكلمة، أو الحرف.. وكل ذلك يعود على مرجع يرتبط معه في النص من دون خلل أو ضعف في التركيب، على أن الحذف عنده يكون متأخراً عن المرجع؛ وذلك لتثبيت المعنى وترسيخه في ذهن عامله، ثم يأتي الحذف - بعد ذلك- لجزء من الكلام؛ لجعل المتلقي يقوم بمهمة ربط النص، وقد كثرُ عنده حذف العبارة بصورة كبيرة، وفيه تظهرُ قدرته العالية في نظم بنية الكلام؛ لأنّ حذف جزء كبير من النص يتطلب مهارة ودقة؛ لئلا يحدث خللاً في بناء النص وبهذا أبعد كلامه عن السأم أو التطويل أو التكرار غير المسوغ.

التمهيد:

تتعدد الطرق والأساليب التي يتخذها المرسل في عملية إيصال المعنى؛ وذلك من خلال استعماله عدة وسائل لغوية وحالية، وهي عند «فيرث J.R. Firth» أنّ المعنى ((كل مركّب من مجموعة من الوظائف اللغوية، وأهم عناصر هذا الكل هو الوظيفة الصوتية، ثم المورفولوجية والنحوية والقاموسية والوظيفة الدلالية لسياق الحال، ولكل وظيفة من هذه الوظائف منهجها))[1]، والنص يحمل فضاءً واسعاً من المعاني التي يلونها الباث بإيحاءاته النفسية ومن ذاته المبدعة، والحذف أحد هذه الفضاءات التي يستثمرها المنشئ في بناء هيكله النصي ورسم ملامح

دلالية مترابطة.

والحذف قطع جزء من الشيء وهو عند الخليل (١٧٠هـ) ((قطف الشيء من الطرف))[٢] أو هو إسقاط شيء، فحذف رأسه بالسيف قطعه .. ويقال حذف شَعْرِه، ومن ذنب الدابة إذا قصّر منه[٣].

أما في مفهومه الأسلوبي: إسقاط بعض من مكونات النص حرفاً كان أو كلمة أو جملة أو فضلة أو عبارة مع وجود دليل على ذلك الحذف الذي((يتمثل في قرينة أو قرائن مصاحبة حالية أو عقلية أو لفظية. فالقرينة الدالة تعد أهم شروط الحذف، يليها في الأهمية ألا يؤدي الحذف إلى لبس في المعنى))[٤] فيشكل عدم وجود الدليل خللاً في فهم النص؛ لأنّه يجعل المعنى عائماً يحتمل عدة تأويلات ربّما تكون بعيدة عن قصد المخاطب، وهذا ما أكده علماء اللغة العرب[٥].

والتفتَ النحاة والبلاغيون العرب إلى هذا النوع من الإيجاز، إذ إنّ الحذف أسلوب أصيل في لغة العرب حددوا له ضوابط وقوانين بحسب أساليب العرب وثقافتهم واستعمالهم اللغوي، وميلهم الكبير إلى الإيجاز بالنص وكانوا في دراساتهم يقدرون المحذوف في تحليلهم للنصوص، فقد ورد عن سيبويه قوله: ((وسألت الخليل عن قوله جلَّ ذكره: ﴿**حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا**﴾[الزمر٧٣] أين جوابها؟ وعن قوله جل وعلا: ﴿**وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ..**﴾[البقرة١٦٥]، ﴿**وَلَوْ تَرَىَ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى النَّارِ**﴾[الأنعام٢٧] فقال: إنّ العرب قد تترك في مثل هذا الخبر الجواب في كلامهم، لعلم المخبَر لأيِّ شيءٍ وضع هذا الكلام))[٦] وهذا النص يأخذ بالنظر مقام المتلقي وسياقه الثقافي وموروثه الجمعي. ومن إشارات سيبويه(١٨٠هـ) للحذف الذي يمكن الاستغناء عنه لعلم المخاطب ما جاء في قول الشاعر:

نَحْـنُ بِـما عِنْدنـا وأنـتَ بِـما عِنْـدَكَ راضٍ والـرأي مختلـف

فحـذف الشـاعر (راضـون) مـن قولـه:» نحـن بـما عندنـا» ؛ لدلالـة مـا بعـده عليـه في عجـز البيـت «عنـدك راضٍ» وهـذا وعـي مبكـر مـن الشـاعر لفاعليـة الحـذف ؛ لأنّـه جعـلَ صـدر البيـت متعلقـاً بعجـزه ، ووعـي مبكـر لنحـاة العـرب ممـن عملـوا بمبـدأ تقديـر المحـذوف، وهـذا مـا آمـن بـه التحويليـون في دراسـاتهم للبنيـة العميقـة ، الـذي يمثـل الحـذف فيهـا أحـد عنـاصر التحويـل مـن البنيـة العميقـة إلى البنيـة السـطحية[٧] الظاهـرة لمتلقـي النـص الـذي يقـوم بـدوره في استكشـاف المحـذوف وتركيـب دلالـة النـص المحذوفـة.

وللحـذف أنـواع كثيرة ، لا يعتنـي تماسـك النـص بهـا إلاّ مـا يسـهم في ربـط النـص ويشـترك في استمراره ومـن أنـواع التماسـك بالحذف في رسـالة الإمـام علي-عليه السـلام-:

أولًا: التماسك في حذف العبارة

وهـذا النـوع مـن الحـذف يحتـاج إلى قـدرة عاليـة يمتلكهـا المتكلـم ؛ لأنّ هنـاك بـتر كبـير في النـص يتجـاوز الكلمـة والكلمتين ويحتـاج إلى حـذق مـن صاحـب النـص حتـى لا يصيـب النـص خلـل أو ابتعـاد عـن سـمة الإبانـة ، وهـو اسـتثمار للدلالـة عـلى القصـد وتمكـين النـص مـن الاسـتمرارية فيحـذف عبـارة، يقـول - عليـه السـلام- : ((**يَفْـرُطُ مِنْهُـمُ الزَّلَـلُ**[٨]**، وَتَعْـرِضُ لَهُـمُ الْعِلَـلُ، يُؤْتَـى عَـلىَ أَيْدِيِهـمْ فِي الْعَمْـدِ وَالْخَطَـإِ ، فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْـوِكَ وَصَفْحِـكَ مِثْـلَ الَّـذِي تُحِـبُّ أَنْ يُعْطِيَـكَ اللهُ مِـنْ عَفْـوِهِ وَصَفْحِـهِ، فَإِنَّـكَ فَوْقَهُـمْ، وَ وَالِي الأَمْـرِ عَلَيْـكَ فَوْقَـكَ، وَاللهُ فَـوْقَ مَـنْ وَلاَّكَ! وَقَـدِ اسْـتَكْفَاكَ**[٩] **أَمْرَهُـمْ، وَابْتَـلاَكَ بِهِـمْ**))[١٠] ، فالحـذف في هـذا النـص جـاء مصحوبـاً بالعطـف بحـرف الـواو وهـي سـمة غالبـة في أسـلوب الإمـام علي-عليـه السـلام- وهـذا يجعـل النـص أكثـر ترابطـاً مـن

الناحية التواصلية بحيثُ بقيت سلسلة العلاقات متصلة ومركّزة تدور حول فكرة العناية بشؤون الرعية ، على أنّ الدوران حول الفكرة لا يصنع نصاً إبداعيا من دون الترتيب المنطقي لأجزاء الجمل في مساحة النص ، وانتقاء الأسلوب المناسب في رصف الألفاظ ، وهذا ما تتمتع به الذائقة العلوية ؛ لأنَّ((حسن الرّصف أن توضع الألفاظ في مواضعها، وتمكّن في أماكنها، ولا يستعمل فيها التقديم والتأخير، والحذف والزيادة إلا حذفا لا يفسد الكلام، ولا يعمّى المعنى؛ وتضمّ كل لفظة منها إلى شكلها، وتضاف إلى لفقها))[١١] ، ويبدو أنّ الإمام – عليه السلام– وسّع من مساحة الحذف حتى يرسّخ هذه السعة في صدر عامله (مالك الاشتر) ويحثّه على الصبر في أثناء تعامله مع الناس وردم تلك الفجوات التي كانت بين الحاكم والناس في ولاية من سبقوه ، ويأمره أن يحنو عليهم ويأخذ على أيديهم ويعدَّهم إعداداً سليما كأنّه يقول له: ((فنسبتهم إليك كنسبتك إلى الله تعالى، وكما تحب أن يصفح الله عنك ينبغي أن تصفح أنت عنهم))[١٢]، فجاء الحذفُ على النحو الآتي:

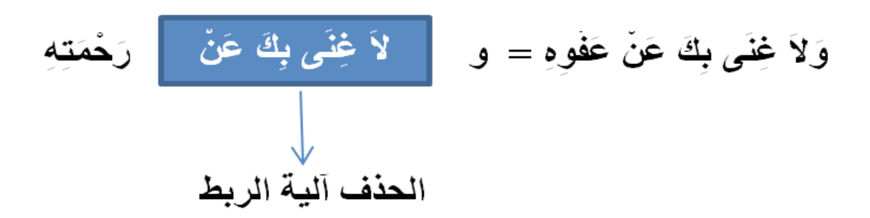
يُؤْتَى عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي الْعَمْدِ وَ.....الخطأِ

فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وَ ..... صَفْحِكَ

مِثْلَ الَّذي تُحِبُّ أَنْ يُعْطِيَكَ اللهُ مِنْ عَفْوِهِ وَ..... صَفْحِهِ

ويقول – عليه السلام–:((**وَلاَ تَنْصِبَنَّ نَفْسَكَ لِحَرْبِ الله**[١٣] ، **فَإِنَّهُ لاَ يَدَيْ لَكَ بِنِقْمَتِهِ**[١٤]، **وَلَا غِنَى بِكَ عَنْ عَفْوِهِ وَرَحْمَتِهِ. وَلَا تَنْدَمَنَّ عَلَى عَفْو، وَلَا**

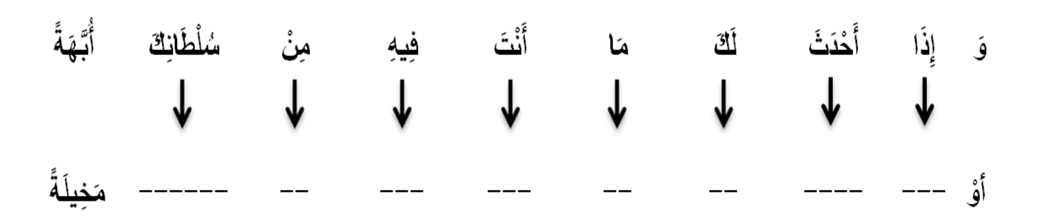
تَبْجَحَنّ[١٥] **بِعُقُوبَة، وَلَا تُسْرِعَنَّ إِلَى بَادِرَة وَجَدْتَ مِنْهَا مَنْدُوحَةً ، وَلَا تَقُولَنَّ: إِنِّي مُؤَمَّرٌ..))**[١٦]ويستمر حذف العبارة المقرون بالعطف في هذا التعبير ؛ لتقوية أواصر التماسك وشدّ الألفاظ برباط المعاني ؛ لأنَّ الكلام الملقى يمر بمرحلتين((مرحلة الصياغة ، ومرحلة الكشف عن الصياغة والباسها المعنى المطلوب))[١٧] ، ويبدأ النص بـ (لا) الناهية الدالة على الكف المتعلق بالطاعة للناهي على جهة الاستعلاء ، فالمتكلم الخليفة(رئيس الدولة) والمخاطب: عامل الخليفة(الموظف) وثمة نواهٍ كثيرة في النص جاء من خلالها الحذف وهي:(لا تنصبنَّ نفسك .. وَلاَ تَنْدَمَنَّ عَلَى عَفْو، وَلاَ تَبْجَحَنّ.. ، وَلاَ تُسْرِعَنَّ.. ، وَلاَ تَقُولَنَّ..) وفي سياق ذلك النهي قامع بحذف العبارة **(وَلاَ غِنَى بِكَ عَنْ عَفْوِهِ وَ...رَحْمَتِهِ)** أي:



وهذا الحذف مقصود حافظ على قوة النص وأبعده عن ترهل الكلام ، فضلاً عن التماسك الحاصل بين التعبيرين ؛ لأنَّ الحذف يعود على مرجعه في التعبير الأول حتى يجمع المعاني التي يريدها ومنها:(العفو والرحمة) ، وأكّد العفو بوصفه((مرغوبا فيه مدفوعا إليه من الشارع فلا يندمنّ مسلم عن عفو قد صدر منه وكيف يندم على فعل أراده الله ورغب فيه..))[١٨] والدعوة مستمرة في عهد الإمام – عليه السلام– إلى خشية الله–سبحانه– والعدل بين الرعية.

ومن حذف العبارة الذي يسهمُ في تماسك النص قوله: ((..**وَإِذَا أَحْدَثَ لَكَ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ سُلْطَانِكَ أُبَّهَةً أَوْ مَخِيلَةً** [19]**، فَانْظُرْ إِلَى عِظَمِ مُلْكِ اللهِ فَوْقَكَ، وَقُدْرَتِهِ مِنْكَ عَلَى مَا لاَ تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِكَ..))**[٢٠] ، في النص إحالة على سلطة

الحاكم المطلقة ، وهي سلطة أعلى من الحاكم الأرضي وأوسع وهي سلطة الله –سبحانه وتعالى– وعليه أن يتذكّرها ،ويأتي الحذف ليقوي هذا المعنى في ذهن عامله(مالك الأشتر) وكذلك في ذهن المتلقي المفترض ، وهي حركة نصية تحفز الحاكم ليعود إلى الله –تعالى– ؛ لكي لا يغتر الإنسان بما أنعم عليه من جاه زائل وسلطة مؤقتة تتنقل بين الناس ؛ فجاء الحذف بأسلوب الشرط بعد أنْ فسّر ذلك بفعل شرط سابق في التركيب النصي (وَإِذَا أَحْدَثَ لَكَ مَا أَنْتَ فِيهِ..):



وجواب الشرط(فَانْظُرْ إِلَى عِظَمِ مُلْكِ اللهِ فَوْقَكَ، وَقُدْرَتِهِ..) يفسر ما يريده الإمام– عليه السلام– من عامله أنْ يفعله ، وهو منهجه الذي يؤكدُ خوف الله – سبحانه وتعالى– وحضور قدرته على البشر جميعا ولا سيّما المتسلّطين منهم ، ويغلب هذا اللون من الخطاب في سياسة دولة الإمام – عليه السلام– وقد ضمّه في أساليبٍ لغوية عمّقت هذا المعنى ورسخته ، فالخطاب الإداري((مدونة لغوية تستمد روحها وفلسفتها ومبادئها من سياسة الدولة))[٢١] وهذا المفهوم من أهم ما أراده الإمام أن يسود إبّان حكمه ، فإذا أدرك الأنسان أنَّ هناك من يحاسبه ويعلم بأفعاله سار في الاتجاه الصحيح.

ويعود مرة أخرى ليحذف عبارة ثانية من النص في قوله:(فَانْظُرْ إِلَى عِظَمِ مُلْكِ اللهِ فَوْقَكَ، وَقُدْرَتِهِ مِنْكَ عَلَى مَا لاَ تَقْدِر) ويأتي حذف العبارة المشفوع

بالعطف(و... وَقُدْرَتِهِ مَنْكَ عَلَى مَا لاَ تَقْدِر) والتقدير: **وانْظُرْ إِلَى عِظَمِ** قُدْرَتِهِ مَنْكَ عَلَى مَا لاَ تَقْدِر.. والخطاب الإداري يكون عادةً بلفظ واضح مفهوم، غير أنّ الإمام – عليه السلام- يلوّن هذا النص بتأثيرات أسلوبية جعلت كلامه أكثر حيوية وقدرة على القبول والتفاعل، وهذا الحذف النصي أبعد هذا العهد عن الترهل والضجر والتطويل في مضمون الكلام.

ومن حذف العبارة الذي يسهم في ربط النص قوله – عليه السلام: ((**أَنْصِفِ اللهَ وَأَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ، وَمِنْ خَاصَّةِ أَهْلِكَ، وَمَنْ لَكَ فِيهِ هَوىً**[٢٢] **مِنْ رَعِيَّتِكَ، فَإِنَّكَ إِلاَّ تَفْعَلْ تَظْلِمْ، وَمَنْ ظَلَمَ عِبَادَ اللهِ كَانَ اللهُ خَصْمَهُ دُونَ عِبَادِهِ**))[٢٣] لاشكَّ في أنّ تعابير الإمام تحفلُ بالأساليب والمعاني التي تمثل اتجاهاته الفكرية والدينية والإنسانية التي يرغب أن تؤدي دورها في نشر الفضائل التي يؤمن بها، ويطلب من عامله أنْ يتصف بها، ويأتي الحذف بوصفه وسيلة من وسائل التأثير في النص لاسيّما إذا كان في النص أكثر من حذف للعبارة وقد حذف(أَنْصِفِ اللهَ وَأَنْصِفِ النَّاسَ) مرتين من التعبير فجاء كالاتي:

أَنْصِفِ اللهَ وَأَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ

= و........................ **مِنْ خَاصَّةِ أَهْلِكَ**

= و........................ **مِنْ لَكَ فِيهِ هَوىً**

وجاء لترسيخ مفاهيم ثلاثة تتكون منها منابع الظلم والتي تصدر:(١- من الوالي نفسه. ٢- من خاصة أهله. ٣- من له فيه هوى من اتباعه)، وكذلك للتركيز على معاني المحذوف؛ لأنّ الفراغ الذي يقطن في النص يولّد فسحة من تأمّل المعاني، وبهذا يريد من عامله أنْ لا يميل عن الحقِّ ويفضّل نفسه أو أهله أو من له قربى من نفسه على سائر الناس، وحذف العبارة مرتين ينبئ بأهمية

المحذوف الذي جاء مع المذكور ثلاث مرات.

ومن حذف العبارة قول الإمام- عليه السلام-: ((**وَلَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى إِلَى تَغْيِيرِ نِعْمَةِ اللهِ وَتَعْجِيلِ نِقْمَتِهِ مِنْ إِقَامَة عَلَى ظُلْم، فَإِنَّ اللهَ سَمِيعٌ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِينَ، وَهُوَ لِلظَّالِمِينَ بِالْمِرْصَادِ**))[٢٤] في النص تأكيد على زرع بذرة الخير من خلال نفي الظلم ونبذ الظالمين، الذي تمثّل بفعل النفي(ليس):

وَلَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى إِلَى تَغْيِيرِ نِعْمَةِ اللهِ

وَ....................تَعْجِيلِ نِقْمَتِهِ مِنْ إِقَامَة عَلَى ظُلْم

فجاء الحذف ليحذر من مغبَّة الظلم وتفاقمه ويربط الأفكار بوحدة دلالية متصلة؛ لأنَّ((كل ربط يستلزم وحدة إلى حدٍّ ما، وحدة في المعنى بين الأجزاء التي يربط بينها ..ففي مقابل التناسق الشكلي الذي يفرضه النحو، يأتي تناسق معنوي يفرضه المنطق))[٢٥] ليتم بناء المقصود.

وفي مقابل نبذ الظلم يأتي بأشياء أخرى يحببها إلى عامله، فيقول: ((**وَلْيَكُنْ أَحَبَّ الأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ، وَأَعَمُّهَا فِي الْعَدْلِ، وَأَجْمَعُهَا لِرِضَى الرَّعِيَّةِ، فَإِنَّ سُخْطَ الْعَامَّةِ يُجْحِفُ بِرِضَى الْخَاصَّةِ**[٢٦] **وَإِنَّ سُخْطَ الْخَاصَّةِ يُغْتَفَرُ مَعَ رِضَى الْعَامَّةِ**))[٢٧].

وَلْيَكُنْ أَحَبَّ الأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ

وَ....................أَعَمُّهَا فِي الْعَدْلِ

وَ....................أَجْمَعُهَا لِرِضَى الرَّعِيَّةِ

فثمة أمران محببان هما:(العدل + رضا الرعية) وبذلك يكون المعنى موزعاً بين الخطاب الرسمي والتوجيه التربوي المتمثل بالعدل المجتمعي.

ويبقى في السياق ذاته ليستوفي أبعاد المعنى ويعمّق حضوره ، فيقوم بتكثيف الحذف لئلّا تأخذ الألفاظ أكثر من وضعها المقرر فيقل تأثيرها في النص ، فالإمام -دائماً- ميّالٌ إلى الإيجاز الواعي المصاغ بروح فنية عالية لا يشوبها قصر أو خلل في فهم المراد ، يقول: ((**وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الرَّعِيَّةِ، أَثْقَلَ عَلَى الْوَالِي مَؤُونَةً فِي الرَّخَاءِ، وَأَقَلَّ مَعُونَةً لَهُ فِي الْبَلاَءِ، وَأَكْرَهَ لِلإِنْصَافِ، وَأَسْأَلَ بِالإِلْحَافِ**[٢٨]**، وَأَقَلَّ شُكْراً عِنْدَ الإِعْطَاءِ، وَأَبْطَأَ عُذْراً عِنْدَ الْمَنْعِ، وَأَضْعَفَ صَبْراً عِنْدَ مُلِمَّاتِ الدَّهْرِ مِنْ أَهْلِ الْخَاصَّةِ، وَإِنَّمَا عَمُودُ الدِّينِ، وَجِمَاعُ**[٢٩] **الْمُسْلِمِينَ، وَالْعُدَّةُ للأعداءِ، الْعَامَّةُ مِنَ الأُمَّةِ، فَلْيَكُنْ صِغْوُكَ**[٣٠] **لَهُمْ، وَمَيْلُكَ مَعَهُمْ**))[٣١] والألفاظ تحمل معانٍ مكثفة ضمن جدلية العامة والخاصة من الرعية وكيف يمكن التعامل مع هذين الصنفين من الناس ؛ لذا احتاج إلى تفعيل عنصر الحذف الذي جنّبَ الكلام كثيراً من التطويل، فجاء الحذف مكثفاً على النحو الآتي:

وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الرَّعِيَّةِ	أَثْقَلَ عَلَى الْوَالِي مَؤُونَةً فِي الرَّخَاءِ
وَ................	أَقَلَّ مَعُونَةً له[٣٢] فِي الْبَلاَءِ
وَ................	أَكْرَهَ لِلإِنْصَافِ
وَ................	أَسْأَلَ بِالإِلْحَافِ
وَ................	أَقَلَّ شُكْراً عِنْدَ الإِعْطَاءِ
وَ................	أَبْطَأَ عُذْراً عِنْدَ الْمَنْعِ
وَ................	أَضْعَفَ صَبْراً عِنْدَ مُلِمَّاتِ الدَّهْرِ مِنْ أَهْلِ الْخَاصَّةِ

فهناك شبكة من علاقات الاتصال بين المعاني التي ألقاها الإمام في هذا النص معتمداً على أسلوب الحذف الرابط على امتداد النص على المستويين(العمودي و

الأفقي) وهي علاقة بين المذكور والمحذوف ، فالحذف يربط ((الصلة بين ما يسمى بالبنى السطحية ، والبنى العميقة والانتقال من إحداها إلى الأخرى))[٣٣] فهذه العبارات بإيجازها تمثل دستور الإمام علي- عليه السلام- فضلا عن كونها أصبحت حكماً يتداولها الناس على مرّ العصور.

ومن حذف العبارة يقول: ((**وَلاَ تُدْخِلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ بَخِيلاً يَعْدِلُ بِكَ عَنِ الْفَضْلِ، وَيَعِدُكَ الْفَقْرَ، وَلاَ جَبَاناً يُضعِّفُكَ عَنِ الأمُورِ، وَلاَ حَرِيصاً يُزَيِّنُ لَكَ الشَّرَهَ بِالْجُوْرِ، فَإِنَّ الْبُخْلَ وَالْجُبْنَ وَالْحِرْصَ غَرَائِزُ شَتَّى يَجْمَعُهَا سُوءُ الظَّنِّ بِاللهِ**))[٣٤] جسّدَ النص فعل المشورة والابتعاد عمنْ لا تصلح مشورته في الحكم عن طريق أسلوب النهي(لا تدخلنَّ) وهم ثلاثة: البخيل والحريص والجبان ، فاستدعى الحذف بوصفه تركيب تلتف حوله المعاني للخروج من سلطة الذات إلى آفاق واسعة من المعرفة والانفتاح على التعاون المثمر في أخذ القرار ، ويتم ذلك عبر تحديد النوع(اللذين يُعتَمد عليهم في أخذ الرأي) فصاغ الكلام في جملٍ مترابطة سهَّلت عملية الاتصال للحثِّ في السعي نحو الكمال وهذا يحتّم وجود تركيب لغوي عالٍ يضمُّ تلك الأفكار ؛ لأنَّ((التعبير عن الفكرة الذي يتم بالكلمة المنطوقة أو المكتوبة هو نوع من الاتصال ، وهذا التعبير يعتمد أساساً على وجود نشاط لغوي مرسل من المتكلم ونشاط مماثل من المتلقي ، وغالباً ما يكون هذا الاتصال موضوعاً خالصاً أو فكرياً محضاً))[٣٥] والتعبير يؤكد فعل المشورة في تداخل نصي محكم نسج خيوطه حذف العبارات المصحوب بالنهي:

لاَ تُدْخِلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ بَخِيلاً

وَلاَ................ جَبَاناً

وَلاَ................ حَرِيصاً

فالحذف حرّكَ معاني ما بعدَ النص إلى ما قبلها ليتمركز المعنى على أسلوب النهي المرجع الأول(لاَ تُدْخِلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ بَخِيلاً) وفي ذلك أغراض:

نهي الفعل	الأشخاص المنهي عنهم	السبب
لاَ تُدْخِلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ	البخيل	يَعْدِلُ بِكَ عَنِ الْفَضْلِ، وَيَعِدُكَ الْفَقْرَ
لاَ تُدْخِلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ	الجبان	يُضعِّفُكَ عَنِ الأمُورِ
لاَ تُدْخِلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ	الحريص	يُزَيِّنُ لَكَ الشَّرَهَ بِالْجَوْرِ

ومن حذف العبارة قوله: ((**وَاعْلَمْ أَنَّ الرَّعِيَّةَ طَبَقَاتٌ لاَ يَصْلُحُ بَعْضُهَا إلاَّ بِبَعْض، وَلاَ غِنَى بِبَعْضِهَا عَنْ بَعْض**))[٣٦] فقد حذف عبارة من النص ما أراد تكرارها تعود إلى مرجع قبلها طلباً للإيجاز:

وَاعْلَمْ أَنَّ الرَّعِيَّةَ طَبَقَاتٌ لاَ يَصْلُحُ بَعْضُهَا إلاَّ بِبَعْض

وَ......................لاَ غِنَى بِبَعْضِهَا عَنْ بَعْض

وَاعْلَمْ أَنَّ الرَّعِيَّةَ طَبَقَاتٌ لاَ غِنَى بِبَعْضِهَا عَنْ بَعْض

وعندما يريدُ تكثيف المعاني والإشارة إلى أمر ما وتثبيته في الذهن يكثر من الحذف خشية التطويل وضعف التأثير يقول عليه السلام-: ((**فَوَلِّ مِنْ جُنُودِكَ أَنْصَحَهُمْ فِي نَفْسِكَ لله وَلِرَسُولِهِ وَلإِمَامِكَ، وَأَنْقَاهُمْ جَيْباً ، وَأَفْضَلَهُمْ حِلْماً مِمَّنْ يُبْطِىءُ عَنِ الْغَضَبِ، وَيَسْتَرِيحُ إِلَى الْعُذْرِ، وَيَرْأَفُ بِالضُّعَفَاءِ، وَيَنْبُو عَلَى الأَقْوِيَاءِ**))[٣٧] فقد ثبت عبارة(فَوَلِّ مِنْ جُنُودِكَ أَنْصَحَهُمْ فِي نَفْسِكَ) وأحال عليها بالحذف جمل كثيرة:

فَوَلِّ مِنْ جُنُودِكَ أَنْصَحَهُمْ فِي نَفْسِكَ لله

وَ..........................لِرَسُولِهِ

وَ..........................لإِمَامِكَ

ويقلل من الحذف في النص:

فَوَلِّ مِنْ جُنُودِكَ أَنْصَحَهُمْ

وَ............أَنْقَاهُمْ جَيْباً

وَ............أَفْضَلَهُمْ حِلْماً

ومن حذف العبارة: ((**وَمن طَلَبَ الْخَرَاجَ بِغَيْرِ عِمَارَة أَخْرَبَ الْبِلاَدَ، وَأَهْلَكَ الْعِبَادَ، وَلَمْ يَسْتَقِمْ أَمْرُهُ إِلاَّ قَلِيلاً**))[٣٨] فجاء الحذف على وفق الآتي:

ومَن طَلَبَ الْخَرَاجَ بِغَيْرِ عِمَارَة أَخْرَبَ الْبِلاَدَ

وَ.......................أَهْلَكَ الْعِبَادَ

وَ.................لَمْ يَسْتَقِمْ أَمْرُهُ إِلاَّ قَلِيلاً

ومن حذف العبارة قوله: ((**ثُمَّ انْظُرْ فِي أُمُورِ عُمَّالِكَ، فَاسْتَعْمِلْهُمُ اخْتِبَاراً، وَلاَ تُوَلِّهِمْ مُحَابَاةً وأَثَرَةً، فَإِنَّهُمَا جِمَاعٌ مِنْ شُعَبِ الْجَوْرِ وَالْخِيَانَةِ وَتوَخَّ مِنْهُمْ أَهْلَ التَّجْرِبَةِ وَالْحَيَاءِ، مِنْ أَهْلِ الْبُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ، وَالْقَدَمِ فِي الإِسْلاَمِ الْمُتَقَدِّمَةِ**))[٣٩].

ثانياً: التماسك في حذف الجملة

يقول- عليه السلام- :((**وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ، وَالْـمَحَبَّةَ لَهُـمْ، وَاللُّطْفَ بِهِـمْ، وَلاَ تَكُونَـنَّ عَلَيْهِـمْ سَبُعاً ضَارِيـاً تَغْتَنِـمُ أَكْلَهُـمْ**))[٤٠] ، وهنـاك حـذف جملتـين في هـذا النـص تعـود عـلى مرجـع في جملـة سـابقة:

(وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ)

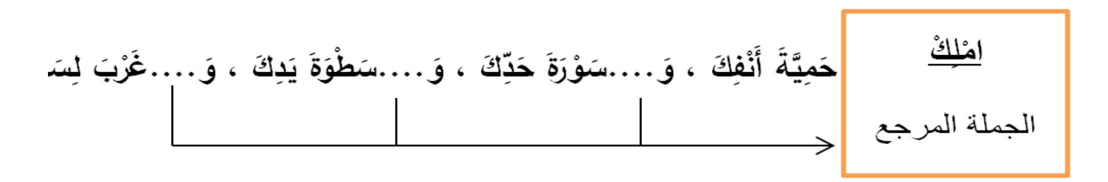
و.....المحبة لهم = وأشعر قلبك المحبة لهم

و..... اللُّطفُ بهم = وأشعر قلبك اللطف بهم

وهـذا الحـذف أسـهم بشـكل فاعـل في زيـادة حيويـة النـص ، فـإن التكـرار- غالبـاً- يبعـثُ السـأم إذا كان في غـير محلـه ، وقـد أوكلَ ملـئ مـكان المحـذوف للمتلقـي الـذي يقـوم بحركـة ذهنيـة تنشـط مهمـة التفاعـل والإصغـاء الـذي يبحـث عنهـا المنشـئ ، والحـذف هنـا يعطـي فرصـة للمشـاركة في إنتـاج الدلالـة وإكـمال الصـورة بوقعهـا الداخـلي ، ويتضـح مـن خـلال السـياق قصديـة الحـذف في (أشـعر قلبـك) إذ ينبـه المتلقـي بوقـع ذلـك المعنـى والإحسـاس بـه ، فـيراه مـرة شـكلاً مكتوبـاً في النـص ويدركـه أخـرى بقلبـه محذوفـاً في سـياق يحمـل كلّ معـاني التعايـش والرقـي الإنسـاني من(رحمـة ومحبـة ولطـف).

ومـن حـذف الجملـة يقـول- عليـه السـلام- : ((**وَالْصَـقْ بِأَهْـلِ الْـوَرَعِ وَالصِّـدْقِ، ثُـمَّ رُضْهُـمْ عَـلَى أَلاَّ يُطْـرُوكَ وَلاَ يُبَجِّحُـوكَ بِبَاطِـل لَمْ تَفْعَلْـهُ، فَـإِنَّ كَثْـرَةَ الْأطْـرَاءِ تُحْدِثُ الزَّهْـوَ، وَتُـدْنِي مِـنَ الْعِـزَّةِ**))[٤١] ، وحـذف الجملـة(الْصَـقْ بِأَهْـلِ) مـن الجملـة الثانيـة: (وَ....الصِّـدْقِ) أسـهم في قـوة الربـط ؛ وذلـك ليجعـل عاملـه قريبـاً مـن أهـل الـورع ، وأهـل الصـدق بـل ملتزقـاً بهـم ، والحـذف سـاعد في جـذب الجملتـين

وشدَّ من ارتباطهما المعنوي. ومن حذف الجملة عند الإمام(عليه السلام) حذف فعل الأمر (املك المتضمن الفاعل المستتر) في قوله: ((**امْلِكْ حَمِيَّةَ أَنْفِكَ، وَسَوْرَةَ حَدِّكَ، وَسَطْوَةَ يَدِكَ، وَغَرْبَ لِسَانِكَ..**))[٤٢] فثمّة جمل محذوفة تعود على جملة مرجع قبلها وهذا الحذف جعل الكلام متصلاً منسجماً له أصل مرتبط به يوضح بعمق غرض الحذف الذي يريده الأمام- عليه السلام- وهو الالتزام بهذه الصفاة التي أمرها به وهي وصايا إنسانية بحتة.



ثالثاً: التماسك في حذف الكلمة:

يقول الإمام علي – عليه السلام- في أرقى كلام إنساني هزّ النفس البشرية في تقسيم الناس تقسيماً يفضي إلى احترام الآخر وإن كانَ على غير دين: ((**وَلاَ تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبُعاً ضَارِياً تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ، فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ: إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ، وَإمّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ**))[٤٣] ، فإذن ثمَّة صنفان من الناس حذف الإمام اسمي هذين الصنفين:

(.... **إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ) والتقدير**: الأول إمّا أخٌ...

(.... **إمّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ) والتقدير**: الثاني إمّا نظيرٌ...

وحذف ذلك لوعي المخاطب بالمحذوف، وكذلك فأنّ((الصمتَ عن الإفادةِ، أَزْيَدَ للإِفادة، وتَجِدُكَ أَنْطَقَ ما تكونُ إذا لم تَنْطِقْ، وأَتمَّ ما تكونُ بياناً إذا لم تبن))[٤٤] ، فاصبح الكلام يرفلُ بالإيجازين(القصر والحذف)، ولو تأملنا هذا النص جيداً لوجدنا

مسوغ تقديم الصنف الأول: الأَخُ فِي الدِّينِ على الصنف الثاني: النَظِيرٌ فِي الْخَلْقِ ؛ لأنَّ الصنف الأول يحمل مزيتين:(١- الأخ في الدين ٢- النظير في الخلق) ، أمّا الصنف الثاني: فله مزية واحدة(نظير الخلق) ويشترك الاثنان كلاهما في النوع البشري.

أصناف الناس	الصفات	العامل المشترك
١-أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ	مسلم + بشر (نوع الجنس)	النوع واحد
٢-نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ	النوع(بشر)	بشر

وبهذا يشرق النص بمعانٍ تنبئ عن تلك الروح الإنسانية التي لا تفرِّق بين ابناء النوع البشري الواحد وتدعو إلى التعايش السلمي بين الطوائف المختلفة ، وهي معانٍ راسخة في نهج الإمام – عليه السلام- يفيضها على تابعيه وعماله ومن حوله.

ويأتي حذف الكلمة عند الإمام – عليه السلام- في قوله: ((**إِيَّاكَ وَمُسَامَاةَ**[٤٥] **اللهِ فِي عَظَمَتِهِ، وَالتَّشَبُّهَ بِهِ فِي جَبَرُوتِهِ، فَإِنَّ اللهَ يُذِلُّ كُلَّ جَبَّار، وَيُهِينُ كُلَّ مُخْتَال**))[٤٦] للدلالة على معنى التحذير الذي جاء عن طريق ضمير النصب المنفصل(إياكَ) مع الواو العاطفة ، وهو تنويع في الكلام غلب عليه الطابع التهذيبي الذي عرف به الإمام- عليه السلام- وهو سلوك خلقي وديني يريد أن يسبغه على رعيته ، وكأنّه يريد أن يطبع سجاياه في نفس عامله(مالك الأشتر) وينقلها بصدق لينفعل معها الناس ، إذ((لايعدّ صادقاً أيُّ نصٍّ أدبيّ لا يعبّر عن المشاعر التي ينفعل لها المجموع برغم أنَّ التعبير فيها أساساً ذاتيٌّ محض))[٤٧] ، فجاء التعبير بجملتين

الجملة١:	**إِيَّاكَ**	**وَمُسَامَاةَ**	**اللهِ**	**فِي**	**عَظَمَتِهِ**
الجملة٢:	....	**وَالتَّشَبُّهَ**	**بِهِ**	**فِي**	**جَبَرُوتِهِ**

فحـذف الضمـير في الجملـة الثانيـة سـاعد في ربـط المعنـى وأبـان عـن ماهيـة التحذير، ولم يـترك ذلـك سـدى وإنّـما علله بقولـه: (فَإِنَّ اللهَ يُذِلُّ كُلَّ جَبَّار، وَيُهِينُ كُلَّ مُخْتَال)، ويـأتي حـذف كلمـة التحذير (إيـاك) في قولـه: ((**إِيَّـاكَ وَالدِّمَـاءَ وَسَـفْكَهَا بِغَـيْرِ حِلِّهَـا، فَإِنَّـهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَـى لِنِقْمَـةٍ**))[٤٨].

= **إِيَّاكَ وَالدِّمَاءَ وَ....سَفْكَهَا بِغَيْرِ حِلِّهَا**

ويحذف الكلمـة نفسـها في قولـه: ((**وَإِيَّاكَ وَالإِعْجَابَ بِنَفْسِكَ، وَالثِّقَةَ بِمَا يُعْجِبُكَ مِنْهَا، وَحُبَّ الإِطْرَاءِ**))[٤٩].

= **وَإِيَّاكَ وَالاِعْجَاب بِنَفْسِكَ، وَ....الثِّقَةَ بِمَا يُعْجِبُكَ مِنْهَا**

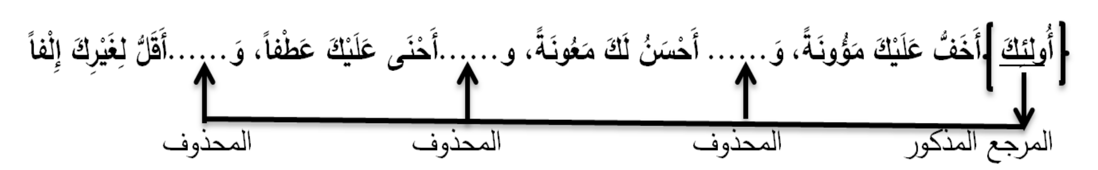
ويحـذف الكلمـة نفسـها في قولـه: ((**وَإِيَّـاكَ وَالاْسْـتِئْثَارَ بِـمَا النَّـاسُ فِيـهِ أُسْـوَةٌ، وَالتَّغَـابِيَ عَـمَّا تُعْنَـى بِـهِ مِمَّـا قَـدْ وَضَـحَ لِلْعُيُـونِ**))[٥٠]

= **وَإِيَّاكَ وَالاْسْتِئْثَارَ بِمَا النَّاسُ فِيهِ أُسْوَةٌ ، وَ....التَّغَابِيَ**

فهنـاك تحذيـر يسـير في تضاعيـف الـكلام ومنتـشر في عمـوم الرسـالة الهـدف منـه أخـذ الحيطـة والانتبـاه مـن الوقـوع في مزالـق الحكـم ، وهـذا حـرصٌ مـن الخليفـة الحاكم(الإمـام عـلي عليـه السـلام) في إقامـة العـدل مـع الرعيـة.

ويـأتي حـذف اسـم الإشـارة(أولئك) ليدخـل في مجموعـة لا تنفصـل عـن دلالات سـابقة ، يقـول الإمـام- عليـه السـلام-: ((**إِنَّ شَرَّ وُزَرَائِكَ مَنْ كَانَ لِلأَشْرَارِ قَبْلَكَ**

وَزِيراً، وَمَنْ شَرِكَهُمْ فِي الآثَامِ، فَلاَ يَكُونَنَّ لَكَ بِطَانَةً ، فَإِنَّهُمْ أَعْوَانُ الأَثَمَةِ، وَإِخْوَانُ الظَّلَمَةِ ، وَأَنْتَ وَاجِدٌ مِنْهُمْ خَيْرَ الْخَلَفِ مِمَّنْ لَهُ مِثْلُ آرَائِهِمْ وَنَفَاذِهِمْ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ مِثْلُ آصَارِهِمْ وَأَوْزَارِهِمْ وَآثَامِهِمْ، مِمَّنْ لَمْ يُعَاوِنْ ظَالِماً عَلَى ظُلْمِهِ، وَلاَ آثِماً عَلَى إِثْمِهِ، أُولئِكَ أَخَفُّ عَلَيْكَ مَؤُونَةً، وَأَحْسَنُ لَكَ مَعُونَةً، وَأَحْنَى عَلَيْكَ عَطْفاً، وَأَقَلُّ لِغَيْرِكَ إِلْفاً ، فَاتَّخِذْ أُولئِكَ خَاصَّةً لِخَلَوَاتِكَ وَحَفَلاَتِكَ))[٥١]، ففي النص لفتٌ لذهن عامله في تأمل النص من دون تشويش أو ضبابية ، وحذف اسم الإشارة(أولئك) يحمل مخزوناً لغوياً يعود على صفات الصالحين الذي ينصح الإمام(عليه السلام) بالاستعانة بهم ، فصار اسم الإشارة(أولئك) المتحرك الذي يربط الجمل ومكوناً خصباً في الربط النصي بيَّن فائد



ومن حذف الكلمة التي تحدث التماسك ، يقول الإمام: **((وَأَكْثِرْ مُدَارَسَةَ الْعُلَمَاءِ، وَمُنَافَثَةَ الْحُكَمَاءِ، فِي تَثْبِيتِ مَا صَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ بِلاَدِكَ، وَإِقَامَةِ مَا اسْتَقَامَ بِهِ النَّاسُ قَبْلَكَ))**[٥٢] وجاء الحذف –هنا– ليؤدي دوراً في رسم صورة للحياة الراقية التي يريدها الإمام ، فالإكثار من مجالسة العلماء والحكماء توجيه غاية في الوعي والحرص على تثقيف عامله لينهل من المنابع الصافية (الدراية والحكمة) التي –عادةً– ما تقبع عند هذين الصنفين(العلماء والحكماء) فحذف فعل الإكثار (أكثر) من الجملة الثانية:

أَكْثِرْ مُدَارَسَةَ الْعُلَمَاءِ

↓

وَ..... مُنَافَثَةَ الْحُكَمَاءِ

وهـذا مـن حـذف الكلمـة المثمـر الـذي أسـهم في توصيـل فكـرة مفادهـا: الاسـتعانة بـذوي الخـبرة مـن النـاس.

رابعاً: التماسك في حذف (إنّ) واسمها

وهـو حـذف الحـرف الناسـخ(إنَّ) ونصـف الجملـة الاسـمية(المبتدأ) ومـن هـذا الحـذف النصي الـذي يحيـل عـلى مرجـع في عهـد الإمـام- عليـه السـلام- قولـه: ((**وَلاَ تَنْدَمَـنَّ عَـلَى عَفْـو، وَلاَ تَبْجَحَـنَّ بِعُقُوبَـة، وَلاَ تُسْرِعَـنَّ إِلَى بَـادِرَة، وَجَـدْتَ مِنْهَـا مَنْدُوحَـةً، وَلاَ تَقُولَـنَّ: إِنِّي مُؤَمَّـرٌ، آمُـرُ فَأُطَـاعُ؛ فَـإِنَّ ذلِـكَ إِدْغَـالٌ فِي الْقَلْـبِ، وَمَنْهَكَـةٌ لِلدِّيـنِ، وَتَقَـرُّبٌ مِـنَ الْغِـيَرِ**))[٥٣] فقـد حـذف مـن النـص إنّ التوكيديـة الناصبـة واسـمها مـن جملتـين متصلتـين بـالأولى شـكلياً ومعنويـاً:

إِنَّ ذلِكَ إِدْغَالٌ فِي الْقَلْبِ

↓

وَ..........مَنْهَكَةٌ لِلدِّينِ

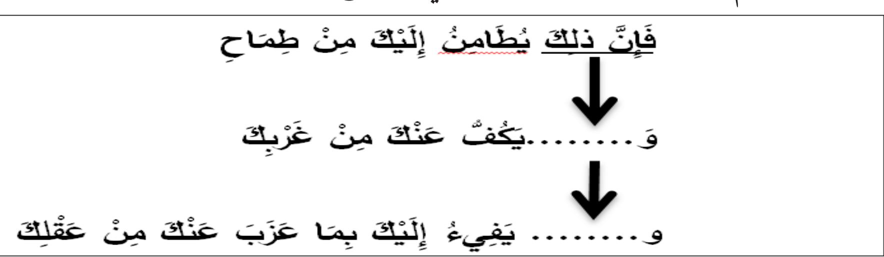
↓

وَ..........تَقَرُّبٌ مِنَ الْغِيَرِ

فالحـذف يؤسـس لبنـاء رابـط ينطلـق تأثـيره مـن المبـدع الـذي يـترك بصماتـه في النـص ليتحمـل إعـادة صياغتـه خيـال المتلقـي الـذي يكمـل الصـورة، وغـزارة الحـذف في نـص الأمـام - عليـه السـلام- يوحـي بقصديـةٍ فاعلـةٍ في تهيـأت بنـاء يضمـن انسـجام النـص وانتظـام مكوناتـه، ذلـك أنّـه ((يـترك عـلى أطـراف المعـاني ظـلالاً خفيفـة يشـتغل بهـا الذهـن ويعمـلُ فيهـا الخيـال حتـى تـبرزَ وتتلـون وتتبـع ثـمَّ تتشـعب إلى معـانٍ أخـر يتحملهـا اللفـظ بالتفسـير والتأويـل))[٥٤] وهـذا الحـذف يجعـل عاملـه (مالـك الأشـتر) يتأمـل هـذه الكلـمات فـلا يقـوم بفعـل إلا بعـد التـوكّل عـلى الله، وهـو بذلـك يقـوّي

الدين ويتقرب إلى الله – تعالى- وينآى بنفسه عن ضعف مقاومة الدنيا والاغترار بالسلطة.

ويكرر الإمام – عليه السلام- حذف (إنّ واسمها) بعد أنْ ذكرها سابقاً في العبارة((**وَإِذَا أَحْدَثَ لَكَ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ سُلْطَانِكَ أُبَّهَةً أَوْ مَخِيلَةً ، فَانْظُرْ إِلَى عِظَمِ مُلْكِ اللهِ فَوْقَكَ، وَقُدْرَتِهِ مَنْكَ عَلَى مَا لاَ تَقْدرُ عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِكَ، فَإِنَّ ذلِكَ يُطَامِنُ إِلَيْكَ مِنْ طِمَاحِ ، وَيَكُفُّ عَنْكَ مِنْ غَرْبِكَ ، وَيَفِيءُ إِلَيْكَ بِمَا عَزَبَ عَنْكَ مِنْ عَقْلِكَ**))(٥٥) إنّ واسمها وخبرها تفيد توكيد المعنى وذكرها في هذا النص بوصفها مرجعا(فَإِنَّ ذلِكَ يُطَامِنُ إِلَيْكَ مِنْ طِمَاحِ) ثمَّ حذفها هي واسمها وابقاء خبرها(وَ....يَكُفُّ عَنْكَ مِنْ غَرْبِكَ) و(و....يَفِيءُ إِلَيْكَ بِمَا عَزَبَ عَنْكَ) يقوي المعنى ؛ لأنّ توكيدها الأول حاضرٌ في اللفظ مدرك بالحواس وتوكيدها الثاني(بالحذف) وهو مدرك بالذهن ، وهذا النمط من التعاون (بين الذكر والحذف)في إدراك المفهوم يربط العلاقات وينظّم حلقات الاتصال ويقوّي المعنى المراد تأكيده.



ويعود ليقوّي سلسلة النص ويطرق على المعنى الذي يريد تأكيده فيقوم بربط الجملتين برباط الحذف فيحذف (إنّ) التوكيدية واسمها من الجملة الثانية في قوله:((**إِيَّاكَ وَمُسَامَاةَ**(٥٦) **اللهِ فِي عَظَمَتِهِ، وَالتَّشَبُّهَ بِهِ فِي جَبُرُوتِهِ، فَإِنَّ اللهَ يُذِلُّ كُلَّ جَبَّار، وَيُهِينُ كُلَّ مُخْتَال**))(٥٧) ففي الكلام تحرك لغوي بـــ (اللفظ) على مستوى النص مقصود ، يثير فعل نفسي داخلي يحرّك ذهن المتلقي في صياغة الدلالة الكاملة بالعودة بالحذف على مرجع سابق في الجملة الخبرية الطلبية((فكما أنّ قصد

المتكلم هو الذي أنتج النص اللغوي ؛ فإنّ النص اللغوي هو السبيل الوحيد للكشف عن قصد المتكلم))[٥٨] ، فثمة جملتان: الأولى تامة والثانية أكملها المتلقي وملأ الفراغ المحذوف:

فَإِنَّ اللهَ يُذِلُّ كُلَّ جَبَّار، وَ........ يُهِينُ كُلَّ مُخْتَال

وهذا الحذف التوكيدي يقوّي دعوى الإمام- عليه السلام- بضرورة الورع والبعد عن ما يغضب الله -تعالى- وهي الصفات التي لا يريدها في الحاكم الأرضي ومنها(جبار ، مختال) وبذلك وضع الألفاظ في مكانها المناسب لتعطي ثمارها في التأثير والقوة ؛ لأنَّ ((الوضع المؤثر وضع الشيء الوضع اللائق به، وذلك يكون بالتوافق بين الألفاظ والمعاني والأغراض من جهة ما يكون بعضها في موضعه من الكلام متعلقا ومقترنا بما يجانسه ويناسبه ويلائمه من ذلك))[٥٩] وهذا التجانس والتلاؤم سار في نص الإمام- عليه السلام-.

ويستمر بحذف (إنّ واسمها) وبسياق متصل بما قبله ، فيقول: ((**إِنَّ شَرَّ وُزَرَائِكَ مَنْ كَانَ لِلأَشْرَارِ قَبْلَكَ وَزِيراً، وَمَنْ شَرِكَهُمْ فِي الآثَامِ، فَلاَ يَكُونَنَّ لَكَ بِطَانَةً ، فَإِنَّهُمْ أَعْوَانُ الأَثَمَةِ، وَإِخْوَانُ الظَّلَمَةِ ، وَأَنْتَ وَاجِدٌ مِنْهُمْ خَيْرَ الْخَلَفِ مِمَّنْ لَهُ مِثْلُ آرَائِهِمْ وَنَفَاذِهِمْ**))[٦٠] ، يفتح الإمام- عليه السلام- نوافذَ كثيرة على نجاح شؤون الحكم ومنها الإيماء إلى اللذينَ لا يستعان بهم وهم الوزراء اللذين عملوا مع الأشرار ويظهر هذا التوكيد مهمًا في وعي الإمام من خلال تأكيده للمعنى بحرف التوكيد(إنّ) وهذا تعبير يبين خطورة هؤلاء وعمق ضررهم على الحاكم ، وحذف إنّ واسمها وإحالتها بالحذف إلى المذكور سابقاً يلوّن النص بصبغة الحكمة

ويفسح مجالاً واسعاً أمام عامله لاختيار الأصلح من الوزراء والمستشارين والإفادة من الأثر الماضي الذي جسّده بصيغ الماضي(كان ، قبلك ، شركهم) لإصلاح الزمن الحاضر:

= **إنَّ شَرَّ وُزَرَائِكَ** **مَنْ كَانَ لِلأَشْرَارِ قَبْلَكَ وَزِيراً**

= **و................ مَنْ شَرِكَهُمْ فِي الآثَامِ، فَلاَ يَكُونَنَّ لَكَ بِطَانَةً**

ويمضي النص بالتناسق المترع بالدلالة التوكيدية المنسكبة في تعليل المشورة ، بغية لصق المعنى في ذهن عامله:(فَإِنَّهُمْ أَعْوَانُ الأَثَمَةِ، وَإِخْوَانُ الظَّلَمَةِ ، وَأَنْتَ وَاجِدٌ مِنْهُمْ خَيْرَ الْخَلَفِ مِمَّنْ لَهُ مِثْلُ آرَائِهِمْ وَنَفَاذِهِمْ) ، ويأتي هذا التهاطل التوكيدي مع أسلوب الحذف: [**فَإِنَّهُمْ أَعْوَانُ الأَثَمَةِ، وَ......إِخْوَانُ الظَّلَمَةِ**] لتنشيط ذاكرة عامله وتحذيره من الاتكاء على من لا فائدة منه والبحث عن بدائل نافعة يُستعان بها غير هؤلاء. وفي هذا النوع من التماسك قوة وفاعلية كبيرة بسبب حذف(إنّ) التوكيدية ووصل المحذوف بحرف العطف(الواو) التي تفيد التشريك. ومما ورد من حذف (إنَّ) واسمها وهو كثير في عهد الإمام ، قوله:

((وَالْصَقْ بِأَهْلِ الْوَرَعِ وَالصِّدْقِ، ثُمَّ رُضْهُمْ عَلَى أَلاَّ يُطْرُوكَ وَلاَ يُبَجِّحُوكَ بِبَاطِلٍ لَمْ تَفْعَلْهُ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الْاطْرَاءِ تُحْدِثُ الزَّهْوَ، وَتُدْنِي مِنَ الْعِزَّةِ))[٦١]

((وَلاَ يَكُونَنَّ الْـمُحْسِنُ وَالْمُسِيءُ عِنْدَكَ بِمَنْزِلَة سَوَاء، فَإِنَّ فِي ذلِكَ تَزْهِيداً لأَهْلِ الإحْسَانِ فِي الإِحْسَانِ ، وتَدْرِيباً لأَهْلِ الإِسَاءَةِ عَلَى الإِسَاءَةِ))[٦٢]

((وَإِنَّ أَفْضَلَ قُرَّةِ عَيْنِ الْوُلاَةِ اسْتِقَامَةُ الْعَدْلِ فِي الْبِلاَدِ، وَظُهُورُ مَوَدَّةِ الرَّعِيَّةِ، وَإِنَّهُ لاَ تَظْهَرُ مَوَدَّتُهُمْ إِلاَّ بَسَلاَمَةِ صُدُورِهِمْ، وَلاَ تَصِحُّ نَصِيحَتُهُمْ إِلاّ بِحِيطَتِهِمْ عَلَى

وُلاَةِ أُمُورِهِمْ، وَقِلَّةِ اسْتِثْقَالِ دُوَلِهِمْ، وَتَرْكِ اسْتِبْطَاءِ انْقِطَاعِ مُدَّتِهِمْ))(٦٣).

((فَافْسَحْ فِي آمَالِهِمْ، وَوَاصِلْ فِي حُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ، وَتَعْدِيدِ مَا أَبْلَى ذَوُو الْبَلاَءِ مِنْهُمْ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الذِّكْرِ لِحُسْنِ أَفْعَالِهِمْ تَهُزُّ الشُّجَاعَ، وَتُحَرِّضُ النَّاكِلَ، إِنْ شَاءَ اللهُ))(٦٤)

((فَإِنَّ ذلِكَ دَلِيلٌ عَلَى نَصِيحَتِكَ للهِ وَلِمَنْ وَلِيتَ أَمْرَهُ))(٦٥)

((فَإِنَّهُمْ سِلْمٌ لاَ تُخَافُ بَائِقَتُهُ، وَصُلْحٌ لاَ تُخْشَى غَائِلَتُهُ))(٦٦)..وغيرها الكثير.

وقد يخالف هذا الحذف وبأسلوبٍ جميل تتضح فيه سمة البليغ فيحذف(إنَّ وخبرها المقدم) كما في قوله: ((**وَلاَ تَدْفَعَنَّ صُلْحاً دَعَاكَ إِلَيْهِ عَدُوُّكَ ولله فِيهِ رِضىً، فَإِنَّ فِي الصُّلْحِ دَعَةً لِجُنُودِكَ، وَرَاحَةً مِنْ هُمُومِكَ، وأَمْناً لِبِلاَدِكَ**))(٦٧) وهذا التنويع في الأساليب يمنح النص الحركة ويبث فيه الحياة:

فإنَّ فِي الصُّلْحِ دَعَةً لِجُنُودِكَ، وَ....رَاحَةً مِنْ هُمُومِكَ، و....أَمْناً لِبِلاَدِكَ

خامساً: التماسك بحذف كان واسمها

وقد يحذف كانَ واسمها ويبقي خبرها، فيقول: ((**ثُمَّ لْيَكُنْ آثَرُهُمْ عِنْدَكَ أَقْوَلُهُمْ بِمُرِّ الْحَقِّ لَكَ، وأَقَلَّهُمْ مُسَاعَدَةً فِيَما يَكُونُ مِنْكَ مِمَّا كَرِهَ اللهُ لأَوْلِيَائِهِ، وَاقِعاً ذلِكَ مِنْ هَوَاكَ حَيْثُ وَقَعَ**))(٦٨) ساعد الحذف مع فعل الكون الدال على المستقبل في بيان الصورة التي يُريد ايصالها إلى عامله، وقرنَ الفعل بـ (لام الأمر) للدلالة على الأمر الصادر منه لخاصته، وهو يتلاءم والذوق الخلقي لمنهج الحكم في تقريب صاحب قول الحق ولو كانَ مراً على الحاكم، وجاء الحذف ليفعِّل

ذلـك المنهـج:

لْيَكُنْ آثَرُهُمْ عِنْدَكَ أَقْوَلَهُـــــمْ بِمُرِّ الْحَـــــقِّ لَكَ

و..............أَقَلَّهُمْ مُسَاعَدَةً فِيما يَكُونُ مِنْكَ مِمَّا كَرِهَ اللهُ لأَوْلِيَائِـهِ

وعـلى هـذا فالصـورة النحويـة تسـهم في تفاعـل الخطـاب ؛ لأنّها((كالصـورة الصوتيـة أو المعجميـة تـبرز – في لغـة الشـعر– تدافعـا في عنـاصر التركيـب البنائـي التي يجمعهـا النثر))(٦٩)، وهـذا التماسـك في عنـاصر التركيـب ولّـد نصاً عامراً بالبيـان والتأثـير في مفاصـل الرسـالة.

سادساً: التماسك في حذف الحرف

وقـد يحـذف حرفًـا ليقـوم بمهمـة ربـط جملتـين في النـص كـما في قولـه– عليـه السـلام–: ((**وَمَنْ ظَلَمَ عِبَادَ الله كَانَ اللهُ خَصْمَهُ دُونَ عِبَادِهِ، وَمَنْ خَاصَمَهُ اللهُ أَدْحَضَ حُجَّتَهُ، وَكَانَ لله حَرْباً حَتَّى يَنْزِعَ وَيَتُوبَ.**))(٧٠) ، فقـد حـذف (حتـى) الناصبـة المقرونـة بحـرف العطف(الـواو) في جملتـين فعليتـين متصلتـين في المعنـى ، فربـط الحـذف الجملتـين: (حَتَّى يَنْزِعَ) + (وَ ....يَتُوبَ) والنـص يتحـدث عـن نبـذ الظلـم وإقامـة العـدل ؛ لأنَّ الظـالم يقيـم حربـاً مـع الله– تعـالى– ولابُـدَّ لـه مـن أمريـن أمّـا ينزع(يقلـع عـن ظلمـه) أو يتـوب ، وعـلى هـذا فـإنّ مـا يصـدر في هـذه الوثيقـة ليسـت تعليـمات وقتيـة وإنّـما بنـاء لفكـر قائـم عـلى العدالـة وإنصـاف الرعيـة وهـو عطـاء إسـلامي أصيـل.

ومـن حـذف الحـرف عنـده((**وَلاَ تَدَعْ تَفَقُّدَ لَطِيفِ أُمُورِهِمُ اتِّكَالاً عَلَى جَسِيمِهَا، فَإِنَّ لِلْيَسِيرِ مِنْ لُطْفِكَ مَوْضِعاً يَنْتَفِعُونَ بِهِ، وَلِلْجَسِيمِ مَوْقِعاً لاَ يَسْتَغْنُونَ عَنْهُ**))(٧١) فقـد ذكـر– في الجملـة الأولى– الحـرف الناسـخ(إنّ) عنصر التوكيـد وحذفـه في الجملـة

الثانية ؛ ليجعل عامله يؤكد الكلام بنفسه من خلال ردّ المحذوف فحصل توكيدان(=مذكور+ مضمر) فردّ المحذوف في الذهن أصبح بمثابة تقوية للمعاني الملقاة على عاتق المتلقي(مالك الأشتر) فحقق بالحذف هدف التأثير الإبداعي.

خاتمة البحث: من بعض مقومات البلاغة الإيجاز في الكلام بغية الاقتصاد والتأثير والنأي عن ترهل النص ، ولم يقتصر الحذف الذي جاء به الإمام علي – عليه السلام– على ذلك ؛ وإنما أسهم في تماسك النص إذ جاءت معظم المحذوفات وهي تعود على مراجع سابقة توضحها ، وقد غلب حذف العبارة في هذه الرسالة على غيره من المحذوفات ، وهذا النمط يقوّي الترابط الحاصل في النص ويكثّف المعنى المراد ، ويتضح – من خلال البحث– الدقة في التعاطي مع المحذوفات ومهارة استعمالها بوصفها من المكونات النصية التي يتجانس بها الكلام ولا سيّما في الخطاب الإداري.

هوامش البحث:

١. علم اللغة مقدمة للقارئ العربي:٣١٢.
٢. كتاب العين: (حذف) ٣/ ٢٠١.
٣. ظ: مختار الصحاح:٦٩ . المصباح المنير:١/ ١٢٦.
٤. علم لغة النص ، عزة شبل:١١٦.
٥. ينظر في ذلك: أثر التماسك النصي في تكوين الصورة البيانية:٢٥٤-٢٥٥.
٦. كتاب سيبويه:٣/ ١٠٣.
٧. كتاب سيبويه:١/ ٧٦. ظ:ديوان قيس بن الخطيم ، تحقيق: ناصر الدين الأسد:٢٣٩ .ظ: الدلالة السياقية عند اللغويين:١٠٥.
٨. ظ:النحو العربي والدرس الحديث: ١٤٩- ١٥٠. علاقة الظواهر النحوية بالمعنى في القرآن الكريم:١٠٧.
٩. يفرط: يسبق. والزلل: الخطأ.
١٠. استكفاك: طلب منك كفاية أمرهم والقيام بتدبير مصالحهم.

١١. نهج البلاغة ، محمد عبده:٣/ ٨٤.
١٢. كتاب الصناعتين:٤٧.
١٣. شرح نهج البلاغة ، لابن أبي الحديد:١٩/ ٤.
١٤. حرب الله: مخالفة شريعته بالظلم والجور
١٥. لا يدي لك بنقمته: أي ليس لك يد أن تدفع نقمته، أي لا طاقة لك بها.
١٦. بجح به: كفرح لفظاً ومعنى.
١٧. نهج البلاغة ، محمد عبده:٣/ ٨٤.
١٨. العلاقة بين اللغة والفكر:٥٦.
١٩. مالك الأشتر وعهد الإمام له:٧٨.
٢٠. الأُبهة – بضم الهمزة وتشديد الباء المفتوحة – :العظمة والكبرياء .والمخيلة– بفتح فكسر–: الخيلاء والعجب.
٢١. نهج البلاغة، محمد عبده:٣/ ٨٤–٨٥.
٢٢. لغة الخطاب الإداري دراسة لسانية تداولية:٢٢.
٢٣. من لك فيه هوى: أي لك إليه ميل خاص.
٢٤. نهج البلاغة، محمد عبده:٣/ ٨٥.
٢٥. نهج البلاغة، محمد عبده:٣/ ٨٥.
٢٦. بناء لغة الشعر، جون كوين:١٦٧.
٢٧. يجحِف برضى الخاصة: يذهب برضاهم.
٢٨. نهج البلاغة ، محمد عبده: ٣/ ٨٦.
٢٩. الالحاف: الالحاح والشدة في السؤال.
٣٠. جِماع الشيء ـ بالكسر: جمعه، أي جماعة الإسلام.
٣١. الصِغْو بالكسر والفتح : الميل.
٣٢. نهج البلاغة ، محمد عبده: ٣/ ٨٦.
٣٣. أصول تحليل الخطاب ، محمد الشاوش: ٢/ ١٠٣٢.
٣٤. نهج البلاغة ، محمد عبده: ٣/ ٨٧.
٣٥. البلاغة والأسلوبية ، محمد عبد المطلب: ٢١٨.
٣٦. نهج البلاغة ، محمد عبده: ٣/ ٨٩.
٣٧. نهج البلاغة ، محمد عبده: ٣/ ٩١. جيب القميص: طوقه، ويقال: تقي الجيب، أي: طاهر

الصـدر والقلب.الحِلـم: العقل.ينبـو عليـه: يتجـافى عنهـم ويبعـد.

٣٨. نهج البلاغة ، محمد عبده:٣/ ٩٦.

٣٩. نهج البلاغة ، محمد عبده:٣/ ٩٥.

٤٠. نهج البلاغة ، محمد عبده:٣/ ٨٤

٤١. نهـج البلاغـة ، محمـد عبـده:٣/ ٨٨. رُضْهُـم: أي عوّدهـم عـلى ألا يطـروك، أي يزيـدوا في مدحـك. لا يُبجّحُـوك: أي يفرحـوك بنسـبة عمـل عظيـم اليـك ولم تكـن فعلتـه. الزَهْـو ، بالفتـح: العُجْـب. تـدني: أي تقـرب. والعـزة هنـا: الكِـبْر.

٤٢. نهـج البلاغـة ، محمـد عبـده:٣/ ١٠٩– ١١٠. يقـال: فـلان حمّـي الانـف: إذا كان أبيـاً يأنـف الضيـم ، والسَـوْرة: بفتـح السـين وسـكون الـواو: الحِـدة ، والحَـدّة ـ بالفتـح: البـأس ، والغَـرْب بفتـح فسـكون: الحـدّ تشـبيهاً لـه بحـد السـيف ونحـوه.

٤٣. نهج البلاغة ، محمد عبدُه:٣/ ٨٤.

٤٤. كتاب دلائل الاعجاز:١٤٦.

٤٥. المساماة: المباراة في السمو، أي العلو.

٤٦. نهج البلاغة ، محمد عبدُه:٣/ ٨٤

٤٧. النقد الأدبي الحديث أصوله واتجاهاته ، د. أحمد كمال زكي:٢٥٨.

٤٨. نهج البلاغة ، محمد عبدُه:٣/ ١٠٧.

٤٩. نهج البلاغة ، محمد عبدُه:٣/ ١٠٨.

٥٠. نهج البلاغة ، محمد عبدُه:٣/ ١٠٩.

٥١. نهـج البلاغـة ، محمـد عبـدُه:٣/ ٨٧. وبِطانـة الرجـل بالكسر : خاصتـه، وهـو مـن بِطانـة الثـوب خـلاف ظهارتـه. الأثمـة: جمع آثـم، وهـو فاعـل الإثـم أي الذنـب. الظّلَمَـة: جمع ظـالم. الاصـار: جمع إصر بالكسر، وهـو الذنـب والاثـم. الاوزار: جمع وِزْر، وهـو الذنـب والإثـم أيضـاً. الإلـف ـ بالكسر: الألفـة والمحبـة.

٥٢. نهج البلاغة ، محمد عبدُه:٣/ ٨٩. والمنافثة: المجالسة.

٥٣. نهـج البلاغـة ، محمـد عبـده: ٣/ ٨٤. البـادرة: مـا يبـدر مـن الحـدة عنـد الغضـب في قـول أو فعـل. والمندوحـة: المتسـع أي المخلـص. والإدغـال: إدخـال الفسـاد. منهكـة: مضعفـة ، نهكـه: اضعفـه. والغِـير: حادثـات الدهـر بتبـدل الـدول والاغـترار بالسـلطة.

٥٤. دفاع عن البلاغة:٩٩.

٥٥. نهـج البلاغـة ، محمـد عبـده: ٣/ ٨٥. الابّهـة ـ بضـم الهمـزة وتشـديد البـاء مفتوحـة : العظمـة

والكبرياء. المَخِيلة بفتح فكسر: الخيلاء والعجب. يُطامن الشيء: يخفض منه. الطِماح ـ ككتاب: النشوز والجماح. الغَرْب ـ بفتح فسكون: الحدة. يفيء: يرجع. عَزَب: غاب.

٥٦. المساماة: المباراة في السمو، أي العلو.

٥٧. نهج البلاغة ، محمد عبدُه:٣/ ٨٤

٥٨. دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة: ٢٠١.

٥٩. منهاج البلغاء وسراج الأدباء:١٥٣.

٦٠. نهج البلاغة ، محمد عبدُه:٣/ ٨٧. وبِطانة الرجل ـ بالكسر ـ: خاصته، وهو من بِطانة الثوب خلاف ظهارته. الأثمة: جمع آثم، وهو فاعل الإثم أي الذنب. الظّلَمَة: جمع ظالم.

٦١. نهج البلاغة ، محمد عبده:٣/ ٨٨. رُضْهُم: أي عوّدهم على ألا يطروك، أي يزيدوا في مدحك. لا يُبجّحُوك: أي يفرحوك بنسبة عمل عظيم اليك ولم تكن فعلته. الزَهْو ، بالفتح: العُجْب. تدني: أي تقرب. والعزة هنا: الكِبْر.

٦٢. نهج البلاغة ، محمد عبده:٣/ ٨٨.

٦٣. نهج البلاغة ، محمد عبده:٣/ ٩٢.

٦٤. نهج البلاغة ، محمد عبده:٣/ ٩٣. ذوو البلاء: أهل الاعمال العظيمة. يحرض الناكل: يحث المتأخر القاعد.

٦٥. نهج البلاغة ، محمد عبده:٣/ ٩٩.

٦٦. نهج البلاغة ، محمد عبده:٣/ ١٠٠.

٦٧. نهج البلاغة ، محمد عبده:٣/ ١٠٥ – ١٠٦. الدعة: الراحة.

٦٨. نهج البلاغة ، محمد عبدُه:٣/ ٨٨.

٦٩. بناء لغة الشعر ، جون كوين: ١٩١.

٧٠. نهج البلاغة ، محمد عبدُه:٣/ ٨٥. وينزع – كيضرب – أي: يقلع عن ظلمه.

٧١. نهج البلاغة ، محمد عبدُه:٣/ ٩٢.

المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم

ثانيا: الكتب

١. أثر التماسك النصي في تكوين الصورة البيانية ، شعر خالد الكاتب أنموذجاً ، د. كاظم عنوز، 4D للطباعة والتصميم، النجف – العراق، ط١، ١٤٣٧ – ٢٠١٦.

٢. أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية تأسيس(نحو النص) ، محمد الشاوش ، جامعة منوبة – تونس، ط١ ، ١٤٢١ – ٢٠٠١.

٣. البلاغة والأسلوبية ، د. محمد عبد المطلب ، الهيأة المصرية العامة للكتاب – القاهرة،١٩٨٤.

٤. بناء لغة الشعر ، جون كوين ، ترجمة وتقديم وتعليق: د. أحمد درويش ،كتابات نقدية سلسلة تصدرها الهيئة العامة لقصور الثقافة – القاهرة.

٥. دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة ، د. سعيد حسن بحيري ، مكتبة الآداب – القاهرة ، ط١، ١٤٢٦ – ٢٠٠٥.

٦. دفاع عن البلاغة، احمد حسن الزيات، مطبعة الرسالة، ١٩٤٥.

٧. الدلالة السياقية عند اللغويين د. عواطف كنوش المصطفى ، دار السياب للطباعة – لندن، ط١، ٢٠٠٧.

٨. ديوان قيس بن الخطيم ، تحقيق: د. ناصر الدين الأسد ، دار صادر– بيروت.

٩. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد(ت٦٥٦هـ)، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط١، ١٣٧٨–١٩٥٩.

١٠. علاقة الظواهر النحوية بالمعنى في القرآن الكريم ، د. محمد أحمد خضير ، مكتبة الأنجلو المصرية ، مصر– ٢٠٠١.

١١. العلاقة بين اللغة والفكر ، دراسة للعلاقة اللزومية بين الفكر واللغة ، د. أحمد عبد الرحمن حماد ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية– ١٩٨٥.

١٢. علم اللغة – مقدمة للقارئ العربي ، د. محمود السعران ، دار النهضة العربية – بيروت(د–ت).

١٣. علم لغة النص- النظرية والتطبيق ، د. عزة شبل محمد ، مكتبة الآداب - القاهرة ، ط١، ١٤٢٨- ٢٠٠٧.
١٤. كتاب دلائل الإعجاز ، للجرجاني (أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن:ت-٤٧١هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر: مكتبة الخانجي - القاهرة(د- ت).
١٥. كتاب سيبويه، لسيبويه (أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر:ت-١٨٠هـ) ،تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، الخانجي - مصر، ط٣، ١٤٠٨ - ١٩٨٨.
١٦. كتاب الصناعتين الكتابة والشعر ، للعسكري (أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل:ت-٣٩٥هـ) ،تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية بيروت ، ١٤٢٧-٢٠٠٦.
١٧. كتاب العين ، للفراهيدي (الخليل بن أحمد:ت-١٧٥هـ) ،تحقيق: د. مهدي المخزومي ، د. إبراهيم السامرائي ، دار ومكتبة الهلال- بيروت(د- ت).
١٨. لغة الخطاب الإداري دراسة لسانية تداولية ، فريدة لعبيدي ، دار الوسام العربي ، الجزائر ، ط١ ، ١٤٣٢- ٢٠١٠.
١٩. مالك الأشتر وعهد الإمام له ، عباس علي الموسوي ،دار الأضواء ، بيروت ، ١٤٠٧- ١٩٨٧.
٢٠. مختار الصحاح ، للرازي (محمد بن أبي بكر بن عبد القادر:ت-٦٦٦ هـ) ،دار الرسالة - الكويت ، ١٤٠٣- ١٩٨٣.
٢١. المصباح المنير المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للفيومي(أبي العباس أحمد بن محمد بن علي ،ت: نحو ٧٧٠هـ) ، تحقيق: مصطفى السقا ، مكتبة البابي الحلبي ، القاهرة ١٩٥٠.
٢٢. منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، للقرطاجني (حازم بن محمد حسن: ت- ٦٨٤هـ)، تحقيق، محمد الحبيب بن خوجة، المطبعة الرسمية - تونس ، ١٩٦٦.
٢٣. النحو العربي والدرس الحديث بحث في المنهج ، د. عبده الراجحي دار النهضة العربية - بيروت ، ١٤٠٦- ١٩٨٦.
٢٤. النقد الأدبي الحديث أصوله واتجاهاته ، د. أحمد زكي أبو شادي ، مكتبة لبنان ناشرون- الشركة المصرية العالمية للنشر- لوجمان ، ط١ ، ١٩٧٧.

٢٥. نهج البلاغة (مجموع ما اختاره الشريف الرضي من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، شرح: محمد عبدة ، دار المعرفة- بيروت (د- ت).

أثر نهج البلاغة

في إثراءِ المعجم الشعري للمتنبي (ت ٣٥٤ هـ)

أ.م.د. أنــوار سـعيد جواد

م.د. بشرى حنون محسن

جامعة كربلاء كلية العلوم الاسلامية

مقدمة :

الحمـد لله رب العالمـين والصـلاة والسـلام عـلى خـير خلقـه اجمعـين محمـد والـه الطيبـين الطاهريـن وبعـد:

حظي المتنبي وشعره بالعديد من المؤلفات والدراسات والبحوث منذ ظهوره شاعرا سطع نجمه في سماء الشعر العربي في العصر العباسي؛ وعلى وجه التحديد في القرن الرابع الهجري وإلى يومنا هذا؛ فما زال شعره محط أنظار الباحثين والدارسين لما يمتلك نصه الشعري من رؤى ابداعية؛ وخصائص فنية؛ وسمات جمالية مازالت معينا لا ينضب للدارسين والباحثين عنها .

ولعل مرجع ذلك إلى ان نص المتنبي الشعري نص عميق الغور؛ وبعيد المرمى؛ ويحمل الكثير من التجليات والأسرار التي تدفع بالقارئ أو المتلقي إلى سبر هذا الغور والوقوف عند ابعاده ومراميه.

وقارئ حياة المتنبي وشعره يدرك مدى العلاقة التي تربط الشاعر ونصه الشعري بتراثه الانساني وما يحمله من قيم ومبادئ ومُثل؛ وكذلك اطلاعه الواسع على المعارف السائدة في عصره وقبل عصره. كل ذلك أسهم في خلق نص ثري من العلاقات والتراكمات المعرفية لهذا المبدع؛ فكانت بمثابة الروافد التي تمد بحر عطائه الشعري.

ومن هنا كان المبدع؛ ومن ثم نصه الابداعي أو الشعري بناء متعدد القيم والأصوات، يتوارى خلف كل نص أصوات متعددة اخرى غير صوت الشاعر، ومن هذه الأصوات صوت الإمام علي (عليه السلام) الذي يعد رافدا ابداعيا

مـن روافـد شـعر المتنبـي والتـي اسـهمت في اثـراء موهبتـه الشـعرية؛ واثـراء معجمـه الشـعري سـواء عـلى مسـتوى اللفـظ او المعنـى، وهـذا مـا يتضـح مـن العلاقـات القائمـة بـين نصـوص شـعر المتنبـي ونصـوص مـن نهـج البلاغـة الـذي يعـد مصـدرا خصبـا وثريـا بالألفـاظ الجزلـة والمعـاني العميقـة والرؤيـة الابداعيـة في سـبر اغـوار الحيـاة بـكل اشـكالها ومعانيهـا، وهنـا يكمـن ابـداع المتنبـي في توظيفـه لهـذه النصـوص ومحاولتـه طبعهـا بطابعـه الخـاص وذلـك مـن خـلال اضفـاء شـحنات دلاليـة خاصـة يعـبر مـن خلالهـا الشـاعر عـن رؤاه الشـعرية؛ فضـلا عـما يكشـف مـن خلالهـا عـن غنـى هـذه التجربـة الثقافيـة التـي يمتلكهـا إلى جانـب انفتاحـه الرحـب عـلى مختلـف الثقافـات ومحاولتـه الافـادة منهـا في اثـراء نصـه الشـعري؛ إلى جانـب مـا يكشـفه هـذا التعامـل مـع نصـوص مـن نهـج البلاغـة مـن براعـة في التنـاول والأخـذ والتأثـر. وهـذا مـا سـيحاول البحـث تناولـه مـن خـلال الوقـوف عنـد استيحاء المتنبـي لنصـوص للإمـام عـلي (عليـه السـلام) وردت فيـما بعـد في نهـج البلاغـة وتوظيفهـا في شـعره؛ سـواء مـا يتعلـق بألفاظـه أم بمعانيـه راسـمة بذلـك صـوره الشـعرية المتميـزة .

أثر نهج البلاغة في اثراء المعجم الشعري للمتنبي

لعل من الامور التي باتت من المسلمات أو البديهيات في دراسة المتنبي وشعره؛ انه رجل يتمتع بثقافة عالية وسعة اطلاع كبيرة؛ يشهد له بذلك الكثير من النقاد والدارسين لشعره قديما وحديثا؛ ولا أدَّل على ذلك من كتب السرقات التي ظهرت منذ ظهوره شاعرا متميزا سطع نجمه في سماء الشعراء المبدعين في عصره وإلى يومنا هذا. فمازالت الدراسات والبحوث تنهل من فيض عطائه الشعري من خلال سبر غور نصوصه الابداعية والوقوف عند عبقريته الشعرية ومدى ابداعه؛ فضلا عن اصالته الشعرية ((بشرط أن لا نفهم الأصالة بالضرورة على انها تجديدات شكلية أو مضمونية فقط، بل مفاهيم جديدة، أو تكوينات جديدة أيضا، تعتمد فيما تعتمد من الناحية المضمونية والتشكيلية على نماذج سالفة))[1].

ومن هذه النماذج السالفة نصوص الامام علي (عليه السلام) التي حملها التاريخ بين دفتيه حتى عصر الشريف الرضي (ت٤٠٦ه) ليجمعها في (نهج البلاغة) وهذا ما يؤكده المسعودي (ت ٣٤٦ه) عند ذكره للإمام علي (عليه السلام): ((لم يلبس عليه السلام في ايامه ثوبا جديدا، ولا اقتنى ضيعة ولا ربعة..... والذي حفظ الناس عنه من خطبه في سائر مقاماته أربعمائة خطبة ونيف وثمانون خطبة يوردها على البديهة، وتداول الناس ذلك عنه قولا وعملا.))[2].

وهذا النص انما يؤكد حقيقة مفادها ان كلامه (عليه السلام) كان معروفا ومتداولا بين الناس قبل الشريف الرضي؛ هذا من جانب ومن جانب آخر ان ما

وصلنا من كلامه (عليه السلام) أقل بكثير مما ورد ذكره وجُمِعَ في (نهج البلاغة).

غير ان ما يعنينا من بحثنا هذا هو كيف أفاد المتنبي من كلام الإمام (عليه السلام)؟ وكيف وظف ذلك في بحر عطائه الشعري؟

ومعلوم ان كلامه (عليه السلام) فتح بابا مشرعة وواسعة أمام العلماء والأدباء والشعراء بما حملته نصوصه وخطبه وأقواله من جوانب معرفية وآفاق رحبة في مجال العلم والمعرفة إلى جانب الصياغة الفنية البارعة والمتميزة؛ فكان أن أخذ الشعراء منها ونهلوا من نبعها العذب الصافي؛ ومنهم المتنبي، حيث شكلت نصوصه ومعانيه وأقواله رافدا من روافد ابداعه الشعري.

في مجال إفادة المتنبي من ألفاظ الإمام علي (عليه السلام) :

ليس بخافٍ على قارئ حياة المتنبي شغفه بالمطالعة وحبه للقراءة واطلاعه على آثار مَنْ سبقه منذ طفولته حتى سطوع نجمه شاعرا له بصماته المميزة في عالم الشعر والابداع فيه؛ فقد ((تعلم الكتابة والقراءة فلزم أهل العلم والأدب، وأكثر من ملازمة الوراقين فكان علمه من دفاترهم))[٣]. ويتضح هذا العلم بشكل أو بآخر في نتاجه الشعري؛ وفي قدرته على توظيف هذا الثراء المعرفي فيه؛ ولعل نصوص الامام علي (عليه السلام) واحدة من تلك العلوم والمعارف التي ترسبت في ذهن المتنبي واختزنتها ذاكرته الشعرية، فاذا ما أراد أن ينظم((دفعت حافظة المرء على لسانه بعض ما ترسب منها مما وعاه لغيره، واختزنه لسواه))[٤]، وهذا ما نستطيع أن نلحظه في قول المتنبي:

((وَلَذِيْذُ الْحَيَاةِ أَنْفَسُ فِي النَّفْـــــ ـــــسِ وَأَشْهَى من أَنْ يُمَلَّ وَأَحْلَى))[٥]

حيث يذكر شارح ديوانه في معنى هذا البيت: ((الحياة لا تمل؛ وهي أعز

وأحلى من أن يملها صاحبها))[٦] والمتتبع لكلام الامام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة يلحظ كيف أفاد الشاعر من الفاظ الإمام (عليه السلام) ووظفها في المعنى نفسه الذي جاءت به ووردت فيه؛ حيث يقول (عليه السلام): ((**وَٱعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ وَيَكَادُ صَاحِبُهُ يَشْبَعُ مِنْهُ وَيَمَلُّهُ إِلاَّ ٱلْحَيَاةَ**))[٧]

فقد أخذ المتنبي لفظة الملل والحياة ووظفها في الاطار ذاته الذي وردت في نص الامام (عليه السلام)السابق؛ حيث تشربه المتنبي واعاد صياغته من خلال استخدام اسلوب التقديم والتأخير في بعض الألفاظ مما يكشف عن قدرته في تطويع النصوص وإعادة تشكيلها بما يتلاءم وموهبته الشعرية ولعمق الاثر الذي تركته كلمات الامام في نفس الشاعر.

وفي موقف آخر عندما يتحدث عن طول الأمل في مقابل قصر الأجل؛ وان الذي يذهب من عمر المرء لا يعود؛ يقول :

((**وَمَا مَاضِي الشَّبَابِ بِمُسْتَرَدّ   وَ لا يَوْمٌ يَمُرُّ بِمُسْتَعَادِ**))[٨]

فاننا نلحظ أثر قول الامام علي (عليه السلام) والفاظه وذلك في احدى خطبه التي فيها مواعظ للناس؛ حيث جاء فيها : ((**لاَجَاءٍ يُرَدُّ، وَلاَ مَاضٍ يَرْتَدُّ**))[٩].

فقد أفاد المتنبي من لفظتي (الردّ ، والماضي) واعاد توظيفهما بما يخدم تجربته الشعرية وابداعه الفني، بمعنى آخر انه أعاد صياغة النص القديم وفق معطيات الحدث التاريخي والنسق الابداعي ليتحول إلى نص جديد. ذلك ان المتنبي إنما((يحاول أن يجد طريقه في خضم الزخم التقليدي الاحيائي ويجعل توظيفه للموروث القديم ..... من أجل الخروج برؤية جديدة تواكب روح عصره وتعكس قضايا جوهرية لدى الانسانية المعاصرة له))[١٠]. وهذا ما سبق أن ادركه

العكبري شارح ديوانه عندما وقف عند قوله في مدح سيف الدولة الحمداني :

((كُــلٌّ يُرِيْـدُ رِجَالَهُ لِحَيَــاتِهِ   يَا مَــنْ يُــرِيْدُ حَيَـاتَهُ لِــرِجَالِـــهِ))(١١)

اذ يقول شارحا: ((يريد ان الملوك سواك يطلبون عسكرهم وجنودهم، ليدافعوا عنهم ويجمعونهم على اعدائهم ليسلموا، وأنت تريد رجالك أن يبقوا ويسلموا، وتدافع عنهم، وهذا غاية الكرم والشجاعة. وقد بنى البيت على حكاية تذكر عن سيف الدولة مع الاخشيد......يقول له: قد جمعت هذا الجيش، وجئت إلى بلادي، ابرز إليَّ ولا تقتل الناس بيني وبينك، فأينا غلب أخذ البلاد وملك أهلها ......وقد رُويَ مثل هذا عن عليّ عليه السلام: أنه بعث إلى معاوية، وهما بصفين: قد فني الناس بيني وبينك، فابرز إليَّ، فأينا قتل صاحبه ملك الناس .....))(١٢). يتضح مما تقدم كيف أفاد المتنبي من تشابه الحدث التاريخي الموروث وقدرته على توظيفه في نسق شعري يبرز من خلاله قدرته واصالته في ((أن يطوع هذا التراث في خدمة فنه دون أن يفنى فيه، فالاتكاء على التراث لا ينفي عظمة الشاعر ولا يعني أن يتحول الشاعر إلى نسخة مكررة عن الآخرين، إذ لابد من فنه وشخصيته على ما هو بصدد الأخذ منه))(١٣).

وفي موضع آخر نلحظ كيف أفاد المتنبي من ألفاظ ونصوص الامام علي (عليه السلام) ووظفها في خدمة غرضه الشعري وفنه مستفيدا من وحدة الموضوع والغاية التي من أجلها بُنيَّ النص، فاذا كان الامام علي (عليه السلام) قد قال بعد تلاوته قوله تعالى: ﴿**أَلْهَاكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ¤ حَتَّى زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ**﴾(١٤) في كلام له في حال الدنيا والآخرة وما ستؤول إليه الأشياء من الفناء؛ حيث يقول واصفا حال الدنيا: ((.... **تَطَأُونَ فِي هَامِهِم، وَتَسْتَثْبِتُونَ فِي أَجْسَادِهِمْ، وَتَرْتَعُونَ فِيْمَا لَفِظُوْا** ....))(١٥). نجد ان المتنبي يقوم باستيعاب هذا التراث من خلال جمعه بين ((تجاربه

وتجارب القدماء، ويستغل قدراته في معالجة كل ما هو موروث؛ واخراجه بشكل جديد يناسب عصره))[١٦] والحدث الذي ينظم فيه؛ ففي معرض رثائه لوالدة سيف الدولة الحمداني يفيد المتنبي من هذا الرافد المتدفق المعطاء في رسم صورته الشعرية؛ حيث يقول:

((يُدَفِّنُ بَعْضَنَا بَعْضَاً وَ يَمْشِي أَوَاخِرُنَا عَلَى هَامِ الأَوَالِي))[١٧]

فإذا كان الامام علي (عليه السلام) قد قال (تطأون في هامهم) فان المتنبي قال (تمشي أواخرنا على هام الأوالي) ويتضح كيف افاد المتنبي من الفاظ الإمام علي (عليه السلام) ووظفها في نصه وذلك من خلال التضمين. لقد كان المتنبي على وعي وادراك تام بظاهرة التأثر والافادة من تراث الآخرين ولاسيما وهو يدرك تمام الادراك ان الألفاظ مشتركة بين بني البشر هذا ماسبق ان اشار إليه في معرض اتهامه بالسرقة؛ حيث قال: ((أما ما نعيته عليَّ من السَّرق فما يدريك أني اعتمدته وكلام العرب آخذ بعضه برقاب بعض، وآخذ بعضه من بعض، والمعاني تعتلج في الصدور وتخطر للمتقدم تارة وللمتأخر اخرى؛ والألفاظ مشتركة مباحة))[١٨]. وهذا ما نستطيع أن نتلمسه أيضا من قوله :

((وَكُلُّ أُنَاسٍ يَتْبَعُونَ إمامَهُم وَأَنْتَ لأَهْلِ المَكْرُمَاتِ إِمَامُ))[١٩]

الذي استقاه من قول الامام(عليه السلام): **((أَلا وَإِنَّ لِكُلِّ مَأْمُومٍ إِمَامَاً، يَقْتَدِي بِهِ وَيَسْتَضِيءُ بِعِلْمِهِ))**[٢٠] ففيه تظهر براعة المتنبي وقدرته على ((تمثيل كل ما لقيه ووقع عليه ما دام مسايرا لوجهته؛ مصورا لفكرته))[٢١] ويظهر هذا التمثل في استعمال لفظة (الامام)؛ وإذا كان الإمام علي (عليه السلام) قد قال: (لكل مأموم) فان المتنبي قال:(كل أُناس) وما ذلك إلاّ لقدرته على انتقاء الالفاظ التي تتلاءم وغرضه الشعري ، وهو مَنْ نعلم بتبحره في اللغة وتبصره بدقائقها ومفرداتها حتى

وصف بانه ((ضليع في اللغة بصير بالفلسفة خبير بالآداب))[٢٢]. فلم يقتصر نهل المتنبي من معين الإمام علي(عليه السلام) في جانب الحكمة والمعاني الانسانية والخلقية وحسب وإنما أشرك فيها الألفاظ ؛ وان حاول ان يصوغها بشكل يتلاءم ومنهجه الشعري. الا ان الرافد الذي استقى منه يكاد يكون واضحا وجليا لدى القارئ و المتلقي . على ان هذا لا يعد عيبا ولا ثلبا في شعر المتنبي ولا قدحا في شاعريته بقدر ما يشير إلى اختلاط هذه المعارف في نفسيته وامتزاجها ((بكيانه؛ فغدت كما لو كانت عصارة فكره وخلاصة تجربته))[٢٣]. وهذا ما يكشف لنا عن عبقريته واصالته وتفرده بين شعراء عصره وابناء زمانه. ذلك انه رجل عُرِفَ عنه حبه للقراءة وشغفه بالبحث عن الحكمة يسعى لها حيثما وجدها؛ فهي ضالته الأثيرة التي ما انفكت اشعاره تصدح بها؛ غير ان ما يميزها انها لم تأتِ بشكل مباشر وتقريري ملحوظ وإنما اصالة هذا الشاعر تكمن في انه وظفها في خدمة الغرض الذي يتناوله فجاءت متلائمة ومتناسقة مع النسق الشعري الذي تميز به. ومن هنا نجد كيف انه أفاد من ألفاظ الإمام علي (عليه السلام) ونصوصه الخصبة بكل الالفاظ والمعاني الانسانية والتي كانت موضع اهتمامه –وإن لم يصرح بذلك– فكان أن وظفها خير توظيف في شعره لما وجد فيها من تشابه وتقارب بين حياته وحياة الامام سلام الله عليه وما شهده عصره من نزاعات وصراعات أدت به للحديث عن كوامن النفس البشرية وخباياها ؛ فكانت الافكار التي طرحها أقرب إلى الواقعية منها إلى أي عنوانات اخرى جاءت مكسوة بألفاظ معبرة تشع منها الحياة في كل جانب من جوانبها وكل دال من مدلولاتها. وهذا ما تميزت به الفاظ الامام علي (عليه السلام) ونصوصه وخطبه .

إفادة المتنبي وتأثره بمعاني الإمام علي (عليه السلام):

مما لا يخفى عن قارئ ترجمة المتنبي وحياته ان مولده كان ((بالكوفة؛ في محلة تعرف بكندة..... واختلف إلى كتَّاب فيه أولاد أشراف الكوفة؛ فكان يتعلّم دروس العلوية لغة وشعرا وإعرابا فنشأ في خير حاضرة))[٢٤] وهذا النص انما سيسلط الضوء على التراث المعرفي والثقافي لهذا الشاعر منذ أيام طفولته وصباه، وانه اغترف من معين الكوفة الثقافي ومن (دروس العلوية) المعرفي، فكان أن تمثلها في ذهنه وتشربها في مخزونه الفكري فكان أن تسربت بشكل أو بآخر في نتاجه الشعري وعمله الابداعي، فمنها ما جاء بشكل مباشر وعن وعي من الشاعر بالمنهل الذي استقى منه والمعين الذي اغترف منه؛ وهذا ما سبق أن وقفنا عنده في تأثر المتنبي بألفاظ الإمام الواردة في نصوصه المجموعة في كتاب (نهج البلاغة) التي لا يشك باحث أو مطلع على حياة المتنبي وولعه بالعلم والمعرفة من الاطلاع عليها والتأثر بها ولاسيما ونحن نقرأ النص المتقد الذي يلوح بشكل واضح فيها اطلاع المتنبي على أقوال الامام علي (عليه السلام) وتشربه اياها منذ طفولته وصباه؛ وانه نشأ عليها.

وقد يكون هذا التأثر يأخذ منحىً جديدا عندما يريد أن ينظم الشاعر في غرض معين أو موقف محدد نرى ان هذا المعين الذي سبق أن نهل منه حاضرا في ذاكرته الشعرية فيستحضره بشكل غير مباشر أو عن طريق اللاوعي -ان جاز لنا التعبير- فنراه يعبر عن تلك المعاني بأسلوبه وطريقته المميزة من غيره؛ تشفعه في ذلك قدرته على الحفظ وهذا ما تؤكده المصادر ؛ حيث يشير الدكتور محمد عبد الرحمن إلى ذلك في قوله: ((وقد منح المتنبي حافظة قوية أثارت فضول الناس واعجابهم فقد ذكر الرواة عنه أنهم لم يروا أحفظ منه. وأنه حفظ كتابا نحو

ثلاثين ورقة من نظرته الاولى إليه))[٢٥] وهذا انما يكشف لنا عن اصالة الأعمال الفنية والشعرية التي قدمها المتنبي في زمانه وبعد زمانه وإلى يومنا هذا. وهو في كل ذلك إنما يستعين بنماذج سالفيه ومنها نصوص الامام علي (عليه السلام) وأقواله التي فتحت له ولغيره من الادباء والشعراء والكتّاب أفاقا علمية وأدبية واسعة أفاد منها الجميع وتأثروا بها فكانت لهم بمثابة النبع العذب الصافي الذي استقوا من معانيه وارتشفوا من الفاظه فظهرت في نتاجاتهم الابداعية موارده العذبة؛ ومنهم المتنبي على ان هذا لا يعني تقليده لنصوص الامام علي (عليه السلام) ومعانيه بقدر ما يعني تأثره بها وهذا التأثير نعني به: ((شيء يوجد في عمل مؤلف ما؛ ما كان ليوجد فيه لو لم يقرأ المؤلف عمل مؤلف سابق))[٢٦] كما يقول أولدريج. وهذا ما تكشفه نصوص المتنبي الشعرية التي حملت بين طياتها الكثير من المعاني التي تشف عن تأثره بنصوص الامام علي (عليه السلام) ومعانيه ونهله من ينبوعه العذب الصافي؛ فكانت بحق رافدا ابداعيا يضاف إلى روافد ابداعه الأخرى الناجمة عن كثرة اطلاعه وتأثره بالعلوم والمعارف المختلفة التي سادت عصره وقبل عصره؛ ذلك ان من الامور المسلم بها ان ((طبيعة العلم تأبى الاّ التسرب والانتشار))[٢٧] ونستطيع أن نتلمس ذلك من خلال الوقوف عند المعاني الشعرية لنصوصه الابداعية ؛ منها قوله :

((الرَّأيُّ قَبْلَ شَجَاعَةِ الشّجْعَانِ   هُوَ أَوَّل وَهْيَ المَحَلُ الثَّانِي))[٢٨]

حيث ندرك عبقرية المتنبي وبراعته في توظيف نص الامام علي (عليه السلام) الذي يقول فيه : ((**رَأْيُ الشَّيْخِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ جَلَدِ الْغُلاَمِ**))[٢٩]، كما نلحظ قدرته على تطويع النص وجعله يحمل سمات الشاعر الخاصة التي تعبر عن رؤاه الشعرية وذلك من خلال جمالية الصياغة وروعة الاسلوب مما اسهم في شهرة

البيـت وذيوعـه .

ومـن تجليـات التداخـلات النصيـة بـين نصـوص المتنبـي ونصـوص الامـام عـلي (عليـه السـلام) أيضـا قولـه :

((إذا أَنْتَ أكْرَمْتَ الكَرِيْمَ مَلَكْتَهُ وَإِنْ أَنْتَ أكْرَمْتَ اللَّئِيمَ تَمَرَّدَا))(٣٠)

حيـث يكشـف هـذا النـص خصائـص ومميـزات النفـس التـي يتمتـع بهـا كل مـن الكريـم واللئيـم في حالـة الاحسـان والإكـرام إليهـا؛ ذلـك ان الكريـم ((يصـير كالمملـوك لـك إذا اكرمتـه؛ واللئيـم إذا اكرمتـه يزيـد عتـوا وجـراءة عليـك))(٣١) وهـذا المعنـى سـبق أن ذكـره الإمـام عـلي (عليـه السـلام) عندمـا قـال: ((**اُحْـذَرُوْا صَوْلَـةَ اُلْكَرِيْـمِ إذَا جَـاعَ، واُلْلَّئِيْـمِ إِذَا شَـبِعَ**))(٣٢) .

وهـذا التداخـل في النصـوص إنـما يكشـف لنـا عـن غنـى تجربـة المتنبـي الابداعيـة وعـن براعتـه في التعامـل مـع النصـوص، ومحاولـة تذويبهـا في نسـقه الشـعري المميـز والتـي يكشـف مـن خلالهـا عـن عبقريتـه وابداعـه في فهـم اسرار النفـس البشريـة .

ولا يبعد عن ذلك أيضا بيته المشهور :

((بِذَا قَضَتِ الأَيَّامُ مَا بينَ أَهْلِها مَصَائِبُ قَوْمٍ عِنْدَ قَوْمٍ فَوَائِدُ))(٣٣)

وهـو مـن الابيـات الشـائعة والمتداولـة في عـصره وإلى يومنـا هـذا لمـا يحملـه مـن حكمـة ومعنـى انسـاني متحقـق عـلى مـر الايـام ومـدى الزمـان فمـن ((عـادة الأيـام سرور قـوم بإسـاءة آخريـن))(٣٤) والبيـت مـن قصيـدة قالهـا في مـدح سـيف الدولـة ورثـاء ابـن عمـه تغلـب؛ وإذا مـا رجعنـا إلى الـتراث الانسـاني نقـرأ ونبحـث في اثنائـه عن مضمـون هـذه الحكمـة ونتتبـع مجريـات الظـروف التاريخيـة للنـص الابداعـي للمتنبـي نلمـس التشـابه الكبـير بينـه وبـين نـص الامـام (عليـه السـلام) الـذي قالـه بعدمـا قُتِـلَ

محمد بن أبي بكر:((**إِنَ حُزْنَنَا عَلَيْهِ عَلَىْ قَدَر سرورِهْم بِهِ ؛ إلاَّ أَنَّهُم نَقَصُوْا بَغيْضا وَنَقَصنَا حَبيْبَا**))[٣٥] والذي جاء مخاطبا فيه أهل الشام. لقد وظف المتنبي نص الامام علي (عليه السلام) وافاد من معناه في صياغة نموذجه الشعري؛ فكان نصه يسير بمحاذاة نص الامام جمالا وابداعا؛ ذلك ان ما يميز حكم المتنبي هو اعتمادها الموروث الانساني والاصل التاريخي إلى جانب انها ((تدور على حقائق ثابتة مشتركة بين الناس كلهم))[٣٦]؛ وهذا ما سبق أن أشار إليه محمود محمد شاكر عندما قال عن حكمه:((لم يكن قلبه ينسى شيئا أو يفلته؛ وكأني به -وهو يقول البيت السائر والمثل الشرود- كانت تتراءى تحت عينيه، ويدوي في مسمعه، كل ما مر به مما أثر فيه، فيقول البيت وفي كل لفظة منه سبب ممدود إلى ذكرى يذكرها أو فكرة يتخيلها))[٣٧].

استثمر المتنبي ظرف الحدث التاريخي والابداعي في التعبير عن شعوره وافكاره وتقديم ذلك على وفق نسق شعري يظهر من خلاله قدرته في تعامله مع النصوص، وذلك من خلال هدم النص ومن ثم إعادة تشكيله وبنائه بما يخدم موهبته الشعرية وقدراته الابداعية؛ وهذا ما يمكن تلمسه في قوله (مصائب قوم) التي تقابلها في نص الامام (حزننا عليه) و(فوائد) تقابل (وسرورهم به) إلى جانب استخدامه اسلوب الايجاز في التعبير؛ ولا يخفى ما للفظة (مصائب) من وقع نفسي يشير إلى الاحساس بالفقد والحرمان ولاسيما اذا كان المفقود عزيزا وما يخلفه في نفوس محبيه من ألم المصاب ولوعته، في مقابل ما يحصده الأعداء من فائدة وما يستشعروه من سرور لتخلصهم منه وابتعاده عنهم . وكأن المتنبي يتمثل معنى الامام علي (عليه السلام) في نصه ويستحضره في مخيلته وهو ينظم شعره وهذا يتضح من خلال ما حمَّل النص من شحنات دلالية كبيرة كانت كفيلة

بجعل القارئ أو المتلقي يبعد في الغوص في أعماق النص وسبر أغواره للوقوف عند حقيقة النص المتأثر من النص المؤثر.

ولا نعدو بعيدا ونحن نقرأ قول الامام علي (عليه السلام): ((**المَعْرُوفُ كَنْزٌ فَانْظُرْ عِنْدَ مَنْ تُودِعَهُ**))[٣٨] الذي يشير فيه إلى ضرورة الحكمة في معالجة الأمور والقضايا؛ وان الخير والمعروف لابد أن يوضعان في محلهما ليتبين فضلهما؛ فكان ان شبههما بالكنز الذي يعرفه اصحابه ويقدروا قيمته؛ فكذلك المعروف لايعرفه الا اصحابه ولا يعرف فضله إلا اهله؛ أما إذا وِضِع في غير محله وعند غير اهله فقد أضرَّ به؛ وهذا إنما يشير إلى ضرورة وضع الامور في نصابها الصحيح ؛ فلا يجوز استخدام المعروف إلاَّ مع اهله ومستحقيه والعكس أيضا. وهذا معنى قرآني سبق أن أشارت إليه الآية الكريمة ((**هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ**))[٣٩]. فما كان من المتنبي إلاَّ أن تشرب المعنى وأعاد توظيفه في نصه بما يخدم الغرض الذي يلائمه فكان أن وسع من ألفاظه؛ وكأنه يشرح المعنى وفق منظوره المعرفي؛ وهذا ما نقرأه في نصه الذي مدح به سيف الدولة الحمداني:

((وَمَا قَتل الأَحْرار كالعَفْوِ عَنْهُمُ ... وَمَنْ لَكَ بِالْحُرِّ الذِي يَحْفَظُ اليَدَا

إِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الْكَرِيْمَ مَلَكْتَهُ ... وَإِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللَّئِيْمَ تَمَرَّدَا

وَوَضْعُ النَّدَى فِي مَوْضِعِ السَّيْفِ بِالعُلا ... مُضِرٌّ كَوَضْعِ السَّيْفِفِي مَوْضِعِ النَّدَى))[٤٠]

يتضح من الأبيات السابقة كيف أفاد المتنبي من التراث وكيف استوعبه فما كان منه إلا أن ((جمع بين تجاربه وتجارب القدماء))[٤١] وتوظيفها بما يلائم قدراته الشعرية وموهبته الفنية في اعادة تشكيل معاني النصوص القديمة واخراجها في شكل جديد.

وفي نص آخر للإمام علي (عليه السلام) يقول فيه : ((**قَدْرُ الرَّجُلِ عَلَى قَدْرِ هِمَّتِهِ، وَصِدْقُهُ عَلَى قَدْرِ مُرُوءَتِهِ، وَشَجاعَتُهُ عَلَى قَدْرِ أَنَفَتِهِ، وَعِفَّتُهُ عَلَى قَدْرِ غَيْرَتِهِ**))[٤٢] ففيه يشير إلى ان كل انسان إنما ينال حظه على حسب طاقته وهمته، وعمله يكون على وفق قدراته. وقد أفاد المتنبي من معنى هذا النص ووظفه في أكثر من موضع من شعره ذلك انه ((لم يكن بالشاعر الذي يقف أمام تراث اسلافه وقفة العابد الطائع؛ يكرر معانيهم ويردد أفكارهم في جمود وثبات، ولكنه سار في طريق التجديد والابتكار إلى الأمد الذي اعيا غيره واحفظ سواه وخلَّد ذكراه))[٤٣] ذلك انه عرف كيف يفيد من المعاني والأفكار التي طرحها من سبقوه وأعاد بناءها بشكل يكاد يكون جديدا؛ حتى انها باتت تحسب له؛ فاذا ما قرأنا نص الامام السابق يتبادر إلى الذهن قول المتنبي:

((عَلَى قَدْرِ أَهْلِ العَزْمِ تأْتِي العَزَائِمُ ... وَ تَأْتِي عَلَى قَدْرِ الكِرَامِ المَكَارِمُ
وَتَعْظُمُ فِي عَيْنِ الصَّغِيْرِ صِغَارُها ... وَتَصْغُرُ فِي عَيْنِ العَظِيْمِ العَظَائِمُ))[٤٤]

فكان نصه مطابقا لنص الامام علي (عليه السلام) في الاشارة إلى معنى النص ومضمونه؛ وهو ((على قدر همة الطالب يكون سعيه))[٤٥]. هذا ولم تقف إفادة المتنبي من معنى نص الامام (عليه السلام) السابق في هذا الموضع فحسب؛ وإنما نجده يستلهمه في موضع آخر عارضا إياه في صورة جديدة مختزلة نص الامام من خلال توظيف الاساليب البلاغية في رسم صورته الجديدة ؛ فكان ان استخدم التشبيه في رسم المعنى وعرضه بشكل مغاير عمَّا عرضه في النص السابق؛ وهذا ما نقرأه في قوله:

((وَكُلُّ طَرِيْقٍ أَتَاهُ الفَتَى ... عَلَى قَدْرِ الرِّجْلِ فِيْهِ الخُطَا))[٤٦]

لقد كشف لنا المتنبي في ذلك عن واحدة من نقاط قوته وعظمة شعره؛ وهو

أنـه نهـل مـن مـورد عـذب ؛ فـكان أن تدفـق عـلى لسـانه حامـلا معـه هـذه العذوبـة وهـذا النقـاء؛ وهـذا مـا يميـز حكـم المتنبـي. ولنـا -إذا جـاز التعبيـر- وقفـة أخـرى مـع نـص آخـر مـن نصـوص المتنبـي تشربـت معانيـه نصـوص الامـام عـلي (عليـه السـلام) ومعانيـه؛ وهـو قولـه :

((يَسْتَصْغِرَ الخَطَرَ الكَبِيْرَ لِوفْدِهِ وَ يَظُنُّ دَجْلَةَ لَيْسَ تَكْفِي شَارِبا))(٤٧)

حيـث نلحـظ مرجعيـة هـذا النـص تعـود إلى قـول الامـام (عليـه السـلام) في وصـف المتقـين حـين لا يرضـون مـن اعمالهـم بالقليـل حتـى انهـم يسـتصغرونها وينسـبونها إلى القلـة والتقصـير في مقابـل عظمـة الخالـق وكـرم عطايـاه؛ حيـث يصفهـم بقولـه: **((لا يَرْضَـوْنَ مِـنْ أَعْمَالِهِـمُ ٱلْقَلِيْـلَ، وَلَاَ يَسْـتَكْثِرونَ ٱلْكَثِـيْرَ))**(٤٨). فقـد نقـل المتنبـي وصـف الامـام عـلي (عليـه السـلام) للمتقـين إلى وصـف ممدوحـه وكرمـه؛ وذلـك بـان أعـاد بنـاء النـص مـن خـلال تحويـر بعـض المفـردات واضافـة ابعـاد جديـدة للمضمـون؛ في محاولـة منـه لإخفـاء النـص ومعالمـه عـن أعـين القـارئ والمتلقـي.

وهذا الكلام يصدق أيضا على قوله :

((وَكَيْفَ يَتُمُّ بَأْسُكَ فِي أُنَاسٍ تُصِيْبُهُم فَيُؤلِمُكَ المُصَابُ))(٤٩)

الـذي يماثـل نـص الامـام عـلي (عليـه السـلام) ((لّمـا مـرَّ عـلى طلحـة وعبـد الرحمـن بـن عتـاب وهمـا قتيـلان يـوم معركـة الجمـل : **(أَمَـا وَاللهِ لَقَـدْ كُنْـتُ أَكْـرَهُ أَنْ تَكُـونَ قُرَيْـشٍ قَتْـلَى تَحْـتَ بُطُـوْنِ ٱلْكَوَاكِـبِ)))**(٥٠).

نلحـظ في هـذا النـص كيـف أفـاد المتنبـي مـن معنـاه مسـتخدما اسـلوب التعجـب إلى جانـب اسـتخدام بعـض الألفـاظ في مقابـل ألفـاظ الامـام عـلي (عليـه السـلام)؛ كـما في(يؤلمـك المصـاب) في مقابـل (أكـره أن تكـون ...).

ولم تقف حدود أصالة المتنبي وابداعه في توظيف الاساليب البلاغية واللغوية في اخفاء معاني الامام علي (عليه السلام) ونصوصه؛ وانما نلحظ أيضا محاولته شرح هذه المعاني من خلال تمطيطها -إذا جاز لنا التعبير- وذلك باكسائها ألفاظا جديدة؛ وبذلك تخرج بحلة جديدة تتلاءم وطبيعة العصر والموضوع الذي يتناوله الشاعر؛ كما في قوله :

((وَكُلُّ ٱمْرِئٍ يُوْلِي الجَمِيْلَ مُحَبَبٌ وَ كُلُّ مَكَانٍ يُنْبِتُ ٱلْعِزَّ طَيِّبُ))(٥١)

والذي استقى معناه من قول الامام (عليه السلام): **((خَيْرُ ٱلْبِلادِ مَا حَمَلَكَ))**(٥٢) والقارئ لهذين النصين الشعريين يدرك ان صورة المعنى تكاد تكون واحدة -ان لم تكن- وان اختلفت في شكل العرض وطريقة الاظهار؛ وبذلك ندرك المرجعية التراثية والفكرية التي اعتمدها المتنبي في التعبير عن معانيه ورسم صوره تلك الصور التي استمد عناصرها من بيئته التي عاشها سواء الفكرية والثقافية وحتى الحضارية والاجتماعية . فكانت نصوص الامام علي (عليه السلام) بمثابة التراث العام المشترك الذي بمقدور الشعراء والادباء والكتّاب الافادة منه والاستسقاء من نبعه. وهنا تكمن عبقرية المبدع واصالته في قدرته على النهل والأرتشاف من هذا النبع وتوظيفه بشكل يتلاءم مع منجزه الفكري والابداعي. وهذا ما لمسناه عند المتنبي؛ حيث يقول :

((تَمَلَّكَها الآتِي تَمَلّكَ سَالِبٍ وَفَارَقَها المَاضِي فِرَاقَ سَلِيْبِ))(٥٣)

نلحظ ان العكبري شارح ديوانه يشير إلى المصدر الذي استقى منه معناه ؛ حيث يقول في شرحه لهذا البيت: ((يريد أن الوارث الذي يملك الأرض كأنه سالب سلب الموروث ماله والموروث كأنه سليب سُلِبَ مَالَه. وهو مأخوذ من قولهم في الموعظة: **(إن ما في أيديكم من أسلاب الهالكين، وسيتركها الباقون كما**

تركها الأولون) . وهذا من نهج البلاغة))[٥٤] ؛ وهناك نص آخر للإمام (عليه السلام) يحمل المعنى ذاته؛ وهو قوله: ((**على أثر الماضي ما يمضي الباقي**))[٥٥] ومما لا يخفى ان شاعرنا قد اطلع على هذين النصين فكان أن نسج على منوالهما نصا ثالثا يحمل المعنى ذاته، ولكن بأسلوبه الشعري المميز .

ولنا وقفة اخرى مع الشاعر وهو ينهل من معين الامام ويغذي معجمه الشعري؛ فاذا كان الامام (عليه السلام) قد قال: ((**اْلقَلْبُ مُصْحَفُ اْلبَصَرِ**))[٥٦] أي ان ((ما يتناوله البصر يحفظ في القلب كأنه يكتب فيه))[٥٧] نجد ان المتنبي يعكس المعنى بأن يجعل العيون تشير إلى ما تخفي الصدور والقلوب؛ وذلك في قوله:

((**يُخْفِي العَدَاوَةَ وَهْيَ غَيْرُ خَفِيّةٍ   نَظَرُ العَدُوِّ بِمَا أَسَرَّ يَبوحُ**))[٥٨]

وكأنه بذلك ينطلق من رؤية مفادها ان ((النص الجيد هو النص المحرّك والباعث على التأمل والنظر))[٥٩]. وهذا ما عمله المتنبي عندما قام بعملية تشرب وامتصاص لنص الامام (عليه السلام) السابق ثم اعادة انتاجه بشكل معاكس بما يخدم الغرض الشعري والحدث التاريخي الذي ينظم من أجله؛ فإذا كانت الصورة الاولى تشير إلى ان العين أو حاسة البصر هي المصدر الرئيس لاكتساب المعرفة والاحساس بالأشياء من ناحية الجمال والقبح؛ والعاطفة الايجابية أو السلبية؛ فان النص الثاني جاء ليرسم لنا صورة عكسية للأولى عندما جعل من النظر أو العين مرآة تعكس ما تخفي القلوب من العواطف والمشاعر والاحاسيس، وهذا ما يمكن أن نطلق عليه ((التأثر العكسي))[٦٠] أي ان الشاعر يقوم بعملية امتصاص للنص الابداعي ثم إعادة تشكيله في إطار بنية جديدة مغايرة لصورته الأولى أو معكوسة عنها؛ بمعنى أن يكون النص الثاني مضاد للنص الأول. وهذا ما لمسناه

في نـص المتنبـي الـذي لم يكـن وحيـدا ولا مفـردا؛ وإنـما هنـاك نـص آخـر تناقـض فيـه الشـاعر مـع معنـى نـص الامـام (عليـه السـلام)؛ فـاذا كان الامـام قـد قـال في معـرض نصحـه وارشـاده: ((**إِنْ لَمْ تَكُـنْ حَلِيْـمَاً فَتَحلَّـمْ، فَإِنَّـه قَـلَّ مَـنْ تَشَـبَّهَ بِقَـوْمٍ، إلاّ أَوْشَـكَ أَنْ يَكُـوْنَ مِنْهُـم**))[٦١] نلحـظ أن المتنبـي – الـذي لا ننكـر اطلاعـه وتأثـره بهـذا النـص – يرفـض هـذه الفكـرة أو هـذا المعنـى ويخالفـه بقولـه :

((**وَإِذا الحِلْمُ لَمْ يَكُنْ فِيْ طِبَاعٍ لَمْ يُحلِّمْ تَقَدُّمُ المِيْلادِ**))[٦٢]

وكأنـه يـرد عـلى معنى نـص الامـام (عليـه السـلام) الـذي يشـير فيـه إلى ان الحلـم إذا لم يكـن طبيعـة أو غريـزة يمكـن أن يكـون تطبعـا واكتسـابا مـن خـلال المعـاشرة والتشـبه بمـن يمتلـك هـذه الصفـة. عـلى حـين أنكـر المتنبـي هـذا المعنـى وناقضـه بـان ذكـر ان الحلـم لا يكـون الاّ عـن الطبـع والغريـزة وانـه لا تنفعـه المعـاشرة ولا تقـدم العمـر، فقـد يكـون الانسـان صغـير السـن ويوصـف بالحلـم في حـين أن هنـاك مـن تقـدم بـه العمـر أو (الميـلاد) ويفتقـر إلى هـذه الصفـة. ونحـن إذا ادركنـا ان ((الابـداع انطلاقـا مـن العـدم محـال))[٦٣] ادركنـا اصالـة فـن المتنبـي الشـعرية وموهبتـه الابداعيـة التـي كان أحـد روافدهـا نصـوص الامـام عـلي (عليـه السـلام) الخصبـة والثريـة بالمعـاني إلى جانـب الالفـاظ؛ وهـذا مـا نجـده في نـص ثالـث حيـث نقـرأ :

((**وأُسْتَكْبِرُ الأَخْبَارَ قَبْلَ لِقائِهِ فَلَمّا اُلْتَقَيْنَا صَغَّرَ الخَبرَ الخُبْرُ**))[٦٤]

نـدرك التقـارب المعنـوي بينـه وبـين قـول الامـام (عليـه السـلام): ((**وَكلُّ شَيْءٍ مِـنَ اُلدُّنْيَـا سَـمَاعُهُ أَعْظَـمُ مِـنْ عِيَانِـهِ، وَكُلُّ شَيْءٍ مِـنَ الآخِـرَةِ عِيَانُـهُ أَعْظَـمُ مِـنْ سَـمَاعِهِ، فَلْيَكْفِكُـمْ مِـنَ اُلْعِيَـانِ اُلسَّـمَاعُ، وَمِـنَ الغَيْـبِ اُلْخَـبَرُ**))[٦٥] ذلـك ان كلا النصـين المؤثـر والمتأثـر حمـلا مـن التقـارب المعنـوي مـا لا يمكـن فصـل أحدهمـا عـن الآخـر؛ بمعنـى لا يمكـن انـكار المؤثـر وجعلـه بعيـدا عـن دائـرة الأثـر الـذي يـكاد يكـون واضحـا في

نـص المتنبـي.

وإذا ما قرأنا قول المتنبي :

((ذَكِيٌّ تَظَنِّيهِ طَلِيْعَةُ عَيْنِهِ   يَرَى قَلْبُهُ فِي يَوْمِهِ مَا تَرَى غَدَا))(٦٦)

فإننـا نلحـظ افادتـه مـن قـول الامـام عـلي (عليـه السـلام) وتأثـره بـه؛ حيـث يقـول: ((اتَّقُوْا ظُنُونَ الْمُؤْمِنِيْنَ، فَإِنَّ الله تَعَالَى جَعَلَ الْحَقَّ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ))(٦٧) فالـذي يتمعـن في قـراءة النصـين السـابقين يجـد ان الامـام قـد أشـار إلى بعـض صفـات المؤمنـين وهـو إعـمال الظـن، وقدرتهـم عـلى استباق الاحـداث والتنبـؤ بهـا قبـل وقوعهـا لمـا أكرمهـم البـاري عـز وجـل مـن اجـراء الحـق عـلى السـنتهم. مـن هـذا المنطلـق نـدرك كيـف ان المتنبـي قـد أفـاد مـن هـذا المعنـى ووظفـه في مـدح ممدوحـه مـن خـلال حـصر هـذه الصفـة فيـه وقصرهـا عليـه. في حـين ان نـص الامـام (عليـه السـلام) كان شـاملا عامـا جميـع المؤمنـين؛ وهـذا مـا توضحـه اضافـة (ال) إلى (مؤمنـين) لتشـمل عمـوم الجنـس عـلى حـين جـاء نـص المتنبـي قـاصرا صـدق الحـدس أو صحـة الظـن عـلى ممدوحـه الـذي وصفـه بالـذكاء فقـال: ((هـو لصحـة ذكائـه ولصحـة ظنـه إذا ظـنَّ شـيئا رآه بعينـه لامحالـة))(٦٨) وهـذا إنـما يكشـف لنـا عـن أصالـة المتنبـي وقدرتـه عـلى تضمـين نصوصـه معـاني سـابقيه والتأثـر بهـا ومحاولـة اخراجهـا بشـكل جديـد مخفيـا المنبـع الـذي اسـتقى منـه معنـاه ووظفـه في عملـه؛ أو نصـه الشـعري؛ وهـذا مـا نتلمسـه في معنـى النـص الذي جـاءت فيـه لفظـة (تظنيـه) لتفتـح الافـق إلى الرافـد الابداعـي لنصـه ولتتوافـق مـع لفظـة الامـام (عليـه السـلام) (ظنـون). وهـذا يكشـف لنـا ان النـص ((الجديـد هـو إعـادة لنصـوص سـابقة لا تعـرف إلا بالخـبرة والتدقيـق، فالعـودة إلى المـاضي واسـتحضاره مـن أكثـر الامـور فعاليـة في عمليـة الابـداع))(٦٩) وهـذا مـا يمكـن ان ندركـه ونحـن نقـرأ قـول المتنبـي:

((وَجَائِزَةٌ دَعْوَى المَحَبَةِ وَالْهَوَى وَ إِنْ كَانَ لاَ يَخْفَى كَلامُ المُنَافِقِ))(٧٠)

حيث لا يمكن انكار المرجعية الفكرية فيه واثرها من نص الامام علي (عليه السلام) الذي يقول: ((**مَا أَضْمَرَ أَحَدٌ شَيْئَاً إِلاَّ ظَهَرَ فِي فَلَتَاتِ لِسَانِهِ وَصَفَحَاتِ وَجْهِهِ**))(٧١). فقد تطابق قول المتنبي مع نص الامام (عليه السلام) الذي يشير فيه إلى ان الانسان مهما حاول أن يخفي مشاعره أو عواطفه أو أحاسيسه وحتى علمه -إن جاز لنا- فان لسانه يفضحه بما يجري عليه من فلتات تشير الى ما يحاول كتمانه؛ وبما يرتسم في وجهه من ملامح تشير إلى ما يحاول اخفاءه . وبهذا المعنى أيضا نطق المتنبي الا انه قصره على المنافق الذي يحاول ان يظهر للآخرين خلاف ما يبطن الا انه سرعان ما يفضحه كلامه. وإذا كان كلام الامام (عليه السلام) عاما يشمل الايجابي والسلبي من الامور المخفية فان نص المتنبي وقف عند الجانب السلبي من المشاعر والعواطف؛ ويبدو ان طبيعة الغرض الذي نظم من اجله والموضوع الذي كان يقصده كان السبب في هذا الاقتصار وهذا التأثر. وعلى هذا يبدو ان الشاعر لم يكن غافلا عن مصدره الذي استقى منه المعنى ووظفه بما يلائم موضوعه؛ فهو إعادة انتاج لنص قديم وفق رؤية جديدة تناسب الحدث التاريخي الذي قيل من اجله النص؛ فالمسألة إذن هي مسألة عموم وخصوص. فنص الامام (عليه السلام) السابق يتحدث بشكل عام ويرسم صورة مشتركة للجميع، في حين خصت صورة المتنبي جانبا عاطفيا فقط هو (النفاق). وبذلك يكون قد أثبت جزئية من جزئيات النص المرجعي . وفي نص آخر نقرأ قوله :

((ذِكْرُ الفَتى عُمْرُهُ الثَّانِي وَحَاجَتُهُ مَا قَاتَهُ وَفُضُوْلُ العَيْشِ إِشْغَالُ))(٧٢)

حيث ينقل في هذا النص معنى خلقي وانساني ربما عرفه الناس وادركوه غير ان ما يميزه هو الصياغة اللفظية التي اعتمدها الشاعر في الوقوف عند هذا

المعنى؛ فهو يشير فيه إلى ان للمرء حياة مادية تنتهي بانتهاء اجله؛ واخرى روحية مخلدة تمثل عمره الثاني؛ وهذه الاخيرة إنما تبقى من خلال اعماله الطيبة ((وجميل مساعيه، وما يخلده من كرمه ومعاليه))[٧٣]. وقد تنبه شارح ديوانه إلى ان هذا النص (مأخوذ من كلام حكيم)[٧٤]؛ ولو رجعنا إلى نصوص الامام علي (عليه السلام) وأقواله الحكمية في وصفه للعلم والعلماء ونقرأ قوله : ((**بِهِ – أي العلم – يَكْسِبُ ٱلْإِنْسَانُ الطَّاعَةَ فِي حَيَاتِهِ وَجَمِيْلَ ٱلْأُحْدُوثَةِ بَعْدَ وَفَاتِهِ ..... هَلَكَ خُزَّانُ الأَمْوَالِ وَهُمْ أَحْيَاءٌ وَٱلْعُلَمَاءُ بَاقُونَ مَا بَقِيَ الدَّهْرُ: أَعْيَانُهُم مَفْقُودَةٌ، وَأَمْثَالُهُم فِي ٱلْقُلُوْبِ مَوْجُودَةٌ**))[٧٥]، نلحظ ان المتنبي وهو يبني نصوصه الابداعية لا يخرج عن اطار تكوينه المعرفي ومرجعياته الثقافية ((فنصوصه الأدبية عبارة عن تراكمات ثقافية تنمو في محيط التلاحم المعرفي المتشابك، مما يجعل النص الأدبي بناءً متعدد القيم والأصوات، تتوارى خلف كل نص ذوات اخرى غير ذات المبدع من دون حدود أو فواصل. ومن ثم فالنص الجديد هو إعادة لنصوص سابقة لا تعرف إلاّ بالخبرة والتدقيق))[٧٦] وهذا ما ادركه شارح ديوانه من قبل .

ومن أبيات الحكم والامثال التي صاغها المتنبي نقرأ قوله :

((**إِذا قِيْلَ رِفْقَاً قَاْلَ لِلْحِلْمِ مَوْضِعٌ ... وَحِلْمُ الفَتَى فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ جَهْلُ**))[٧٧]

وفيها يتحدث عن ضرورة مراعاة وضع الاشياء في موضعها الصحيح والا ستعود على الانسان بالضرر؛ ذلك ان (للحلم) مواضع يجمل فيها ويحمد فاعلها؛ في حين ان في مواضع اخرى يكون (جهلا) عندما يوضع في غير محله وعند غير مستحقه. ففي الحرب مثلا لا يجوز استعمال الرفق فيها وانما لابد من القوة والبطش والفتك بالأعداء؛ في خلاف حالة السلم. وعلى الانسان العاقل ان يعرف الأوقات المناسبة لاستخدام الحلم كما يعرف اوقات استعمال الشدة؛ لان استعمال

الحلم في موضع الشدة أو العكس يُعد جهلا أو ضعفا أو خرقا؛ كما ذكر ذلك الامام علي (عليه السلام): ((**إذا كَانَ الرِّفْقُ خَرْقَاً كَانَ الخرْقُ رِفْقاً**))[٧٨] أي ((إذا كان المقام يلزمه العنف يكون ابداله بالرفق عنفا، ويكون العنف من الرفق، وذلك كمقام التأديب واجراء الحدود))[٧٩]. وقارئ نص المتنبي يلحظ انه حاول أن يحافظ على معنى نص الامام إلا انه رسمه بصورة جديدة من خلال اعطائه أبعادا جمالية أكثر وضوحا من خلال تمكنه من الأساليب اللغوية جاءت ((مصاغة في مظهر القدوة أو العبرة التي لا تلقى على الناس القاء وعظ يرغّب ويرهّب ويعد ويزجر؛ وإنما يبرزها الشاعر لهم على انها من مكتسبات تجربته في الحياة ومن نتائج تجارب أخرى مماثلة لتجربته))[٨٠] وبذلك عرض المعنى في صورة جديدة حاول من خلالها اخفاء الرافد الذي استقى منه معناه. وهنا يكمن ابداع المتنبي في قدرته على خلق الأعمال الفنية المتميزة من خلال تشربه لكل ما هو موروث وإعادة اخراجه بشكل جديد مناسب للمرحلة التاريخية التي يعيشها.

هذا ولم يقف عطاء الامام علي (عليه السلام) الفكري والثقافي عند هذا الحد وإنما نجده متدفقا معطاءً في نصوص اخرى؛ فاذا كان الامام قد قال: ((**لَاْ يَقِلُّ عَمَلٌ مَعَ التَقْوَى، وَكَيْفَ يَقِلُ مَا يُتَّقَبَلُ**))[٨١] نجد ان المتنبي قد وظف النص في المدح؛ فاذا كان الامام قد تحدث عن العمل مع التقوى وانه اكثر نفعا وبقاء وان كان قليلا، نلحظ ان المتنبي قد نقل المعنى إلى موضع آخر ، فقد أبدل العمل بالجود والعطاء؛ وان كان العمل يدخل أيضا في باب العطاء إلا انه يكون بشكل غير مباشر؛ وكأنه بذلك ينفي جزئية من جزئيات النص المرجعي الموروث ويحاول أن يعوضها بجزئية أخرى تتلاءم والسياق الذي يتحدث فيه؛ فيقول في معرض مدحه لسيف الدولة :

((وَجُوْدَكَ بِالْمُقامِ وَلَوْ قَلِيلا   فَمَا فِيْمَا تَجودُ بِهِ قَلِيْلُ))[٨٢]

والمتمعن في النصين يدرك العامل المشترك بينهما؛ وهو إن ما يتقبل من الأعمال الجيدة لا توصف بالقلة مهما كانت؛ فالتقوى مع الأعمال والإخلاص فيها تجعلها مقبولة وان قلَّت، غير ان المتنبي قصر هذه الصورة على ممدوحه؛ فمهما كان عطاؤه وجوده فانه مقبول حتى وان كان قليلا يكفي انه منه. لقد افاد المتنبي في معنى نصه من موضوعة المواد التي بنى الامام عليها نصه؛ فكانت بمثابة النبع الذي استقى منه شاعرنا مادته الأولية واعاد بناءها وفق رؤية شاعرية وموهبة متميزة وبذلك عرف كيف يوظف المعنى في شعره ويكسيه حلة جديدة وهذا ما يميز حكم المتنبي وشعره ولاسيما إذا ادركنا ان عملية الابداع ماهي الا العودة ((إلى الماضي واستحضاره))[٨٣] بشكل مؤثر وفعال بما تمتلكه من ((القدرة على الاسهام في خلق القيم الناجعة أو الفاضلة للسلوك الاجتماعي لا من باب حمل الناس عليها قسريا يعتمد الزجر أو الإثابة، وإنما من باب اظهارها في مظهر المثال والقدوة التي إذا فازت بالهوى والقبول واعتنقها الناس واصبحت قواعد اختاروها اختيارا وأجمعوا عليها أجماعا وتعاقدوا على تبجيلها اعتقادا لا وجه للإلزام فيه))[٨٤] وإنما يكون بشكل مؤثر وفعال في نفس القارئ أو المتلقي مما يشكل عنصر جذب وتشويق إليه. وبذلك يستطيع الشاعر المبدع أن يخترق حدود التراث ويستوعبها ومن ثم يقوم بعملية صهر وامتزاج بين هذا الموروث وبين تجاربه الحياتية وموهبته الشعرية مستغلا في ذلك قدراته الابداعية ومهاراته الشعرية وملكته اللغوية في اخراج هذا الموروث بشكل جديد وعصري . ومن هنا فقد استطاع المتنبي ان يظهر ((براعة في توظيف التراث ....حيث طبعها بطابعه الخاص وحمَّلها شحنات دلالية خاصة تعبر عن رؤاه الشعرية، وصاغها في أجمل صياغة، مما اسهم

في ذيوع هذه الأبيات وانتشارها))[٨٥] إلى جانب ذلك فقد كانت النصوص التي استقى من معينها نصوصا ثرية معطاءة خصبة تحمل بين طياتها العديد من المعاني الرؤى الانسانية التي لا تقيد بمكان ولا تحد بزمان؛ فهي نصوص خالدة على مر الدهور والأعوام لما تحمله من شحنات عاطفية ودلالات عقلية ورؤى منطقية إلى جانب تمتعها بألفاظ جزلة تحمل مقومات الفصاحة العربية ؛ فكانت بذلك منبعا للعلم والأدب استقى منها الشعراء ونهلوا من مختلف مشاربها؛ فكانت خير منهل واعذب مورد الا وهي نصوص الامام علي (عليه السلام) التي كانت معروفة وشائعة ومتداولة في اوساط العلماء والشعراء والأدباء والكتّاب حتى جاء الشريف الرضي وجمعها في كتاب تحت عنوان (نهج البلاغة).

الخاتمة :

لقد كشفت لنا نصوص المتنبي عن موهبة مبدعة في خلق الأعمال والنصوص الفنية والأدبية المتميزة التي تعبر عن أصالة مبدعها، وذلك من خلال توظيفها للتراث الانساني المتمثل بنصوص الامام علي (عليه السلام) التي كانت بمثابة الرافد الابداعي لنصوصه الادبية لما تحمله من خصب في الألفاظ وعمق في المعاني ومتانة في الصياغة؛ كل ذلك مما جعلها نبعا صافيا يستقي منه الشعراء ومنهم المتنبي الذي تأثر بها وأفاد منها في خلق تجربته الشعرية وبما يتلاءم وموهبته الابداعية، واثراء لمعجمه الشعري.

كما يحسن بنا هنا ان نفرق بين النبع الذي هو أصل التيار المؤثر، والأثر الذي هو الغاية التي ينتهي عندها التيار عند المصب؛ أي ان ندرك ان النبع هو الذي يزود الروافد أو هو الجزء الاساسي للإبداع وهذا ما وجدناه في أقوال الامام علي (عليه السلام) ونصوصه .

فقد اتخذ هذا الاثر اشكالا متعددة منها ما كان من جانب اللفظ ومنها ما كان من جانب المعنى، وفي جانب المعنى نلحظ تنوعا في هذا المؤثر مما اخرج اثرا يكاد يكون مختلفا عن المؤثر فمرة كان الاتباع؛ واخرى السير بمحاذاة المؤثر وثالثة بنقضه واخرى بقلبه وعكسه ؛ في حين نلحظ في مرة اخرى الوقوف عند جزئية من جزئيات المعنى، وبذلك تعددت الافادة من النبع المؤثر الا انها جميعا شكلت رافدا ابداعيا في شعر المتنبي مدته بكثير من الألفاظ والمعاني والصور الابداعية .

وبذلك كان اثر نهج البلاغة لا يقل عن اثر الروافد الابداعية الأخرى في شعر المتنبي؛ هذا من جانب، وكان لنهج البلاغة نصيب وافر في اثراء المعجم الشعري للمتنبي سواء على مستوى اللفظ او المعنى.

ومن جانب آخر تكشف لنا هذه الروافد ان نصوص الامام علي (عليه السلام) كانت معروفة ومتداولة قبل القرن الخامس الهجري حيث الشريف الرضي وجهوده في جمع هذه النصوص وتدوينها.

هوامش البحث:

(١) التأثير والتقليد/ أوليريش فايستنتاين . فصول مجلة النقد الأدبي : الأدب المقارن/ الجزء الأول، المجلد الثالث، العدد الثالث: ابريل/ مايو / يونيه ١٩٨٣م . ص : ١٩.

(٢) مروج الذهب ومعادن الجوهر/ الإمام أبي الحسن بن علي المسعودي المتوفى ٣٤٦هـ _ ٩٧٥م؛ اعتنى به وراجعه كمال حسن مرعي. بيروت : المكتبة العصرية. الطبعة الاولى: ١٤٢٥هـ _ ٢٠٠٥م. ج٢: ٣٢٦.

(٣) الأصالة في شعر أبي الطيب المتنبي اصولها الدماغية وجذورها الاجتماعية في ضوء فسلجة بافلوف/ الدكتور نوري جعفر، بغداد: مطبعة الزهراء ١٩٧٦م. ص: ١٥٠.

(٤) المتنبي بين ناقديه في القديم والحديث / د. محمد عبد الرحمن شعيب. مصر: دار المعارف ١٩٦٤م. ص: ١٩٤ .

(٥) ديوان أبي الطيب المتنبي ؛ بشرح أبي البقاء العكبري المسمى بالتبيان في شرح الديوان ، ضبطه وصححه ووضع فهارسه : مصطفى السقا وابراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي . بيروت: دار

الفكـر : ١٤٣٢هـ - ٢٠١٠م .ج٣/ ١٢٩ .

(٦) م.ن

(٧) نهج البلاغة للإمام علي : شرح الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده ؛ اشرف على تحقيقه وطبعه عبد العزيز سيد الأهل . بيروت : دار الاندلس الطبعة الثانية : ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م . ص: ٢٤٥.

(٨) ديوانه : ج١ / ٣٥٦ .

(٩) نهج البلاغة : ج٢/ ٢٢١.

(١٠) التناص والموشحات الادبية / غنية بوقرة ؛ سمية بابا . المدية ٢٠٠٩م . ص: ٢٣ .

(١١) ديوانه : ج٣ / ٦٤ .

(١٢) ديوانه شرح البيت : ج٣ / ٦٤ .

(١٣) حركة التراث في شعر أبي تمام والمتنبي / نداء محمد عز الدين محمود الحرباوي. جامعة الخليل : ١٤٣٦هـ - ٢٠٠٩م . (رسالة ماجستير) . ص: ٢٥-٢٦ .

(١٤) التكاثر : ١- ٢ .

(١٥) نهج البلاغة : ج٣/ ٤١٦ . هام : جمع هامة: أعلى الرأس. تستثبتون: أي تحاولون اثبات ما تثبتون من الأعمدة والأوتاد والجدران في أجسادهم لذهابها ترابا وامتزاجها بالأرض التي تقيمون فيها. ورويت ((تستنبتون)) . ترتعون: تأكلون وتتلذذون بها لفظوه أي طرحوه وتركوه .

(١٦) حركة التراث في شعر أبي تمام والمتنبي : ٢٦.

(١٧) ديوانه : ج٣ / ١٨ .

(١٨) الرسالة الموضحة في ذكر سرقات أبي الطيب وساقط شعره/ من كلام أبي علي محمد بن الحسن الحاتمي الكاتب؛ تحقيق الدكتور محمد يوسف نجم. بيروت: دار صادر ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م . ص: ١٤٣ .

(١٩) ديوانه : ج٣/ ٣٩٦.

(٢٠) نهج البلاغة : ج٤ / ٥٠٥ .

(٢١) المتنبي بين ناقديه في القديم والحديث / ١٩٧ .

(٢٢) م . ن : ٢٩٧ .

(٢٣) م . ن : ١٩٤.

(٢٤) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب / تأليف عبد القادر بن عمر البغدادي ١٠٣٠ - ١٠٩٣م؛ تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون؛ القاهرة: مكتبة الخانجي . ج٢/ ١٣٧ .

(٢٥) المتنبي بين ناقديه : ١٢ .

(٢٦) التأثير والتقليد : ١٩ .

(٢٧) المتنبي بين ناقديه في القديم والحديث : ٢٣٥ .

(٢٨) ديوانه : ج٤/ ١٧٤ .

(٢٩) نهج البلاغة : ج٤/ ٥٧٩

(٣٠) ديوانه : ج١ / ٢٨٨ .

(٣١) شرح البيت م . ن .

(٣٢) نهج البلاغة : ج٤ / ٥٧٥ .

(٣٣) ديوانه : ج١/ ٢٧٦ .

(٣٤) م . ن : هامش شرح البيت .

(٣٥) نهج البلاغة : ج٤/ ٦٣١ .

(٣٦) المتنبي والتجربة الجمالية عند العرب (تلقي القدماء لِشعره) / الدكتور حسين الواد بيروت: دار الغرب الاسلامي . الطبعة الثانية : ٢٠٠٤م . ص: ٣٢٤.

(٣٧) المثال والتحول آراء ودراسات في شعر المتنبي وحياته/ د. جلال الخياط. بغداد : دار الحرية للطباعة ١٣٩٦هـ-١٩٧٦م. ص: ٥١ نقلامن مجلة المقتطف/ المجلد٨٨؛ القاهرة ١٩٣٦. ص: ٧٦.

(٣٨) شرح نهج البلاغة / تأليف ابن أبي الحديد المعتزلي ؛ تحقيق محمد ابراهيم . بغداد: دار الكتاب العربي. الطبعة الأولى ٢٠٠٧م .ج٢٠/ ٢٨٦ .

(٣٩) الرحمن : ٦٠ .

(٤٠) ديوانه : ج١/ ٢٨٨.

(٤١) حركة التراث في شعر أبي تمام والمتنبي : ٢٥ .

(٤٢) نهج البلاغة : ج٤ / ٥٧٤.

(٤٣) المتنبي بين ناقديه : ١٢٥ .

(٤٤) ديوانه : ج٣/ ٣٧٨- ٣٧٩.

(٤٥) م.ن هامش : ج١ / ٤٢ .

(٤٦) م. ن : ج١ / ٤٢.

(٤٧) م.ن : ج١ / ١٢٥ .

(٤٨) نهج البلاغة : ج٣ / ٧٣٨.

(٤٩) ديوانه : ج١ / ٧٩.

(٥٠) نهج البلاغة : ج٣ / ٤١٤.
(٥١) ديوانه : ج١ / ١٨٣.
(٥٢) نهج البلاغة : ج٤ / ٦٥٥.
(٥٣) ديوانه : ج١ / ٥٠ .
(٥٤) م . ن : لم أعثر على هذا النص في نهج البلاغة . وهذا يؤكد ان نصوص الامام علي (عليه السلام) كانت معروفة ومشهورة قبل عصر الشريف الرضي . وان نهج البلاغة لم يضم كل أقوال الامام وخطبه وكتبه ورسائله . وهذا ما اعترف به الشريف الرضي في مقدمة كتابه واكد عليه بقوله : ((ولا أدعي –مع ذلك– أني احيط بأقطار جميع كلامه عليه السلام حتى لايشذ عني منه شاذ، ولا يَنِدَّ نادّ. بل لا أبعد أن يكون القاصر عني فوق الواقع إلي ....)) نهج البلاغة : ج١/ ٢٢ .
(٥٥) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج٧/ ٨٣ .
(٥٦) نهج البلاغة : ج٤/ ٦٤٩.
(٥٧) م . ن (هامش)
(٥٨) ديوانه : ج١ / ٢٥٣ .
(٥٩) استقبال النص عند العرب/ د. محمد رضا مبارك. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة العربية الأولى ١٩٩٦م. ص: ١٨٣ .
(٦٠) الأدب المقارن / محمد غنيمي هلال . ص: ٢١ .
(٦١) نهج البلاغة : ج٤/ ٤٠٦ .
(٦٢) ديوانه : ج٣ / ٣٣ .
(٦٣) التأثير والتقليد : ٢٣ .
(٦٤) ديوانه : ج٢ / ١٥٥ .
(٦٥) نهج البلاغة : ج٢/ ٢٢١ .
(٦٦) ديوانه : ج١ / ٢٨٢ .
(٦٧) نهج البلاغة : ج٤/ ٦٢٨.
(٦٨) ديوانه : ج١/ ٢٨٣ (هامش)
(٦٩) التناص في شعر المتنبي أ ابراهيم عقلة جوخان ؛(اطروحة دكتوراه) جامعة اليرموك: ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م . ص: ١٠ .
(٧٠) ديوانه : ج٢/ ٣٢١.

(٧١) نهج البلاغة : ج٤/ ٥٦٩.

(٧٢) ديوانه : ج٣/ ٢٨٨.

(٧٣) م . ن (هامش)

(٧٤) م . ن

(٧٥) نهج البلاغة : ج٤ / ٥٩٤.

(٧٦) التناص في شعر المتنبي : ١٠ .

(٧٧) ديوانه : ج٣/ ١٨٧ .

(٧٨) نهج البلاغة : ج٣/ ٤٨٦.

(٧٩) م . ن . (هامش) .

(٨٠) المتنبي والتجربة الجمالية عند العرب : ٣٣٣ .

(٨١) نهج البلاغة : ج٤/ ٥٨١ .

(٨٢) ديوانه : ج٣/ ٣ .

(٨٣) التناص في شعر المتنبي : ١٠ .

(٨٤) المتنبي والتجربة الجمالية عند العرب : ٣٣٣.

(٨٥) حركة التراث في شعر أبي تمام والمتنبي : ٢٨٥ .

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .

١. الأدب المقارن / محمد غنيمي هلال .

٢. استقبال النص عند العرب/ د. محمد رضا مبارك. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة العربية الأولى ١٩٩٦م.

٣. الأصالة في شعر أبي الطيب المتنبي اصولها الدماغية وجذورها الاجتماعية في ضوء فسلجة بافلوف/ الدكتور نوري جعفر، بغداد: مطبعة الزهراء ١٩٧٦م.

٤. التناص في شعر المتنبي / ابراهيم عقلة جوخان ؛ جامعة اليرموك: ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م . (اطروحة دكتوراه)

٥. التناص والموشحات الادبية / غنية بوقرة ؛ سمية بابا . المدية ٢٠٠٩م

٦. حركة التراث في شعر أبي تمام والمتنبي / نداء محمد عز الدين محمود الحرباوي. جامعة الخليل: ١٤٣٦هـ – ٢٠٠٩م . (رسالة ماجستير) .

٧. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب / تأليف عبد القادر بن عمر البغدادي ١٠٣٠ – ١٠٩٣م؛ تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون؛ القاهرة: مكتبة الخانجي .

٨. ديوان أبي الطيب المتنبي ؛ بشرح أبي البقاء العكبري المسمى بالتبيان في شرح الديوان ، ضبطه وصححه ووضع فهارسه : مصطفى السقا وابراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي . بيروت: دار الفكر : ١٤٣٢هـ – ٢٠١٠م .

٩. الرسالة الموضحة في ذكر سرقات أبي الطيب وساقط شعره/ من كلام أبي علي

محمد بن الحسن الحاتمي الكاتب؛ تحقيق الدكتور محمد يوسف نجم. بيروت: دار صادر ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م .

١٠. شرح نهج البلاغة / تأليف ابن أبي الحديد المعتزلي ؛ تحقيق محمد ابراهيم . بغداد: دار الكتاب العربي. الطبعة الأولى ٢٠٠٧م .

١١. فصول مجلة النقد الأدبي : الأدب المقارن/ الجزء الأول، المجلد الثالث، العدد الثالث: ابريل/ مايو / يونيه ١٩٨٣م. التأثير والتقليد/ أوليريش فايستنتاين.

١٢. المتنبي بين ناقديه في القديم والحديث / د. محمد عبد الرحمن شعيب. مصر: دار المعارف ١٩٦٤م.

١٣. المتنبي والتجربة الجمالية عند العرب (تلقي القدماء لِشعره) / الدكتور حسين الواد بيروت: دار الغرب الاسلامي . الطبعة الثانية : ٢٠٠٤م .

١٤. المثال والتحول آراء ودراسات في شعر المتنبي وحياته/ د. جلال الخياط. بغداد : دار الحرية للطباعة ١٣٩٦هـ- ١٩٧٦م . نقلا من مجلة المقتطف / المجلد ٨٨؛ القاهرة ١٩٣٦.

١٥. مروج الذهب ومعادن الجوهر / الإمام أبي الحسن بن علي المسعودي المتوفى ٣٤٦هـ- ٩٧٥م؛ اعتنى به وراجعه كمال حسن مرعي. بيروت : المكتبة العصرية. الطبعة الاولى: ١٤٢٥هـ -٢٠٠٥م.

١٦. نهج البلاغة للإمام علي : شرح الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده ؛ اشرف على تحقيقه وطبعه عبد العزيز سيد الأهل . بيروت : دار الاندلس الطبعة الثانية : ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م.

أساليب التوكيد
في عهد الإمام علي (عليه السلام)
للأشتر النخعيِّ (رحمه اللّه)
في ضوء التماسك النحوي

أ. م. د . وفاء عبّاس فيّاض
جامعة كربلاء ـ كليّة العلوم الإسلاميّة

المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد إليك أفر، ومنك أخاف وبك أستغيث وإياك أرجو، ولك أدعو وإليك ألجأ، وبك أثق، وإياك أستعين وبك أومن وعليك أتوكل وعلى جودك وكرمك أتكل. اللهم صل على محمد أمينك على وحيك، ونجيبك من خلقك، وصفيك من عبادك، إمام الرحمة، وقائد الخير، ومفتاح البركة، وعلى آله الطيبين الأخيار.

أما بعد: فإن من دواعي سروري وفخري أن أخوض بين مدة وأخرى في موضوع يتعلق بتراث أهل البيت (عليهم السلام)، والوقوف عند هذا المنهل العذب أرتوي منه وما ارتويت بعدُ؛ لأن ((كتاب نهج البلاغة هو بعد كتاب الله، وكلام نبيه (صلى الله عليه وآله) مصباح نستضيءُ به في الظلمات، وسلّم نعرّجُ به إلى طباق السماوات))[1] ومن هنا اخترت بتوفيق من الله تعالى أن أدرس موضوع يتعلق بعهد الإمام علي (عليه السلام) للأشتر النخعي (رحمه الله تعالى)[2] للمرة الثانية وهو ((**أساليب التوكيد في عهد الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) للأشتر النخعيِّ (رحمه الله) في ضوء التماسك النحوي**))؛ وذلك لأهمية هذا العهد من جهة، ولما يمتاز به هذا العهد كونه أطول العهود من مضامين سياسية واقتصادية واجتماعية وتربوية وغيرها من متطلبات الحياة.

والتوكيد أو التأكيد تقوية المعنى وتثبيته في النفس لدى المتكلم والمتلقي، وهو ظاهرة من الظواهر اللغوية (النحوية) والبلاغية المهمة في العربية، ووقع في القرآن الكريم بمختلف أساليبه بصورة ملفتة للنظر بحسب منظور فني كامل متكامل في كل القرآن. ولذلك جاء التوكيد في القرآن الكريم كله كأنه لوحة فنية واحدة فيها

من عجائب الفن – وليس فيها إلا العجيب– ما يجعل أمهر الفنانين يقف مبهورا دهشا مقراً بعجز الخلق أجمعين عن استخلاص عجائبه فضلا عن الإتيان بمثله.

ومما لا شك فيه أن التوكيد وهو تقوية المعنى وتثبيته لدى المتكلم والمتلقي هو ضرب من ضروب التماسك النحوي داخل النص الذي يحقق استقرارية المعنى وتثبيته وتقويته في النفس. وعليه سيتم توزيع المادة المدروسة على وفق مباحث ثلاثة يكون الأول في التوكيد اللفظي والمعنوي في العهد، ويكون الثاني في التوكيد بالأدوات ويكون الثالث في التوكيد بنون التوكيد بعد عرض مقدمة وتمهيد يتناول التوكيد في اللغة والاصطلاح والعلاقة بينهما من جهة الدلالة، وينتهي البحث بخاتمة نعرض فيها أهم النتائج ثم قائمة بأسماء المصادر والمراجع.

التمهيد:

١ـ التوكيد في اللغة والاصطلاح:

التوكيد في اللغة:

أكدت المصادر المعجمية أن التوكيد في اللغة بمعنى التوثيق والتشديد، قال ابن منظور(ت٧١١هـ):((**وَكَّدَ العَقْدَ والعَهْدَ أَوثَقَه والهمز فيه لغة يقال أَوْكَدْتُه وأَكَّدْتُه وآكَدْتُه إِيكاداً وبالواو أَفصح أَي شَدَدْتُه وتَوَكَّدَ الأَمر وتأَكَّدَ بمعنًى**))[٣] وجاء في مادة (أكد) :((**أَكَّد العهدَ والعقدَ لغة في وكَّده وقيل هو بدل والتأْكيد لغة في التوكيد وقد أَكَّدْت الشيء ووكَدْته**...))[٤] والذي يظهر من النصوص الواردة في هذا السياق أن التوكيد والتأكيد بمعنى واحد؛ يقال: توكيد وتأكيد؛ فالأول مصدر وَكَّد والثاني مصدر أَكَّد، وذكرت بالواو في القرآن، قال تعالى: ﴿**وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا**﴾(النحل٩١).

واستعمل الإمام علي (عليه السلام) لفظة التأكيد بالألف في عهده لمالك الأشتر بقوله: ((**وَلا تُعَوِّلَنَّ عَلَى لَحْنِ قَوْلٍ بَعْدَ التَّأْكِيدِ وَالتَّوْثِقَةِ،**))[٥] وهي تحمل الدلالة المعجمية إذ إنها ((**كناية عن أمره بإحكام ما يعقد من الأمور**))[٦]

ويتضح من كلام المعجمات ومن الاستعمال العربي لكلمة (التوكيد)، أو (التأكيد) أنها تأتي للدلالة على معنى الإحكام والتحقق والتوثق والعناية بالمقصود، فكلمة التوكيد: ((**لا تخرج عن تقوية وتثبيت الحكم وتقريره في نفس المتلقي**))[٧] وغايته أنه ((**دخل في الكلام لإِخراج الشَّكّ**))[٨].

والعرب تؤكد كل شيء تراه في حاجة إلى التوكيد، فهي تؤكد الحكم كله أو تؤكد جزءاً منه، وقد تؤكد لفظة بعينها، أو تؤكد مضمون الحكم، أو مضمون اللفظة أو غير ذلك.[٩]

التوكيد في الاصطلاح:

لم نعثر على تعريف للتوكيد عند سيبويه(ت١٨٠هـ) سوى ما جاء من استعمال المصطلح بالواو في أكثر من موضع وهو يعرض لبعض أساليبه[١٠] ولم يفرّق العلماء بين مصطلحي التوكيد والتأكيد إذ عرّفه ابن جنّي(ت ٣٩٢هـ) بقوله: ((**إعلم أنَّ التوكيد لفظٌ يتبع الاسم المؤكد في إعرابه؛ لرفع اللبس، وإزالة الاتساع**))[١١] وأشار ابن عصفور (ت ٦٦٩هـ) بقوله:((**التوكيد لفظٌ يراد به تمكين المعنى في النفس، أو إزالة الشك عن الحديث، أو المُحدَّث عنه**))[١٢] وعرّفه ابن طباطبا العلوي (ت٧٤٩):((**التأكيد تمكين الشيء في النفس وتقوية أمره. وفائدته إزالة الشكوك واماطة الشبهات عما أنت بصدده**))[١٣] وهذا يعني أن وظائف التوكيد مختلفة فالذي يراد به تمكين المعنى في النفس، التأكيد اللفظي، والذي يُراد به إزالة الشك عن الحديث، التأكيد بالمصدر، والذي يراد به إزالة الشك عن المحدَّث

عنه، التأكيد المعنوي [١٤].

وفرّق الجرجاني (ت ٨١٦ هـ) بين التوكيد اللفظي والتوكيد المعنوي بأن جعل الأخير:((**تابع يقرر أمر المتبوع في النسبة أو الشمول، وقيل: عبارة عن إعادة المعنى الحاصل قبله.**))[١٥]، أما ((**التأكيد اللفظي هو أن يكرر اللفظ الأول.**))[١٦]. وقال السيوطي (ت ٩١١هـ):((**إنه تابع يقصد به كون المتبوع على ظاهره**))[١٧] أي: حال المتبوع وشأنه عند السامع.[١٨]

اما المحدثون فقد كرروا ما قاله النحويون المتقدمون؛ فهذا الدكتور مهدي المخزومي، يقول: ((**التوكيد تثبيت الشيء في النفس، وتقوية أمره**))[١٩]، وقال الدكتور فاضل السامرائي((**التوكيد يفيد تقوية المؤكد، وتمكينه في ذهن السامع وقلبه**))[٢٠].

وعلى العموم فإننا نرى أن هنالك تساوقا بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي لكلمة التوكيد، التي لا تخرج عن تقوية الحكم وتثبيته وتقريره في نفس المتلقي وفائدته ((**تحقيق وإزالة التجوّز في الكلام**))[٢١].

٢ ـ آليات التماسك النحوي:

ارتبط نحو النّصّ منذ نشأته ارتباطاً وثيقاً بتحليل الخطاب، والنظر إلى النّصّ على أنّه بنية كلّيّة لا على أنّه جمل فرعيّة، وقد تطوّر النحو بظهوره من نحو يحلّل الجملة إلى نحو يحلّل النّصّ، فيتعامل معه بوصفه جملاً وسياقات، وظروفاً وفضاءات تتعالق فيها المعاني وتترابط بما قبلها وما بعدها، فهو الأكثر اتصالاً بمجال تحليل النّص[٢٢]. ويعد التماسك النصي رافدا من روافد دراسة النص، ويقصد به تلك الوسائل التي تتحقّق بها خاصيّة الاستقراريّة في ظاهر النّصّ[٢٣]،

وكما قال دي بوجراند:((**هو يترتب على إجراءات تبدو بها العناصر السطحيّة على صورة وقائع يؤدّي السابق منها إلى اللاحق بحيث يتحقّق بها الترابط.**))[٢٤]

لقد وُجد [٢٥] أنّ الجملة الأولى في نصوص النهج تسيطر على المتتاليات الجملية في الوحدة الكبرى التابعة لتلك الجملة، بل إنّ الوحدة النصية إنّما هي امتداد للجملة الأولى، ذلك أنّ ما يلي الجملة الأولى من جمل إنما هو من متعلقاتها، ومتى انتهت تلك المتعلقات فإن الوحدة النصيّة تنتهي كذلك، لتبدأ وحدة نصيّة جديدة وهكذا.

ويذهب هاليدي ورقية حسن[٢٦] إلى أن كل متتالية من الجمل تمثل نصا شريطة أن تكون بين هذه الجمل علاقات، أو على الأصح بين بعض عناصر هذه الجمل علاقات، وتتم هذه العلاقات بين عنصر وآخر وارد في جملة سابقة أو جملة لاحقة، أو بين عنصر وبين متتاليه برمتها سابقة أو لاحقة.

ولذلك يحتاج النص - حتى تتحقق نصيّته- إلى مجموعة من الآليات اللغوية ليتكامل ذلك النص وتسهم في بنائه ووحدته الشاملة، وهذا ما أوضحه بقوله: ((**ولكي تكونُ لأيِّ نصٍّ نصيّةٌ ينبغي أَنْ يعتمدَ على مجموعةٍ من الوسائلِ اللغويةِ التي تَخْلقُ النصَّ، بحيثُ تُسهمُ هذهِ الوسائل في وحدتهِ الشاملة**))[٢٧].

وهنالك نوعان من أنواع التماسك هما التماسك المعجمي الخاص بالألفاظ والتماسك النحوي الخاص بالتراكيب أو الجمل، والتماسك النحوي هو عبارة عن الترابط وتعالق الجمل بعضها مع البعض الآخر، ويعرض لكثير من الوسائل والإجراءات النحوية المتمثلة بالحذف والتكرار والربط وغيرها، أما الذي سندرسه في هذه المباحث هو التوكيد وأساليبه المتعددة التي ظهرت لدينا في عهد الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) لواليه على مصر مالك الأشتر النخعي(رضي الله

عنه)، ومن المعروف فإن هذا العهد يمثل نصا من النصوص المعتبرة والتي قيلت في زمن الاستشهاد وضمن الحقبة الزمنية المتقدمة لعصر الاحتجاج النحوي ولكن هذا الأمر قد غيب لأسباب سياسية معروفة.

والعهد نص ابداعي كتبه الإمام علي (عليه السلام) وهو رجل لا يختلف اثنان في فصاحته وبلاغته، والعهد نص من نصوص كتاب(نهج البلاغة) ذلك الكتاب العالي في بلاغته والسامي في فصاحته، فالمتكلم بليغ وفصيح ونصه بليغ وفصيح إذ تضمن مبادئ سياسية واجتماعية وأمنية واقتصادية لرسم السياسة العامة للدولة الإسلامية ((**وهو أطول عهد كتبه وأجمعه للمحاسن**))[٢٨] كما وصفه الشريف الرضي[٢٩]. ((**وهذا ما جعل هذه الوثيقة من أهمّ المصادر التي تُستسقى منها المبادئ التي تُنير طريق الولاة في إدارة ما تَولَّوه، في كلِّ زمان، وفي كلّ مكان**))[٣٠].

ويعد أسلوب التوكيد من الأدوات التي تؤدي إلى التماسك النحوي داخل النص، وهذا ما ستسعى إليه الدراسة التطبيقية، إذ سنعتمد في تحليلنا على إحصاء أنواع التوكيد وأدواته في عهد الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) لواليه الأشتر النخعي رضوان الله تعالى عليه، وسنلمح كيف تؤدي آلياته إلى اتساق النص وانسجامه، ويوضح لنا ما تؤديه من ترابط وتماسك النص. وسيكون وفق المباحث الثلاثة القادمة إن شاء الله تعالى.

المبحث الأول

التوكيد اللفظي والمعنوي في العهد

التوكيد اللفظي في العهد:

أكد النحويون أن التوكيد اللفظي يكون بإعادة اللفظ الأول أو تقويته بمرادفه معنى(٣١)، وقد يؤتى بموازنة مع اتفاقهما في الحرف الأخير ويسمى أتباعا(٣٢).

فمن إعادة اللفظ الأول قوله تعالى:﴿ **هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ**﴾ (المؤمنون٣٦)، وقوله تعالى:﴿**وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا**﴾(الفجر٢٢). ومن تقويته بمرادفه معنى قوله تعالى:﴿**وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا**﴾(الأنبياء٣١)؛ لأن الفجاج عي السبل، وقوله تعالى:﴿**وَغَرَابِيبُ سُودٌ**﴾(فاطر٢٧)؛ لأن معنى (غرابيب) سود، ومفردها غربيب، أي أسود فكأنه قال سُود سود.

وهذا التوكيد أوسع استعمالا من التوكيد المعنوي؛ لأنه يكون في الأسماء النكرات والمعارف، ويكون في الأفعال، والحروف، والجمل بخلاف التوكيد المعنوي، فإنه يكون في الأسماء المعارف فقط.

ويتطلب التوكيد اللفظي إعادة عنصر معجمي- وهذا ما يقود إلى الحديث عن التكرار عند النحويين والتكرير عند البلاغيين-، أو هو ورود مرادف له أو شبه مرادف أو عنصراً مطلقاً أو اسما عاما.(٣٣) والتوكيد اللفظي هو وسيلة من وسائل التماسك النصي وأداة من أدوات التوكيد. ومما نلمحه في العهد من إعادة بعض العناصر المعجمية التي تؤدي إلى التوكيد ورود تكرار لفظ الجلالة الواقع مفعولا على التحذير والتحذير هو ((**تنبيه المخاطب على أمر مكروه ليجتنبه**))(٣٤)، وهو ((**أسلوب يعتمد على القرائن والدلالات التي تكتنف الخطاب ويكتفى فيه**

بذكر ما يرد الى التحذير منه فلا يذكر معه فعل)[٣٥]، وهو أقوى من الفعل الذي بمعناه في أداء المعنى، وأقدر على إبرازه كاملا مع المبالغة فيه، فيؤدي المعنى مع إيجاز اللفظ واختصاره، لذلك كان استعماله هو الأنسب حين يقتضي المقام إيجاز اللفظ واختصاره، مع وفاء المعنى، والمبالغة فيه [٣٦].

ومما جاء في عهد أمير المؤمنين(عليه السلام) لواليه مالك الأشتر قوله: ((**ثُمَّ اللهَ اللهَ فِي الطَّبَقَةِ السُّفْلَى مِنَ الَّذِينَ لا حِيلَةَ لَهُمْ، وَالْمَسَاكِين وَالْمُحْتَاجِينَ وَأَهْلِ الْبُؤْسَى وَالزَّمْنَى، فَإِنَّ فِي هذِهِ الطَّبَقَةِ قَانِعاً وَمُعْتَرّاً،**))[٣٧] فتوكيد الإمام (عليه السلام) لفظ الجلالة بإعادته وتكراره جاء من باب دلالة توكيد التحذير الذي وقع مفعولا به، فأمره أن يتعهد هذه الطبقة من الناس، لضعف حالهم، وفصّل القول فيهم؛ لمزيد العناية بهم، محذّرا إياه من الباري سبحانه في التغافل عنهم، ((**وجاء تكرار التحذير له تأكيدا لتحذيره من الله تعالى في التغافل عنهم، فلا بد للوالي من أن يجتهد في تأدية حقوقهم والاعذار لله سبحانه وتعالى في تأدية فرائضه وحقوقه بشأنهم إذ إنهم أولى من غيرهم بتوفير حاجاتهم وإشباعها لهم.**))[٣٨]

ومن الجدير بالذكر فإن الإمام (عليه السلام) يصب عنايته في أكثر المواضع للتحذير[٣٩] على تكرار لفظ الجلالة مستجلباً أذهان المخاطبين بذكر اسمه تعالى محذراً ومخوفاً من سطوته وغضبه في ما يريده ويفرضه من تكاليف على المخاطبين في المحذَّر منه، وهذا ينسجم مع طبيعة عمله خليفة لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ومُعلماً وواعظاً، وقائد أمة ومحارباً، فكل هذه الصفات تفرض عليه التحذير في المواضع التي ينبغي فيها التحذير، ولأهمية الموضوعات المتحدَّثِ عنها وعظم شأن المعصية عنده تعالى وفي نظر الإمام (عليه السلام) أكدها بالتكرار.[٤٠]

ومن ألفاظ التوكيد الأخرى التي خرجت للتحذير هي ضمير النصب

المنفصل للمخاطب (إياكَ) وقد ذكرها سيبويه(ت١٨٠هـ) في ((**هذا باب ما جرى منه على الأمر والتحذير وذلك قولك إذا كنت تحذر: إياك. كأنك قلت: إياك بح، وإياك باعد، وإياك اتق، وما أشبه ذا.**))(٤١)، ووضح أيضاً العلة في حذف فعلها بقوله: ((**وحذفوا الفعل من إياك لكثرة استعمالهم إياه في الكلام، فصار بدلاً من الفعل، وحذفوا كحذفهم: حينئذٍ الآن، فكأنه قال: احذر الأسد، ولكن لا بد من الواو لأنه اسم مضموم إلى آخر.**))(٤٢).

وإذا نُظر إلى الضمائر- ولا سيّما ما نحن بصدد الحديث عنه- من زاويه اتساق النص وتماسكه أمكن التمييز فيها بين أدوار الكلام التي تندرج تحتها جميع الضمائر الدالة على المتكلم، والمخاطب، وهي إحالة لتخرج النص بشكل (صورة) نمطي، ولا تصبح إحالة داخل النص، أي اتساقية، إلا في الكلام المستشهد به، أو في خطابات مكتوبة مدونة من ضمنها الخطاب السردي. وذلك لأن سياق المقام في الخطاب السردي يتضمن سياقا للإحالة، وهو تحيل ينبغي أن تكون انطلاقا من النص نفسه بحيث أن الإحالة داخله يجب أن تكون نصية ومع ذلك لا يخلو النص من إحالة سياقية إلى خارج النص تستعمل فيها الضمائر المشيرة إلى الكاتب أو إلى القارئ.(٤٣) وقد تكرر الضمير (إياكَ) في العهد (٧) سبع مرات جاءت بجمل مختلفة سأوضحها على الجدول الآتي:

الكلمة	الجملة
إِيَّاكَ	إِيَّاكَ وَمُسَامَاةَ اللهِ فِي عَظَمَتِهِ، وَالتَّشَبُّهَ بِهِ فِي جَبَرُوتِهِ،
إِيَّاكَ	إِيَّاكَ وَالدِّمَاءَ وَسَفْكَهَا بِغَيْرِ حِلِّهَا،
وَإِيَّاكَ	وَإِيَّاكَ وَالإِعْجَابَ بِنَفْسِكَ، وَالثِّقَةَ بِمَا يُعْجِبُكَ مِنْهَا،
وَإِيَّاكَ	وَإِيَّاكَ وَالْمَنَّ عَلَى رَعِيَّتِكَ بِإِحْسَانِكَ،

وإيَّاكَ	وإيَّاكَ وَالْعَجَلَةَ بِالأُمُورِ قَبْلَ أَوَانِهَا، أَوِ التَّسَاقُطَ فِيهَا عِنْدَ إِمْكَانِهَا،
وَإِيَّاكَ	وَإِيَّاكَ وَالاسْتِئْثَارَ بِمَا النَّاسُ فِيهِ أُسْوَةٌ،
وَإِيَّاكَ	أَنْ يُوَفِّقَنِي وَإِيَّاكَ لِمَا فيهِ رِضَاهُ مِنَ الإِقَامَةِ عَلَى الْعُذْرِ الْوَاضِحِ إِلَيْهِ وَإِلَى خَلْقِهِ،

نلاحظ عبر الجدول أن الإمام علي (عليه السلام) استعمل هذا العنصر بصورة متكررة في العهد في مواطن التحذير من ارتكاب بعض الأمور التي تؤدي بصاحبها إلى نتائج وخيمة عليه، فعلى سبيل المثال يحذر الإمام (عليه السلام) مالكا بقوله: ((**إِيَّاكَ وَمُسَامَاةَ اللهِ فِي عَظَمَتِهِ، وَالتَّشَبُّهَ بِهِ فِي جَبَرُوتِهِ، فَإِنَّ اللهَ يُذِلُّ كُلَّ جَبَّارٍ، وَيُهِينُ كُلَّ مُخْتَالٍ.**))[٤٤] أي المباراة والمفاخرة في السمو وهو العلو[٤٥] فإن نتيجة هذا العمل هو الذل والإهانة من الله لمن يسلك هذا السلوك المشين لأن الكبرياء والعظمة له وحده، وورد في الأثر:((**الفخر ردائي والكبرياء إزاري، من نازعني في شيء منهما عذبته بناري**))[٤٦].

ومن المحذّرات التي أكد عليها الإمام علي (عليه السلام) في عهده قوله: ((**إِيَّاكَ وَالدِّمَاءَ وَسَفْكَهَا بِغَيْرِ حِلِّهَا، فَإِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى لِنِقْمَةٍ، وَلا أَعْظَمَ لِتَبِعَةٍ، وَلا أَحْرَى بِزَوَالِ نِعْمَةٍ، وَانْقِطَاعِ مُدَّةٍ، مِنْ سَفْكِ الدِّمَاءِ بِغَيْرِ حَقِّهَا، وَاللهُ سُبْحَانَهُ مبتدئٌ بِالْحُكْمِ بَيْنَ الْعِبَادِ، فِيمَا تَسَافَكُوا مِنَ الدِّمَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلاَ تُقَوِّيَنَّ سُلْطَانَكَ بِسَفْكِ دَمٍ حَرَامٍ، فَإِنَّ ذلِكَ مِمَّا يُضْعِفُهُ وَيُوهِنُهُ، بَلْ يُزِيلُهُ وَيَنْقُلُهُ، وَلا عُذْرَ لَكَ عِنْدَ اللهِ وَلا عِنْدِي فِي قَتْلِ الْعَمدِ، لِأَنَّ فِيهِ قَوَدَ الْبَدَنِ، وَإِنِ ابْتُلِيتَ بخطأ وَأَفْرَطَ عَلَيْكَ سَوْطُكَ [أَوْ سَيْفُكَ] أَوْ يَدُكَ بِعُقُوبَةٍ، فَإِنَّ فِي الْوَكْزَةِ فَمَا فَوْقَهَا مَقْتَلَةً، فَلاَ تَطْمَحَنَّ بِكَ نَخْوَةُ سُلْطَانِكَ عَنْ أَنْ تُؤَدِّيَ إِلَى أَوْلِيَاءِ الْمَقْتُول حَقَّهُمْ.**))[٤٧] وقد أعطى الإمام (عليه السلام) هذا النص من عهده مساحة واسعة لعظم ما حذر

منه وهي مسألة سفك الدماء إذ نهى ((**أمير المؤمنين [عليه السلام] مبنية على الشريعة الإسلامية والنهي عن القتل والعدوان الذي لا يسيغه الدين وقد ورد في الخبر المرفوع أن أول ما يقضي الله به يوم القيامة بين العباد أمر الدماء قال: إنه ليس شيء أدعى إلى حلول النقم وزوال النعم وانتقال الدول من سفك الدم الحرام وإنك إن ظننت أنك تقوي سلطانك بذلك فليس الأمر كما ظننت بل تضعفه بل تعدمه بالكلية. ثم عرفه أن قتل العمد يوجب القود وقال له قود البدن أي يجب عليك هدم صورتك كما هدمت صورة المقتول والمراد إرهابه بهذه اللفظة أنها أبلغ من أن يقول له فإن فيه القود. ثم قال: إن قتلت خطأ أو شبه عمد كالضرب بالسوط فعليك الدية**))(٤٨).

وجاء التحذير بـ(إياكّ) في سياق آخر من العهد وهو قوله (عليه السلام): **((وإِيَّاكَ وَالْعَجَلَةَ بِالأُمُورِ قَبْلَ أَوَانِهَا، أَوِ التَّسَاقُطَ فِيهَا عِنْدَ إِمْكَانِهَا، أَوِ اللَّجَاجَةَ فِيهَا إِذا تَنكَّرَتْ، أَوِ الْوَهْنَ عَنْهَا إِذَا اسْتَوْضَحَتْ، فَضَعْ كُلَّ أَمْرٍ مَوْضِعَهُ، وَأَوْقِعْ كُلَّ عَمَلٍ مَوْقِعَهُ))**(٤٩)

ومن العناصر (الألفاظ) المكررة الأخرى التي لمحناها في العهد هي(**أَمَرَ، تَفَقَّدْ**) وجاءتا في جمل متعددة وسياقات مختلفة، وسأجعلهما في جدولين منفصلين حتى نكون على بيّنة من الجمل التي وردت فيها في العهد، ومن ثم يسهل علينا تحليلها، وهما على النحو الآتي:

الكلمة	الجملة
أَمَرَ	هذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللهِ عَلِيٌ أَميرُ الْمُؤْمِنِينَ، مَالِكَ بْنَ الْحَارِثِ الأَشْتَرَ فِي عَهْدِهِ إِلَيْهِ،

أَمَرَهُ، مَا أَمَرَ	أَمَرَهُ بِتَقْوَى اللهِ، وَإِيْثَارِ طَاعَتِهِ، وَاتِّبَاعِ مَا أَمَرَ بِهِ فِي كِتَابِهِ: مِنْ فَرَائِضِهِ وَسُنَنِهِ،
وَأَمَرَهُ	وَأَمَرَهُ أَنْ يَكْسِرَ نَفْسَهُ عِنْدَ الشَّهَوَاتِ،

من الجدول يتبين لنا أن (الجملة الأولى) في النصّ هي التي ((**تحكم سائر الجمل اللاحقة لها- إن وجدت- بحكم ورودها في البداية في نقطة الانطلاق، وهي المَعْلَمُ الأول المُؤسس لكل المعالم في النص**))[٥٠]

وإنما امتازت الجملة الأولى بذلك؛ لأنها تمثل المحور المركزي في الوحدة النصية، ومعلوم أنّ ((**معيار تحديد المركزية هو كمية المعلومات التي يفرزها الخطاب في تسلسله بالنسبة لمحور ما. على هذا الأساس يصبح التفاوت بين محاور الخطاب الواحد من حيث المركزية تفاوتا في كم المعلومات التي تشكل هذه المحاور موضوعات لها، ويصبح بذلك المحور الرئيسي في خطابٍ ما المحور الذي يستقطب الكم الأكبر من المعلومات في ذلك الخطاب**))[٥١].

ويلاحظ عبر هذه السياقات النصية أن لفظة (**أَمَرَ**) جاءت في العهد (٤) أربع مرات بصيغة الماضي وردت مرتان منهما بلفظ (**أَمَرَهُ**) بالإسناد إلى الضمير، وهذا يجعل النص في تماسك واضح في ألفاظه ففي أول العهد أشار الإمام (عليه السلام) إلى الأمر الذي أمر به واليه على مصر مالك بن الحارث ونص عليه، وعليه فإن اسم الاشارة (هذا) تعد الركيزة الأولى، والمعلم المؤسس بل هي المحور المركزي الذي انطلقت منه جميع الأوامر والنواهي التي صدّرها الإمام (عليه السلام) بقوله: ((**هذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللهِ عَلِيٌ أَميرُ الْـمُؤْمِنِينَ، مَالِكَ بْنَ الْحَارِثِ الأَشْتَرَ فِي عَهْدِهِ إِلَيْهِ، حِينَ وَلاَّهُ مِصْرَ: جِبْايَةَ خَرَاجِهَا، وَجِهَادَ عَدُوِّهَا، وَاسْتِصْلاَحَ أَهْلِهَا، وَعِمَارَةَ بِلاَدِهَا**))[٥٢] للوقوف على جملة أمور هي بمثابة أوامر ينبغي تنفيذها،

والوالي المسؤول الأول والمباشر في ذلك إذ إن هدف الحكم الإسلامي يتلخص في البرنامج المالي للدولة (جباية خراجها) والدفاع والأمن (جهاد عدوها) والإصلاح الاجتماعي (استصلاح أهلها) والتنمية الاقتصادية (عمارة بلادها). ثم يردف كلامه بقوله: ((**أَمَرَهُ بِتَقْوَى الله، وَإِيثَارِ طَاعَتِهِ، وَاتِّبَاعِ مَا أَمَرَ بِهِ فِي كِتَابِهِ: مِنْ فَرَائِضِهِ وَسُنَنِهِ، الَّتِي لا يَسْعَدُ أَحَدٌ إِلَّا بِاتِّبَاعِهَا، وَلا يَشْقَى إِلَّا مَعَ جُحُودِهَا وَإِضَاعَتِهَا، وَأَنْ يَنْصُرَ اللهَ سُبْحَانَهُ بِيَدِهِ وَقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ، فَإِنَّهُ ـ جَلَّ اسْمُهُ ـ قَدْ تَكَفَّلَ بِنَصْرِ مَنْ نَصَرَهُ، وَإِعْزَازِ مَنْ أَعَزَّهُ.**))[٥٣] فنرى أن الإمام (عليه السلام) انطلق عبر تكراره هذه اللفظة وهي(أمره) بإسنادها إلى ضمير المخاطب العائد على مالك الأشتر إلى مجموعة من الدلالات المختلفة وتكثيفها في المعاني لتقويتها وتمكينها في ذهن المخاطب وقلبه مما أسهم اتساقا واضحا بين جملها المتعددة وسياقاتها المختلفة، ولم يقف عند هذا الحد بل تجاوز إلى إطار آخر من الأمر وهو قوله: ((**وَأَمَرَهُ أَنْ يَكْسِرَ نَفْسَهُ عِنْدَ الشَّهَوَاتِ، وَيَزَعَهَا عِنْدَ الْجَمَحَاتِ، فَإِنَّ النَّفْسَ أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ، إِلَّا مَا رَحِمَ اللهُ.**))[٥٤]؛ ولعل السبب في تكرار هذه اللفظة هو التأكيد على الهدف الذي من أجله أنشئ العهد وهو جمع من الأوامر والنواهي في اتباع إدارة الدولة وهي تصلح لكل زمان ومكان، وعليه ((**فقد يكرر اللفظ لتقوية الحكم وذلك لتمكينه في ذهن السامع وقلبة. وقد يكون الغرض منه التهويل والتعظيم والتهديد**))[٥٥]

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن أحكام التوكيد اللفظي تختلف باختلاف المؤكد فـ ((**إذا كان المؤكد فعلا ماضيا أو مضارعا، فإن توكيده اللفظي يكون بتكراره وحده دون تكرار فاعله، أما فعل الأمر فلا يمكن توكيده وحده بغير فاعله**))[٥٦] وهو ما جاء في النصيين الأوليين إذ ذكر الفاعل في النص الأول

دون الثاني، قال الإمام (عليه السلام):((**هذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ الله عَلِيٌ أَمِيرُ الْـمُؤْمِنِينَ، مَالِكَ بْنَ الْـحَارِثِ الأَشْتَرَ فِي عَهْدِهِ إِلَيْهِ،**))(٥٧).

ومما ورد من الألفاظ المكررة في العهد، وتستحق الوقوف عندها لفظة(تَفَقَّدْ) أيضا جاءت بصيغة الأمر أيضاً وهي مبيّنة في الجدول الآتي:

الكلمة	الجملة
تَفَقَّدْ، يَتَفَقَّدُهُ	ثُمَّ تَفَقَّدْ مِنْ أُمُورِهِمْ مَا يَتَفَقَّدُهُ الْوَالِدَانِ مِنْ وَلَدِهِمَا،
تَفَقُّدَ	وَلا تَدَعْ تَفَقُّدَ لَطِيفِ أُمُورِهِمُ اتِّكَالاً عَلَى جَسِيمِهَا،
تَفَقَّدْ	ثُمَّ تَفَقَّدْ أَعْمَالَهُمْ، وَابْعَثِ الْعُيُونَ مِنْ أَهْلِ الصِّدْقِ وَالْوَفَاءِ عَلَيْهِمْ،
وَتفَقَّدْ	وَتفَقَّدْ أَمْرَ الْـخَرَاجِ بِمَا يُصْلِحُ أَهْلَهُ،
وَتَفَقَّدْ	وَتَفَقَّدْ أُمُورَهُمْ بِحَضْرَتِكَ وَفِي حَوَاشِي بِلَادِكَ.
وَتَفَقَّدْ	وَتَفَقَّدْ أُمُورَ مَنْ لا يَصِلُ إِلَيْكَ مِنْهُمْ مِمَّنْ تَقْتَحِمُهُ الْعُيُونُ،

إن استعمال الإمام علي (عليه السلام) لهذه اللفظة **(تفَقَّدْ)** (٥) خمس مرات بصيغة الأمر وبصيغة المضارع مرة واحدة **(يَتَفَقَّدُهُ)**، ومرة واحدة بصيغة**(تَفَقُّدَ)** يؤكد أهمية هذا الأمر الذي يحاول الإمام تكراره وتأكيده خشية نسيانه لما فيه ثقل كبير ومسؤولية كبرى ولهذا((**يلجأ المتكلم إلى تكرار اللفظ لطول الكلام وأنه يخشى نسيان المتلقي أوائل الكلام.**))(٥٨) فعلى سبيل المثال قوله(عليه السلام): ((**ثُمَّ تَفَقَّدْ مِنْ أُمُورِهِمْ مَا يَتَفَقَّدُهُ الْوَالِدَانِ مِنْ وَلَدِهِمَا،**))(٥٩) إذ أمره (عليه السلام) ((**أن يكون آثر رءوس جنوده عنده وأحظاهم عنده وأقربهم إليه من واساهم في معونته هذا هو الضمير الدال على أن الضمير المذكور أولا للجند لا لأمراء الجند**

لـو لا ذلـك لما انتظـم الـكلام))[٦٠].

وقولـه ((**مَـا يَتَفَقَّـدُهُ الْوَالِـدَانِ مِـنْ وَلَدِهِمَـا**)) إذ يتطلـب مـن الإمـام العـدل أن يكـون ((**كالأم الشـفيقة الـبرّة الرفيقـة بولدهـا، حملتـه كرهـا ووضعتـه كرهـا وربّتـه طفـلا، تسـهر بسـهره وتسـكن بسـكونه، ترضعـه تـارة وتفطمـه اخـرى، وتفـرح بعافيتـه وتغتـمّ بشـكاته.**))[٦١] وممـا يلتفـت إليـه أنـه جـاء بصيغـة المضـارع (يتفقـده) كونهـا دالـة عـلى الحـدوث والتجـدد. ثـم يكـرر اللفظـة في سياقات أخـرى منهـا قولـه (عليـه السـلام):((**ثُمَّ تَفَقَّـدْ أَعْمَالَـهُمْ، وَابْعَـثِ الْعُيُونَ مِـنْ أَهْلِ الصِّـدْقِ وَالوَفَاءِ عَلَيْهِـمْ،**))[٦٢] وقولـه أيضـاً:((**وَتفَقَّـدْ أَمْـرَ الْـخَرَاجِ بِمَا يُصْلِـحُ أَهْلَـهُ،**))[٦٣]

ونلحـظ أن هنالـك تـلازم واضـح بـين دلالـة هذيـن اللفظـين (أَمَـرَ) و(**تفَقَّـدْ**) في العهـد إذ إن التفقـد نتيجـة حتميـة يأمر بها الإمـام واليـه؛ فالتفقد في كل الأمـور صغيرها وكبيرهـا قليلهـا وجسـيمها لأن الغفلـة عـن الصغـيرة منهـا يـؤدي إلى عظيـم مـا يحمـد عقبـاه، ولذلـك يأمـر الإمـام التفقـد في أمـور الرعيـة وأعمالهـم وأمـور خراجهـم، فـورود هـذه اللفظـة بصيغـة الأمـر (تفقـد) منـح النـص قـوة وتماسـكا للوصـول إلى الغايـة التـي وضـع الإمـام (عليـه السـلام) مـن أجلهـا خطواتـه في بنـاء الدولـة إذ تبـدأ مـن اختيـار الراعـي ليسـير بالرعيـة إلى بـر الأمـان.

التوكيد المعنوي في العهد:

التوكيـد المعنـوي عنـد النحويـين يعـرّف بأنـه التابـع الرافـع احتـمال غـير أرادة الظاهـر[٦٤]. أو هـو التابـع الرافـع احتـمال تقديـر أضافـة إلى المتبـوع، أو أرادة الخصـوص بـما ظاهـره العمـوم[٦٥].

ومـن ألفـاظ هـذا التوكيـد الألفـاظ الدالـة عـلى العمـوم وأشـهرها (كل) وهـو اسـم يفيـد الاسـتغراق والإحاطـة بالأفـراد والأجـزاء، مثالـه قولـه تعـالى:﴿ **كُلُّ امْـرِئٍ بِـمَا**

كَسَبَ رَهِينٌ﴾(الطور٢١) فهذا استغراق وأحاطة بجميع الأفراد. وإذا قلنا(كل ظالم مبغوض) فإنه يفيد استغراق أفراد الظالمين.(٦٦) والفائدة من التوكيد بـ (كل) وما في معناها: رفع ما كان يحتمله اللفظ من إرادة البعضيّة به (٦٧)، أي أنها ترفع احتمال إرادة الخصوص بلفظ العموم (٦٨).

ويرى ابن هشام (ت٧٦١هـ) أنها((**اسم موضوع لاستغراق أفراد المُنكّر، نحو ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمُوْتِ﴾ والمعرّف المجموع نحو ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾(مريم ٩٥) وأجزاء المفرد المعرف نحو (كُلُّ زيدٍ حسن) فإذا قلت (أكلتُ كلَّ رغيفٍ لزيدٍ) كانت لعموم الأفراد، فإن أضفتَ الرغيف الى زيد صارت لعموم أجزاء فردٍ واحد.**))(٦٩)

وقد وردت لفظة (كل) مؤكدة توكيدا معنويا في عدة مواضع من عهد الإمام (عليه السلام) حتى بلغت (١٩) تسع عشرة مرة سنذكرها بحسب ما وردت في العهد وفق الجدول الآتي ليسهل علينا تحليلها.

لفظة (كل)	الجملة التي وردت في العهد
كُلَّ	فَإِنَّ اللهَ يُذِلُّ كُلَّ جَبَّارٍ،
كُلَّ	وَيُهِينُ كُلَّ مُخْتَالٍ.
كُلِّ	أَطْلِقْ عَنِ النَّاسِ عُقْدَةَ كُلِّ حِقْدٍ،
كُلِّ	وَاقْطَعْ عَنْكَ سَبَبَ كُلِّ وِتْرٍ،
كلِّ	وَتَغَابَ عَنْ كلِّ مَا لا يَضِحُ،
لِكُلّ	وَفِي اللهِ لِكُلّ سَعَةٌ،
لِكُلٍّ	وَلِكُلٍّ عَلَى الْوَالِي حَقٌّ بِقَدْرِ مَا يُصْلِحُهُ.

لِكُلِّ	ثُمَّ اعْرِفْ لِكُلِّ امْرِىءٍ مِنْهُمْ مَا أَبْلى
كُلِّ	وَاجْعَلْ لِرَأْسِ كُلِّ أَمْرٍ مِنْ أُمُورِكَ رَأْساً مِنْهُمْ،
كُلِّ	وَقِسماً مِنْ غَلاَّتِ صَوَافِي الإِسْلاَمِ فِي كُلِّ بَلَدٍ
كُلٌّ	وَكُلٌّ قَدِ اسْتُرْعِيتَ حَقَّهُ،
كُلٌّ	وَكُلٌّ فَأَعْذِرْ إِلَى اللهِ تَعَالَى فِي تَأْدِيَةِ حَقِّهِ إِلَيهِ.
كُلُّهُ	وَالْحَقُّ كُلُّهُ ثَقِيلٌ، وَقَدْ يُخَفِّفُهُ اللهُ عَلَى أَقْوَامٍ طَلَبُوا الْعَاقِبَةَ فَصَبَرُوا أَنْفُسَهُمْ،
لِكُلِّ	وَأَمْضِ لِكُلِّ يَوْمٍ عَمَلَهُ،
لِكُلِّ	فإِنَّ لِكُلِّ يَوْمٍ مَا فِيهِ،
كُلَّ	وَلكِنَّ الْحَذَرَ كُلَّ الْحَذَرِ مِنْ عَدُوِّكَ بَعْدَ صُلْحِهِ،
كُلَّ	فَضَعْ كُلَّ أَمْرٍ مَوْضِعَهُ،
كُلَّ	وَأَوْقِعْ كُلَّ عَمَلٍ مَوْقِعَهُ.
كُلِّ	وَاحْتَرِسْ مِنْ كُلِّ ذلِكَ بِكَفِّ الْبَادِرَةِ، وَتَأْخِيرِ السَّطْوَةِ،
كُلِّ	وَأَنَا أَسْأَلُ اللهَ بِسَعَةِ رَحْمَتِهِ، وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ عَلَى إِعْطَاءِ كُلِّ رَغْبَةٍ،

يتبين لنا عبر هذا الجدول أن الإمام استعمل لفظة (كل) الدالة على العموم واستغراق جميع الأفراد والأجزاء واختلفت صورتها فجاءت مرفوعة منونة (٢) مرتان، وجاءت منصوبة(٥) خمس مرات، وجاءت مجرورة (١١) إحدى عشرة مرة، وجاءت مرة واحدة مضافة إلى الضمير.

وإذا دققنا النظر في النصوص التي وردت فيها (كل) سنجدها كلها متقدمة على ما أضيفت إليه وهذا يعني أنها دالة على العموم ابتداءً، فقوله (عليه السلام): ((

فَإِنَّ اللهَ يُذِلُّ كُلَّ جَبَّارٍ، وَيُهِينُ كُلَّ مُخْتَالٍ.))(٧٠). وقوله:((**أَطْلِقْ عَنِ النَّاسِ عُقْدَةَ كُلِّ حِقْدٍ، واقْطَعْ عَنْكَ سَبَبَ كُلِّ وِتْرٍ، وَتَغَابَ عَنْ كلِّ مَا لا يَضِحُ،))**(٧١). وقوله:((**وَأَنَا أَسْأَلُ اللهَ بِسَعَةِ رَحْمَتِهِ، وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ عَلَى إِعْطَاءِ كُلِّ رَغْبَةٍ،))**(٧٢) دالة على العموم في جميعها.

وهنالك فرق واضح بين مجيء (كل) متقدمة، وبين مجيئها مؤكدة وذلك لأنّها((**إذا تقدمت أفادت العموم ابتداءً، ولم تدع احتمالاً لغير الإحاطة، وإذا تأخرت وكانت مؤكدة أحتمل الكلام العموم وغيره، ثم جئت بها يرفع احتمال عدم العموم))**(٧٣). هذا من ناحية ومن ناحية أخرى ((**أنها مع التقدم يمكن التعبير بها للدلالة على الإحاطة والشمول بصورة أوسع مما تقع مؤكدة، فإنها إذا وقعت مؤكدة أفادت العموم في المعارف فقط، أما إذا تقدمت، فإنها تفيد العموم في النكرات والمعارف، مفرداً أو غيره مما لا يصح أن يقع مؤكداً، وذلك نحو قوله تعالى:﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾(المدثر٣٨)، ولا يقال (نفس كلها بما كسبت رهينة). وقال:﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾(الأحقاف ٢٥) ولا يقال(تدمر شيئاً كله)، وقال:﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾(النحل١١١).))**(٧٤) وهذا ما أكده بعضهم بقوله:((**إنّ كلا إذا تقدمت تقتضي الإحاطة بالجنس، وإذا تأخرت وكانت توكيدا اقتضت الإحاطة بالمؤكد خاصة جنسا شائعا كان أو معهودا معروفا**))(٧٥)

وفي حال كون (كل) تقع مؤكدة تضاف لفظا إلى ضمير المؤكد، فإذا كان المؤكد جنسا عاما، كان التوكيد يشمل كل أفراد الجنس، نحو (الخلق كلهم عيال الله) و (الناس كلهم ميتون)،(٧٦) ومن ذلك قول الإمام علي (عليه السلام) في عهده:((**وَذلِكَ عَلَى الْوُلاَةِ ثَقِيلٌ، وَالْحَقُّ كُلُّهُ ثَقِيلٌ، وَقَدْ يُخَفِّفُهُ اللهُ عَلَى أَقْوَامٍ طَلَبُوا الْعَاقِبَةَ**

فَصَبَرُوا أَنْفُسَهُمْ، وَوَثِقُوا بِصِدْقِ مَوْعُودِ اللهِ لَهُمْ.))(٧٧) فقد اشار إلى ثقل التكليف فيما أمره به بقوله(وذلك على الولاة ثقيل)، ثم أردف ذلك بقوله :(والحق كله ثقيل) فخصّ توكيد كلمة (الحق) بلفظة (كُله)، وذلك ليشمل التوكيد معاني الحق كلها، ولم قيل: (والحق ثقيل كله)؛ تشجيعا له على فعله، ثم نسب تخفيفه إلى الباري سبحانه، في قوله: (وقد يخففه الله...) ترغيبا له فيه.(٧٨)

وقد تقطع (كل) عن الإضافة لفظا فتأتي منونة، وفي هذه الحالة يجوز مراعاة اللفظ والمعنى فيهما، فيأتي إفراد الخبر مع (كل) وهي غير مضافة إلى شيء بعدها كما بيّنها السهيلي(ت‍ه)(٧٩)، قال تعالى:﴿**كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ**﴾(البقرة ٢٨٥)، وقوله تعالى:﴿**كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ**﴾(ق ١٤)، وقال تعالى:﴿**كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ**﴾(البقرة١١٦)، وقال تعالى:﴿**وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ**﴾(يس ٤٠)، فأفرد مراعاة للفظ (كل)، وجمع مراعاة لمعناها. فعلى سبيل المثال في الآية الأولى ورد ذكر الرسول والمؤمنون فلو قال: (كلٌّ آمنوا) وجمعهم في الإخبار عنهم لبطل معنى الاختلاف ، فكان لفظ الإفراد أدل على المراد ، كأنه يقول: كل واحد منهم آمن بالله وملائكته.

وفي الآية الثانية فلأنه ذكر قُروناً وأُمماً، وختم ذكرهم بذكر قوم تَبع، فلو قال: (كلٌّ كذبوا)- و(كل) إذا أُفردت إنما تعتمد على أقرب المذكورين إليها – فكان يذهب الوهم إلى أن الإخبار عن قوم تُبع خاصةً؛ أنهم كذبوا الرسل، فلما قال (كلٌّ كذب) عُلم أنه يريد كل قرن منهم كذب، لأن إفراد الخبر عن (كل) حيث وقع إنما يدلُّ على هذا المعنى، وعليه فإن في كل من هذه الآيات قرينة تقتضي تخصيص المعنى بهذا اللفظ دون غيره انطلاقا من كون النص وحدة متماسكة (٨٠).

واستعمل الإمام (عليه السلام) (كل) في العهد منقطعة عن الإضافة بقوله (عليه السلام):((**وَكُلٌّ قَدِ اسْتُرْعِيتَ حَقَّهُ،**))(٨١)، فأفرد فيها مراعاة للفظ (كل)؛

ولأن في معرفة السياق والمعنى الذي وضعت فيه يتبين لنا لماذا أفرد الخبر وجمع المعنى، فقد ورد في القول الأول ذكر مجموعة من الطبقات منها ((**ثُمَّ اللهَ اللهَ فِي الطَّبَقَةِ السُّفْلَى مِنَ الَّذِينَ لا حِيلَةَ لَهُمْ، وَالْمَسَاكِينِ وَالْمُحْتَاجِينَ وَأَهْلِ الْبُؤْسَى وَالزَّمْنَى، فَإِنَّ فِي هذِهِ الطَّبَقَة قَانِعاً وَمُعْتَرّاً، وَاحْفَظْ لِلّهِ مَا اسْتَحْفَظَكَ مِنْ وإنّ فِيهِمْ، وَاجْعَلْ لَهُمْ قِسْماً مِنْ بَيْتِ مَالِكَ، وَقِسماً مِنْ غَلاَّتِ صَوَافِي الإِسْلاَمِ فِي كُلِّ بَلَدٍ، فَإِنَّ لِلأَقْصَى مِنْهُمْ مِثْلَ الَّذِي لِلأَدْنَى، وَكُلٌّ قَدِ اسْتُرْعِيتَ حَقَّهُ،**))[٨٢]

وأما قوله (عليه السلام):((**وَكُلٌّ فَأَعْذِرْ إِلَى الله تَعَالَى فِي تَأْدِيَةِ حَقِّهِ إِلَيه.**))[٨٣] فلأن ((**الإعذار إلى الله الاجتهاد والمبالغة في تأدية حقه والقيام بفرائضه**))[٨٤]. فأفرد مراعاة للفظ (كل)، وجمع مراعاة لمعناها؛ لأنها جاءت في سياق الحديث عن حقوق أصحاب الدخول المحدودة من الطبقات السفلى والمساكين والمحتاجين وأصحاب الاحتياجات الخاصة والأمراض المزمنة وهم كثر.

ومما تقدم يتضح أن الغاية التي قصدها الإمام عليٍّ (عليه السلام) من توكيد كلامه بلفظة (كُلّ) على اختلاف صورها، هو إفادة العموم والشمول فيه، وهو مما يستلزم الإحاطة والعموم منه.

المبحث الثاني

التوكيد بالأدوات

ظهرت لدينا عند قراءتنا العهد أنه يضم مجموعة من الأدوات النحوية التي تحمل في مضمونها التوكيد، ومن أبرز ما لمحناه سنسرده على النحو الآتي:

التوكيد بـ(إنَّ) وملحقاتها:

التوكيد بالقصر بـ (إنّما):

التوكيد بـ(قد):

التوكيد بـ(ثُمّ):

التوكيد بـ(إنَّ) و ملحقاتها:

احتل التوكيد في العهد بـ (إنَّ) وملحقاتها المختلفة [٨٥] مساحة واسعة تكاد تكون أبرز أداة وأكثفها استعمالا من أي أداة أخرى لما تمتلكه هذه الأداة من خصوصية تعبيرية واضحة في الأداء الكلامي وتعطي ترابطا ملموسا واقعيا في النص؛ لأن الأثر المعنوي لـ (إنَّ) كما ذكره العكبري(ت٦١٦هـ) هو ((**إنما دخلت (إنَّ) على الكلام للتوكيد عوضا عن تكرير الجملة**))[٨٦]

وعهد الإمام علي(عليه السلام) كما أسلفنا يعد نصا ابداعيا يمتلك وحدة موضوعية متكاملة ووجود هذه الأداة بين فقرات جمله ضروري جدا لعدم تكرار الجملة من جهة، ولتكثيف جمل أخرى بدلالات أخرى وهذا ما نتلمسه في جمل العهد، وعليه تنوعت واختلفت صور التأكيد بهذه الأداة فمرة نجد الإمام يستعملها مقرونة بالفاء مرة وبالواو مرة أخرى ومرة تكون بكسر الهمزة ومرة

بفتحها.

وبما أن تأكيد الكلام بهذه الأداة واسع جدا سوف أذكر نماذج قليلة لذلك على اختلاف صورها منها قوله (عليه السلام): ((**ثُمَّ اعْلَمْ يَا مَالِكُ، أَنِّي قَدْ وَجَّهْتُكَ إِلَى بِلاَدٍ قَدْ جَرَتْ عَلَيْهَا دُوَلٌ قَبْلَكَ،**))[٨٧]

وقوله:((**وَلا تَقُولَنَّ: إِنِّي مُؤَمَّرٌ آمُرُ فَأُطَاعُ، فَإِنَّ ذلِكَ إِدْغَالٌ فِي الْقَلْبِ، وَمَنْهَكَةٌ لِلدِّينِ، وَتَقَرُّبٌ مِنَ الْغِيَرِ.**))[٨٨]

وقوله:((**وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِأَدْعَى إِلَى حُسْنِ ظَنِّ رَاعٍ بِرَعِيَّتِهِ مِنْ إِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ،**))[٨٩]

وقوله:((فَإِنَّ حُسْنَ الظَّنِّ يَقْطَعُ عَنْكَ نَصَباً طَوِيلاً، وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ حَسُنَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ حَسُنَ بَلاَؤُكَ عِنْدَهُ، وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ سَاءَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ سَاءَ بَلاَؤُكَ عِنْدَهُ.))[٩٠]

وقوله:((وَاعْلَمْ أَنَّ الرَّعِيَّةَ طَبَقَاتٌ لا يَصْلُحُ بَعْضُهَا إِلَّا بِبَعْضٍ، وَلا غِنَى بِبَعْضِهَا عَنْ بَعْضٍ:))[٩١]

وقوله:((مَعَ أَنَّ أَكْثَرَ حَاجَاتِ النَّاسِ إِلَيْكَ ما لا مَؤُونَةَ فِيهِ عَلَيْكَ، مِنْ شَكَاةِ مَظْلِمَةٍ، أَوْ طَلَبِ إِنْصافٍ فِي مُعَامَلَةٍ.))[٩٢] وأخيرا قوله:((وَأَنْ يُخْتِمَ لِي وَلَكَ بِالسَّعَادَةِ وَالشَّهَادَةِ، إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ،))[٩٣]

فالمتأمل في الجمل الواردة في أعلاه وفي غيرها مما لم نذكره نرى أنه قد اتخذت من (إن) وظائف لتوكيد النسبة، ونفي الشك عنها، [٩٤] أو لتوكيد مضمون الجملة،[٩٥] أو يؤتى بها لربط الكلام بعضه ببعض، فلا يحسن سقوطها.[٩٦] وقيل عنها أنها:((**قريبة الشبه بنون التوكيد الثقيلة التي تؤكد الفعل، غير أنّها مسبوقة بالهمزة. ومن أوجه الشبه بينهما أن كلتيهما للتوكيد، وأن نون التوكيد يفتح معها**

الفعل، وهذه ينصب معها الاسم، وأنّها تخفف كما تخفف تلك))[٩٧]، أو قد تأتي للتعليل وهي كثيرة كقول الإمام علي (عليه السلام):((**وَشُحَّ بِنَفْسِكَ عَمَّا لا يَحِلُّ لَكَ، فَإِنَّ الشُّحَّ بِالنَّفْسِ الإِنْصَافُ مِنْهَا فِيَما أَحَبَّتْ وَكَرِهَتْ.**))[٩٨] وقوله (عليه السلام):((**وَلَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى إِلَى تَغْيِيرِ نِعْمَةِ الله وَتَعْجِيلِ نِقْمَتِهِ مِنْ إِقَامَةٍ عَلَى ظُلْمٍ، فَإِنَّ اللهَ سَمِيعٌ دَعْوَةَ الْـمَظْلُومِينَ، وَهُوَ لِلظَّالِمِينَ بِالْمِرْصَادِ.**))[٩٩]. ولا تكاد تخرج جمل العهد عن تلك الوظائف وهي بذلك تحقق ترابطا وانسجاما بين أجزاء الجمل للوصول به إلى تماسك واضح في النصّ.

التوكيد بالقصر بـ (إنّما):

(إنّما) مركبة من (إنَّ) – بكسر الهمزة وتشديد النون– حرف توكيد، ينصب الاسم ويرفع الخبر مع (ما) الكافة [١٠٠]. و(ما) هذه تسمى (المهيئة)؛ لأنها تهيء (إنَّ) للدخول على الأفعال بعد أن كانت مختصة بالأسماء [١٠١] نحو قوله تعالى:﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللهَّ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** ﴾(فاطر ٢٨) ((**وقد نتج من هذه الملازمة تغيير في الوظيفة التي كانت (إنَّ)، تؤديها منفردة؛ لأن الكلمتين إذا ركبتا، وكان لكلٍ منهما معنى على حده أصبح لها بعد التركيب معنى جديد، وحكم جديد، وقد نفيت دلالتها من كونه توكيدا عاديا إلى كونه قاصرا أو حاصرا، وبعبارة أوضح من كونه توكيداً مخّفاً إلى كونه توكيداً مشدّا))**[١٠٢]

وهنالك طرائق يتم فيها قصر الكلام، وتعد (إنما) إحدى تلك الطرق. ودلالة (إنما) هي القصر، ويراد به كما قال القزويني (ت ٧٣٩هـ): ((**القصر ليس إلا تأكيد على تأكيد**))[١٠٣] وقد وردت في العهد (إنّما) في (٧) سبعة مواضع، سأرتبها بحسب ورودها في الجدول الآتي:

الأداة	الجملة
وَإِنَّمَا	وَإِنَّمَا يُسْتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحِينَ بِمَا يُجْرِي اللهُ لَـهُمْ عَلَى أَلْسُنِ عِبَادِهِ.
وَإِنَّمَا	وَإِنَّـمَا عَمُـودُ الدِّيـنِ، وَجِمَـاعُ الْـمُسْلِمِينَ، وَالْعُـدَّةُ لِلأَعْـدَاءِ، الْعَامَّـةُ مِـنَ الأُمَّـةِ،
فَإِنَّمَا	فَإِنَّمَا عَلَيْكَ تَطْهِيرُ مَا ظَهَرَ لَكَ،
وَإِنَّمَا	وَإِنَّمَا يُؤْتَى خَرَابُ الأَرْضِ مِنْ إِعْوَازِ أَهْلِهَا،
وَإِنَّمَا	وَإِنَّـمَا يُعْـوِزُ أَهْلُهَـا لإِشْرَافِ أَنْفُسِ الْـوُلاَةِ عَـلَى الْـجَمْعِ، وَسُـوءِ ظَنِّهِـمْ بِالْبَقَـاءِ، وَقِلَّـةِ انْتِفَاعِهِـمْ بِالْعِـبَرِ.
وَإِنَّمَا	وَإِنَّمَا الْوَالِي بَشَرٌ لا يَعْرِفُ مَا تَوَارَى عَنْهُ النَّاسُ بِهِ مِنَ الأُمُورِ،
وَإِنَّمَا	وَإِنَّمَا أَنْتَ أَحَدُ رَجُلَيْنِ: إِمَّا امْرُؤٌ سَخَتْ نَفْسُكَ بِالْبَذْلِ فِي الْـحَقِّ،...

إن الناظر في الجمل التي جاءت في الجدول تبين لنا حقيقةً مفادها أن دخول هذه الأداة (إنّما) عليها منح الجمل وظيفة تأكيدية مشددة وذلك بجعلها قاصرة وحاصرة للمعنى الذي يريد استعماله الإمام (عليه السلام) مما أكسب النص قوة وترابطا وتماسكا بين أجزائه الكثيرة، من ذلك قوله: ((**وَإِنَّـمَا يُسْتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحِينَ بِمَا يُجْرِي اللهُ لَـهُمْ عَلَى أَلْسُنِ عِبَادِهِ.**))[١٠٤] فأراد الإمام علي (عليه السلام) حصر هذه اللفظة (الصالحين) (بما يُجري الله) لأن ((**ما يتّفق من ثناء الناس لبعض أمراء الباطل والعلماء المرائين المتصنّعين فإنّما هو على لسان العوام ومن في قلبه مرض، وأمّا العارفون المستقيمون فحاشا وكلاّ**))[١٠٥] ولذلك أكمل الإمام (عليه السلام) قوله:((**فَلْيَكُنْ أَحَبَّ الذَّخَائِرِ إِلَيْكَ ذَخِيرَةُ الْعَمَلِ الصَّالِحِ،**))[١٠٦] قال تعالى:﴿**الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا**﴾(الكهف٤٦).

التوكيد بـ(قد):

من المعلوم أن (قد) إذا دخلت على الفعل الماضي تعين أنه للمضي، ولا يصح صرفه إلى الاستقبال، بخلاف (لم) فإنه يصح صرف ما بعدها إلى الاستقبال.[١٠٧] وقد حرف تحقيق وهو معنى التأكيد[١٠٨]، مختصة بالفعل المتصرف الخبري المُثبت المجرد مِنْ جازم وناصب وحرف تنفيس، وهي معه كالجزء، فلا تنفصل منه بشيء اللّهُمَّ إلاّ بالقسم[١٠٩].

لقد تعددت الآراء في (قد) وما تدخل عليه من الفعل الماضي [١١٠] فهناك من يرى أنه لا بُدَّ أن يكون فيه معنى التوقع، ومنه قول المؤذن (قَدْ قامَتِ الصَّلاة)؛ وإنَّما قيل ذلك لقوم ينتظرون الخبر ويتوقعون الفعل وهو قيام الصّلاة، والرأي الثاني: أنَّها لا تكون للتوقع مع الماضي؛ لأنَّ التوقع انتظار الوقوع في المستقبل، والماضي قد وقع فكيف يتوقع وقوع ما وقع. والرأي الثالث: أنَّها لا تفيد التوقع أصلا.

والصواب أنها تفيد التوقع والتوكيد إذا كان الفعل الماضي فيه دلالة الاستقبال، كما في قوله تعالى على لسان هود (عليه السلام): ﴿ **قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ**﴾(**الأعراف ٧١**)، أيْ: انتظروا الوقوع فإنَّه سيقع عليكم عذاب لا محالة. إذ دخلت (قد) على الفعل الماضي لتوكيد وقوع الفعل في المستقبل كونهم تجاوزوا على نبيهم وطلبوا منه العذاب فأكّد الرسولُ وقوعَهُ جوابًا لطلبهم [١١١].

وورد في العهد دخول (قد) على الفعل الماضي(١٣) ثلاث عشرة مرة، ومرة واحدة على الفعل المضارع كما هو مثبت في الجدول الآتي:

الكلمة	الجملة
قَدْ	قَدْ تَكَفَّلَ بِنَصْرِ مَنْ نَصَرَهُ، وَإِعْزَازِ مَنْ أَعَزَّهُ.
قَدْ، قدْ	ثُمَّ اعْلَمْ يَا مَالكُ، أَنِّي قدْ وَجَّهْتُكَ إِلَى بِلاَدٍ قَدْ جَرَتْ عَلَيْهَا دُوَلٌ قَبْلَكَ،
وَقَدِ	وَقَدِ اسْتَكْفَاكَ أَمْرَهُمْ، وَابْتَلاَكَ بِهِمْ.
قَدْ	وَكُلّاً قَدْ سَمَّى اللهُ سَهْمَهُ،
فَقَدْ	فَقَدْ قَالَ اللهُ سبحانه لِقَوْم أَحَبَّ إِرْشَادَهُمْ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ﴾،...
قَدْ	فَانْظُرْ فِي ذلِكَ نَظَراً بِلِيغاً، فَإِنَّ هذَا الدِّينَ قَدْ كَانَ أَسِيراً فِي أَيْدِي الأَشْرَارِ،
قَدِ	وَكُلٌّ قَدِ اسْتُرْعِيتَ حَقَّهُ،
وَقَدْ	وَقَدْ يُخَفِّفُهُ اللهُ عَلَى أَقْوَامٍ طَلَبُوا الْعَاقِبَةَ فَصَبَرُوا أَنْفُسَهُمْ،
وَقَدْ	وَقَدْ سَأَلْتُ رَسُولَ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) حِينَ وَجَّهَنِي إِلى الْيَمَنِ: كَيْفَ أُصَلِّي بِهِمْ؟ فَقَالَ: «صَلِّ بِهِمْ كَصَلاَةِ أَضْعَفِهِمْ، وَكُنْ بِالْـمُؤْمِنِينَ رَحِيماً».
وَقَدْ	وَقَدْ لَزِمَ ذلِكَ الْـمُشْرِكُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ دُونَ الْـمُسْلِمِينَ لِمَا اسْتَوْبَلُوا مِنْ عَوَاقِبِ الْغَدْرِ،
وَقَدْ	وَقَدْ جَعَلَ اللهُ عَهْدَهُ وَذِمَّتَهُ أَمْناً أَفْضَاهُ بَيْنَ الْعِبَادِ بِرَحْمَتِهِ،
قَدْ	وَالتَّغَابِيَ عَمَّا تُعْنَى بِهِ مِمَّا قَدْ وَضَحَ لِلْعُيُونِ،
وَقَدْ	وَقَدْ كَانَ فِيمَا عَهِدَ إِلَيَّ رَسُولُهُ فِي وَصَايَاهُ: «تَحْضِيضاً عَلَى الصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ»،

إن ما ورد من نصوص في العهد من دخول(قد) على الفعل الماضي يفيد التأكيد والتوقع في الكلام، فعلى سبيل المثال قال أمير المؤمنين(عليه السلام) في كلامه عن الصلاة :((**وَإِذَا قُمْتَ فِي صلاَتِكَ لِلنَّاسِ، فَلاَ تَكُونَنَّ مُنَفِّراً وَلا مُضَيِّعاً، فَإِنَّ فِي النَّاسِ مَنْ بِهِ الْعِلَّةُ وَلَهُ الْحَاجَةُ. وَقَدْ سَأَلْتُ رَسُولَ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) حِينَ وَجَّهَنِي إِلى الْيَمَنِ: كَيْفَ أُصَلِّي بِهِمْ؟ فَقَالَ:((صَلِّ بِهِمْ كَصَلاَةِ أَضْعَفِهِمْ، وَكُنْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً)).**))[١١٢] وإقامة الصلاة أمر حاصل ومتوقع، ولكنه أراد أن يؤكد كيف تتم هذه الصلاة ولذا أكد كلامه بـ(قد) في الماضي لتعطي بعدا وتماسكا يربط بين أجزاء الجملة، ولذا ختم كلامه مؤكدا استعماله (قد) أيضاً بقوله: ((**وَقَدْ كَانَ فِيمَا عَهِدَ إِلَيَّ رَسُولُهُ فِي وَصَايَاهُ: (تَحضيضاً عَلَى الصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ)، فَبِذَلِكَ أَخْتِمُ لَكَ مَا عَهِدْتُ، وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَظِيمِ.**))[١١٣]

التوكيد بـ (ثمّ)

مما لا شك فيه:((**أن النص عبارة عن جمل أو متتاليات متعاقبة خطيا، ولكي تدرك كوحدة متماسكة تحتاج إلى عناصر رابطة متنوعة تصل بين أجزاء النص**))[١١٤] ولما كانت وسائل الربط في إطار الوصل متنوعة تفرع هذا المظهر إلى الإضافي ومنها(ثم) فإذا كانت وظيفة هذه الأنواع من الوصل متماثلة (ونقصد بالوظيفة هنا الربط بين المتواليات المشكلة للنص) فإن معانيها داخل النص مختلفة، فقد يعني الوصل تارة معلومات مضافة إلى معلومات سابقة أو معلومات مغايرة للسابقة أو معلومات(نتيجة) مترتبة عن السابقة (السبب)، إلى غير ذلك من المعاني. ولأن وظيفة الوصل هي تقوية الأسباب بين الجمل وجعل المتواليات مترابطة متماسكة فإنه لا محالة يعتبر علاقة اتساق أساسية في النص))[١١٥]

الأداة	الجملة
ثُمَّ	ثُمَّ اعْلَمْ يَا مَالكُ، أَنِّي قدْ وَجَّهْتُكَ إِلَى بِلاَدٍ قَدْ جَرَتْ عَلَيْهَا دُوَلٌ قَبْلَكَ،
ثُمَّ	ثُمَّ لْيَكُنْ آثَرُهُمْ عِنْدَكَ أَقْوَلَهُمْ بِمُرِّ الْحَقِّ لَكَ،
ثُمَّ	ثُمَّ رُضْهُمْ عَلَى أَلَّا يُطْرُوكَ وَلا يُبَجِّحُوكَ بِبَاطِلٍ لَمْ تَفْعَلْهُ،
ثُمَّ	ثُمَّ لا قِوَامَ لِلْجُنُودِ إِلَّا بِمَا يُخْرِجُ اللهُ لَهُمْ مِنَ الْخَرَاجِ الَّذِي يَقْوَوْنَ بِهِ فِي جِهَادِ عَدُوِّهِمْ،
ثُمَّ	ثُمَّ لا قِوَامَ لِهَذَيْنِ الصِّنْفَيْنِ إِلَّا بِالصِّنْفِ الثَّالِثِ مِنَ الْقُضَاةِ وَالْعُمَّالِ وَالْكُتَّابِ،
ثُمَّ	ثُمَّ الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ أَهْلِ الْحَاجَةِ وَالْمَسْكَنَةِ الَّذِينَ يَحِقُّ رِفْدُهُمْ وَمَعُونَتُهُمْ.
ثُمَّ	ثُمَّ الْصَقْ بِذَوِي الْمُرُوءَاتِ وَالأَحْسَابِ؛ وَأَهْلِ الْبُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ، وَالسَّوَابِقِ الْحَسَنَةِ،
ثُمَّ	ثُمَّ أَهْلِ النَّجْدَةِ وَالشَّجَاعَةِ، وَالسَّخَاءِ وَالسَّمَاحَةِ، فَإِنَّهُمْ جِمَاعٌ مِنَ الْكَرَمِ، وَشُعَبٌ مِنَ الْعُرْفِ.
ثُمَّ	ثُمَّ تَفَقَّدْ مِنْ أُمُورِهِمْ مَا يَتَفَقَّدُهُ الْوَالِدَانِ مِنْ وَلَدِهِمَا،
ثُمَّ	ثُمَّ اعْرِفْ لِكُلِّ أمرئ مِنْهُمْ مَا أَبْلى، وَلا تَضُمَّنَّ بَلاَءَ أمرئ إِلَى غَيْرِهِ،
ثُمَّ	ثُمَّ اخْتَرْ لِلْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ أَفْضَلَ رَعِيَّتِكَ فِي نَفْسِكَ، مِمَّنْ لا تَضِيقُ بِهِ الأُمُورُ،
ثُمَّ	ثُمَّ أَكْثِرْ تَعَاهُدَ قَضَائِهِ، وافْسَحْ لَهُ فِي الْبَذْلِ مَا يُزِيلُ عِلَّتَهُ،
ثُمَّ	ثُمَّ انْظُرْ فِي أُمُورِ عُمَّالِكَ، فَاسْتَعْمِلْهُمُ اخْتِبَاراً، وَلا تُوَلِّهِمْ مُحَابَاةً وأَثَرَةً،
ثُمَّ	ثُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِمُ الأَرْزَاقَ، فَإِنَّ ذلِكَ قُوَّةٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِصْلاَحِ أَنْفُسِهِمْ،
ثُمَّ	ثُمَّ تَفَقَّدْ أَعْمَالَهُمْ، وَابْعَثِ الْعُيُونَ مِنْ أَهْلِ الصِّدْقِ وَالْوَفَاءِ عَلَيْهِمْ،
ثُمَّ	ثُمَّ نَصَبْتَهُ بِمَقَامِ الْمَذَلَّةِ، وَ وَسَمْتَهُ بِالْخِيَانَةِ، وَقَلَّدْتَهُ عَارَ التُّهَمَةِ.

ثُمَّ	ثُمَّ انْظُرْ فِي حَالِ كُتَّابِكَ، فَوَلِّ عَلَى أُمُورِكَ خَيْرَهُمْ،
ثُمَّ	ثُمَّ لا يَكُنِ اخْتِيَارُكَ إِيَّاهُمْ عَلَى فِرَاسَتِكَ وَاسْتِنَامَتِكَ وَحُسْنِ الظَّنِّ مِنْكَ،
ثُمَّ	ثُمَّ اسْتَوْصِ بِالتُّجَّارِ وَذَوِي الصِّنَاعَاتِ، وَأَوْصِ بِهِمْ خَيْراً
ثُمَّ	ثُمَّ اللهَ اللهَ فِي الطَّبَقَةِ السُّفْلَى مِنَ الَّذِينَ لا حِيلَةَ لَهُمْ،
ثُمَّ	ثُمَّ اعْمَلْ فِيهِم بِالإِعْذَارِ إِلَى الله تَعَالَى يَوْمَ تَلْقَاهُ،
ثُمَّ	ثُمَّ احْتَمِلِ الْخُرْقَ مِنْهُمْ وَالْعِيَّ، وَنَحِّ عَنْكَ الضِّيقَ وَالأَنَفَ،
ثُمَّ	ثُمَّ أُمُورٌ مِنْ أُمُورِكَ لا بُدَّ لَكَ مِنْ مُبَاشَرَتِهَا:
ثُمَّ	ثُمَّ إِنَّ لِلْوَالِي خَاصَّةً وبِطَانَةً، فِيهِمُ اسْتِئْثَارٌ وَتَطَاوُلٌ، وَقِلَّةُ إِنْصَافٍ [فِي مُعَامَلَة]،

استعمل الإمام (عليه السلام) أداة العطف (ثم) في العهد قرابة (٢٤) أربع وعشرون مرة كما هي مثبتة في الجدول، وهو عدد كبير إذا ما قورن مع غيره من أدوات الربط الأخرى، لتكون رابطا بين الوحدات النصية، وعبر ملاحظة هذه الأداة يتبين لنا مدى انسجام الجمل بعضها ببعض عن طريق استعمالها، و (ثم) تمثل علامة للربط بين الجمل لتحقيق ترابط وتماسك في النص؛ فإذا ما نظرنا إلى الجملة الأولى التي وردت فيه؛ ((**ثُمَّ اعْلَمْ يَا مَالِكُ، أَنِّي قَدْ وَجَّهْتُكَ إِلَى بِلاَدٍ قَدْ جَرَتْ عَلَيْهَا دُوَلٌ قَبْلَكَ،**))[١١٦] فإننا سنجد أن الإمام (عليه السلام) استعمل الأداة (ثم) وهي تفيد التراخي بعد أمر مالك بجملة من الأوامر التي افتتح كتابه بها وكنا قد تطرقنا إليها [١١٧] مما أسهمت(ثم) في إعطاء تتابعا وترتيبا واضحا لكسبه تماسكا وترابطا.

المبحث الثالث

التوكيد بنوني التوكيد

قال سيبويه(ت١٨٠هـ) في باب النون الثقيلة والخفيفة:((**اعلم أنَّ كل شيء دخلته الخفيفة فقد تدخله الثقيلة. كما أن كلَّ شيء تدخله الثقيلة تدخله الخفيفة. وزعم الخليل أنَّهما توكيد كما التي تكون فضلاً. فإذا جئت بالخفيفة فأنت مؤكّد، وإذا جئت بالثقيلة فأنت أشدُّ توكيدا.**))[١١٨]

ووردت نون التوكيد في نصوص كثيرة من العهد وأراد الإمام عبر استعمالها تأكيد كثير من الحقائق التي يجب أن يتحلى بها المسؤول عن الرعية، ومن جملة ما وقفنا عليه في العهد من استعمالات الإمام (عليه السلام) لنون التوكيد الثقيلة قوله:

((وَلاَ تَنْصِبَنَّ نَفْسَكَ لِحَرْبِ الله، فَإِنَّهْ لاَ يَدَيْ لَكَ بِنِقْمَتِهِ، وَلا غِنَى بِكَ عَنْ عَفْوِهِ وَرَحْمَتِهِ. وَلا تَنْدَمَنَّ عَلَى عَفْوٍ، وَلا تَبْجَحَنَّ بِعُقُوبَةٍ، وَلا تُسْرِعَنَّ إِلَى بَادِرَةٍ وَجَدْتَ مِنْهَا مَنْدُوحَةً، وَلا تَقُولَنَّ: إِنِّي مُؤَمَّرٌ آمُرُ فَأُطَاعُ،))[١١٩]

((فَلاَ تَكْشِفَنَّ عَمَّا غَابَ عَنْكَ مِنْهَا، فَإِنَّمَا عَلَيْكَ تَطْهِيرُ مَا ظَهَرَ لَكَ،))[١٢٠]

((وَلا تَعْجَلَنَّ إِلَى تَصْدِيقِ سَاعٍ،))[١٢١]

((وَلاَ تُدْخِلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ بَخِيلاً يَعْدِلُ بِكَ عَنِ الْفَضْلِ، وَيَعِدُكَ الْفَقْرَ، وَلا جَبَاناً يُضعِّفُكَ عَنِ الأُمُورِ، وَلا حَرِيصاً يُزَيِّنُ لَكَ الشَّرَهَ بِالْجَوْرِ،))[١٢٢]

((فَلاَ يَكُونَنَّ لَكَ بِطَانَةً، فَإِنَّهُمْ أَعْوَانُ الأَثَمَةِ،))[١٢٣] **((وَلا يَكُونَنَّ الْمُحْسِنُ وَالْمُسِيءُ عِنْدَكَ بِمَنْزِلَةٍ سَوَاءٍ؛))**[١٢٤]

((وَلا تُحْدِثَنَّ سُنَّةً تَضُرُّ بِشَيءٍ مِنْ مَاضِي تِلْكَ السُّنَنِ، فَيَكُونَ الأَجْرُ لِمَنْ سَنَّهَا، وَالْوِزْرُ عَلَيْكَ بِمَا نَقَضْتَ مِنْهَا.))(١٢٥)

((وَلا تَحْقِرَنَّ لُطْفاً تَعَاهَدْتَهُمْ بِهِ وَإِنْ قَلَّ، فَإِنَّهُ دَاعِيَةٌ لَهُمْ إِلَى بَذْلِ النَّصِيحَةِ لَكَ، وَحُسْنِ الظَّنِّ بِكَ.))(١٢٦)

((وَلا تَضُمَّنَّ بَلاَءَ أمرئٍ إِلَى غَيْرِهِ، وَلا تُقَصِّرَنَّ بِهِ دُونَ غَايَةِ بَلائِهِ، وَلا يَدْعُوَنَّكَ شَرَفُ أمرئٍ إِلَى أَنْ تُعَظِّمَ مِنْ بَلَائِهِ مَا كَانَ صَغِيراً، وَلا ضَعَةُ أمرئٍ إِلَى أَنْ تَسْتَصْغِرَ مِنْ بَلائِهِ مَا كَانَ عَظِيماً.))(١٢٧)

((وَلا يَثْقُلَنَّ عَلَيْكَ شَيْءٌ خَفَّفْتَ بِهِ الْمَؤُونَةَ عَنْهُمْ، فَإِنَّهُ ذُخْرٌ يَعُودُونَ بِهِ عَلَيْكَ فِي عِمَارَةِ بِلادِكَ،))(١٢٨)

((وَإِذَا قُمْتَ فِي صلاَتِكَ لِلنَّاسِ، فَلاَ تَكُونَنَّ مُنَفِّراً وَلا مُضَيِّعاً، فَإِنَّ فِي النَّاسِ مَنْ بِهِ الْعِلَّةُ وَلَهُ الْحَاجَةُ.))(١٢٩)

((وَأَمَّا بَعْدَ هذا، فَلاَ تُطَوِّلَنَّ احْتِجَابَكَ عَنْ رَعِيَّتِكَ، فَإِنَّ احْتِجَابَ الْوُلاَةِ عَنِ الرَّعِيَّةِ شُعْبَةٌ مِنَ الضِّيقِ،))(١٣٠)

((وَلاَ تَدْفَعَنَّ صُلْحاً دَعَاكَ إِلَيْهِ عَدُوُّكَ لِلّهِ فِيهِ رِضاً، فَإِنَّ فِي الصُّلْحِ دَعَةً لِجُنُودِكَ، وَرَاحَةً مِنْ هُمُومِكَ، وأَمْناً لِبِلاَدِكَ،))(١٣١)

((فَلاَ تَغْدِرَنَّ بِذِمَّتِكَ، وَلا تَخِيسَنَّ بِعَهْدِكَ، وَلا تَخْتِلَنَّ عَدُوَّكَ، فَإِنَّهُ لا يجترئ عَلَى الله إِلّا جَاهِلٌ شَقِيٌّ.))(١٣٢)

((وَلا تُعَوِّلَنَّ عَلَى لَحْنِ القَوْلِ بَعْدَ التَّأْكِيدِ وَالتَّوْثِقَةِ، وَلا يَدْعُوَنَّكَ ضِيقُ أَمْرٍ لَزِمَكَ فِيهِ عَهْدُ الله إِلَى طَلَبِ انْفِسَاخِهِ بِغَيْرِ الْحَقِّ،))(١٣٣) وأخيرا قوله:((فَلا تُقَوِّيَنَّ سُلْطَانَكَ بِسَفْكِ دَمٍ حَرَامٍ،))(١٣٤)

الخاتمة:

١. بعد هذه الجولة في بحر من بحار العطاء وكتاب لا ينضب بالعلوم والمعرفة في عهد الإمام علي(عليه السلام) لمالك الأشتر اتضحت لنا مجموعة من النتائج كان أبرزها على النحو الآتي: التأكيد والتوكيد بمعنى واحد لا يخرج عن دلالته في تقوية الكلام وتثبيته في نفس المتلقي.

٢. يعد العهد نصا ابداعيا لا يختلف أثنان في أن كاتبه في قمة الفصاحة والبلاغة.

٣. رصد البحث مجموعة من أساليب التوكيد النحوية التي أدت إلى خلق ترابط وانسجام مما أدى إلى تماسك نحوي داخل النص (العهد العلوي).

٤. استعمل الإمام علي(عليه السلام) ألفاظا كثيرة مكررة من باب التوكيد اللفظي متوزعة على مساحة العهد أدت إلى خلق تماسك وانسجام فيه.

٥. استعمل الإمام علي (عليه السلام) في عهده مجموعة من الأدوات التي خرجت للتأكيد، واختلفت وظائف كل واحدة منها بحسب دلالتها النحوية.

٦. بيّن البحث أن استعمال الإمام للأداة (إنّ) وملحقاتها كانت لها وظائف مختلفة منها لتوكيد النسبة، ونفي الشك عنها، أو لتوكيد مضمون الجملة، أو يؤتى بها لربط الكلام بعضه ببعض، فلا يحسن سقوطها، أو للتعليل وغيرها.

٧. أحتل التوكيد بنون التوكيد الثقيلة مساحة واسعة من العهد حتى إنك لا تكاد تقع عينك على ورقة منه إلا وتجد فيها هذا الأسلوب واضحا بيّنا؛ وذلك لعظم ما أكدّ عليه الإمام(عليه السلام) في جملة كبيرة من نواهيه التي عرضها، مما أفاض على النص تماسكا بين أجزائه المختلفة.

هوامش البحث:

١. شرح نهج البلاغة الإمام كمال الدين البحراني/ المقدمة ١/ ١٤.
٢. كتبت بحثا بعنوان ((الألفاظ الغريبة في نهج البلاغة عهد الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام) لمالك الأشتر أنموذجا)).
٣. لسان العرب:٣/ ٤٦٦. وينظر: محيط المحيط ٢/ ٢٢٨١. الصحاح في اللغة والعلوم ٢/ ٧١١. ومختار الصحاح ٧٥٩.
٤. لسان العرب٣/ ٧٤.
٥. نهج البلاغة ٤٤٣.
٦. مصباح السالكين٤/ ١٨٢. وينظر: التوابع في نهج البلاغة ١٤٩. (رسالة ماجستير).
٧. أساليب التأكيد في نهج البلاغة- دراسة دلالية- ١.(رسالة ماجستير). وينظر: التوابع في نهج البلاغة ١٤٩.
٨. لسان العرب ٣/ ٤٦٦.
٩. ينظر معاني النحو ٤/ ١٣١.
١٠. ينظر عل سبيل المثال: الكتاب ١/ ١٩٨و١٩٩و٢٢٢و٢٩٦.
١١. اللمع في العربية ١٦٩.
١٢. المقرب ١/ ٢٢٨.
١٣. الطراز المتضمن لأسرار البلاغة ٢/ ١٧٦.
١٤. المقرب ١/ ٢٣٨-٢٣٩. وينظر: أساليب التأكيد في نهج البلاغة ٢.
١٥. التعريفات ويرى الشريف الجرجاني:((أنَّ تسميته بـ(التأسيس) خيرٌ من التأكيد؛ لأن حمل الكلام على الإفادة خيرٌ من حمله على الإعادة)) التعريفات ٣٤.
١٦. التعريفات ٣٤.
١٧. همع الهوامع ٢/ ١٢٢.
١٨. الفوائد الضيائية ٢/ ٥٦. وينظر: أساليب التأكيد في نهج البلاغة ٢.
١٩. في النحو العربي نقد وتوجيه ٢٣٤.
٢٠. معاني النحو ٤/ ٥٠٩.
٢١. أسرار العربية ٢٨٣.
٢٢. نحو النّصّ والتحليل اللغوي١٠، وينظر: ظاهرة الحذف ودورها في التماسك النصي دراسة

تطبيقيـة في سـورة البقـرة ٨١.

٢٣. نحو أجرومية للنّصّ الشعري ١٥٤.

٢٤. النّصّ والخطاب والإجراء ١٠٣.

٢٥. ينظر: التماسك النصي في نهج البلاغة ٥٠. (أطروحة الدكتوراه).

٢٦. لسانيّات النص ١٣.

٢٧. لسانيات النص: ١٣.

٢٨. نهج البلاغة ٤٢٦.

٢٩. ينظر: شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ١٧/ ٣٠، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة ٨/ ٤٧٤.

٣٠. عهد الإمام عليّ إلى مالك الأشتر: علي الأنصاري.

٣١. شرح الألفيـة لابـن الناظـم ٢١٠، همـع الهوامـع ٢/ ١٢٥، شرح الإشـموني٣/ ٨٠. وينظـر: معـاني النحـو١٥١.

٣٢. شرح الرضي على الكافية ١/ ٣٦٥.

٣٣. ينظر: لسانيّات النص ٢٤.

٣٤. النحو الوافي ٤/ ١٣٦.

٣٥. المعنى والإعراب عند النحويين ونظرية العامل٣٢٠.

٣٦. النحو الوافي ٤/ ١٤٢-١٤٣. وينظر: التوابع في نهج البلاغة ١٥٥.

٣٧. نهج البلاغة ٤٣٨.

٣٨. التوابع في نهج البلاغة ١٥٦.

٣٩. قـد ورد لفـظ الجلالـة مكـررا في سـتة عـشر موضعـا، فتكـون هـي الأكثـر ورودا في النهـج في بـاب التوكيـد. ينظـر: التوابـع في نهـج البلاغـة ١٥٨.

٤٠. التوابع في نهج البلاغة ١٥٨.

٤١. كتاب سيبويه ١/ ٥٦.

٤٢. كتاب سيبويه ١/ ٥٦.

٤٣. ينظر: لسانيات النصّ ١٨.

٤٤. نهج البلاغة ٤٢٨.

٤٥. شرح نهج البلاغـة: ابـن أبي الحديـد ١٧/ ٣٤. وينظـر: كتابنـا: الألفـاظ الغريبـة في نهـج البلاغـة ٩٣-٩٤(تحت الطبـع).

٤٦. بحار الأنوار ٨٩/ ٢٤٩.

٤٧. نهج البلاغة ٤٤٣.

٤٨. شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ١٧/ ١١١.

٤٩. نهج البلاغة ٤٤٤.

٥٠. دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة ٨١.

٥١. بنية الخطاب ١١٢.

٥٢. نهج البلاغة ٤٢٦-٤٢٧.

٥٣. نهج البلاغة ٤٢٧.

٥٤. نهج البلاغة ٤٢٧.

٥٥. أسلوب التوكيد ودوره في التماسك النحوي ٤. (رسالة ماجستير).

٥٦. النحو الوافي ٣/ ٣٩٥. وينظر: أسلوب التوكيد ودوره في التماسك النحوي ٥.

٥٧. نهج البلاغة ٤٢٦-٤٢٧.

٥٨. أسلوب التوكيد ودوره في التماسك النحوي ٤.

٥٩. نهج البلاغة ٤٣٣.

٦٠. شرح نهج البلاغة ١٧/ ٥٤.

٦١. بهج الصباغة ٨/ ٥٣٥.

٦٢. نهج البلاغة ٤٣٥.

٦٣. نهج البلاغة ٤٣٦.

٦٤. شرح الأشموني ٣/ ٧٣.

٦٥. شرح ابن الناظم ٢٠٦.

٦٦. ينظر: معاني النحو ٤/ ١٣٨.

٦٧. ينظر: شرح جمل الزجاجي: ابن عصفور ١/ ٢٦٦.

٦٨. ينظر: شرح قطر الندى ٣٢٦. التوابع في نهج البلاغة ١٧٦.

٦٩. مغني اللبيب١/ ١٩٣.

٧٠. نهج البلاغة ٤٢٨.

٧١. نهج البلاغة ٤٢٩.

٧٢. نهج البلاغة ٤٤٥.

٧٣. معاني النحو ٤/ ١٤٢.
٧٤. معاني النحو ٤/ ١٤٣.
٧٥. بدائع الفوائد ١/ ٢١٨.
٧٦. ينظر: معاني النحو ١٤٢.
٧٧. نهج البلاغة ٤٣٩.
٧٨. ينظر: أساليب التأكيد في نهج البلاغة ١٢٠.
٧٩. نتائج الفكر ٢٨٠.
٨٠. ينظر: التماسك النصي في نهج البلاغة ٢١.
٨١. نهج البلاغة ٤٣٨-٤٣٩.
٨٢. نهج البلاغة ٤٣٨-٤٣٩.
٨٣. نهج البلاغة ٤٣٩.
٨٤. شرح نهج البلاغة ١٧/ ٨٧.
٨٥. وردت في العهد قرابة (٤٠) أربعين مرة (فإنَّ) بالفاء، ووردت (وإنَّ) بالواو (٥) خمس مرات، و(وأنَّ) مرة واحدة، و(إنَّ) مكسورة الهمزة، و(أنَّ) (٣) ثلاث مرات، و(إني) مرة واحدة، و(أنيِّ)، مرة واحدة، و(إنَّا) مرة واحدة.
٨٦. اللباب في علل البناء والإعراب
٨٧. نهج البلاغة ٤٢٧.
٨٨. نهج البلاغة ٤٢٨.
٨٩. نهج البلاغة ٤٣١.
٩٠. نهج البلاغة ٤٣١.
٩١. نهج البلاغة ٤٣١.
٩٢. نهج البلاغة ٤٤١.
٩٣. نهج البلاغة ٤٤٥.
٩٤. شرح قطر الندى ٢٠٤، وينظر: أساليب التأكيد في نهج البلاغة ٣١.
٩٥. مغني اللبيب ١/ ٣٧-٣٩.
٩٦. معاني النحو ١/ ٣١٢.
٩٧. معاني النحو ١/ ٣١٢.

٩٨. نهج البلاغة ٤٢٧.

٩٩. نهج البلاغة ٤٢٩.

١٠٠. مغني اللبيب ١/ ٣٧، الجنى الداني ٣٨.

١٠١. ينظر: مغني اللبيب ١/ ٣٠٨.

١٠٢. في النحو العربي نقد وتوجيه ٢٣٨-٢٣٩. وهناك من يرى أن (إنما) غير مركبة من (ما+إنَّ) بل هي ((اسم مبهم بمنزلة ضمير الشأن في التضخيم والإبهام، وإن الجملة بعده مفسرة له، ومخبر بها عنه)) منهم ابن درستويه وبعض الكوفيين وتابعهم من المحدثين الدكتور عبد الستار الجواري بقوله: ((والحق إنّ (ما) هذه شبيهة في معناها بما يعرف عند أهل العربية بضمير(الشأن)، أو ضمير (القصة) الذي يُقف مستترا أحيانا، ويبرز أحيان أخرى، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾(طه٧٤)، وقوله تعالى:﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾(الإخلاص١)، هذا الأسلوب يراد به تهيئة من يتلقى الكلام فيهذي بال ومعنى ذي خطر فيكون ضمير الشأن،...هو الممهد والمهيء لإلقاء الحكم بحيث يتلقاه من يتلق الكلام بما يستحق من انتباه ومن عناية واهتمام)) نحو المعاني ١٣٤. وينظر: أساليب التأكيد في نهج البلاغة١٥٢.

١٠٣. الإيضاح١/ ١٢٢.

١٠٤. نهج البلاغة ٤٢٧.

١٠٥. بهج الصباغة ٨/ ٤٨٠.

١٠٦. نهج البلاغة ٤٢٧.

١٠٧. ينظر: معاني النحو ٤/ ١١.

١٠٨. البرهان ٢/ ٤١٧.

١٠٩. مغني اللبيب ١/ ٢٢٧.

١١٠. ينظر: سورة الأعراف دراسة لغوية ٢٠٠.

١١١. ينظر: سورة الأعراف دراسة لغوية ٢٠٠.

١١٢. نهج البلاغة ٤٤٠.

١١٣. لم أجد هذا النص في نهج البلاغة في النسخة التي وثقت النصوص منها وهي للدكتور صبحي الصالح، ولكن هذا النص موجود في كتاب بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة.

١١٤. لسانيات النص ٢٣.

١١٥. لسانيّات النص ٢٤.

١١٦. نهج البلاغة ٤٢٧.

١١٧. تنظر الصفحات السابقة ١١-١٣ من هذا البحث.

١١٨. الكتاب ١ / ٢٩٦.

١١٩. نهج البلاغة ٤٢٨.

١٢٠. نهج البلاغة ٤٢٩.

١٢١. نهج البلاغة ٤٣٠.

١٢٢. نهج البلاغة ٤٣٠

١٢٣. نهج البلاغة ٤٣٠.

١٢٤. نهج البلاغة ٤٣٠.

١٢٥. نهج البلاغة ٤٣١.

١٢٦. نهج البلاغة ٤٣٣.

١٢٧. نهج البلاغة ٤٣٤.

١٢٨. نهج البلاغة ٤٣٦.

١٢٩. نهج البلاغة ٤٤٠.

١٣٠. نهج البلاغة ٤٤١.

١٣١. نهج البلاغة ٤٤٢.

١٣٢. نهج البلاغة ٤٤٢.

١٣٣. نهج البلاغة ٤٤٣.

١٣٤. نهج البلاغة ٤٤٣.

المصادر والمراجع

الكتب المطبوعة:

١. أسرار العربية: لأبي البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري(ت٥٧٧هـ)، تحقيق: محمد بهجة البيطار، مطبعة الترقي، بدمشق ١٣٧٧هـ- ١٩٥٧م.

٢. الإيضاح لمختصر تلخيص المفتاح جلال الدين أبو عبد الله محمد بن سعد الدين أبي محمد عبد الرحمن القزويني(ت٧٣٩هـ)، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده، مصر، (د.ت).

٣. بحار الأنوار: العلامة المجلسي، مؤسسة الوفاء، بيروت- لبنان، ١٤٠٤هـ.

٤. بدائع الفوائد: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا- عادل عبد الحميد العدوي - أشرف أحمد الج، الطبعة الأولى، مكتبة نزار مصطفى الباز- مكة المكرمة١٤١٦ - ١٩٩٦.

٥. البرهان في علوم القرآن: تأليف: الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي(ت٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٩١هـ- ١٩٧٢م.

٦. بنية الخطاب: أحمد المتوكل.

٧. بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة: الشيخ محمد التقي الشوشتري، الطبعة الأولى، دار أمير كبير/ طهران، ١٣٧٦هـ.

٨. التعريفات: علي بن محمد الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، دار الشؤون الثقافية العامة، طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد.

٩. الجنى الداني في حروف المعاني: تأليف: الحسن بن قاسم المرادي(ت٧٤٩هـ)، تحقيق: فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، تحقيق: طه محسن، الطبعة الثانية، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، العراق، ١٩٧٦م.

١٠. دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة: سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق/ القاهرة، د.ت

١١. شرح الأشموني على ألفية ابن مالك: الأشموني(ت٩٢٩هـ)، دار إحياء الكتب العربية- مصر.

١٢. شرح ألفية ابن مالك: لابن الناظم (ت٦٨٦هـ)، المطبعة العلوية في النجف سنة١٣٤٢هـ.

١٣. شرح الرضي على الكافية: عثمان بن عمر ابن الحاجب(ت٦٤٦هـ)،(د، ت).

١٤. شرح قطر الندى وبل الصدى: ابن هشام الأنصاري(ت٧٦١هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة التاسعة، ١٣٧٧هـ-١٩٥٧م.

١٥. شرح نهج البلاغة: للإمام كمال الدين بن ميثم البحراني(ت٦٧٩هـ)، الطبعة الأولى، منشورات مؤسسة التاريخ العربي، مطبعة دار إحياء التراث العربي، لبنان، ١٩٩٢م.

١٦. شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن محمد المعتزلي (ت٦٥٦هـ)، بيروت، د.ت.

١٧. الصحاح في اللغة والعلوم: العلامة الجوهري والمصطلحات العلمية والفنية للجامعات العربية تقديم: العلامة الشيخ عبد الله العلايلي إعداد وتصنيف نديم مرعشلي، دار الحضارة العربية- بيروت. و

١٨. الطراز المتضمن لأسرار البلاغة: يحيى بن حمزة العلوي، مطبعة المقتطف/ مصر ١٣٣٢هـ- ١٩١٤م.

١٩. ظاهرة الحذف ودورها في التماسك النّصّي « دراسة تطبيقية على سورة البقرة «: أ.د. إسلام محمد عبد السلام أستاذ النحو والصرف، المعهد العالي للدراسات النوعية/ قسم اللغات والترجمة.

٢٠. عهد الإمام عليّ إلى مالك الأشتر: علي الأنصاري.

٢١. الفوائد الضيائية شرح كافية ابن الحاجب)، نور الدين عبد الرحمن الجامي (ت٧٩٨هـ): تحقيق: أسامة طه الرفاعي، مطبعة وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، بغداد، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

٢٢. في النحو العربي نقد وتوجيه: د. مهدي المخزومي، منشورات المكتبة العصرية- بيروت، ١٩٦٤م .

٢٣. الكتاب: سيبويه(ت١٨٠هـ)، مصور على طبعة بولاق- نشر مكتبة المثنى- بغداد.

٢٤. اللباب في علل البناء والإعراب: أبي البقاء العكبري(ت٦١٦هـ)، تحقيق: غازي فكر مختار طليمات، الطبعة الأولى، دار الفكر/ دمشق ١٩٩٥.

٢٥. لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري(ت٧١١هـ)، الطبعة الأولى، دار صادر – بيروت.

٢٦. لسانيات النصّ مدخل إلى انسجام الخطاب: محمد خطابي، الطبعة الأولى، المركز الثقافي العربي، ١٩٩١م.

٢٧. اللمع في العربية: أبي الفتح ابن جني (ت٣٩٢هـ)، تحقيق: حسين محمد محمد

شرف،١٩٧٩ .

٢٨. محيط المحيط: بطرس البستاني، بيروت، ١٨٦٧م.

٢٩. مختار الصحاح الشيخ الإمام محمد أبي بكر بن عبد القادر الرازي(ت٦٦٦هـ)، طبعة حديثة منقحة ١٣٦٩هـ-١٩٥٠م.

٣٠. مصباح السالكين» شرح نهج البلاغة: كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني(ت٧٦٩هـ)، عنى بتصحيحه عدة من الأفاضل وقوبل بعدة نسخ موثوق بها من منشورات النصر (د.ت).

٣١. معاني النحو: الدكتور فاضل صالح السامرائي، الطبعة الأولى، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع/ عمان، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

٣٢. المعنى والإعراب عند النحويين ونظرية العامل:

٣٣. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: لابن هشام الأنصاري(ت٧٦١هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد.

٣٤. المقرّب: لابن عصفور(ت٦٦٩هـ)، تحقيق: أحمد عبد الستار الجواري وعبد الله الجبوري، مطبعة العاني- بغداد.

٣٥. نتائج الفكر في النحو: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي(ت٥٨١هـ)، حققه وعلق عليه الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

٣٦. نحو أجرومية للنّصّ الشعري « دراسة في قصيدة جاهلية»: د. سعد مصلوح، مجلة فصول، العدد٢،١، يوليو١٩٩١م، أغسطس ١٩٩١م.

٣٧. نحو المعاني: د. أحمد عبد الستار الجواري، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

٣٨. نحو النّصّ والتحليل اللغوي: د. أحمد عفيفي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ١٩٩٩م.

٣٩. النحو الوافي: عباس حسن، الطبعة الثانية، دار المعارف- مصر.

٤٠. النّصّ والخطاب والإجراء: روبرت دي بوجراند، ترجمة د. تمّام حسّان، الطبعة الأولى، عالم الكتب، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.

٤١. نهج البلاغة: تعليق الدكتور صبحي الصالح، الطبعة الثانية، مطبعة برستش، مؤسسة انتشارات أنوار الهدى، ١٤٢٤هـ.ق.

٤٢. همع الهوامع شرح جمع الجوامع: لجلال الدين السيوطي(ت٩١١هـ)، الطبعة الأولى، مطبعة السعادة- مصر، ١٣٢٧هـ.

الرسائل الجامعية:

١. أساليب التأكيد في نهج البلاغة- دراسة دلالية-: أصيل محمد، بإشراف الأستاذ الدكتور جواد كاظم عناد/ رسالة ماجستير - جامعة القادسية.

٢. أسلوب التوكيد ودوره في التماسك النصي سورة المؤمنون أنموذجا: سهام أولاد سالم، بإشراف الأستاذ عبد القادر بقادر، / رسالة ماستر في تخصص لسانيات النص، جامعة قاصدي مرباح ورقلة/ الجزائر ٢٠١٤-٢٠١٥.

٣. التماسك النصي (دراسة تطبيقية في نهج البلاغة): عيسى جواد فضل محمد الوداعي، بإشراف الأستاذ الدكتور نهاد الموسى / أطروحة دكتوراه كلية

الدراسات العليا/ الجامعة الاردنية، ٢٠٠٥م.

٤. التوابع في نهج البلاغة دراسة نحوية دلالية: وداد حامد عطشان السلامي، بإشراف الأستاذ الدكتور عبد الكاظم محسن الياسري/ رسالة ماجستير- كلية الآداب/ جامعة الكوفة، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.

٥. سورة الأعراف دراسة لغوية: محمد نوري جواد السوداني، بإشراف الأستاذ المساعد الدكتور محمد صنكور جبارة / رسالة ماجستير- كلية التربية/ الجامعة المستنصرية،١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

استراتيجية الخطاب الحجاجي

في كتاب الإمام علي (عليه السلام) لمعاوية

أ. م. د. لمى عبد القادر خنياب

كلية الآداب / جامعة القادسية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

ينطلق البحث من فرضية يتبناها الباحث ومفادها أنَّ لكل خطاب حجاجي استراتيجية تحكمه وتهيمن على مفاصله فتحدد مسارات الخطاب ، وتتجلى عبر آليات الحجاج المنطقية ، واللغوية فتجد أنَّ أدوات الحجاج في مجملها وظفت بعناية لخدمة هذه الاستراتيجية بوصفها مهيمنة على الخطاب بعامة .

وجرى تطبيق هذه الفرضية على كتاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) لمعاوية بن أبي سفيان ، وينقسم كتابه (عليه السلام) على ثلاث وحدات موضوعية فكانت بمثابة عتبات للنص عند تحليله ، اصطنع لها البحث عنوانات :

العتبة الأولى / (قطع صلة الخصم بالحجة)

العتبة الثانية / (مقام المتكلم وفضله) ، (فضل آل محمد)

العتبة الثالثة / (قلب الحجج)

النص بعتباته الثلاثة المفترضة تهيمن عليه استراتيجية التهميش والتقليل من شأن المخاطب (معاوية بن أبي سفيان) وحطه عن مقام الند والنظير للمتكلم (أمير المؤمنين) (عليه السلام) .

وقد عمد البحث لتوظيف آليات الحجاج للتحقق من فرضية البحث .

توطئة :

يتأسس الحجاج على فكرة الإقناع واستمالة أذهان السامعين فموضوع الحجاج « هو درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من طروحات أو أن تزيد من درجة ذلك التسليم »[١] .

و ((الحجاج عملية اتصالية تعتمد الحجة المنطقية بالأساس وسيلة لإقناع الآخرين والتأثير فيهم))[٢] . إنَّ طبيعة المتلقي هي التي تحدد شكل الخطاب إن كان خطاباً حجاجياً أم إقناعياً فمتى ما سلَّم المتلقي بالمقدمات ((التي قدَّمها المتكلم فهو مقتنع من طرفه ، ومتى ما ردَّها أو رفضها فهو محاجج ، ويتمثل ردّ ورفض المتلقي في استخدمه [كذا] لحجج قد تعيق حجج المتكلم من بلوغ هدفه))[٣] .

ويتأسس النص الحجاجي على ستة مكونات : النتيجة (الدعوى) ، والمقدمات ، والتبرير ، والدعامة ، ومؤشر الحال ، والتحفظات[٤] .

وبناء على متقدم يطرح البحث أسئلته :

- إذا كانت الغاية من الحجاج هي الإقناع فهل كان الإمام (عليه السلام) قاصداً إقناع معاوية حين ردَّ عليه ؟
- هل تحققت القناعة عند معاوية بعد قراءته لكتاب أمير المؤمنين (عليه السلام) ؟

والجواب عن السؤال الثاني: (لا) بدليل استمرار معاوية في قتال أمير المؤمنين بل وقتال ابنه الحسن (عليه السلام) من بعده .

- إذن ما الذي دفع أمير المؤمنين إلى المحاجة ؟

للإجابة على هذه الأسئلة أقول : لابدَّ من الإدراك أنَّ للنص طبقات من

المتلقين، ولكتاب أمير المؤمنين جملة متلقين: المتلقي الأول هو معاوية بن أبي سفيان وهو المخاطب المباشر لهذا الكتاب، إذ كان الباعث على كتابة أمير المؤمنين لهذا الكتاب هو الرد على كتاب سابق أرسله معاوية لأمير المؤمنين.

والمتلقي الثاني هم الناس بعامة سواء أكانوا من أنصار معاوية أم من أنصار أمير المؤمنين إذ كانت الكتب تقرأ في الأمصار على هيأة خطب[٥]، وبناء عليه فإنَّ لكل طبقة منهم مرتبة من مراتب الحجاج تمارس عليه من قبل المتكلم، فمن كان منهم يسمع فيقنع فحجاجه إقناعي أما من يسمع ويحاجج وينكر فينتقل الحجاج معه إلى مرتبة الإفحام.

وهذا ما يدفعنا إلى القول بأن الإمام (عليه السلام) لم يستهدف معاوية بالإقناع لأنَّه (عليه السلام) ذكر غير مرة بأنَّه لا يوجه خطابه لمعاوية، ومن قبيل ذلك قوله (عليه السلام): «ألا ترى – غير مخبر لكَ - ولكن بنعمة الله أحدث»[٦]. وقال أيضاً: «وهذه حُجتي إلى غيرك قصدها»[٧].

إنَّ تعاليه (عليه السلام) عن محاججة معاوية يستهدف إسقاط معاوية من مرتبة الكفء والنظير في الحجاج؛ لذا يعلن الإمام أنَّه يوجه خطابه لغيره وليس له فهو ليس أهل للمناظرة والحجاج.

وعليه يكون الهدف من الحجاج إقناع الناس بزيف حجج معاوية وردِّها عليه، وهو إلى جانب الإقناع للمتلقين يحقق الكشف عن الحقيقة وإبطال زيف معاوية وإفحامه وإسكاته، وبهذا يكون الحجاج في كتاب أمير المؤمنين استهدف إقناع المتلقين الثواني (معسكر أمير المؤمنين و معسكر معاوية) وإفحام المتلقي الأول (معاوية).

إستراتيجية الخطاب الحجاجي :

أزعم بأنَّ لكل خطاب حجاجي إستراتيجية تحكمه تتجلى عبر آليات الحجاج المنطقية ، واللغوية فتجد أنَّ أدوات الحجاج في مجملها وظفت بعناية لخدمة هذه الإستراتيجية بوصفها مهيمنة على الخطاب بعامة .

وقد وضع أمير المؤمنين تهميش معاوية والاستخفاف بمقامه إستراتيجية لخطابه الحجاجي في هذا الكتاب ، وقد تأتى له (عليه السلام) ذلك عبر جملة أمور :

أولاً / إشعار معاوية بأنَّ الخطاب غير موجه له ، وهو غير مستهدف بهذه الحجج ، في إشارة واضحة للاستخفاف بشخصه وزحزحته عن مرتبة النظير المحاجج . وقد سبقت الإشارة إلى ذلك في التوطئة .

ثانياً / إزاحة معاوية من مركزيته في كتابه الذي وجهه إلى أمير المؤمنين إلى الهامش في كتاب أمير المؤمنين عبر قطع علاقته وبت صلته -أعني معاوية- بالتهم التي كالها لأمير المؤمنين في كتابه ، وسيأتي تفصيل هذا .

ثالثاً / قلب الحجج : استعمل الإمام (عليه السلام) حجج معاوية ذاتها في الرد عليه ، فتحولت حجج معاوية الداعمة لموقفه حجج داعمة لموقف أمير المؤمنين ، مما جعل معاوية موضع سخرية بالحط من فطنته ، مما يعزز فكرة الضآله والهزال له في مقابل مقامه (عليه السلام) .

العتبة الأولى : (قطع صلة الخصم بحجته) :

يشتمل هذا الجزء من الخطاب على حجتين مختومتين بحكم ، وهما :

الحجة الأولى:

افتتح معاوية كتابه بذكر رسول الله (صلى الله عليه وآله) وفضله فقال : ((**أما بعد فإنَّ الله تعالى جدُّه اصطفى محمداً (عليه السلام) لرسالته ، واختصّه بوحيه وتأدية شريعته، فأنقذ من العماية ، وهدى به من الغَواية ، ثم قَبَضه إليه رشيداً حميداً ، قد بلَّغ الشَّرع ، ومَحَقَ الشِّرك ، وأخمَدَ نار الإفْك ، فأحسن الله جزاءَه ، وضاعفَ عليه نعَمَه وآلاءه**))[٨] .

فرد عليه (عليه السلام) بقوله : ((**أما بعد فقد أتاني كِتابُكَ تذكُرُ فيه اصطفاءَ الله محمداً صلى الله عليه وآله لدينِهِ ، وتأييدَهُ[٩] إيَّاه بمن أيَّدَهُ من أصحابِهِ ؛ فلقد خبَّأ[١٠] لنَا الدَّهرُ منكَ عَجَباً ؛ إذ طفقتَ تُخبِرُنا ببلاءِ الله عندنا ، ونعمه علينا في نبينا ، فكنتَ في ذلك كناقل التمر إلى هَجَرَ ، أو داعي مُسَدِّدِهِ إلى النضال**))[١١] .

يبعث ردُّ الإمام (عليه السلام) لا شعورياً على الابتسام ، إذ وضع معاوية موضع السخرية باستعماله حجة لا حجة له فيها بتركيزه (عليه السلام) على المفارقة في كلام معاوية ، فاستعمل (عليه السلام) القياس المضمر في الرد عليه ويمكن تمثله على النحو الآتي:

- المقدمة الصغرى : (نحن آل محمد)
- المقدمة الكبرى : (نعمة الله على محمد واصطفائه إياه)
- النتيجة : إذن محمد (صلى الله عليه وآله) وآله أصحاب هذا الفضل .

النتيجة الضمنية : (سذاجة طرح معاوية بتعريف آل محمد بنعم الله على محمد وآله (صلى الله عليه وآله)) .

التمثيل :

المثل هو : ((قول في شيء يشبه قولاً في شيء آخر بينهما مشابهة ليبين أحدهما للآخر ويصوره))[١٢] ولم يغب عن ذهن خطباء العربية ما للمثل من أثر إقناعي في نفس المتلقي إذ يقوم المثل مقام الدليل فيؤثر في نفس متلقيه مثل تأثير الدليل والحجة[١٣]. ولم يفت أمير المؤمنين(عليه السلام) أن يوظف التمثيل كوسيلة للإقناع والافحام في آن واحد ، إذ دعم (عليه السلام) حجته بحجة غير مصنوعة[١٤] وهي المثل العربي المتداول: (**فكنتَ في ذلك كناقل التمر إلى هَجَرَ**) ، دعماً للنتيجة المبتغاة ، بل دعمها بحجة أخرى مبتكرة (مصنوعة)[١٥] من قبله ارتكز فيها على التشبيه الذي حذفت منه أداة التشبيه للعلم بها فقال (عليه السلام) : (**داعي مُسَدِّدِهِ إلى النضال**) والتقدير (كداعي) بدلالة العطف بـ(أو) .

وكان معاوية قد ساق كلامه هذا في فضل الرسول (صلى الله عليه وآله) ليكون قاعدة مشتركة متفق عليها مع متلقي الخطاب جميعاً ومنهم أمير المؤمنين (عليه السلام) ، في محاولة منه لاستدراج متلقي خطابه إلى الإذعان والتسليم ، وقد وسمت هذه الاستراتيجية في الأدبيات الحجاجية الغربية بـ(لعبة الولاء الكاذب) ، إذ يقصد المجادل أن يقود خصمه إلى قبول الدليل المطروح فيأخذ فكرة الدليل من متعلقات الخصم نفسه لتكون أعظم تأثيراً فيه[١٦] ، قال ابن وهب : ((وحق الجدل أن تنبئ مقدماته بما يوافق الخصم عليه ، وإن لم يكن نهاية الظهور للعقل ، وليس هذا سبيل البحث؛ لأنَّ حق الباحث أن يبني مقدماته بما هو أظهر الأشياء في نفسه))[١٧] ، لكن ما يبعث على الدهشة أنَّه حتى المسلمات من الأمور لم تسلم لمعاوية في كتابه هذا ، وإن لم تكن هي غايته و ما يتلوها من الكلام هو جوهر حجته - لله درك يا سيدي يا أبا الحسن -فقد قطع عليه السبيل الموصل إلى الحجة.

الحجة الثانية :

قال معاوية : ((**إنَّ الله سبحانه اختصَّ محمداً (عليه السلام) بأصحابٍ أيّدوه وآزروه ونصروه وكانوا كما قال الله سبحانه - :أشداء على الكفار رحماء بينهم-**[١٨]، **فكان أفضلهم مرتبة ، وأعلاهم عند الله والمسلمين منزلة ، الخليفة الأول الذي جمع الكلمة ، ولمَّ الدعوة ، وقاتل أهلَ الرِّدّة ، ثم الخليفة الثاني الذي فتح الفتوح ، ومصَّر الأمصار ، وأذلَّ رقاب المشركين ، ثم الخليفة الثالث المظلوم الذي نشر الملَّة وطبّق الآفاق بالكلمة الحنيفية**))[١٩] .

يستمر أمير المؤمنين (عليه السلام) باستراتيجيته القائمة على تسفيه مزاعم معاوية ، فيرد على كلامه المتقدم بقوله (عليه السلام) : ((**وزعمت أن أفضل الناس في الإسلام فلان وفلان ، فذكرت أمراً إنْ تمَّ اعتزلكَ كُلُّهُ ، وإنْ نَقَص لم يلحقكَ ثَلْمُهُ . وما أنتَ والفاضلَ والمفضولَ والسائسَ والمسوسَ ! وما للطلقاء وأبناء الطلقاء والتمييز بين المهاجرين الأولين وترتيب درجاتهم ، وتعريف طبقاتهم ! هيهات لقد حنَّ قِدْحٌ ليس منها ، وطفق يحكم فيها مَن عليهِ الحكم لها !**))[٢٠] .

تراه (عليه السلام) لم يناقش مدى صحة كلام معاوية وصواب حجته -وهذا ما كان معاوية ينوي استدراج الإمام إليه- إذ ظنَّ معاوية أنَّ الإمام (عليه السلام) سيفاضل بينه (عليه السلام) وبين الصحابة ويُظهر سبقه عليهم ، ولـمَّا كان لهذه المفاضلة مَن هو مؤيد أومعارض، فإن معاوية يحاول ضم المعارضين لهذه المفاضلة إلى صفه وإن كانوا هم أنفسهم غير راضين عن معاوية وأفعاله وسيرته، فيتخذ معاوية من تقديم الإمام نفسه على الشيخين حجة ضده (عليه السلام)، لكنَّه سرعان ما أدرك فخاخ معاوية وفوَّت عليه ذلك ، فصوَّب حجته لمعاوية نفسه فجرَّده من برهانه وأخرجه خارج دائرة حجته (فذكرت أمراً إنْ تمَّ اعتزلكَ

كُلُّهُ ، وإنْ نَقَص لم يلحقكَ ثَلْمُهُ) بلحاظ التشكيل الأسلوبي للحجة المرتكزة على التوازي التركيبي بين (إنْ تمَّ اعتزلكَ كُلُّهُ ، وإنْ نَقَص لم يلحقكَ ثَلْمُهُ) وما ينطوي عليه من مفارقة ضمنها التقابل الدلالي بين (تم -نقص ، و كله- ثلمه) الذي أفضى إلى تناغم إيقاعي يؤثر في استمالة متلقيه للجمالية التي أكسبها هذا الايقاع للنص.

ثم أردف (عليه السلام) مستفهماً باستفهام حجاجي[٢١] ، خارج مخرج التعجب المشوب بالسخرية : (وما أنتَ والفاضلَ والمفضولَ والسائسَ والمسوسَ !) وأعقبه باستفهام آخر يحمل الغرض نفسه : (وما للطلقاء وأبناء الطلقاء والتمييز بين المهاجرين الأولين ... !).

ثم عزز حجته بشاهد من كلام العرب ؛ وذلك لأن الشواهد المأثورة بمثابة برهان جاهز قد ألفه الناس وتسالموا على صوابه : (لقد حنَّ قِدْحٌ ليس منها) .

أفضت هذه الحجة إلى تجريد معاوية من استدلالاته جمعاء بل غدا صغير الشأن ضئيل المقام ؛ وليُحكم (عليه السلام) طوق التحجيم حوَّل خطابه من التعجب المشوب بسخرية إلى التوبيخ والتقريع ، إذ قال (عليه السلام) :

((ألا تربع أيّها الإنسان على ظَلَعِكَ[٢٢] ، وتعرف قصور ذرْعِكَ ، وتتأخر حيث أخَّرَك القَدرُ ! فما عليك غلبةُ المغلوب ولا ظفرُ الظافرِ ! وإنَّكَ لذهَّاب في التيه ، روَّاغٌ في القصد))[٢٣] .

في هذا المقطع من كلام أمير المؤمنين تحددت المواقع (وتتأخر حيث أخَّرَك القَدرُ) وكشفت هوية معاوية بجلاء (وإنَّكَ لذهَّاب في التيه ، روَّاغٌ في القصد) وكأنَّ هذه العبارة لب القول ، إذ تخير لها (عليه السلام) عناصر لغوية تخدم دلالتها فانتخب لوصف معاوية صيغة المبالغة (فعَّال) في (ذهَّاب ، و روَّاغ) ليسبغ

دلالـة التكثـير والمبالغـة عـلى الوصـف ، فضـلاً عـن تأكيـد العبـارة بمؤكديـن : (إنَّ ، والـلام) ، فتختتـم هـذه الحجـة بهـذا الحكـم .

العتبة الثاني / وعنوانها (فضل آل محمد) :

بعـد أن أصـدر الإمـام حكمـه بمعاويـة التفـت إلى بيـان فضـل آل محمـد عـلى سـائر المسـلمين بقولـه : ((**ألا تـرى - غـير مخـبر لـك ولكـن بنعمـة الله أُحـدث- أنَّ قومـاً استُشْـهدوا في سـبيل الله تعـالى مِـن المهاجريـن والأنصـارِ ، ولـكلٍّ فضـلٌ ، حتـى إذا استُشـهد شـهيدُنا قيـل : سـيّد الشـهداء ، وخصَّـه رسـول الله -صـلى الله عليـه وآلـه- بسـبعين تكبـيرةً عنـد صلاتِـهِ عليـه ! أولا تـرى أنَّ قومـاً قُطعـتْ أيدِيهِـم في سـبيل الله - ولـكلٍّ فضـلٌ - حتى إذا فُعل بواحدنـا مـا فُعِـل بواحدهـم ، قيـل : الطيـار في الجنـة وذو الجناحـين ... لم يمنعنـا قديـم عزِّنـا ، ولا عـادي طولِنـا عـلى قومـكَ أن خالطناكـم بأنفسِـنا ؛ فنكحنـا وأنكحنـا فِعـلَ الأكفـاء ، ولسـتم هنـاك ! وأنَّـى يكـون ذلـك ومِنَّـا النبـي ومنكـم المكـذب ، ومنـا أسـد الله ومنكـم أسـد الأحـلاف ، ومنـا سـيدا شـباب أهـل الجنـة ، ومنكـم صبيـة النـار ، ومنَّـا خـير نسـاء العالمـين ومنكـم حمّالـة الحطـب ، في كثـيرٍ ممـا لنـا وعليكـم ! فإسـلامنا قـد سُـمع ، وجاهليتُنـا لا تُدفـع ، وكتـاب الله يجمـع لنـا مـا شـذَّ عنَّـا ، وهـو قولـه سـبحانه : ﴿وَأُولُـوا الْأَرْحـامِ بَعْضُهُـمْ أَوْلى بِبَعْـضٍ فِي كِتـابِ اللهِ﴾ [٢٤] وقولـه تعـالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّـاسِ بِإِبْراهِيـمَ لَلَّذِيـنَ اتَّبَعُـوهُ وَهـذَا النَّبِـيُّ وَالَّذِيـنَ آمَنُـوا وَاللهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِـينَ﴾ [٢٥] فنحـن مـرة أولى بالقرابـة وتـارة أولى بالطاعـة**))[٢٦] .

يفتتـح (عليـه السـلام) هـذا المقطـع بقولـه : (ألا تـرى غـير مخـبر لـك ولكـن بنعمـة الله أُحـدث) مؤكـداً هامشـية معاويـة ، إذ يأنـف (عليـه السـلام) مـن توجيـه الخطـاب لـه ، وكأنَّ الخطـاب تحـول إلى إقنـاع المتلقـي الثـاني وهـم النـاس جميعـاً سـواء كانـوا مـن أنصـار أمـير المؤمنـين أم مـن أنصـار معاويـة نفسـه ، يأخـذ (عليـه السـلام) بالكشـف عـن

فضائل آل محمد بعد أن أحكم تهميش معاوية ، ولمّا كان (عليه السلام) رأس بني عبد المطلب في زمانه مما يضمن له (عليه السلام) المركزية في الخطاب فهو بؤرة الفضل ، في مقابل موقعية معاوية الهامشية.

وتكسب المفارقة في الموازنة التي عقدها أمير المؤمنين بين آل محمد وبني أمية النص جمالاً وعمقاً لتكون أُساً للاقناع بتوظيف المتوازيات التركيبية :

- مِنَّا النبي ، ومنكم المكذب
- منا أسد الله ، ومنكم أسد الأحلاف
- منا سيدا شباب أهل الجنة ، ومنكم صبية النار
- منَّا خير نساء العالمين ، ومنكم حمّالة الحطب .

ولا يفوته (عليه السلام) تعزيز كلامه بشواهد قرآنية بوصفها أدلة قاطعة لتدعيم صحة ما ذهب إليه ، فيكون بذلك ألقى الحجة على خصمه وألزمه الصمت إزاء ما ذكر . ثم ختم (عليه السلام) حججه بأسلوب التوازي التركيبي (فنحن مرة أولى بالقرابة / وتارة أولى بالطاعة) القائم على بنية المماثلة بين (مرة / تارة ، القرابة / الطاعة) فضلاً عن تكرار (أولى) ، مما يكسب النص نغمة مستحبة يستسيغها المتلقي .

العتبة الثالثة / (قلب الحجج) :

يستمر أمير المؤمنين بسياسة بت الصلة بين معاوية وما يرصده من مآخذ على أمير المؤمنين فيتعالى (عليه السلام) على مناقشة فحوى الحجة ومن قبيل ذلك ردّه (عليه السلام) على قول معاوية :

((لقد حسدتَ أبا بكر والتَويتَ عليه ، ورُمتَ إفسادَ أمره ، وقعدت في

بيتك ، واستغويتَ عصابة من الناس حتى تأخروا عن بيعته ، ثم كرهتَ خلافة عمر وحَسَدته واستطلت مدته ، وسررتَ بقتله ، وأظهرت الشماتة بمصابه ، حتى حاولت قتلَ ولدِه لأنه قتل قاتل أبيه ، ثم لم تكن أشدَّ منك حسداً على ابن عمك عثمان ، نشرت مقابحه ، وطويت محاسنه ...))[٢٧] .

ويجمل الإمام (عليه السلام) الرد على تهمة الحسد هذه بقوله :

((وزعمت أني لكلّ الخلفاء حسدت وعلى كلّهم بغيت: فإن يكن ذلك كذلك فليس الجناية عليك فيكون العذر إليك.

*** وتلك شكاة ظاهر عنك عارها[٢٨] *))**[٢٩] .

إنَّ قطع صله معاوية بالتهمة التي ألصقها بأمير المؤمنين حجة تمعن في تسفيه موقفه أمام أصحابه ومريديه . وقد استعمل الإمام لسبك حجته بناء أسلوبياً قائماً على المفارقة الناتجة من التوازي في قوله : (فليس الجناية عليك / فيكون العذر إليك) باستثمار المتقابلات : (الجناية – العذر، و إليك – عليك) وما فيهما من أثر في جمالية الإيقاع المؤثر، ولا يعزب عن بالنا أثر المفارقة في تعزيز إستراتيجية الاستخفاف والسخرية من موقعية معاوية في الخطاب .

ثم يتحول الإمام (عليه السلام) في هذا الجزء من الكتاب إلى ردِّ التهم التي كالها عليه معاوية ، لكنَّه (عليه السلام) لا ينكرها أو يبررها بل يعتمد إستراتيجية قلب الحجة على صاحبها ، إذ يتحول برهان الخصم إلى حجة عليه ، وهذا الأسلوب في الحجاج لا يفارق الإستراتيجية العامة التي اتبعها الإمام في التحاجج مع معاوية وأعني سياسة التهميش وتسفيه الرؤى والأقوال ، كرده على قول معاوية :

((وما من هؤلاء إلا مَنْ بغيت عليه ، وتلكأت في بَيعته ، حتى حُملتَ إليه قهراً، تساق بخزائم الأقسار كما يُساق الفحل المخشوش))[٣٠] .

بقوله (عليه السلام) :

((وقلت: إني كنت أقاد كما يقاد الجمل المخشوش[٣١] حتى أبايع ، ولعمر الله، لقد أردت أن تذمّ فمدحت، وأن تفضح فافتضحت، وما على المسلم من غضاضة في أن يكون مظلوما ما لم يكن شاكاً في دينه، ولا مرتاباً بيقينه ، وهذه حجّتي إلى غيرك قصدها، ولكني أطلقت لك منها بقدر ما سنح من ذكرها))[٣٢] .

فتراه (عليه السلام) يقلب حجة معاوية لصالحه (عليه السلام) فتكون له وليست عليه ، فضلاً عن الاستخفاف بفكر معاوية بقوله (عليه السلام) : (ولعمر الله ، لقد أردت أن تذمّ فمدحت ، وأن تفضح فافتضحت) فأثبت (عليه السلام) أنَّ معاوية لا يحسن التفكير والقول فعادت سهامه إلى نحره ، يتناغم هذا مع البناء الفني لهذه الحجة بتوظيف التقابل الدلالي المفضي إلى مفارقة مدهشة في قالب متوازٍ إيقاعياً وتركيبياً :

(أردت أن تذمّ فمدحت / وأن تفضح فافتضحت) ، ومثله جاء بناء قوله : (لم يكن شاكاً في دينه/ ولا مرتاباً بيقينه) غير أنَّه تأسس على بنية المماثلة ؛ وقد تكرر غير مرة أنَّ بنية التوازي التركيبي الإيقاعي حين يكون مقتضاها متعلق بمعاوية تجدها مؤسسة على التقابل الدلالي المفضي إلى المفارقة ، على حين يتمحور التوازي على بنية المماثلة حين يكون فحوى الكلام متعلق بأمير المؤمنين أو آل بيت النبي (صلى الله عيه وآله وسلم) ، وهذا يدعم مذهبنا في تطويع المفارقة لخدمة خطاب الاستخفاف والتهميش الذي انتهجه أمير المؤمنين تجاه معاوية في هذا الكتاب .

ولا يغادر (عليه السلام) هذه الحجة حتى يؤكد تعاليه (عليه السلام) على خطاب معاوية : (وهذه حجّتي إلى غيرك قصدها) استجابة للإستراتيجية المهيمنة على الخطاب .

والحجة الوحيدة التي صرّح (عليه السلام) بأنّها موجهة لمعاوية : (ثم ذكرت ما كان من أمري وأمر عثمان: ولك أن تجاب عن هذه لرحمه منك) .

أعتمد فيها (عليه السلام) سياسة قلب الحجة بقوله :

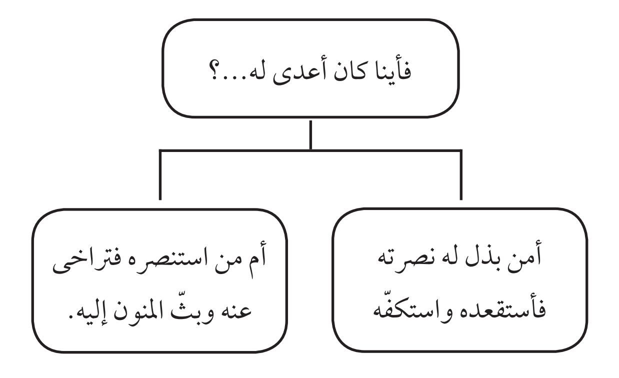
((فأينا كان أعدى له وأهدى إلى مقالته ؟ أمن بذل له نصرته فاستقعده و استكفّه ؟ أم مَن استنصره فتراخى عنه وبثّ المنون إليه ، حتى أتى قدره عليه ؟

كلّا والله لـ ﴿**قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا**﴾[٣٣]، وما كنت أعتذر من أنّي كنت أنقم عليه أحداثا ، فإن كان الذنب إليه إرشادي و هدايتي له ، فرُبَّ ملوم لا ذنب له .

*** وقد يستفيد الظنّة المتنصّحُ[٣٤] ***

﴿ **وما أردت إِلَّا الْإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ * وَ ما تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهِّ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ**﴾[٣٥]))[٣٦] .

وهنا وظَّف (عليه السلام) في كلامه المفارقة التركيبية منتخباً لها الاستفهام الحجاجي الخارج مخرج التعجب قالباً تركيبياً ، التي يمكن ترسيمها على النحو الآتي:



داعماً حجته بالدليل القرآني الذي ينطبق على حال معاوية مع عثمان ، فيقلب (عليه السلام) السحر على الساحر ، ثم يكشف (عليه السلام) عن حقيقة موقفه مع عثمان مسلطاً الضوء على الثنائية الضدية :

- (الملوم لا يساوي المذنب) في قوله : (فربّ ملوم لا ذنب له)
- (الناصح لا يساوي المتهم) في قول الشاعر : (وقد يستفيد الظنّة المتنصّح).

ويختتم معاوية كتابه بتهديد يوجهه للإمام وأصحابه :

((وليس لك ولأصحابك عندي إلا السيف . والذي لا إله إلا هو لأطلُبنّ قتلة عثمان أين كانوا ...))[٣٧] .

وقد ردَّ (عليه السلام) على هذا التهديد باستخفافه المعهود بكلام معاوية :

((وذكرت أنه ليس لي عندك ولأصحابي إلا السيف : فلقد أضحكت بعد استعبار : متى ألفيت بنو عبد المطلب عن الأعداء ناكلين ، وبالسيوف مخوّفين!))[٣٨] .

مرتكزاً فيه على أمرين : الأول هو التصريح بالسخرية من تهديد معاوية : (فلقد أضحكت بعد استعبار) ، والثاني انتخاب الاستفهام الخارج لمعنى التعجب : (متى ألفيت بنو عبد المطلب ...) وتحديداً الاستفهام بـ(متى) الدالة على الزمان التي تتواشج مع قوله لاحقاً : (وسيوف هاشمية ، قد عرفت مواقع نصالها في أخيك وخالك وجدّك وأهلك) في إحالة واضحة على أيام بني عبد المطلب على بني أمية ولاسيما ببدر ، ولا يفوتنا الثنائية التركيبية : (عن الأعداء ناكلين / وبالسيوف مخوّفين) فتجد بنية التوازي ترتكز على التماثل الدلالي بين (ناكلين[٣٩] / مخوفين) ، وقد تقدم القول : إنَّ التوازي ينعقد في الغالب على المماثلة حين يتعلق الأمر به (عليه السلام) أو بآل البيت ، فتكون العبارة الثانية بمثابة التوكيد للعبارة الأولى .

قطاف البحث :

للبحث قطاف أضعها بين يدي القارئ منها :

- ينتمي كتاب أمير المؤمنين عليه السلام بوصفه خطاباً إلى حقل الخطابات السياسية ، والخطاب السياسي أيَّما كان فضاؤه فلا بدَّ له من متلقٍ مؤيد وآخر معارض ، لكن الجديد في هذا الخطاب هو وجود متلقٍ أول (معاوية) ومتلقٍ ثانٍ (أنصار أمير المؤمنين و أنصار معاوية والناس جميعاً) ، ولما كان المتلقي الأول معاند لم يقتنع من قبل ولن يقنع فقد كان أمام خطاب أمير المؤمنين مهمتين : الأولى ردّ حجج المتلقي الأول وافحامه ، وتحقيق الإقناع للمتلقي الثاني .
- ينطلق البحث من فرضية مفادها أنَّ لكل خطاب حجاجي استراتيجية تحكم النص وتوجه آلياته الحجاجية : لغوية كانت أم منطقية ، وهكذا كان هذا الخطاب ، إذ كانت استراتيجية الاستخفاف والتهميش هي الاستراتيجية المهيمنة على مفاصله فاستجابت لها عناصر النص بوضوح.
- يغلب على الحجاج في هذا الخطاب الابتداء بالمقدمات ثم الدعوى (النتيجة) سواء كانت النتيجة ضمنية أم صريحة ثم يدعم حجته بالأدلة ، وهذا هو الشكل الذي يتسم بالمنطقية وهو أُس الحركة الحجاجية المتنامية في الخطاب ، وهو الشكل الذي يغلب على الخطابة العربية عموماً .
- يهيمن على خطابه عليه السلام تبني دعوى مركزية واحدة تمثلت بافتضاح أكاذيب خصمه ، وإن كانت هناك دعاوى ثانوية إلا أنها في جوهرها جزء من الدعوى الأم .
- أزعم أنَّ الإمام في خطابه هذا ركز على رصد النكت في كلام خصمه فبنى

مقدماته عليها ، ولا يُعنى كثيراً بكلامه كله ، ومن قبيل ذلك :

١- ذكر معاوية فضل الله على الرسول الكريم (صلى الله عليه و آله وسلم).

٢- المفاضلة بين الصحابة السابقين في الإسلام .

٣- مظلومية الصحابي عثمان بن عفان .

- بعد انتخاب الحجج التي اطلقها الخصم عمد أمير المؤمنين إلى ردِّها على وفق استراتيجيته (الاستخفاف) لكنَّه نوَّع بطريقة توظيفها فكانت على النحو الآتي :

١- قطع صلة الخصم بحجته : وقد وظفها (عليه السلام) في ردِّ الحجتين (١ ، ٢) من النقطة السابقة .

٢- قلب الحجة : عمد (عليه السلام) إلى توظيف حجج خصمه عليه كحجج داعمة لموقفه من خلال قلب هذه الحجة على منتجها (معاوية) كما جرى مع الحجة (٣) في النقطة السابقة .

- يحرص عليه السلام على تدعيم حججه بآيات من القرآن الكريم أو الشعر العربي والحكم والأمثال المأثورة ، لما لها من أثر في إقناع وإفحام متلقيه .

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين .

هوامش البحث:

١. أهم نظريات الحجاج : ٣٠٠
٢. النص والخطاب والاتصال : ١٤٩
٣. مصطلح الحجاج بواعثه وتقنياته : ٢٧٥ ، عباس حشاني (مجلة المخبر ، ع ٩ ، لسنة ٢٠١٣)
٤. ينظر النص والخطاب والاتصال : ١٤٨
٥. ينظر شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد) : ١٥ / ١١٣

٦. نهج البلاغة : ٤٦٨

٧. نفسه : ٤٧٠

٨. شرح نهج البلاغة : ١٥ / ١١٦

٩. ورد بشرح محمد عبده (تأييدَهِ) والصواب ما أُثبت في المتن .

١٠. ورد عند ابن أبي الحديد (خَبَأ) بتخفيف الباء والصواب ما أثبت من شرح محمد عبده .

١١. نهج البلاغة : ٤٦٧

١٢. مفردات في غريب القرآن : ٧٠٠

١٣. ينظر الجدل في القرآن ، (الرازي) : ٢٣٢ – ٢٣٣

١٤. الحجة غير المصنوعة : والمقصود بها تلك الحجة التي لم نبتكرها نحن بل هي موجودة قبلاً كالشهود والصكوك والحوادث ، ومنها ما شاع في الخطبة العربية من تضمين الخطب آيات قرآنية أو حكم وأمثال مأثورة عن السلف ، فضلاً عن الشعر العربي ، وتكتسب هذه الحجج قوتها التأثيرية من مصدرها ومصادقة الناس عليها . (ينظر بلاغة الخطاب الإقناعي : ٢٤، ٩٠) .

١٥. الحجة المصنوعة : ويراد بها كل ما يمكن إيجاده من لدن المتكلم من أدلة ينسجها بفطنته وذكائه واجتهاده . (ينظر في بلاغة الخطاب الإقناعي ، محمد العمري : ٢٤)

١٦. ينظر النص والخطاب والاتصال : ١٥٤

١٧. البرهان في وجوه البيان : ١٧٩

١٨. الفتح : ٢٩

١٩. شرح نهج البلاغة : ١٥ / ١١٦

٢٠. نهج البلاغة : ٤٦٧ – ٤٦٨

٢١. الاستفهام الحقيقي هو أن يوافق لفظه معناه ، وهو طلب الفهم وانتظار الإجابة من المخاطب، على حين في الاستفهام الحجاجي يسأل المتكلم عمَّا يعرفه ويفهمه وقد أطلق عليه البلاغيون العرب مصطلح (الاستفهام المجازي) ويريدون به خروج الاستفهام عن معناه الحقيقي (طلب الفهم) إلى معان مجازية كالتعجب والإنكار وغيرها . (لمزيد من التفصيلات ينظر في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات : ٣٨ ، و آفاق جديدة في البحث النحوي المعاصر : ٧٩) .

٢٢. وردت عند ابن أبي الحديد (ظَلْعك) بسكون اللام ، ينظر شرح نهج البلاغة : ١٥ / ١١٣

٢٣. نهج البلاغة : ٤٦٨

٢٤. الأنفال : ٧٥

٢٥. آل عمران : ٦٨

٢٦. نهج البلاغة : ٤٦٨ – ٤٦٩

٢٧. شرح نهج البلاغة : ١٥ / ١١٧

٢٨. البيت لأبي ذؤيب الهذلي وتمامه:

وعَيَّرها الواشونَ أنّي أُحبُّها ❋ وتلكَ شكاةٌ ظاهرٌ عنكَ عَارُهَا

ديوان أبي ذويب : ٦٤

٢٩. نهج البلاغة : ٤٧٠

٣٠. شرح نهج البلاغة : ١٥ / ١١٧

٣١. والخِشاش هو ادخال خشبة في عظم أنف البعير لينقاد وخششت البعير فهو مخشوش . ينظر لسان العرب : (خشش) : ٦ / ٢٩٦

٣٢. نهج البلاغة : ٤٧٠

٣٣. الأحزاب : ١٨

٣٤. البيت في جمهرة الأمثال منسوب لعمارة بن عقيل : ٢ / ١٦١ ، وفي التذكرة الحمدونية منسوب للأقرع الآبي : ٧ / ١٠١ ، وتمامه :

وكم سُقتُ في آثاركُم من نصيحةٍ ❋ وقد يستفيدُ الظِّنَّةَ المتنصحُ

٣٥. هود : ٨٨

٣٦. نهج البلاغة : ٤٧١

٣٧. شرح نهج البلاغة : ١٥ / ١١٧

٣٨. نهج البلاغة : ٤٧١

٣٩. الناكل : الجبان الضعيف ، ينظر لسان العرب : (نكل) ١١ / ٦٧٨ .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، د. محمود أحمد نحلة ، دار المعرفة الجامعية ، ٢٠٠٢م .

٢. أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، فريق البحث في البلاغة والحجاج ، اشراف حمادي صمود ، من مطبوعات كلية الآداب بمنوبة / جامعة الآداب والفنون والعلوم الانسانية ، تونس (١) .

٣. البرهان في وجوه البيان ، تأليف أبي الحسن اسحق بن ابراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب ، تحقيق وتقديم الدكتور محمد حفني شرف ، مكتبة الشباب ، مطبعة الرسالة ، مصر .

٤. التذكرة الحمدونية ، تأليف محمد بن الحسن بن محمد بن علي الشهير بابن حمدون ، تحقيق إحسان عباس ، و بكر عباس ، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط١ / ١٩٩٦م .

٥. جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري (٤٠٠هـ) حققه وعلَّق عليه محمد أبو الفضل إبراهيم ، وعبد المجيد قطامش ، دار الجيل ، ودار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط٢ / ١٩٨٨م .

٦. ديوان أبي ذؤيب الهذلي ، تحقيق وتخريج الدكتور أحمد خليل الشال ، مركز الدراسات والبحوث الإسلامية ، بور سعيد ، مصر ،ط١ ، ٢٠١٤ م .

٧. شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ، تحقيق : محمد إبراهيم ، دار الكتاب العربي ، بغداد ، ط١ ، ٢٠٠٧م .

٨. في بلاغة الخطاب الإقناعي ، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية

، الخطابة في القرن الأول انموذجاً ، تأليف الدكتور محمد العمري ، افريقيا الشرق ، بيروت ، لبنان ، ط٢/ ٢٠٠٢م .

٩. في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات ، الدكتور عبد الله صولة ، مسكيلياني للنشر و التوزيع ، تونس ، ط١ / ٢٠١١م .

١٠. لسان العرب ، لأبي الفضل جمال الدين بن منظور(٧١١هـ) ، دار صادر ، لبنان.

١١. مصطلح الحجاج بواعثه وتقنياته ، الاستاذ عباس حشاني ، مجلة المخبر ، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري ، جامعة بسكرة ، الجزائر ، العدد (٩) لسنة ٢٠١٣م .

١٢. المفردات غريب القرآن ، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني (٥٠٢هـ) مكتبة نزار مصطفى الباز ، د. ت .

١٣. النص والخطاب والاتصال ، الاستاذ الدكتور محمد العبد ، الاكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي ، القاهرة ، ٢٠١٤م .

١٤. نهج البلاغة الجامع لخطب ورسائل وحكم أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب عليه السلام شرح محمد عبده ،أشرف على تحقيقه وطبعه عبد العزيز سيد الأهل ، منشورات مكتبة التحرير ، د. ت .

١٥. نهج البلاغة ، وهو مجموع ما اختاره الشريف أبو الحسن محمد الرضي بن الحسن الموسوي من كلام أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب عليه السلام ، تحقيق الشيخ فارس حسون.

اعتماد كلام الامام علي (عليه السلام)
في المناهج التعليمية
وأثره في بناء الشخصية الإسلامية

الدكتور نـجم الفحّام
مستشار المحكمة الدولية لتسوية المنازعات
قاض في المحكمة

المقدمة:

إنّ الحديث عن عليّ عليه السلام وكلامه إنما هو حديث عن أهمّيّة معرفة دين الله عزّ وجلّ ، ومن ثمّ معرفة الإسلام الحقيقي الذي يريده الله تعالى من هذه الأمّة . وقبل الحديث ؛ لنا أنْ نتساءل : لماذا الإمام عليّ ؟.

نحاول أنْ نتّخذ من الآية المباركة ﴿**هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألْبَابِ**﴾ أنموذجا لعرض هاتين الحقيقتين اللتين نحن بصددهما.

فالقرآن الكريم هو معجزة الإسلام الخالدة وهو كتاب كريم لا يمسّه إلا المطهّرون ، والقرآن هو الذي يحتم علينا أنْ نعتمد كلام عليّ ع ليس في المناهج التعليمية وبناء الشخصية الإسلامية في هذا المحور (اللغوي والأدبي) من هذا المؤتمر المبارك حسب ، وإنّما في كلّ محور عقديّ أو فقهيّ أو قانونيّ أو سياسيّ أو إداريّ أو اقتصاديّ أو اجتماعيّ أو نفسيّ أو تربويّ أو أخلاقيّ ، أيّ محور يُراد له أنْ يسهم في بناء الإنسان وتجلّي الإنسانيّة فيه ، وتحفيزه على ممارسة دوره في عمارة الدنيا وما فيها وجني ثمار عمارتها في الآخرة وعدم الوقوع في الزيغ هذا أولا .

ويحتمه علينا ثانيا : الذي لا ينطق عن الهوى إنْ هو إلّا وحي يوحى رسول الإنسانية الصّادق الأمين صلى الله عليه وآله وسلّم الذي جعله وصيّه وواعي علمه وخليفته على أمّته وعلى تفسير كتاب الله عزّ وجلّ والداعي إليه والعامل بما يرضاه . كما سيتّضح لنا ذلك في أثناء البحث.

وثالثا : يحتمه علينا الواقع العملي والسّلوكي لأئمّة آل محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم ؛ إذ لم يسجّل لنا هذا الواقع يوماً أنّهم سُألوا عن شيءٍ ولم يُجيبوا ، ولم يُسجّل عليهم خطأ في إجابةٍ قالوها ؛ لأنّهم الرّاسخون في العلم ، وعليٌّ أوّلهم وأفضلهم وخيرهم بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلّم كما سيتضح لنا ذلك من خلال خطبه وكلماته . فنحن اليوم كمن كان قبلنا في مسيس الحاجة الى كلام عليّ وحتّى من لم يزل في أصلاب الرّجال ، وليس هذا بكثير على عليّ عليه السلام وهو وارث علم النّبيين صلوات الله وسلامه عليهم ، وإذا كان عيسى (عليه السلام) كلمة الله التي ألقاها إلى مريم عليها السلام فعليّ عليه السلام أصدق مصداقٍ لكلمات الله عزّ وجلّ ، ولو كان البحر مداداً لكلمات ربّ العزّة لنفد البحر وما نفدت كلماته ، فسلام عليك أبا الحسن يوم ولدت ويوم استشهدت ويوم تبعث حيّا .

المبحث الأوّل

ما يحتمه القرآن العظيم في الإمام عليّ (عليه السلام)

يقول الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألْبَابِ﴾[1].

يكاد يجمع العلماء والمفسّرون على أنّ الآية المباركة تتحدّث عن بيان المحكم والمتشابه وكيّفية إيضاح وتفسير المتشابه وذلك بإرجاع المتشابه إلى المحكم وأنّ هذا المحكم هو الأصل الذي يعتمد عليه[2].

والباحث لا يريد أنْ يتحدّث هنا عن الأقوال والآراء التي أوردها العلماء والمفسّرون حول المحكم والمتشابه ـ فقد تناولنا ذلك في كتابنا الموسوم التفسير ومنهج التفاسير الحديثة للقرآن الكريم[3] ـ بقدر ما نُريد أنْ ننتهي إلى أنّ ما توصّل إليه العلماء من اختلاف شديدٍ حول إمكانيّة الاطلاع على المتشابه؛ لاختلافهم في إدراك المراد من قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألْبَابِ﴾ إذ لم يختلفوا في المتشابه حسب وإنّما اختلفوا في المحكم كذلك إذ وصل الأمر ببعضهم إلى القول بالشّيء ونقيضه ، ويستفاد هنا أنّ هذه الآية لم تبيّن المحكم والمتشابه وإنّما أشارت في بعض ما أشارت إليه كون الكتاب المنزل على نبيّنا المرسل صلّى الله عليه وآله وسلّم فيه

آيات محكمات وأُخرُ متشابهات ، ولكنّها بيّنت من هم الذين يستطيعون أنْ يعرفوا المحكم والمتشابه ، وذلك من خلال تأويل كل من المحكم والمتشابه ، لا تأويل المتشابه حسب وردّه إلى المحكم ، فقد أثبت الواقع بالدليل القاطع أنّ ما سلكه العلماء في ردّ المتشابه إلى المحكم ثبت أنّ هذه الطريقة أو هذا الأسلوب في تناول كثير من آيات الكتاب العزيز لم يثمر إلاّ خلافاً واختلافاً وغموضاً في فهم النّصّ القرآني أكثر من المتشابهات نفسها.

وهذا يؤكّد كون العلماء يختلفون في مدى الفهم ودقّته عند تناولهم للمحكم نفسه ، ويؤكّد عدم معرفة العلماء لكل المتشابه . مثلما هي الحال عند من يرى أنّ المحكمات فواتح السّور المستخرج منها السور ، وقيل المتشابه فواتح السّور ، بعكس الأوّل(٤).

وإذا اختلف العلماء في المحكم فإلى ماذا يُرجع بالمتشابه ، وهنا يأتي دور الراسخين في العلم ، إذ لا بُدّ من معرفة مراد الله عزّ وجلّ على نحو القطع واليقين ، ولا بُدّ أنْ يكون هؤلاء الراسخون في العلم الذين ذكرتهم هذه الآية عارفين بالمحكم والمتشابه ، خصوصاً بعد ما ذُكر من الأقوال والآراء الكثيرة التي وصلت في معرفة المحكم والمتشابه حدَّ التناقض .

وهنا يحقُّ لنا أنْ نسأل : لماذا الإمام علي عليه السلام ؟ . أو نقول لماذا الامام عليّ عليه السلام ، ولا نقول لماذا عليٌّ من غير اقترانه بكلمة الإمام التي لم تأخذ حقّها وهيبتها وكرامتها إلاّ عند عليّ صلواتُ ربّي وسلامه عليه . وهذا هو بيت القصيد . فقد عرفنا آنفاً من خلال البحث أنّ العلماء إنّما رجعوا إلى المحكم لأنّه يُعدُّ أصلاً عندهم ، والأصل يُرجع إليه ، ولهذا المعنى عينه سُمّي الامام أمير المؤمنين بالإمام ، ولم تكن هذه التسمية قد لازمته اعتباطاً ، وقد تسالم عليها

المسلمون على اختلاف مشاربهم وتعدّد نحلهم ولم يحضَ بها غيره . وإذا كان لفظ الإمام من بعض دلالاته في اللغة : ((... خشبة البناء التي يسوّى عليها البناء . . . والإمام : الذي يقتدى به ، وجمعه أيمّة وأصله آممة على فاعلة . . .))(٥)، ((. . . الإمام الذي يُقتدى به وجمعه أيمّة ، وأصله أأممة ، على . . . والإمام : بمعنى القدّام . وفلان يؤمّ القوم : يقدمهم. . .))(٦) .

وهذه المعاني والدلالات التي ذكرتها معاجم اللغة وقواميسها تؤكّد ما قاله الخليل بن أحمد الفراهيدي صاحب الكتاب المعجمي الأوّل عند العرب في عليّ أمير المؤمنين في الدّلالة على إمامته صلوات الله عليه وسلامه من احتياج الناس إليه كلّ الناس واستغناؤه عنهم .

وبعد هذا كلّه ، بل وفوق هذا كلّه نعود إلى أجواء الآية محلّ البحث لنقف على جوهر الدلالة وكيفيّة أدائها بالمعنى الأرقى الدقيق من خلال فصاحة الوحي التي هي لا شكّ ولا ريب أعلى الفصاحات في فنّ القول لدى العرب .

يقول الجاحظ: ((ينبغي للمتكلّم أنْ يعرف أقدار المعاني ، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين ، وبين أقدار الحالات ، فيجعل لكل طبقة من ذلك مقاماً حتّى يُقسّم أقدار الكلام على أقدار المعاني ، ويقسّم المعاني على أقدار المقامات ، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات))(٧).

وهذا النّصّ من الجاحظ الذي يتحدّث فيه عن مناسبة الكلام لمقتضى الحال يدعونا إلى أنْ نعرف ما هي تلك الحال التي ينبغي أنْ نقرأ من خلالها الوحي الأمين الذي نزل من الله تعالى أحسن المتكلّمين بعيداً عن تلك الآراء التي تشعّبت وشرّقت وغرّبت بالنّصّ السماوي الأرقى ، والتي أرادت أنْ تعرف كل ما في جنباته من محكمٍ ومتشابهٍ ، وزيغٍ ورسوخٍ ، وتفسيرٍ وتأويلٍ ، كلُّ ذلك من خلال علم

النحو ، واعتماد بعض الروايات التي لا تنهض دليلاً على ما يذهبون إليه [٨].

إنّ الحال التي نزل في أثنائها قوله تعالى : ﴿**هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألْبَابِ**﴾ ، إلى نيّفٍ وثمانين آية هي حال وفد نصارى نجران التي مثّلت منعطفاً خطيراً في تاريخ الأمّة ؛ ولا بُدّ للأمّة في منعطفاتها الخطيرة والفتن التي تمسُّ وجودها من رجالٍ تفقأُ عين الفتنة كرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أو من هو من سنخه . ومما لا ريب فيه أنّ فتنة التشكيك بالعقيدة من أشدّ الفتن التي حاول أعداء الإسلام بثّها بين المسلمين ، لا سيّما إذا كان ذلك في بداية بناء كيان الأمّة أي أمّةٍ كانت .

فقد جادل وخاصم النصارى ــ من وفد نجران ــ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في عيسى ابن مريم على نبيّنا وآله وعليه أفضل الصّلاة والسّلام ، إذ قالوا للنّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم : ألست تزعم أنه كلمة الله وروح منه ؟ فقال صلّى الله عليه وآله وسلّم : بلى . قالوا : فحسبنا ! فأنزل سبحانه وتعالى : (فأمّا الذين في قلوبهم زيغ . . . الآية)...[٩].

وقد كان يوحنّا الدمشقي يُلقّن بعض المسيحيّين ويعلّمهم كيفيّة الجدل والنقاش مع المسلمين ، حول بعض المعاني التي تناولها القرآن الكريم عن المسيح عليه السّلام من حيث تسميته المسيح في القرآن . يقول : ((إذا سألك المسلم : ما تقول في المسيح ؟ فقل : إنّه كلمة الله . ثُمّ ليسأل النّصراني المسلم : بِمَ سُمّيَ المسيح في القرآن ؟ وليرفض أنْ يتكلّم بشيء حتى يُجيب المسلم . فإنّه سيضطر إلى أنْ يقول: ﴿**إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ**

مِّنْهُ﴾[١٠] ، فليسأله عن كلمة الله وروحه أمخلوقة هي أم غير مخلوقة ؟ فإنْ قال مخلوقة ، فليردّ عليه بأنّه كان ولم تكن كلمة ولا روح ، فإنْ قلت ذلك فسيفحم المسلم ؛ لأنّ من يرى هذا الرأي زنديق في نظر المسلمين . وكذلك هي الحال بالنسبة لـ (ثيودور أبو قُرّة) الذي حاول توضيح حرّيّة الإرادة ومشكلة الطبيعتين في المسيح عليه السلام ، وكذلك (نكبتاس) إذ أمره القيصر (باسيلوس) بتأليف كتاب في الرّدّ على المسلمين ، إذ تناول فيه عقيدة التّثليث وإثبات صحّتها[١١] . فالقضيّة قضيّة صراع بين العقيدتين ، عقيدة التوحيد الذي هو أهمّ أصلٍ من أصول الدين الإسلامي ، وسائر الأديان الإبراهيميّة ، وعقيدة التثليث وما سواها.

فالآية ليست بصدد تقسيم القرآن الكريم إلى محكم ومتشابه من حيث اللفظ أو المعنى كما يذهب إلى ذلك بعض العلماء والمفسّرين ؛ فإنّ من المتشابه على سبيل المثال لا الحصر ما يحمل على وجوه اللغة ، وعدم معرفة هذا لا يوجب أو لا يكون مدعاةً للوقوع في الزّيغ الذي تُريده الآية المباركة . ((وقد فسّر الرسوخ في العلم بما لا تدلّ عليه اللغة وإنّما هي أشياء نشأت عن الرّسوخ في العلم ، كقول نافع : الراسخ المتواضع إلى الله ، وكقول مالك : الراسخ في العلم ، المتّبع))[١٢] .

فالرّسوخ والزّيغ لا يُراد منهما المعنى المتبادر إلى الذّهن ؛ وكذا الراسخون في العلم ، والذين في قلوبهم زيغ ، يقول الله تعالى : (إنّ الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً)[١٣] ، ((قيل : المراد وفد نجران ؛ لأنّه روي أنّ أبا حارثة بن علقمة قال لأخيه : إنّي أعلم أنّه رسول الله ، ولكنّي إذا أظهرت ذلك أخذ ملك الرّوم منّي ما أعطوني من المال . وقيل : الإشارة إلى معاصري رسول الله. قال ابن عباس : قريضة ، والنّضير ، وكانوا يفتخرون بأموالهم وأولادهم...))[١٤] .

فهؤلاء هم الذين يتزعّمون هذا التيّار لأنّهم أهل مالٍ وأولادٍ وقابليّاتٍ في

المجتمع . وهـذا يؤيّدُ مـا نذهـب إليـه مـن أنّ الميـل الـذي عـبّر عنـه النّـصّ القـرآني بالزّيـغ ، إنّـما هـو ميـل الذيـن عـلى علـمٍ ودرايـة بحـال الأنبيـاء صلـواتُ الله وسـلامه عليهـم ومـا أُنـزل عليهـم مـن ربّهـم ، ولكنّهـم انحرفـوا ؛ لأنّ الاعـتراف والإيـمان بـما جـاء بـه رسـول الله صـلّى الله عليـه وآلـه وسـلّم سيسـلبهم مصالحهـم وتسـلّطهم عـلى خلـق الله تعـالى ؛ فعمـدوا إلى التلبيـس عـلى النـاس ، وتـأول آيـات الله عـزَّ وجـلّ بـما يوقـع النـاس في الفتنـة والضـلال .

والـذي يبـدو للباحـث أنّ الزّيـغ وإنْ كان معنـاه الميـل ، ولكـنْ هـو ليـس كل ميـل ومـن أيّ أحـد ، وإنّـما هـو الميـل عـن حـقّ معلـوم ، مـن أُنـاسٍ بلغـوا مـن العلـم مـا بلغـوا ، فحـادوا عـن جـادة الصّـواب ، فهـم ليسـوا مـن سـواد العامّـة ، وإنّـما هـم مـن أهـل العلـم وأهـل الحـلّ والعقـد . وبالتـالي فالميـل مـن العامّـة وممّـن لا علـم لـه لا يمكـن أنْ يكـون زيغـاً عـن الحـقّ ؛ لأنّهـم لم يدركـوا هـذا الحـقّ وليـس لديهـم القابليّـة عـلى معرفتـه ، لكـنّ الزيـغ هـو الميـل عـن علـمٍ ويقـين ، عـن علـمٍ ودرايـة ، ونفـوذٍ في المجتمـع ؛ وذلـك للتلبيـس عـلى ضعفـاء الخلـق ؛ ليبقـى هـؤلاء هـم أصحـاب النفـوذ هـم أصحـاب الـشّرف والتسـلّط عـلى رقـاب الخلـق .

يؤيّـد هـذا المعنـى جـو الآيـة والسـبب الـذي نزلـت لأجلـه مثلـما هـي حـال وفـد نصـارى نجـران الذيـن جـاؤوا لمحاججـة النبـي صـلّى الله عليـه وآلـه وسـلّم وهـم يعلمـون أنّـه رسـول الله صـلّى الله عليـه وآلـه وسـلّم ، وأنّ مـا جـاء بـه هـو الحـقّ . وهكذا محاججـة لا يجرأ عليهـا ضعفـاء الخلـق . فالذيـن جـاؤوا في وفـد نصـارى نجـران إنّـما هـم علّيّـة القـوم وأشرافهـم وعلماؤهـم ومجتهـد وهـم .

يؤكّـدوا ذلـك مـا قالـه محمـد بـن اسـحاق والرّبيـع بـن أنـس : ((نزلـت أوائـل السّـورة إلى نيّـفٍ وثمانـين آيـة في وفـد نجـران ، وكانـوا ستّين راكبـاً قدمـوا عـلى رسـول

الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ، ومنهم أربعة عشر رجلاً من أشرافهم ، وفي الأربعة عشر ثلاثة نفرٍ يؤولُ إليهم أمرهم ، وهم : العاقب أمير القوم ، وصاحب مشورتهم الذي لا يصدرون إلاّ عن رأيه ، واسمه عبد المسيح ، والسّيّد ثمالهم ، وصاحب رحلهم ، واسمه : الأيهم ، وأبو حارثة بن علقمة أسقفهم وحبْرهم وإمامهم ، وصاحب مَدْرَسِهم ، وكان قد شَرُفَ فيهم ، ودرس كتبهم ، وكانت ملوك الرّوم قد شرَّفوه وموّلوه ، وبنو له الكنائس ، لعلمه واجتهاده))[١٥] .

فهؤلاء لم يكونوا قد طلبوا ما طلبوا عن شكّ أو جهل يحتجّون به على باطلهم وإفسادهم دين النّاس وإضلالهم ، وإنّما طلبوا وأرادوا ما رادوا ، وكفروا عن علمٍ ودراية . وقد قال أصدق القائلين : ﴿**وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ**﴾[١٦] ، ﴿**وَمَا تَفَرَّقُوا إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ**﴾[١٧]، ﴿**فَمَا اخْتَلَفُوا إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ**﴾[١٨] .

وهذا يؤكّد ــ مسألة زيغ من أوّل القرآن التأويل غير المراد أو التأويل المذموم ــ ما نذهب إليه من علم واستطاعة ونفوذ من يحاول التأويل للتلبيس على النّاس.

فهذه الآيات الكريمات تُبيّن أنّ الاختلاف والتفرّق في الدين واختلاط الحقّ بالباطل : ((لم يكن عن جهلٍ منهم بحقيقة الأمر وكون الدّين واحداً بل كانوا عالمين بذلك ، وإنّما حملهم على ذلك بغيهم وظلمهم من غير عذر وذلك كفرٌ منهم بآيات الله المبيّنة لهم حقّ الأمر وحقيقته . . . من بعد ما جاءهم العلم بما هو حقّ ، ظلماً أو حَسَدَاً تداولوه بينهم . . . لم يكن عن شبهة أو جهل وإنّما أوجدها علماؤهم بغياً وكان البغي دائراً بينهم))[١٩] .

فالانحراف والاختلاف إنّما سببه العلماء ــ لا النّاس الاعتياديين ــ وما يقومون به من تأويل وإخفاء حقائق النّصّ القرآني ، مثلما هي الحال في ما جرى من وفد

نصارى نجران إذ ثبت أنّ الزّيغ وإنْ كان له معنىً من معاني الانحراف ؛ إلاّ أنّه انحرافٌ من طبقة خاصّة تتميّز بالعلم والمعرفة ، والادراك التّام ، وليس من أُناسٍ أمّيّين أو أناس يجهلون ما وردَ في الكتاب أو ما أنزل من الوحي من الله عزّ وجلّ يقول عزّ من قائل : ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَـئِكَ يَلعَنُهُمُ اللّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ**﴾[٢٠]

((...فكتمان العالم علمه هذا ، كتمان العلم عن الناس بعد البيان لهم ، وهو السبب الوحيد الذي عدّه الله سبحانه سبباً لاختلاف الناس في الدّين وتفرّقهم في سبل الهداية والضلال ، وإلاّ فالدّين فطريٌّ تقبله الفطرة وتخضع له القوّة المميّزة بعد ما بُيِّن لها ، قال تعالى : ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٢١] ، فالدّين فطري على الخلقة لا تدفعه الفطرة أبداً لو ظهر لها ظهوراً ما بالصفاء من القلب ، كما في الأنبياء ، أو ببيان قولي ، ولا محالة ينتهي هذا الثّاني إلى ذلك الأوّل . . . ولذلك جمع في الآية بين كون الدّين فطريّاً على الخلقة وبين عدم العلم به فقال: ﴿**فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا**﴾ ، وقال : ﴿**وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾، وقال تعالى : ﴿**وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ**﴾[٢٢] ، فأفاد أنّ الاختلاف فيما يشتمل عليه الكتاب إنّما هو ناشىء عن بغي العلماء الحاملين له ، فالاختلافات الدّينيّة والانحراف عن جادّة الصّواب معلول بغي العلماء بالإخفاء والتأويل والتّحريف ، وظلمهم...))[٢٣]

فهذا جوّ الآية وهذا ما كان يخطّط له من إيقاع الفتنة في الأمّة الفتيّة على أيدي أناس يمتلكون كلّ ما يساعدهم على ذلك داخليّاً وخارجيّاً ، أُناس جعلتهم

العداوة والحقد وصوّر لهم بغيهم أنّهم قادرون حتى على خداع النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم، وقد ألْمَحَ أصدقُ الصّادقين إلى ذلك بقوله عزَّ من قائلٍ: ﴿**وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ**﴾[٢٤].

فأيُّ محكمٍ أو متشابهٍ! تتحدّثُ عنه الآية الكريمة المباركة، وأيُّ عطفٍ أو استئناف، إنّها تتحدّثُ عن الذين في قلوبهم زيغٌ، الذين ستنالُ ما تنالُ على أيديهم أمّة محمّدٍ صلّى الله عليه وآله وسلّم، تتحدّثُ عن الراسخين في العلم الذين لا يستطيع أحدٌ غيرهم الوقوفَ بوجه هؤلاء الزائغين في هكذا منعطفٍ خطيرٍ من تاريخ الأمّة في ذلك اليوم، وغيره من قابل الأيّام، كمحمّدٍ صلّى الله عليه وآله وسلّم أو مَنْ هم مِنْ سنخه. وقد أعطى النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم المصداق الواقعي والحقيقي لذلك إذ جاء بأهلِ بيتهِ عليٌّ وفاطمة والحسن والحسين صلواتُ الله تعالى عليهم أجمعين لمباهلة وفد نصارى نجران بهم؛ ليقول للأمّة هؤلاء هم الرّاسخون في العلم القوّامون على الأمّة وعلى تفسير كتاب الله، وقد أثبت التاريخ والواقع العملي ذلك إذ وقف أهل هذا البيت لكل الانحرافات التي واجهت الأمّة ولم يستطع أحدٌ من المسلمين التّصدّي لها، أو تصدّى لها ولم يُفلح وكادت الأمّة أنْ تقع في ضلالٍ لا هداية بعده. فكان أهله بيته مصداقاً مصَدِّقاً لقوله وهو الصّادق الأمين: ((إنّي مخلّفٌ فيكم الثّقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي))[٢٥]، ((... إنّي قد تركتُ فيكم أمرين لن تضلّوا بعدي ما إنْ تمسّكتم بهما: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي؛ فإنّ اللّطيف الخبير قد عهد إليّ أنّهما لن يفترقا حتّى يردى عليّ الحوض كهاتين ــ وجمع بين مسبحتيه ــ ولا أقول: كهاتين ــ وجمع بين المسبحة والوسطى ــ فتسبق إحداهما الأخرى، فتمسّكوا بهما لا تَزِلُّوا ولا تضلّوا

، ولا تقدموهـم فتضلّـوا))[٢٦] . وعـلٌّي أوّلهـم وأفضلهـم وخيرهـم بعـد النبـي صـلى الله عليـه وآلـه وسـلّم كـما سـيتضح لنـا ذلـك مـن خـلال خطبـه وكلماتـه . فنحـن اليـوم كمـن كان قبلنـا في مسـيس الحاجـة الى كلام عـليّ ، وكذلـك مـن لم يـزل في أصـلاب الرّجـال ، وليس هـذا بكثير عـلى عـليّ عليـه السـلام وهـو وارث علـم النّبيـين صلـوات الله وسـلامه عليهـم ، وإذا كان عيسـى ع كلمـة الله التـي ألقاهـا إلى مريـم ع فعـليّ ع أصـدق مصـداقٍ لكلـمات الله عـزّ وجـلّ ، ولـو كان البحـر مـداداً لكلـمات ربّ العـزّة لنفـد البحـر ومـا نفـدت كلماتـه .

المبحث الثّاني

ما يحتمه الصّادق الأمين ص في الإمام عليٍّ ع

لا شكَّ في أنَّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم عندما جاء بأهل بيته عليه وعليهم أفضل الصّلاة والسّلام ؛ لباهل بهم وفد نصارى نجران ، لم يأتِ بهم لأنّهم أهل بيته وأرحامه حسب وإلاّ فهناك الكثير من ذوي قرباه ، وإنّما جاء بهم ؛ لأنّهم الراسخون في العلم الذين سيعود إليهم إرثُ النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم ، وهم القطب الذي ستدور حوله عجلة التفسير والتأويل لكتاب الله عزّ وجلّ ؛ لأنّهم عِدْلُ الكتاب وهم القادرون على استنطاق آياته وكشف معانيه . وهم الذين لا يتظننّون تأويله بل يتيقّنون حقائقه .[٢٧]

وأوّل أهل البيت هو أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب سلام الله عليه الذي أخذ علمه عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم مباشرة ، وهو أوّل المحدّثين من أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم حتّى قال فيهم ابن خلدون المعروف بتعصّبه : ((وقد قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّ فيهم محدّثين ، فهم أولى النّاس بهذه الرّتب الشّريفة ، والكرامات الموهوبة))[٢٨] .

وليس هذا بكثير على عليٍّ عليه السّلام ن فقد ذكر الحاكم النّيسابوري في كتابه المستدرك على الصّحيحين : روى عبد الله بن عباس عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال : ((أنّا مدينة العلم وعليٌّ بابها فمن أراد المدينة فلْيأتِ من الباب))[٢٩] .

وهذا الحديث المبارك لو عرضناه على كتاب الله القرآن العظيم لَما كان فيه من المبالغةِ شيءٌ في بيان شأنِ عليٍّ عليه السّلام وأهمّيّة كلامه ودوره في بناء كيان الأمّة

وإظهار شخصيّتها ؛ إذ أعطاه الله عزَّ وجلَّ بياناً فوق هذا البيان ؛ إذ جعله نفس النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلَّم بما يؤكّد ما أراده النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم من إتيانه بأهل بيته عليهم السّلام ، يقول عزَّ منْ قائل : ﴿**فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةُ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ**﴾(٣٠) . وهذا النّصّ هو آية من الآيات التّي تبنّت شرح الموقف وما أفرزه من دلالات ذلك الحوار أو المباهلة التي دارت بين النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وذلك الوفد من نصارى نجران . ﴿**الم . اللّهُ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ. نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ . مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِ اللّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَام. إِنَّ اللّهَ لاَ يَخْفَىَ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء . هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاء لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ . هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألْبَابِ . رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ . رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللّهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ . إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُم مِّنَ اللّهِ شَيْئًا وَأُولَـئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ . كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ . قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ . قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاء إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَّأُوْلِي الأَبْصَارِ . زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ**

وَالْفِضَّـةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَـوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللّهُ عِنـدَهُ حُسْـنُ الْمَآبِ . قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ . الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ . شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ . إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللّهِ فَإِنَّ اللّهِ سَرِيعُ الْحِسَابِ . فَإنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ . إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الِّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ . أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ . أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوْتُواْ نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ . ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ . فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ . قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . تُولِجُ اللَّيْلَ فِي الْنَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الَمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ . لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللّهِ الْمَصِيرُ . قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ

مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوَءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَاللّهُ رَؤُوفُ بِالْعِبَاد . قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ . قُلْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ فإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ . إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ . ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيم . إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وِإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيم . فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَـذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ إنَّ اللّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ . هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاء . فَنَادَتْهُ الْمَلآئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَـى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ . قَالَ رَبِّ أَنَّىَ يَكُونُ لِي غُلاَمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاء . قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّيَ آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزًا وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ . وَإِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاء الْعَالَمِينَ . يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ . ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُون أَقْلاَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ . إِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ . وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ . قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاء إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ . وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ

وَالإِنجِيلَ . وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللّهِ وَأُبْرِىءُ الأكْمَهَ والأَبْرَصَ وَأُحْيِـي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ . وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَطِيعُونِ . إِنَّ اللّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَـذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ . فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللّهِ آمَنَّا بِاللّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ . رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ .وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِين . إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُون . فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ . وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ . ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيم . إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ. الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُن مِّن الْمُمْتَرِينَ. فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةُ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾(٣١) .

والبحث إنّما ذكر هذا النصَّ بقصّهِ وقضيضه ليؤكّد ما ذكره آنفاً من أنّ الآية المباركة لم تكن تتحدّث عن تقسيم الكتاب العظيم القرآن الكريم إلى محكم ومتشابه ، وإنْ كان بالإمكان أنْ يفهم ذلك المعنى كحكمةٍ من حِكَمِ النّصّ ولكنّه ليس بعلّة ؛ بدليل أنّ الآية تقول « منه آيات محكمات وأخر متشابهات « ولم تقل :

هو الذي أنزل عليك الكتاب آيات محكمات ومتشابهات .

فهذه الآيات التي نزلت من أوائل السورة إلى نيِّفٍ وثمانين آية في وفد نجران اليمن إنّما نزلت لتبيّن من هم الرّاسخون في العلم الذين يعلمون تأويل المحكم والمتشابه على حدٍّ سواء ؛ لأنّ الوفد الذي جاء إنّما جاء للمحاججة والمجادلة بالباطل وقد أضمر في نفسه الزيغ والكذب على الله ورسوله والمؤمنين ؛ ليلبسوا على المسلمين دينهم ويزعزعوا عقيدتهم عن علمٍ ودرايةٍ .

وقد أوضح ما تبقّى من النصّ القرآني أنّ هؤلاء الذين كانوا على علمٍ ودراية بالحقّ وما جاء به النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ، وما أثبته لهم بالدّليل القاطع ، وهم أعرف النّاس بذلك لم يذعنوا للحقّ ولم يستجيبوا ؛ بل راحوا كما هي حالهم في القابليّة والاستعداد على قلب الحقائق وتحريف الكلم عن مواضعه ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله كذباً وافتراء على الله عزَّ وجلّ . فمن هكذا حالهم من علم وجاهٍ ومالٍ وسطوة اجتماعيّة وسلطان وسرائر خبيثة لم ولن يستطيع أنْ يقف بوجههم إلاّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أو من هم من سنخه من الرّاسخين في العلم وأوّلهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السّلام ، وسنرى في المبحث القابل كيف أنّ هذا الخطّ المنحرف وهؤلاء الذين في قلوبهم زيغ كيف حاولوا مرّةً أخرى أنْ يصلوا إلى ما أعجزهم الله تعالى ونبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم من الوصول إليه ، وقد كان أمير المؤمنين عليه السّلام لهم بالمرصاد .

يقول الله تعالى في إيضاح ذلك وفضح سرائرهم وما انطوت عليه من خبثٍ وتولِ عن الحقّ في تمام الآيات النازلة في تلك المباهلة : ﴿**إِنَّ هَـذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَـهٍ إِلاَّ اللّهُ وَإِنَّ اللّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ . فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ . قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ**

بِـهِ شَـيْئًا وَلاَ يَتَّخِـذَ بَعْضُنَـا بَعْضـاً أَرْبَابًـا مِّـن دُونِ اللهّ فَـإِن تَوَلَّـوْاْ فَقُولُـواْ اشْـهَدُواْ بِأَنَّـا مُسْـلِمُونَ . يَـا أَهْـلَ الْكِتَـابِ لِمَ تُحَآجُّـونَ فِي إِبْرَاهِيـمَ وَمَـا أُنزِلَـتِ التَّـورَاةُ وَالإنجِيـلُ إِلاَّ مِن بَعْـدِهِ أَفَـلاَ تَعْقِلُـونَ . هَاأَنتُـمْ هَـؤُلاء حَاجَجْتُـمْ فِيـمَا لَكُـم بِـهِ عِلـمٌ فَلِـمَ تُحَآجُّـونَ فِيـمَا لَيْـسَ لَكُـم بِـهِ عِلْـمٌ وَاللهُ يَعْلَـمُ وَأَنتُـمْ لاَ تَعْلَمُـونَ . مَـا كَانَ إِبْرَاهِيـمُ يَهُودِيًّـا وَلاَ نَصْرَانِيًّـا وَلَكِـن كَانَ حَنِيفًـا مُّسْلِمًا وَمَـا كَانَ مِـنَ الْمُشْرِكِـينَ إِنَّ أَوْلَى النَّـاسِ بِإِبْرَاهِيـمَ لَلَّذِيـنَ اتَّبَعُـوهُ وَهَـذَا النَّبِـيُّ وَالَّذِيـنَ آمَنُـواْ وَاللهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ . وَدَّت طَّآئِفَـةٌ مِّـنْ أَهْـلِ الْكِتَـابِ لَـوْ يُضِلُّونَكُـمْ وَمَـا يُضِلُّـونَ إِلاَّ أَنفُسَـهُمْ وَمَـا يَشْعُرُونَ . يَـا أَهْـلَ الْكِتَـابِ لِمَ تَكْفُـرُونَ بِآيَـاتِ اللهّ وَأَنتُـمْ تَشْـهَدُونَ . يَـا أَهْـلَ الْكِتَـابِ لِمَ تَلْبِسُـونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِـلِ وَتَكْتُمُـونَ الْحَقَّ وَأَنتُـمْ تَعْلَمُـونَ . وَقَالَـت طَّآئِفَـةٌ مِّـنْ أَهْـلِ الْكِتَـابِ آمِنُـواْ بِالَّـذِيَ أُنـزِلَ عَـلَى الَّذِيـنَ آمَنُـواْ وَجْـهَ النَّهَـارِ وَاكْفُـرُواْ آخِـرَهُ لَعَلَّهُـمْ يَرْجِعُـونَ . وَلاَ تُؤْمِنُـواْ إِلاَّ لِمَـن تَبِـعَ دِينَكُـمْ قُـلْ إِنَّ الْهُـدَى هُـدَى اللهّ أَن يُؤْتَـى أَحَـدٌ مِّثْـلَ مَـا أُوتِيتُـمْ أَوْ يُحَآجُّوكُـمْ عِنـدَ رَبِّكُـمْ قُـلْ إِنَّ الْفَضْـلَ بِيَـدِ اللهّ يُؤْتِيـهِ مَـن يَشَـاء وَاللهُ وَاسِـعٌ عَلِيـمٌ . يَخْتَـصُّ بِرَحْمَتِـهِ مَـن يَشَـاء وَاللهُ ذُو الْفَضْـلِ الْعَظِيـمِ . وَمِـنْ أَهْـلِ الْكِتَـابِ مَـنْ إِن تَأْمَنْـهُ بِقِنطَـارٍ يُـؤَدِّهِ إِلَيْـكَ وَمِنْهُـم مَّـنْ إِن تَأْمَنْـهُ بِدِينَـارٍ لاَّ يُـؤَدِّهِ إِلَيْـكَ إِلاَّ مَـا دُمْـتَ عَلَيْـهِ قَآئِـمًا ذَلِـكَ بِأَنَّهُـمْ قَالُـواْ لَيْـسَ عَلَيْنَـا فِي الأُمِّيِّـينَ سَـبِيلٌ وَيَقُولُـونَ عَـلَى اللهّ الْكَـذِبَ وَهُـمْ يَعْلَمُـونَ . بَـلَى مَـنْ أَوْفَى بِعَهْـدِهِ وَاتَّقَـى فَـإِنَّ اللهّ يُحِـبُّ الْمُتَّقِـينَ . إِنَّ الَّذِيـنَ يَشْـتَرُونَ بِعَهْـدِ اللهّ وَأَيْمَانِهِـمْ ثَمَنًـا قَلِيـلاً أُوْلَـئِكَ لاَ خَـلاَقَ لَهُـمْ فِي الآخِـرَةِ وَلاَ يُكَلِّمُهُـمُ اللهُ وَلاَ يَنظُـرُ إِلَيْهِـمْ يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ وَلاَ يُزَكِّيهِـمْ وَلَهُـمْ عَـذَابٌ أَلِيـمٌ. وَإِنَّ مِنْهُـمْ لَفَرِيقًـا يَلْـوُونَ أَلْسِـنَتَهُم بِالْكِتَـابِ لِتَحْسَـبُوهُ مِـنَ الْكِتَـابِ وَمَـا هُـوَ مِـنَ الْكِتَـابِ وَيَقُولُـونَ هُـوَ مِـنْ عِنـدِ اللهّ وَمَـا هُـوَ مِـنْ عِنـدِ اللهّ وَيَقُولُـونَ عَـلَى اللهّ الْكَـذِبَ وَهُـمْ يَعْلَمُـونَ . مَـا كَانَ لِبَـشَرٍ أَن يُؤْتِيَـهُ اللهُ الْكِتَـابَ وَالْحُكْـمَ وَالنُّبُـوَّةَ ثُـمَّ يَقُـولَ لِلنَّـاسِ كُونُـواْ عِبَـادًا لِّي مِـن دُونِ اللهّ وَلَـكِن كُونُـواْ رَبَّانِيِّـينَ بِـمَا كُنتُـمْ تُعَلِّمُـونَ الْكِتَـابَ وَبِـمَا كُنتُـمْ تَدْرُسُـونَ . وَلاَ يَأْمُرَكُـمْ أَن تَتَّخِـذُواْ الْمَلاَئِكَـةَ وَالنِّبِيِّيْنَ أَرْبَابًـا أَيَأْمُرُكُـم بِالْكُفْـرِ بَعْـدَ إِذْ أَنتُـم مُّسْـلِمُونَ . وَإِذْ أَخَـذَ اللهُ مِيثَـاقَ

النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ . فَمَن تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[٣٢] .

فالقرآن العظيم عندما يقول على لسان النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم : « فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةُ اللهّ عَلَى الْكَاذِبِين » إنّما يريد أنْ يبيّنَ أنّ هؤلاء هم الكاذبون فيما يدّعونه من دعوى ؛ لأنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم هو الصّادق الأمين ، وأهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم هم الصادقون ، وقد أوضح القرآن الكريم أنّ هؤلاء قوم مفسدون قد اتّخذوا بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله تعالى وقد ألبسوا الحقّ بالباطل وكتموه عن عمدٍ وعن قصدٍ ودراية مُدَّعين الإيمان بالله وعسى على نبيّنا وآله وعليه السلام ، وهم لا عهد لهم ولا أمانة ، وخانوا ما أُتُمنوا عليه واشتروا به ثمناً قليلا .

وقد كشف النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم خبث سريرتهم وانحرافهم رغم ما هم عليه من علم بحقائق الأشياء ، وأنّهم جاؤوا يطلبون ما يطلبون عن قصدٍ ومعرفةٍ تامّة لا عن جهل أو استفهامٍ عمّا لا يعلمونه إذ قال لهم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : ((ألستم تعلمون أنّه لا يكون ولدٌ إلاّ ويشبه أباه ؟ قالوا : بلى . قال : ألستم تعلمون أنّ ربّنا حيٌّ لا يموت ، وأنّ عيسى يأتي عليه الفناء ؟ قالوا : بلى . قال : ألستم تعلمون أنّ ربّنا قيّمٌ على كلّ شيء ويحفظه ويرزقه ؟ قالوا : بلى . قال : فهل يملك عيسى من ذلك شيء ؟ قالوا : لا . قال : ألستم تعلمون أنّ الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السّماء ؟ قالوا : بلى . قال : فهل يعلم عيسى من ذلك إلاّ ما عُلِّم ؟ قالوا : لا . قال : فإنّ ربّنا صوّر عيسى في الرّحم كيف

يشاء ، وربّنا لا يأكل ولا يشرب ، ولا يُحدث . قالوا : بلى . قال : ألستم تعلمون أنّ عيسى حملته أُمّه كما تحمل المرأة ، ثُمّ وضعته كما تضع المرأة ولدها ، ثُمّ غُذِّيَ كما يغذى الصّبيّ ، ثُمّ كان يطعم ويشرب ويحدث ؟ قالوا : بلى . قال : فكيف يكون هذا كما زعمتم ؟ فسكتوا . فأنزل الله فيهم صدر سورة آل عمران إلى بضعٍ وثمانين آية))(٣٣).

وقد أكد البحث أنّ صدر السّورة المباركة والآية الكريمة موضع البحث لم تأتِ لبيان أنّ القرآن ينقسم إلى محكم ومتشابه أو أنْ نحصرها بالمحكم والمتشابه كما يريد أنْ يذهب إلى ذلك بعض العلماء والمفسّرين فيسمّيها بآية المتشابه وإذا كان لا بُدَّ من تسميتها إذا كان في ذلك من ثمرةٍ فلنسمّها بآية الرّاسخين في العلم(٣٤) الذين ذكرهم القرآن الكريم وأشار إليهم الرّسول الأعظم صلّى الله عليه وآله.

فهذه الآية المباركة من الآيات التي بيّنت أنّه عليه السّلام سيؤدّي ما أدّاه النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم لأمَّته . فالنبي كان حريصاً على بيان عليٍّ عليه السلام للأمّة ؛ لأنّهُ هو الذي سيبيّن الكتاب لها ، فهذا القرب من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم جعل عليّاً أعلم النّاس بما بين اللوحين من كتاب الله العزيز كما يقول عامر بن شراحيل الشعبي(٣٥) . وروي عن عمر بن الخطّاب أنّه قال : ((عليٌّ أعلم النّاس بما أنزل على محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم(٣٦) .

وهذه الأعلميّة والأفضليّة والأسبقيّة إلى تفسير القرآن وتأويله سيبيّنها لنا أمير المؤمنين عليه السلام في المبحث الآتي عمليّاً ونظريّاً من خلال استنطاقه للنّصّ القرآني وتجلية معانيه وإيضاح مفاهيمه وكشف أسراره ، وشدّ الأمّة إلى كتابها العزيز القرآن العظيم في مواجهة التيّارات المنحرفة التي أرادت عن قصد إبعاد الأمّة عن كتابها الذي هو تبيانٌ لكل شيء تحتاجه ، وإيهامها بعدم قدرتها

واسـتحالة التفريـع وانتـزاع الجزئيّـات .

فالنبيّ (صلّى الله عليه وآله) عندما يـوصي بجعل القـرآن معيـاراً ومقياسـاً وهدىً مـن الضـلال وتبيانـاً مـن العمـى وعصمـةً مـن الهلكـة ورشـداً مـن الغوايـة ن وأنّـهُ مـا عَـدَلَ عنه أحدٌ إلاّ إلى النّار ؛ إنّما يُريد أنْ يُبعد الأمّة عن كلِّ ((التّوهمات والخيـالات الحاصلـة في النفـس مـن المعـارف فليـس لأحـدٍ أنْ يتّبعهـا ، بـل لابُـدّ مـن الاعتقـاد بالواقـع عـلى مـا هـو عليـه وإيـكال علـم ذلـك إلى الله تبـارك وتعـالى وإلاّ فيدخـل ذلـك في اتبـاع الشّـيطان وإغوائـه والتَّعمّـق المنهـيُّ عنـه))[٣٧] .

ولـن تجـد الأمّـة نجاتهـا مـن هـذه التوهمـات إلاّ بالرجـوع إلى عِدْلِ القـرآن الذيـن مَـنْ عَـدَلَ عنهـم سـيكون مـن سـنخ مـن عـدل عـن القـرآن ؛ وهـذا يحتـم عـلى الأمّـة إذا مـا أرادت فهـم قرآنهـا اللّجـوء إلى القـرآن النّاطـق أمـير المؤمنـين عـليّ بـن أبي طالـب سـلام الله تعـالى عليـه أوّل الرّاسـخين في العلـم بعـد النّبـيّ صـلّى الله عليـه وآلـه وسـلّم .

ولا يعنـي هـذا القـول أنّ الأمّـة لا تسـتطيع أنْ تعـيَ شـيئاً مـن كتابهـا عـلى نحـو الإطـلاق ، لكنّهـا في الفتـن والمحـن وتتابـع الشّـبهات ؛ لا بُـدّ لهـا مـن قرآنهـا النّاطـق ، وهـذا مـا أثبتـه الواقـع والأحـداث الخطـيرة التـي مـرّت بهـا الأمّـة إذ لم يكـن لهـا إلاّ عـدل القـرآن بعيـداً عـن أولئـك الذيـن نصّبـوا أنفسـهم أعلامـاً مُدَّعـين رسـوخهم في العلـم وقـادةً للأمّـة ؛ فوقعـوا في ظلـمات الجهـل عندمـا تقحّمـوا الشُّـبُهات ، وخاضـوا في متشـابهات الكتـاب فضلُّـوا وأضلُّـوا .

وهـذا أمـرٌ واضـحٌ جـليٌّ أثبتـه الـشرع والعقـل والعلـم ، فليـس للأمّـة بعـد ذلـك مـن مندوحـةٍ غـير اعتـماد كلام مَـنْ هـم سـنخ النّبـيّ صـلّى الله عليـه وآلـه وسـلّم وأوّلهـم الإمـام عـليّ سـلام الله عليـه.

يقـول رسـول الله صـلّى الله عليـه وآلـه وسـلّم في عـليٍّ عليـه السـلام : ((هـذا

عليٌّ إخي ووصيّ، ووواعي علمي، وخليفتي على أُمّتي، وعلى تفسير كتاب الله عزَّ وجلّ والدّاعي إليه، والعامل بما يرضاه . . . معاشر الناس تدبّروا القرآن، وافهموا آياته، وانظروا إلى محكماته، ولا تتّبعوا متشابهاته، فوالله لن يبين لكم زواجره، ولا يوضّح لكم تفسيره إلاّ الذي آخذٌ بيده ومصعدهُ))[٣٨]، وقال (صلّى الله عليه وآله): ((ابن عمّي، وأخي، وصاحبي، ومبرىء ذمّتي، والمؤدِّي عني ديني وعداتي، والمبلّغ عني رسالتي، ومعلّم الناس من بعدي، ومبيّنهم من تأويل القرآن ما لم يعلموا))[٣٩].

لا شكّ في أنّ عليّاً عليه السلام كان أعلم أمّة محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم فقد اتّفق المسلمون على اختلاف مشاربهم وتعدّد نحلهم ن اتّفقوا على أنّه صلوات الله علي كان في أسمى وأعلى مراتب الذّكاء وقوّة الفكر وصدق الحدس إذ أفاد كثيراً من الفترة التي قضّاها في كنف النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم يشمُّ عرف النّبوّة في أحضانه، وينهل من نمير علومه، يسمع مل يسمعه النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ويرى ما يراه منذ نعومة أظفاره . وهي فترة امتدت لعشرة أعوامٍ من طفولته، وهكذا فترة لها تأثيرها وخطورتها في حياة الإنسان ن فكان ملازماً له صلّى الله عليه وآله وسلّم، متتلْمذاً على يدي معلّمٍ هو أكمل ما خلق الله تعالى إذ : ((ما برأ الله نسمةً خيراً من محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم))[٤٠] . وقد علّمه رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ألف بابٍ من العلم كما يقول هو عليه السلام : ((علّمني رسول الله ألف باب من العلم فانفتح لي من كلِّ باب ألف باب))[٤١] .

فكان بذلك أَسَدَّ الناس رأياً بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وأشرفهم خلقاً وأعرفهم بالأمور وأدراهم، ولولاه لهلك كثيرٌ منهم، وكان أشدّ الصّحابة والمسلمين حرصاً على إقامة حدود الله عزَّ وجلّ فلم يجامل ولم يُداهن

ولم يطمع به قريب ولا ذو رحمٍ ، ولم ييأس من عدله مُبغِضٌ أو عدوٌّ له ، وكان أتقنهم وأتلاهم لكتاب الله عزّ وجلّ وأقرأهم له ، وكان القرّاء يسندون قراءتهم إليه ، بل كانوا تلاميذ تلامذته أمثال أبي عمرو بن العلاء وعاصم بن أبي النُّجود إذ كانوا يسندون قراءتهم إلى أبي عبد الرّحمن السّلمي وهو تلميذ عليٍّ عليه السلام . فقد تشرّف العلماء بالانتساب إليه بأسرهم مَنْ كان منهم أشعريّاً أو معتزليّاً ، وليس غريباً أنْ ينتسب إليه حتّى من كان من أعدائه من أمثال الخوارج الذين ينتسبون إلى أكابرهم وهم تلامذة عليٍّ عليه السلام وقد أخذوا عنه العلم . أمّا أهل التفسير ومدارسهم ـــــ مدرسة مكّة ، مدرسة المدينة ، مدرسة العراق ـــــ فكلّها تنتهي إلى عليٍّ صلوات الله وسلامه عليه[٤٢] .

فعليٌّ عليه السلام والقرآن العظيم صنوان لا يفترقان ؛ لأنّه كما قال هو صلوات ربّي وسلامه عليه : ((أنا القرآن النّاطق))[٤٣] .

المبحث الثّالث

ما يحتمه الواقع العملي والسّلوكي في الإمام علي عليه السّلام

إنّ اعتماد كلام الإمام عليّ عليه السلام يحتمه علينا الواقع العملي والسّلوكي لأئمّة آل محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم ؛ إذ لم يسجّل لنا هذا الواقع يوماً أنّهم سُألوا عن شيءٍ ولم يُجيبوا ، ولم يُسجّل عليهم خطأً في إجابةٍ قالوها ؛ لأنّهم الرّاسخون في العلم ، وعليٌّ أوّلهم وأفضلهم وخيرهم بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلّم كما سيتضح لنا ذلك من خلال خطبه وكلماته . فنحن اليوم كمن كان قبلنا في مسيس الحاجة الى كلام عليّ وحتّى من لم يزل في أصلاب الرّجال ، وليس هذا بكثير على عليّ عليه السلام ؛ فهو وارث علم النّبيين صلوات الله وسلامه عليهم ، وإذا كان عيسى عليه السلام كلمة الله التي ألقاها إلى مريم عليها السلام فعليّ عليه السلام أصدق مصداق لكلمات الله عزّ وجلّ ، ولو كان البحر مداداً لكلمات ربّ العزّة لنفد البحر وما نفدت كلماته .

عوداً على بدء وانطلاقاً من الآية المباركة محلّ البحث : ﴿**هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألْبَابِ. رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ**﴾ .

نقول لقد ذكرنا في المبحث السّابق أنّ عليّاً عليه السلام أفاد كثيراً من الفترة التي قضّاها في كنف النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم يشمُّ عرف النّبوّة في أحضانه ،

وينهل من نمير علومه منذ نعومة أظفاره إلى أن التحق النّبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله وسلّم بربّه راضياً مرضيّا ؛ فما الفارق بين عليٍّ عليه السلام وبين الصّحابة في هذا ؟ أَلَم يكن الصّحابة يتلقّون الحقائق الدّينيّة والمعارف الأخر من النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم فكانوا يجالسونه ويسمعون هذه المعارف والحقائق منه صلّى اله عليه وآله وسلّم ، وقد كانوا يُسجّلونها ويدوّنونها ويبيّنونها للنّاس ؟ وبالتّالي فهم من الراسخين في العلم ويمكن اعتماد كلامهم في المناهج التعليميّة وبناء الشّخصيّة الإسلاميّة .

وانطلاقاً من عنوان المبحث « **ما يحتمه الواقع العملي والسّلوكي** « نقول : أ ـ لقد أنار النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم درب الأمّة ببيان وإيضاح الرّاسخين في العلم الذين لهم الاستطاعة والمقدرة على معرفة تأويل الكتاب ـــــ الكتاب كلّه ـــــ ولم يدّعِ أحدٌ من الصّحابة أو غيرهم معرفته ذلك ؛ نعم تلقّى الصّحابي ما تلقّى من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من البيان وتفسير القرآن ، وأنّ جميع الحقائق الدينيّة موجودة في القرآن العظيم ، ولكن هل فسّر النّبيُّ صلّى الله عليه وآله وسلّم الكتاب العزيز جميعه أو غالبه لأصحابه كما يذهب إلى ذلك ابن تيمية إذ يدّعي : ((أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم بيَّنَ لأصحابه تفسير جميع القرآن ، أو غالبه))[٤٤] .

كلّا لم يقم النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم بذلك ، وهذا الكلام لا يستقيم لابن تيمية ؛ وذلك لسببين أو لأمرين هما :

أوّلاً : إنّ التفسير ليس على وجه واحد بل هو كما يقول ابن عبّاس : ((على أربعة أوجه ، وجهٌ تعرفه العرب من كلامها ، وتفسير لا يُعذر أحدٌ بجهالته ، وتفسير تعرفه العلماء ، وتفسير لا يعلمه إلاّ الله))[٤٥] . وهذا الصّنف أو الوجه

الأخير لا يمكن أنْ يعلمه غير الله تعالى ؛ لأنّ الله عزّ وجلّ استأثر بعلمه ، فمن تعرّض له أو ادّعى معرفته فهو مُفْتَرٍ على الله تعالى .

ثانياً : لو كان النّبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله وسلّم قد فسّر كلّ القرآن ؛ لوجب على الصّحابة والتّابعين ومن جاء بعدهم من المؤمنين : إتباع قول النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وتفسيره ؛ لقوله تعالى : ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا**﴾(٤٦) ، وقوله : ﴿**مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ**﴾(٤٧) . ولكن كلّ ما ورد عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم هو بيانه لمجمل القرآن ، وتوضيحه لمشكله ، وتخصيصه لعامِّهِ ، وتقييده لمطلقه . فقد ورد عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم : ((تفسير الظلم بالشّرك في قوله تعالى : ﴿**الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ**﴾(٤٨) ، وتفسيره الحساب اليسير بالعرض ، وتفسيره القوّة في : ﴿**وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ**﴾(٤٩) بالرّمي ، . . . وكتفسيره العبادة بالدعاء في قوله تعالى : ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**﴾(٥٠) ، . . .))(٥١) . ومن توضيح المشكل : تفسيره صلّى الله عليه وآله وسلّم للخيط الأبيض والخيط الأسود في قوله تعالى : ﴿**حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ**﴾(٥٢) ، بأنّه بياض النهار وسواد الليل(٥٣) . ومن تفسيره المطلق : تقييده اليد باليمنى في قوله تعالى : ﴿**فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا**﴾(٥٤) .

ويؤيد هذا المعنى أو هذا القول ما ورد عن الصحابة والتابعين من تفسير لبعض الآيات مما يدلّ على أنَّ النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم لم يفسّر كلّ القرآن إذ لو كان الأمر كذلك لوقف هؤلاء الصحابة وغيرهم عند تفسيره صلّى الله عليه وآله وسلّم ولما اختلفوا في تفسيره .

ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر اختلافهم في تفسير قوله تعالى : ﴿**مَن**

يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾(٥٥) . قال بعضهم عنى بالسوء كلّ معصية، وقال آخرون إنَّ معنى ذلك من يعطي سوءاً من أهل الكفر يجز به وبعضهم يرى أنّ معنى السوء في هذا الموضع الشرك .

فالقول الأول ينتهي سنده إلى كلّ من زياد بن الربيع وأُبي بن كعب وعائشة ومجاهد، والثاني ينتهي إسناده إلى الحسن و ابن زيد والضحاك والأخير ينتهي إسناده إلى ابن عباس وسعيد بن جبير(٥٦) .

فلو كان النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم قد بيّن كلّ القرآن وفسّره لما وجدت هذه الأقوال الكثيرة في هاتين الآيتين على سبيل المثال لا الحصر .

بل لسنا نبالغ في شيء إذا قلنا إنَّ القرآن الكريم لم يُفسَّر جميعه حتى في عصر الصحابة بعد رحيل الرسول الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى الرفيق الأعلى عزَّ اسمه .

ولعلّ هذه الآراء أو الأقوال تشير ضمناً إلى أنَّ صحابة النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم كانوا متفاوتين في القدرة على فهم آيات الكتاب العزيز وتفسيرها خلافاً لما يذهب إليه ابن خلدون من أنَّ صحابة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم كانوا على حدٍ سواء في فهمهم للقرآن العزيز(٥٧) .

وبإنعام النّظر فيما ورد عن الصّحابة من تفسيرٍ للقرآن الكريم تتبلور حقيقة ما وصلنا إليه من معنىً للراسخين في العلم إذ أنّ تفسير الصّحابة لا يتجاوز كونه: ((بمنزلة المرفوع إلى النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم كما قاله الحاكم في تفسيره))(٥٨).

وهذا المعنى – أي كون تفسير الصّحابة بمنزلة المرفوع إلى النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم – عند الحاكم : ((فيما فيه سبب النّزول))(٥٩) .

ينتهي بنا إلى أنّ الصحابي وإنْ كان قد تلقّى الحقائق الدينية من النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم سماعاً إلاّ أنّه لا يمكن أنْ يكون قد سمع كلّ الحقائق وبالتّالي فالصّحابي لا يمكن نفيُ وقوع الخطأ منه ، ولم يثبت عند أحدٍ من الأمّة عصمة أحدٍ من الصّحابة ، بل العكس هو الصّحيح إذ وقع الخطأ منهم في تفسير كثير من الآيات القرآنيّة ، وبعضهم لم يفهم معناها، كما اختلفوا كثيراً فيما يعلمونه من النّصّ القرآني . وفي المحصِّلة نقول : لا يمكن أنْ نصل إلى الحقائق كلّها من طريق غير المعصوم ؛ لأنّ حقائق الكتاب – الكتاب كلّه – لا يعرفها إلاّ من خوطب بالكتاب وهو رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ومَنْ هم مِنْ سنخه وهم الرّاسخون في العلم الذين بيّنهم النّبيُّ الأكرم صلّى الله عليه وآله وسلّم وأوّلهم الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السّلام الذي قال فيه: ((أما ترضى أنْ تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبوّة من بعدي)[٦٠] ، ((أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيَّ من بعدي))[٦١] .

ب ـ بعد هذه المحصِّلة لم يبقَ أمام الأمّة إلاّ الضّلال أو أنْ تتمسّك بمن لا يختلف في علمه وهم الراسخون في العلم الذين هم عدل القرآن ؛ لتنجو مما حذّرها منه رسولها الأكرم صلّى الله عليه وآله وسلّم بقوله : ((إنّي تركتُ فيكم ما إنْ أخذتم به لن تضلّوا، كتاب الله وعترتي أهل بيتي))[٦٢] .

ومثله ما روي عن زيد بن أرقم : ((قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم اني تارك فيكم ما انْ تمسّكتم به لن تضلّوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر وهو كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، و عترتي أهل بيتي لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما))[٦٣] .

فالرّاسخون في العلم لم يكن علمهم السماع أو الدراسة بمعناها المتبادر إلى

الذّهن ، وإنّما كان علمهم علم النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ، فكلام عليٍّ كلام رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ، وعلمه علم النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم غاية ما في الأمر أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم كان يأخذ علمه من الوحي مباشرةً والإمام كان يأخذ علمه من النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ولكن ليس بالطرق والأسباب الاعتياديّة التّي يكتسب بها النّاس علومهم التي يتسنّى لكلّ أحدٍ أنْ يحصل عليها وإنّما هو العلم الذي عبّر عنه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بقوله : ((علّمني رسول الله ألف باب من العلم كلّ باب منها يفتح ألف باب))(٦٤)

وقد كان لكلام عليٍّ عليه السلام أثره في حفظ شخصيّة الأمّة وكيانها ؛ لأنّه علم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ، فقد روى الحافظ أبو نعيم احمد بن عبد الله صاحب حلية الأولياء وطبقات الأصفياء أنَّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال : ((يا علي إنَّ الله أمرني أن أُدنيك وأعلمك لتعي، وأُنزلت هذه الآية وتعيها أذنٌ واعية فأنت أذنٌ واعية لعلمي))(٦٥)

ولذلك يقول الإمام أمير المؤمنين (عليه السّلام) : ((... ذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطِق ولكن أُخبركم عنه ، ألا إنَّ فيه عِلَمَ ما يأتي، والحديث عن الماضي، ودواء دائِكم، ونَظمَ ما بينكم))(٦٦) .

وهذا يؤكّد ما ذهب إليه البحث من أنّ السماع أو الدراسة بمعناها المتبادر إلى الذّهن لا يمكن أنْ تكون الوسيلة الناجعة لإدراك كل تنزيل القرآن وتأويله بجميع مراتبه ؛ لأنّ هذا العلم مخصوصٌ برسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وبالعترة الطّاهرة عليهم السلام وأوّلهم أمير المؤمنين عليه السلام وقد أطلعه ربّه عزّ وجلّ على ما يشاء من العلم الذي يقضيه ويمضيه مما غاب عن غيرهم .

يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في خطبةٍ له : ((. . . وما كلّ ذي قلبٍ بلبيب ، ولا كلّ ذي سمعٍ بسميع . فيا عجباً ومالِيَ لا أعجب من خطأ هذه الفرق على اختلاف حججها في دينها ! لا يقتصّون أثر نبيّ ، ولا يقتدون بعمل وصيّ ، ولا يؤمنون بغيب ، ولا يعفّون عن عيب ، يعملون في الشُّبُهات ، ويسيرون في الشّهوات ، المعروف فيه ما عرفوا ، والمنكر عندهم ما أنكروا ، ففزعهم في المعضلات إلى أنفسهم ، وتعويلهم في المبهمات على آرائهم ، كأنّ كلّ امرىءٍ منهم إمام نفسه ، قد أخذ منها فيما يرى بعُرىً ثقاتٍ ، وأسباب محكمات))[٦٧] .

بيّن الإمام عليه السلام داء الأمم السّالفة وجباريها ، وما جرى عليها من بلاءٍ وإحَنٍ ثُمّ انتهى إلى أنْ ليس كل صاحب عقلٍ أو سمع أو بصرٍ بمأمنٍ من الشّبهات والأهواء ؛ فتزلّ بذلك قدمه ؛ لأنّه : ((ليس من علم الله ، ولا من أمره أنْ يأخذ أحدٌ من خلق الله في دينه بهوىً ولا رأي ولا مقاييس ، قد أنزل الله القرآن وجعل فيه تبيان كلّ شيء ، وجعل للقرآن وتعلّم القرآن أهلاً ، لا يسع أهل علم القرآن الذين آتاهم الله علمه أنْ يأخذوا في دينهم بهوىً ولا رأي ولا مقاييس ، وهم أهل الذكر الذين أمر الله الأمّة بسؤالهم))[٦٨] . وأهل الذكر هؤلاء هم الرّاسخون في العلم قطعاً . فإنْ قيل : ((من الرّاسخون في العلم ؟ فقل : مَنْ لا يختلف في علمه ، فإنْ قالوا : من ذلك ؟ فقل : كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم صاحب ذلك إلى أنْ قال : وإنْ كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لم يستخلف أحداً فقد ضيّع مَنْ في أصلاب الرّجال ممن يكون بعده ، قال : وما يكفيهم القرآن ؟ قال : بلى ، لو وجدوا له مفسّراً ، قال : وما فسّره رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ؟ قال : بلى ، قد فسّره لرجلٍ واحد ، وفسّر للأمّة شأن ذلك الرّجل ، وهو علي بن أبي طالب عليه السّلام . . .))[٦٩] .

إنّ وجود كلّ هذه الفرق المختلفة وقراءاتها الخاطئة للإسلام خير دليلٍ على ضرورة وجود مصدرٍ معرفيٍّ بعد النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم يمتلك البيان التّفصيلي والتّكميلي للشريعة ليكون القيّم الأمين على صيانة النّصّ السّماويّ الأرقى القرآن العظيم ونصوص السُّنّة النّبويّة المطهّرة . يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام : ((. . . أين الذين زعموا أنّهم الرّاسخون في العلم دوننا ، كذباً وبغياً علينا أنْ رفعنا الله ووضعهم ، وأعطانا الله وحرمهم ، وأدخلنا وأخرجهم ، بنا يُستعطى الهدى ، ويُستجلى العمى ، غنّ الأئمّة من قريش غرس في هذا البطن من هاشم ، لا تصلح على سواهم ، ولا تصلح الولاة من غيرهم))[٧٠]

وبعد هذا كلّه ليس لأحدٍ من الصحابة أو غيرهم من الناس أنْ يقول: ((سلوني قبل أنْ تفقدوني والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة لو سألتموني عن آيةٍ ، في ليلٍ نزلت أو في نهارٍ نزلت ، مكّيّها ومدنيّها ، سفريّها وحضريّها ، ناسخها ومنسوخها ، محكمها ومتشابهها ، وتأويلها وتنزيلها ، لأخبرتكم به))[٧١] . ليس لأحدٍ أنْ يقول ذلك إلاّ أمير المؤمنين عليه السّلام . بل لم يجرأ أحد على قول ذلك ؛ لأنّه الهادي الذي يهتدي به المهتدون بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله[٧٢] .

فكلام عليٍّ عليه السّلام ، كلام رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ، وكلامه صلّى الله عليه وآله وسلّم كلام الوحي ، غاية ما في الأمر أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم كان يتلقّى علمه من الحي مباشرةً ، وعلم عليٍّ عليه السّلام من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ؛ ولذلك كان جديراً وأهلاً لقوله : سلوني قبل أنْ تفقدوني . يقول عليه السلام : ((. . . أيُّها النّاس فإنّي فقأتُ عين الفتنة ، ولم يكن ليجترىء عليها أحدٌ غيري بعد أنْ ماج غيهبها ، واشتدّ كلبها . فاسألوني قبل أنْ تفقدوني ، فوالذي نفسي بيده لا تسألوني عن شيءٍ فيما بينكم وبين السّاعة

، ولا فئة تهدي مائة وتُضلُّ مائة إلاّ أنبأتكم بناعقها وقائدها وسائقها ، ومُناخ ركابها، ومحطِّ رحالها ، ومن يقتل من أهلها قتلاً ، ومن يموت منهم موتاً...))(٧٣) .

يقول ابن أبي الحديد المعتزلي : ((... وإنّما قال : « ولم يكن ليجترىء عليها أحدٌ غيري » ؛ لأنّ النّاس كلهم كانوا يهابون قتال أهل القبلة ، ولا يعلمون كيف يقاتلونهم ، هل يتّبعون مولّيهم أم لا ؟ وهل يجهزون على جريحهم أم لا ؟ وهل يُقسّمون فيئهم أم لا ؟ وكانوا يستعظمون قتال مَنْ يؤذِّن كأذاننا ، ويصلِّي كصلاتنا ، واستعظموا حرب عائشة وحرب طلحة والزّبير ، لمكانتهم في الإسلام ، وتوقَّف جماعتهم عن الدّخول في تلك الحرب ، كالأحنف ابن قيس وغيره ، فلولا أنّ عليّاً اجترأ على سلِّ السّيف فيها ما أقدم أحدٌ عليها . . . ثُمَّ يقول : « سألوني قبل أنْ تفقدوني »روى صاحب كتاب (الاستيعاب) وهو أبو عمر بن محمّد بن عبد البُر عن جماعةٍ من الرُّواة والمحدِّثين ، قالوا : لم يقل أحدٌ من الصّحابة رضي الله عنهم : (سلوني) إلاّ عليُّ ابن أبي طالب . وروى شيخنا أبو جعفر الاسكافي في كتاب (نقض العثمانيّة) عن علي بن الجعد عن ابن شُبْرَمَة ، قال : ليس لأحدٍ من الناس أنْ يقول على المنبر : (سلوني) إلاّ علي بن أبي طالب عليه السلام..))(٧٤) .

ولم يكن ابن أبي الحديد موفّقاً فيما يذهب إليه من شرحٍ لقوله عليه السّلام : «ولم يكن ليجترىء عليها أحدٌ غيري » ؛ لأنّ النّاس كلهم كانوا يهابون قتال أهل القبلة » . إذ الصّحيح : أنّ عليّاً عليه السلام كان مسدّداً من السّماء ، وهو وارث علم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ، وكان يعلم الكتاب كلّه بعلم عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ، وهو المؤهّل لتأويل القرآن العظيم ؛ لأنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أخبر أنّهُ سيقاتلهم على التأويل كما قاتلهم النبي صلّى الله

عليه وآله وسلّم ومعه عليٌّ عليه السلام على التّنزيل ، ولا قِبَلَ لأحدٍ بمعرفة كلِ ما في القرآن العظيم . وخير شاهدٍ على ما يذهب إليه الباحث قوله عليه السلام لابن عباس وهو حبر الأمّة أنْ لا يحاجج الخوارج بالقرآن وأنْ يحاججهم بالسّنن ، رغم أنّ ابن عباس كان يقول عن نفسه : أنّهُ يعلم تأويل القرآن ، وأنّهُ من الرّاسخين بالعلم . فعليٌّ إمام البررة [٧٥] وإمام المتّقين وقائد الغرِّ المحجَّلين[٧٦] وخاتم الوصيين[٧٧] وراية الهدى[٧٨] والصّدّيق الأكبر وفاروق الأمّة الذي

يفرّق بين الحقّ والباطل[٧٩] والمبيُّن لأمّة محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم ما اختلفوا فيه من بعده[٨٠] والمؤدّي عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم [٨١] والسّابق إلى محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم [٨٢] وعلٌّي عليه السلام أفضل الصّدّيقين [٨٣] وهو أوّل الناس إيماناً بالله ، وأوفاهم بعهد الله ، وأقومهم بأمر الله ، وأقسمهم بالسويّة ، وأعدلهم وأرأفهم في الرّعيّة ، وأبصرهم وأعلمهم في القضيّة ، وأعظمهم عند الله مزيّة[٨٤] .

إنّ الناس إنّما كانوا لا يستطيعون ذلك ؛ لأنّهم لا يملكون ما عند عليٍّ عليه السلام من أمثال هذه الأحاديث والسّنن التي قالها رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وغيرها في مصادر المسلمين على اختلاف مذاهبهم وتعدّد نحلهم من إخواننا أهل الّسُّنّة التي لولا الإطالة لأتينا عليها فضلاً عمّا في مصادر الشيعة ، فلعليّ عليه السلام من القيادة بعد النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ما كان لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم . لا كما يذهب إليه ابن أبي الحديد من رأي في ذلك .

ونذكر في هذا المقام ما يؤيّد هذا المعنى مما ذكره ابن أبي الحديد نفسه عنه عليه السلام في إخباره بالأمور الغيبيّة التي جاءت كما قال فيها وأخبر عنها عليه السلام ، مما لا يستطيع غيره القيام به ، لا كما يقول ابن أبي الحديد : « من أنّ النّاس

كلهم كانوا يهابون قتال أهل القبلة « . يقول ابن أبي الحديد : ((. . . ولقد امتحنّا إخباره فوجدناه موافقاً ، فاستدللنا بذلك على صدق الدعوة المذكورة ، كإخباره عن الضّربة يُضرب بها في رأسه فتخضب لحيته ، وإخباره عن قتل الحسين ابنه ، وما قاله في كربلاء حيث مرَّ بها ، وإخباره بملك معاوية الأمر من بعده ، وإخباره عن الحجّاج ، وعن يوسف بن عمر ، وما أخبر به من أمر الخوارج بالنّهروان ، وما قدّمه إلى أصحابه منْ إخباره بقتل مَنْ يقتل منهم ، وصلب من يُصلب ، وإخباره بقتل النّاكثين والقاسطين والمارقين ، وإخباره بعدّة الجيش الوارد إليه من الكوفة لمّا شخص عليه السلام إلى البصرة لحرب أهلها ، وإخباره عن عبدالله بن الزّبير ، وقوله فيه : « خبٌّ ضبٌّ ، يروم أمراً ولا يُدركهُ ، ينصب حبالة الدّين لاصطياد الدُّنيا ، وهو بعد مصلوب قريش « وكإخباره عن هلاك البصرة بالغرق ، وهلاكها تارةً أُخرى بالزّنج وهو الذي صحّفه قومٌ ، فقالوا : بالرّيح ، وكإخباره عن ظهور الرّايات السّود من خراسان ، وتنصيصه على أُناس من أهلها يعرفون ببني رزيق ــ بتقديم المهملة ــ وهم آل مصعب منهم طاهر بن الحسين وولده وإسحاق بن إبراهيم ، وكانوا هم وسلفهم من دعاة الدولة العباسيّة ، وكإخباره عن الأئمّة الذين ظهروا من ولده بطبرستان ، ، كالناصر والدّاعي وغيرهما ، في قوله عليه السلام : « وإنّ لآل محمد بالطالقان لكنزاً سيظهره الله ، إذا شاء ، دعاؤه حقّ يقوم بإذن الله ، فيدعو إلى دين الله « ، وكإخباره عن مقتل النفس الزكيّة في المدينة ، وقوله : « إنّه يقتل عند أحجار الزّيت « . . .))[٨٥] .

ومثله إخباره : ((لعبد الله بن العباس عن انتقال الأمر إلى أولاده ، فإنّ علي بن عبد الله لمّا ولد أخرجه أبوه عبد الله إلى عليٍّ عليه السلام ، فأخذه وتفل في فيه وحنّكه بتمرة قد لاكها ، ودفعه إليه ، وقال له : خذ إليك أبا الأملاك . . . وكم

لـه مـن الأخبـار عـن الغيـوب الجاريـة هـذا المجـرى . . .))[٨٦] .

وليـس هـذا بكثـير عـلى عـليٍّ عليـه السـلام في اعتـماد كلامـه في الناهـج التّعليميّـة وأثـره في بنـاء الشّـخصيّة الإسـلاميّة ؛ لأنّـه حـوى علـم آدم عليـه السـلام ، وتقـوى نـوحٍ وعزمـه ، وحلـم إبراهيـم ، وفطنـة موسـى وهيبتـه ، وعبـادة عيسـى وزهـده [٨٧] .

فالآيـة محـلّ البحـث : ﴿**هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألْبَابِ**﴾[٨٨] ، جـاءت لتبـيّن للأمّـة علـم هـؤلاء الرّاسـخين في العلـم وأوّلهـم أمـير المؤمنـين عليـه السـلام ؛ لأنّهـم وحدهـم هـم القـادرون عـلى صيانـة الأمّـة ودينهـا ، وحفـظ شـخصيّتها الإسـلاميّة وبنائهـا ، عنـد تعرّضهـا لمـا يمكـن أنْ يزلـزل عقيدتهـا كـما هـي الحـال مـع وفـد نصـارى نجـران ، وقـد أثبـت الواقـع ذلـك في أكثـر مـن تحدٍّ مـرّت بـه هـذه الأمّـة . وقـد كـان لعـليٍّ عليـه السـلام ـــ مـع هـؤلاء الذيـن حاولـوا إضـلال أهـل الإسـلام ، وإيقـاع الشّـبهات في قلوبهـم ـــ مـا كـان لرسـول الله (صـلّى الله عليـه وآلـه) معهـم .

ولبيـان مـا يذهـب إليـه البحـث ؛ نقـف عنـد قـول ابـن أبي الحديـد فيمـن عـاصروا أمـير المؤمنـين عليـه السـلام : ((. . . وقـد قيـل : إنّ جماعـة مـن هـؤلاء كانـوا مـن نسـل النّصـارى واليهـود ، وقـد كانـوا سـمعوا مـن آبائهـم وسـلفهم القـول بالحلـول في أنبيائهـم ورؤسـائهم ، فاعتقـدوا فيـه عليـه السـلام مثـل ذلـك . ويجـوز أنْ يكـون أصـل هـذه المقالـة مـن قـومٍ ملحديـن أرادوا الإلحـاد في ديـن الإسـلام ، فذهبـوا إلى ذلـك ، ولـو كانـوا في أيّـام رسـول الله صـلّى الله عليـه وآلـه وسـلّم لقالـوا فيـه مثـل هـذه المقالـة ، إضـلالاً لأهـل الإسـلام ، وقصـداً لإيقـاع الشُّـبهة في قلوبهـم . . .))[٨٩] .

فلا شكَّ في أنّ هؤلاء هم الامتداد الطّبيعي لذلك الخطّ الذي تجسّداً واضحاً جليّاً في وفد نصارى نجران ، والشُّبُهات هي الشُّبهات التي حاولوا فيها إشراك غير الله عزَّ وجلَّ في الألوهيّة ، كما هي الحال في ادّعاء ذلك في عيسى على نبيّنا وآله وعليه أفضل الصّلاة والسلام . فتبارك الله تعالى علّام الغيوب الذي أخبر نبيّه الأكرم صلّى الله عليه وآله وسلّم ، وصدق رسوله الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم بما قاله في عليٍّ عليه السلام من أنّهُ سيقاتل على التأويل ؛ لأنّ الشُّبُهات التي ردّها رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم حين ادّعاها نصارى نجران ، لم يكن ليردّها إلّا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أو من هو كرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من سنخه وهو عليٌّ عليه السلام .

والبحث لا يتّفق مع ابن أبي الحديد في وصفه لمن عاصر النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم من أهل الحجاز أو أهل مكّة ، إذ يصفهم مرّة بأنّهم أشدّ آراء ، وأعظم أحلاماً ، وأوفر عقولاً [٩٠] ، ثُمّ يصفهم مرّة أُخرى بأنّ الغالب عليهم إنّما هو الجفاء والعجرَفيّة وخشونة الطّبع ، وحتّى من سكن المدن منهم كأهل مكّة والمدينة والطّائف فطباعهم قريبة من طباع أهل البادية بالمجاورة [٩١] .

ولكن هذا الأمر يؤكّد ما يذهب إليه البحث من أنّ أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام ، وهو ابن تلك البيئة التي نشأ فيها جلّ الصّحابة ، ولم يكن للبيئة فيه من أثر ؛ لأنّه كان ألصق الناس برسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ، فكان يسمع ما يسمعه النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم ويرى ما يراه ، وأنّه الأذن الواعية لعلم النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم وما جاء به القرآن العظيم ، وهو وارث علم النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم .

ممّا يؤكّد كون بعض ما في القرآن لا يدركه غير عليٍّ من الصّحابة أو غيرهم

كونـه الـوارث الحقيقـي لهـذا العلـم ؛ ليضطـر كلّ مـن يدّعـي وراثـة علـم النّبـيّ صـلّى الله عليـه وآلـه وسـلّم إلى سـؤاله ، وأنّ قولـه : سـلوني . لا يسـتطيع أنْ يقولـه غـير عـليٍّ عليـه السـلام .

إنّ مـا في كتـاب الله تعـالى مـن زادٍ وعطـاء فيـه حيـاة الأمـة ونجاتهـا مـن مضـلَّات الفتـن، يحْتِـمُ عليهـا أنْ تطلـب الحقيقـة مـن خـلال كتابهـا ودسـتورها القـرآن الكريـم مـن دون أنْ تدَّخِـر جهـداً في سـبيل ذلـك في كلِّ مرحلـة مـن مراحـل حياتهـا ؛ لأنَّ النـص القـرآني خطـاب ـ وإنْ نـزل عـلى وفـق فـنِّ القـول لـدى العـرب لم يقتـصر عـلى العـرب وإنَّـما هـو خطـاب عالمـيٌّ للإنسـانية جمعـاء، مسـتمرٌّ بعطائـه معجـزٌ بآياتـه إلى أنْ يـرثَ الله تعـالى الأرض ومـن عليهـا فهـو وإنْ كان محـدوداً ثابتـاً بألفاظـه ومبانيـه إلاَّ أنَّـه مطلـقٌ في مضامينـه ومعانيـه غـير محـدودٍ بزمـانٍ أو مـكان ؛ لأنَّـه مـن المطلـق جبـار السـموات والأرض ، فآياتـه الكريـمات ليسـت مقصـورة عـلى جماعـة أو أمـة مـن الأمـم، وإنَّـما جـاءت هـذه الآيـات ليسـتفيد منهـا الجميـع مهـما بلغـوا مـن التحـضُّر ومهـما وصلـوا مـن التقنيَّـات والمكتشـفات العلميَّـة، إذ سـيبقى هـذا النـص السـماوي العظيـم خطابـاً للنـاس كل النـاس وليـس لطائفـةٍ خاصَّـة مـن العلـماء أو الفقهـاء، وعـلى الأمـة أنْ تتـولَّاه لتنـال عزَّهـا بـه وسـلامتها وهداهـا ونجاتهـا مـن ضلالهـا .

وفي هـذا السّـياق لا يحيـط بـكلام الله عـزّ وجـلّ إلّا الراسـخون في العلـم ومنهـم عـليٌّ عليـه السـلام الـذي احتـاج الـكلُّ إلى علمـه ومـا احتـاج إلى أحـدٍ . فاعتـماد كلام عـليٍّ عليـه السّـلام في المناهـج التّعليميّـة ، وبنـاء الشّـخصيّة الإسـلاميّة ليـس بواجـبٍ حسـب ، وإنّـما هـو ضرورة .

وختامـاً يرجـو الباحـث أنْ يكـون قـد وفّـق لإلقـاء بارقـةٍ مـن الضـوء عـلى التفسـير ومنهـج التفاسـير الحديثـة للقـرآن الكريـم، ولا يدَّعـي الكـمال والاسـتيعاب الشـامل

لهـذا البحـث لأنَّ الكـمال للكامـل المطلـق وحـده جبـار السـموات والأرض، وكل مـا يرجـو أنْ يكـون قـد قـدَّم بهـذا البحـث خدمـةً متواضعـةً للكتـاب العزيـز ـ القـرآن الكريـم ـ ليكـون ظِـلاًّ لـه يـوم يلقـاهُ تعـالى، يـوم لا ظـلَّ ألاَّ ظلُّـه .

فـإنْ وفـق لمـا هـدف إليـه فبفضـلٍ مـنَ الله تعـالى وحـده ولـه الحمـدُ والمنَّـة وإنْ كانـت الأُخـرى فمـن ذا الـذي مـا أسـاء قـط ؟!. ربَّنـا لا تؤاخذنـا إن نسـينا أو أخطأنـا .

ومـا توفيقـي إلاَّ بـالله العلي العظيـم عليـه توكَّلـت وإليـه أُنيـب وهـو حسـبي ونعـم الوكيل

هوامش البحث:

١. آل عمران : ٧ .

٢. جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، المتوفَّى : ٣١٠هـ ، قدَّم له :الشيخ خليل الميس ، ضبط وتوثيق وتخريج : صدقي جميل العطَّار ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٢٥ ـ ١٤٢٦ ، ٢٠٠٥م ، ٧ / ٢٠٧ ؛ تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ، عبد الرحمن بن محمد ابن ادريس الرازي (ت : ٣٢٧ هـ) ، تح : أسعد محمد الطيب ، دار الفكر ، بيروت ـ لبنان ، ١٤٢٤ هـ ـ ٢٠٠٣ م ، ج٦ ، ص ١٩٩٥ ؛ ٥) بحر العلوم ، لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت : ٣٧٥ هـ) ، تحقيق : الشيخ علي محمد معوض ، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، الدكتور زكريا عبد الحميد النوتي ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلميّة ،بيروت ، لبنان، ١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٣ م ، ج ٢ ، ص ١١٥ ؛ النكت والعيون ، للماوردي ، أبو الحسن محمد بن حبيب الماوردي البصري ، (ت : ٤٥٠ هـ) ، راجعه وعلّق عليه : عبد المقصود بن عبد الرحيم ، مؤسّسة الكتب الثّقافيّة ، ط٢ ، ١٤٢٨ هـ ـ ٢٠٠٧ م ، بيروت ـ لبنان ، ج٢ ، ص٤٥٥ الكشاف عن حقائق التأويل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، تحقيق : خليل مأمون شيحا ، ط ٢ ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م، ج١ ، ص٤٧٦ ؛ مفاتيح الغيب ، الإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن ابن علي التميمي البكري الرازي الشافعي ، ط ٣ ، دار الكتب العلميَّة ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٩ م ، ج٧ ، ص ١٤٢ ؛ الجامع لأحكام القرآن ، لأبي عبد الله محمد بن احمد ، الأنصاري ، القرطبي ، تحقيق :

الشيخ محمد بيومي ، أ/ عبد الله المنشاوي ، ط٢ ، مكتبة الإيمان ، مصر ، ٢٠٠٦ م ، ج٥ ، ص٣٣٨؛ البحر المحيط ، ابو حيان الاندلسي (ت:٧٤٥هـ) ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٣٢٨هـ ، ج٦ ، ص١١٩؛ أنوار التّنزيل وأسرار التّأويل ، أبو سعيد عبدالله بن عمر البيضاوي (ت : ٦٨٥ هـ)، تحقيق : محمد صبحي حسن حلاق و محمد أحمد الأطرش ، دار الرّشيد ، بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ ، ٢٠٠٠ م . الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، الإمام عبد الرحمن جلال الدين السيوطي ، ط١، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م ، ج٤ ، ص٣٩٩ ؛ روح البيان ، اسماعيل حقّي ، البروسوي ، (ت : ١١٣٧ هـ) ، دار الفكر ، ١٤٢٩ هـ ـ ٢٠٠٨ م) ، بيروت ـ لبنان، ج٤ ، ص١١٤؛ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، لأبي الفضل شهاب الدين محمود الآلوسي البغدادي ، ط ،١ دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م ، ج١١، ص٢٧٠؛ التحرير والتنوير ، المعروف بتفسير ابن عاشور ، محمد الطاهر بن عاشور ، مؤسّسة التاريخ ، بيروت ـ لبنان ، ط١ ، ج١١ ، ص١٩٩ ؛ مجمع البيان في تفسير القرآن ، أمين الإسلام أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي ، تحقيق : لجنة من العلماء ، قدَّم له : الإمام الأكبر السيد محسن الأمين العاملي ، ط ٢ ، مؤسَّسة الأعلمي ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٥م ،ج٥ ، ص٢٤١ ؛ تفيسر القرآن الحكيم، الشّهير بتفسير المنار ، محمد رشيد رضا ، دار الفكر ، ط٢ ، ج١٢ ، ص٤ .

٣. التفسير ومنهج التفاسير الحديثة للقرآن الكريم ، الدكتور نجم الفحام ، دار المدينة الفاضلة ، ط١ ، ص٤٩ وما بعدها .

٤. ينظر : كتابنا المحكم والمتشابه بين مدرسة أهل البيت ومدرسة الصّحابة ، لا يزال مخطوطاً في مكتبة المؤلّف .

٥. تاج اللغة وصحاح العربية ، اسماعيل بن حمّاد ، الجوهري ، (ت : ٣٩٣ ـ ٣٩٨ هـ) ، تح : احمد عبد الغفور عطارد ، دار العلم للملايين ، بيروت ـ لبنان ، ط٤ ، ١٤٠٧ هـ ، ج٥ ، ص١٨٦ .

٦. لسان العرب ، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري ، (ت : ٧١١هـ) ، دار صادر ، بيروت ، (د.ت) . ج١٢ ، ص٢٥ .

٧. الجاحظ ، أبو عثمان ، عمرو بن بحر ، (ت : ٢٥٥ هـ) ، البيان والتبيين ، تح : حسن السّندوبي ، المطبعة الرحمانيّة ، القاهرة ، ١٩٣٢ م ، ج١ ، ص ١٣٩ .

٨. ينظر : المؤلّف ، منهج التفاسير الحديثة للقرآن الكريم ، ص ١١٩ وما بعدها .

٩. جامع البيان : ٦ / ١٨٦ ـ ١٨٧ ؛ الطوسي ، أبو جعفر محمد بن الحسن (ت : ٤٦٠ هـ) ، التبيان في تفسير القرآن ، تحقيق وتصحيح : أحمد حبيب قصير العاملي ، مطبعة النعمان ، النجف ، ١٣٥٨

هـ ـ ١٩٦٥ م ، ج٢ ، ص٣٩٩ .

١٠. النساء : ١٧١ .

١١. ينظر : الدكتور جواد علي ، تاريخ العرب في الإسلام ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، ط١ ، بغداد ، ص٢٦ ـ ٢٧ .

١٢. أبو حيّن الأندلسي ، (ت : ٧٤٥ هـ) ، البحر المحيط ، مطبعة السّعادة ، القاهرة ، ١٣٢٨ هـ ، ج٣، ص٣٠ .

١٣. آل عمران : ١١٦ .

١٤. البحر المحيط : ٣ / ٣٤ .

١٥. الطبرسي ، أبو علي الفضل بن الحسن ، مجمع البيان في تفسير القرآن ، تحقيق لجنة من العلماء ، قدّم له : الإمام الأكبر : السيّد محسن الأمين العاملي ، مؤسّسة الأعلمي ، ط٢ ، بيروت ـ لبنان ، ١٤٢٥ هـ ـ ٢٠٠٥ م ، ج٢ ، ص٢٣٤ .

١٦. آل عمران : ١٩ .

١٧. الشّورى : ١٤ .

١٨. الجاثية : ١٧ .

١٩. محمد حسين الطباطبائي ، الميزان في تفسير القرآن ، ط١ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م ، ج٣ ص١٠٦ ؛ ج١٨ ص٢٦ ، ١٣٧ .

٢٠. البقرة : ١٥٩ .

٢١. الرّوم : ٣٠ .

٢٢. البقرة : ٢١٣ .

٢٣. الميزان . ١ / ٣٢٣ ـ ٣٢٤ .

٢٤. المنافقون : ٤ .

٢٥. أحمد بن حنبل ، مسند أحمد ، طبع ونشر : دار الفكر العربي ، ج٣ ، ص١٤ ، ١٧ ، ٢٦ ، ٥٩ ، ج٤ ، ص٣٦٦ ، ٣٧١ ، ج٥ ، ص١٨٢ ، ١٨٩ .

٢٦. الكليني ، محمد بن يعقوب ، النّاشر : دار الكتب الإسلاميّة ـ طهران ، ط٥ ، ١٣٦٣ ش ، ج٢ ، ص٤١٥ .

٢٧. ينظر : الطوسي ، الأمالي ، مطبعة النعمان ، النجف ، ١٣٨٤ هـ ـ ١٩٦٤ م ، ج١ ، ص١٢١ .

٢٨. ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، مطبعة : مصطفى محمد ، ، مصر ، (د . ت) ، ج١ ، ص٤٩٥ ، الفصل : ٥٣ .

٢٩. الحاكم النيسابوري ، المستدرك على الصّحيحين ، مكتبة ومطبعة النّصر الحديثة ، الرّياض ، ج٣ ، ص ١٢٦ .
٣٠. آل عمران : ٦١ .
٣١. آل عمران : ١ ـ ٦١ .
٣٢. آل عمران: ٦٢ ـ ٨٢ .
٣٣. الطبرسي ، مجمع البيان : ٢ / ٢٣٥ .
٣٤. وقد بيّنا هذا المعنى بشيء من التفصيل في كتابنا الموسوم (المحكم والمتشابه بين مدرسة أهل البيت ومدرسة الصّحابة) ، مخطوط في مكتبة المؤلِّف .
٣٥. ينظر : الحاكم الحسكاني ، شواهد التّنزيل : ١ / ٣٦ .
٣٦. ينظر : المصدر نفسه : ١ / ٣٠ .
٣٧. السبزواري ، السيّد عبد الأعلى ، مواهب الرّحمن في تفسير القرآن ، مطبعة الآداب ، النّجف الأشرف ، ١٤٠٦ هـ ، ١٩٨٦ م ، ج٥ ، ص٥٩ .
٣٨. الاحتجاج : ١ / ٧٦ .
٣٩. المصدر نفسه : ١ / ٢٥٠ .
٤٠. الكافي : ١ / ٤٤٠ ح٢ .
٤١. الفخر الرّازي ، الأربعين في أصول الدين : ٤٧٥ ؛ القندوزي ، ينابيع المودّة : ٧٢ ؛ المتّقي الهندي ، كنز العمال : ٦ / ٣٩٢ .
٤٢. ينظر : المؤلِّف ، المحكم والمتشابه بين مدرسة أهل البيت ومدرسة الصّحابة .
٤٣. القندوزي ، ينابيع المودّة : ١ / ٢١٤ .
٤٤. مقدّمة في أصول التفسير ، إبن تيمية ، تحقيق : عدنان زرزور ، مؤسّسة الرّسالة ، ط٢ ، ١٣٩٢ هـ ـ ١٩٧٢ م ، ص٥ ؛ ينظر : الاتقان في علوم القرآن ، ج٢ ، ص١٨٩ .
٤٥. جامع البيان : ١ / ٣٠ ؛ ينظر : البرهان : ٢ / ١٦٤ .
٤٦. الحشر : ٧ .
٤٧. النساء : ٨٠ .
٤٨. الأنعام : ٨٢ .
٤٩. الأنفال : ٦٠ .
٥٠. المؤمن : ٦٠ .

٥١. البرهان : ٢ / ١٥٦ ـ ١٥٧ .

٥٢. البقرة : ١٨٧ .

٥٣. ينظر : البرهان : ١ / ١٥ .

٥٤. المائدة : ٣٨ .

٥٥. النساء : ١٢٣ .

٥٦. ينظر : جامع البيان : ٥ / ١٨٧ ـ ١٨٨ .

٥٧. المقدّمة : ٤٨٩ .

٥٨. البرهان : ٢ / ١٥٧ .

٥٩. الاتقان : ٢ / ١٧٩ .

٦٠. صحيح مسلم ، ج٢ ص٣٦٠ ، ك : الفضائل ، باب : من فضائل علي بن أبي طالب ؛ النّسائي ، خصائص مير المؤمنين ، ص٤٨ ، ٨١ ، ط الحيدريّة ، ص٤٥ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ٦١ ،ط بيروت ، تحقيق: المحمودي ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج١ ، ص٢٠٦ ، ح٢٧١ ، ٢٧٢ ، ج١ص٣٣٩ ح٤١٠ ، ٤١١ ط١ ، ص٣٦٩ ح٤١٠ ،٤١١ ، ط بيروت ؛ الزرندي الحنفي ، نظم درر السّمطين ، ص١٠٧ ؛ الكنجي الشّافعي ص٨٤ ــ ٨٦ ، ط الحيدريّة ، ص٢٨ ، ط الغري ؛ الخوارزمي ، الحنفي ، ص٥٩ ؛ التّرمذي ، صحيح التّرمذي ، ج٥ ، ص٣٠١ ح٣٨٠٨ ؛ أسد الغابة ، ج٤ ص٢٥ ــ ٢٦ ؛ ابن حجر ، الاصابة ، ج٢ ص٥٠٩ ؛ ابن الأثير ، جامع الأصول ، ج٩ ص٤٦٩ ؛ الرّياض النّضرة ، ج٢ص٢٤٧ ؛ فرائد السّمطين ، ج١ ص٣٧١ ح٣٠٢ ، ص٣٧٨ ح٣٠٧ ؛ شواهد التّنزيل : ٢ / ٢١؛ ابن المغازلي ، الشّافعي ، ط١ ، طهران ، ص٣٤ ح٥٢ ؛ ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، مصر، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ج١٨ ص٢٤ ؛ ابن حجر ، الصّواعق المحرقة : ط المحمّديّة ، ص١٧٧ .

٦١. الصّدوق ، عيون أخبار الرّضا ، ج٢ ص١٠ .

٦٢. جامع الأصول من أحاديث الرسول، أبو السعادات، مبارك بن محمد بن الأثير الجزري (ت: ٦٠٦هـ)، اشراف وتصحيح : عبدالمجيد سليم، ومحمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ١٩٤٩م، ج١ ص ١٨٧ .

٦٣. جامع الأصول من أحاديث الرسول، أبو السعادات، مبارك بن محمد بن الأثير الجزري : ١/ ١٨٧.

٦٤. النعمان ، ابو حنيفة ، شرح الأخبار ، تحقيق : محمد الحسيني الجلالي ، مؤسّسة النّشر الإسلامي ، قم، ط٢ ، ١٤١٤ هـ ، ج٢ ، ص٣٠٨ .

٦٥. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، للحافظ أبي نعيم احمد بن عبدالله الأصفهاني (ت : ٤٣٠هـ)،

ط١، دار الكتب العلمية، بيروت : ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م، ج١ ص٦٧ .

٦٦. شرح نهج البلاغة، الخطبة : ١٥٩ .

٦٧. شرح نهج البلاغة : / خ٨٧ .

٦٨. الوسائل : ٢٧ / ٣٧ .

٦٩. المصدر نفسه : ٢٧ / ١٧٧ .

٧٠. شرح نهج البلاغة : ٩ / ٨٦ .

٧١. ابن سعد ، الطّبقات الكبرى : ٢ / ٣٣٨ ؛ الصّدوق ، التّوحيد : ٣٠٥ ؛ المفيد ، الاختصاص : ٢٣٦ ؛ القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن : ١ / ٣٥ .

٧٢. ينظر : ابن عساكر ، تاريخ دمشق : ٢ / ٤١٧ ؛ ابن الصّبّاغ المالكي ، الفصول المهمّة : ١٠٧ ؛ نظم درر السّمطين : ٩٠ ؛ ينابيع المودّة : ٩٩ ؛ نور الأبصار : ٧١ ؛ شواهد التّنزيل : ١ / ٢٩٦ ؛ كفاية الطالب : ٢٣٣ ؛ إحقاق الحقّ : ٤ / ٣٠١ ؛ منتخب كنز العمّال بهامش مسند أحمد بن حنبل : ٥ / ٣٤ ؛ فرائد السّمطين : ١ / ١٤٨ .

٧٣. شرح نهج البلاغة : ٧ / ٣٠ . خ٩٢ .

٧٤. شرح نهج البلاغة : ٧ / ٣٠ - ٣١ .

٧٥. ينظر : المستدرك على الصّحيحين : ٣ / ١٢٩ ؛ كنز العمّال : ٦ / ١٥٣ ؛ إبن المغازلي ، مناقب علي بن أبي طالب : ٨٠ ــ ٨٤ ، ح١٢٠ ، ١٢٥ ؛ المناقب للخوارزمي الحنفي : ١١١ ؛ تاريخ دمشق : ٢ / ٤٧٦ ؛ كفاية الطالب : ٢٢١ ؛ ينابيع المودّة : ٧٢ ، ١٨٥ ، ٢٣٤ ، ٢٥٠ ، ٢٨٤ ، ؛ الفصول المهمّة: ١٠٨ ؛ فتح الملك العلي بصحّة حديث باب مدينة العلم علي : ٥٧ طبعة الحيدريّة ، ص٢٥ طبعة المطبعة الاسلاميّة بالأزهر ؛ إسعاف الرّاغبين بهامش نور الأبصار : ١٥٨ الطبعة السّعيديّة، ص١٤٣ الطبعة العثملنيّة ؛ الصواعق المحرقة : ١٢٣ ، الطبعة الحيدريّة ، ص٧٥ الطبعة الميمنيّة بمص ؛ مطالب السّؤول لابن طلحة الشّافعي : ٣١ طبعة طهران ، ج١ ، ص٨٦ طبعة النجف ؛ ميزان الاعتدال : ١ / ١١٠ ؛ الجامع الصّغير للسيوطي الشّافعي ج٢ ، ص١٤٠ ، طبعة مصطفى محمد ، ج٢ ، ص٥٦ ، الطبعة الميمنيّة بمصر ؛ منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد ، ج٥ ، ص٢٩ ــ ٣٠ ؛ إحقاق الحق : ٤ / ٢٣٤ ، طبعة طهران ؛ فرائد السّمطين : ١ / ١٥٧ ، ١٩٢ .

٧٦. المستدرك على الصّحيحين : ٣ / ١٣٨ ؛ كنز العمال : ٦ / ١٥٧ ؛ المعجم الصّغير للطبراني : ٢ / ٨٨ ؛ مناقب علي بن أبي لابن المغازلي الشّافعي : ١٦٥ ، ١٠٤ ؛ المناقب للخوارزمي الحنفي : ٢٣٥ ؛ نظم درر السّمطين للزرندي الحنفي : ١١٤ ؛ الفصول المهمّة لأبن الصّباغ المالكي : ١٠٧ ؛ مجمع الزّوائد:

٩ / ١٢١ ؛ أُسد الغابة : ١ / ٦٩ ، ج٣ ص١١٦ ؛ تاريخ دمشق : ٢ / ٢٥٧ ؛ فضائل الخمسة : ٢ / ١٠٠ ؛ ينابيع المودّة : ٨١ ؛ إحقاق الحق : ٤ / ١١ ؛ فرائد السّمطين : ١ / ١٤٣ ؛ الرّياض النّضرة : ٢/ ٢٣٤ ، ط٢ ؛ ذخائر العقبى : ٧٠ ؛ منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد : ٥ / ٣٤ .

٧٧. حلية الأولياء : ١ / ٦٣ ؛ المناقب للخوارزمي : ٤٢ ؛ تاريخ دمشق : ٢ / ٤٨٧ ؛ مطالب السّؤول : ١ / ٦٠ ؛ الميزان للذهبي : ١ / ٦٤ ؛ كفاية الطالب : ٢١٢ ؛ ينابيع المودّة : ٣١٣ ؛ فضائل الخمسة : ٢ / ٢٥٣ ؛ فرائد السّمطين : ١ / ١٤٥ .

٧٨. حلية الأولياء : ١ / ٦٧ ؛ شرح نهج البلاغة : ٩ / ١٦٧ ؛ المناقب للخوارزمي : ٢١٥ ، ٢٢٥ ؛ نظم درر السّمطين : ١١٤ ؛ تاريخ دمشق : ٢ / ١٨٩ ؛ مناقب علي بن أبي طالب : ٤٦ ؛ كفاية الطالب: ٧٣ ؛ مطالب السّؤول : ١ / ٤٦ ؛ إحقاق الحق : ٤ / ١٦٨ ؛ فرائد السّمطين : ١ / ١٤٤ ، ١٥١ .

٧٩. تاريخ دمشق : ١ / ٧٦ ؛ مجمع الزوائد : ٩ / ١٠٢ ؛ كفاية الطالب : ١٨٧ ؛ الإصابة : ٤ / ١٧١؛ الاستيعاب بهامش الاصابة : ٤ / ١٧٠ ؛ اسد الغابة : ٥ / ٢٨٧ ؛ ميزان الاعتدال : ٢ / ٤١٧ ؛ إحقاق الحقّ : ٤ / ٢٩ ؛ فرائد السمطين : ١ / ٣٩ ، ١٤٠ ؛ السيرة الحلبيّة لبرهان الدّين الحلبي الشّافعي : ١ / ٣٨٠ ؛ منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد : ٥ / ٣٣ ؛ الرياض النّضرة لمحب الدين الطّبري الشّافعي : ٢ / ٢٠٤ ؛ لسان الميزان لابن حجر العسقلاني الشّفعي : ٢ / ٤١٤ ؛ البيان والتّعريف لابن حمزة الحنفي : ٢ / ١١٠ ؛ رسالة النّقض على العثمانيّة للإسكافي : ٢٩٠ ؛ أرجح المطالب للشيخ عبيد الله الحنفي : ٤٤٧ ؛ انتهاء الأفهام : ٧٤

٨٠. المستدرك على الصّحيحين : ٣ : ١٢٢ ؛ منز العمال : ٦ / ١٥٦ ؛ تاريخ دمشق : ٢ / ٤٨٨ ؛ مقتل الحسين للخوارزمي الحنفي : ١ / ٤٦ ؛ المناقب للخوارزمي : ٢٣٦ ؛ كنوز الحقائق للمناوي : ٢٠٣؛ ينابيع المودّة : ١٨٣ ؛ منتخب كنز العمال بهامش مس أحمد : ٥ / ٣٣ .

٨١. ينظر : سنن إبن ماجة : ج١ ، ص٤٤ ، طبعة دار الكتب ؛ صحيح التّرمذي : ٥ / ٣٠٠ ؛ خصائص أمير المؤمنين للنّسائي : ٢٠ ؛ تاريخ دمشق : ٢ / ٣٧٨ ؛ المناقب للخوارزمي : ٧٩ ؛ مناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي : ٢٢١ وما بعدها ؛ ينابيع المودّة : ٥٥ ، ١٨٠ ، ٣٧١ ، طبعة اسلامبول، ص٦٠ ، ٦١ ، ٢١٢ ، ٢١٩ ، ٤٤٦ ، الطبعة الحيدريّة ؛ الصّواعق المحرقة : ١٢٠٠ طبعة المحمدية، ص٧٣ ، الطبعة الميمنيّة بمصر ؛ إسعاف الرّاغبين بهامش نور الأبصار : ١٤٠ ؛ تذكرة الخواص لسبط بن الجوزي الحنفي : ٣٦ ؛ نور الأبصار : ٧٢ ، الطبعة العثمانيّة ، ص٧١ ، الطبعة السّعيديّة ؛ مصابيح السُّنّة للبغوي : ٢ / ٢٧٥ ؛ جامع الأصول : ٩ / ٤٧١ ؛ الجامع الصّغير للسيوطي : ٢ / ٥٦ ؛ الرّيا النّضرة : ٢ / ٢٢٩ / مطالب السّؤول : ١٨ ؛ المشكاة للعمري : ٣ / ٢٤٣ ؛ منتخب كنز

العمال بهامش مسند حمد : ٥ / ٣٠ ؛ فرائد السّمطين : ١ / ٥٨ ــ ٥٩ .

٨٢. ينظر : شواهد التنزيل : ٢ / ٢١٣ ؛ المناقب للخوارزمي : ٢٠ ؛ الصواعق المحرقة : ٧٤ ؛ مجمع الزوائد : ٩ / ١٠٢ ؛ ذخائر العقبى : ٥٨ ؛ ينابيع المودّة : ٢٨٤ ؛ منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد : ٥ / ٣٠ ؛ فضائل الخمسة من الصّحاح السّتّة : ١ / ١٨٤ ؛ إحقاق الحقّ : ٥ : ٥٨٨ .

٨٣. ينظر : الصّواعق المحرق : ٧٤ ؛ شواهد التّنزيل : ٢ / ٢٢٣ ؛ تاريخ دمشق : ١ / ٧٩ ، ج٢ ص٢٨٢ ؛ ذخائرالعقبى : ٥٦ ؛ كفاية الطالب : ١٢٤ ، ط : الحيدريّة ، ص٤٧ ، ط : الغري ؛ المناقب للخوارزمي : ٢١٥ ؛ مناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي الشّافعي : ٢٤٥ . الرّياض النّضرة : ٢/ ٢٠٢ ؛ ينابيع المودّة : ١٨٥ ، ٢٠٢ ، ٢٣٣ ، ٢٨٤ ، ٣١٥ ،ط : اسلامبول ، ص١٤٢ ، ٢١٩ ، ٢٣٦، ٢٣٨ ، ٣٤٠ ، ط : الحيدريّة ؛ شرح نهج البلاغة : ٩ / ١٧٢ ؛ الجامع الصّغير للسيوطي : ٢ / ٤٢ ؛ منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد : ٥ / ٣٠ ؛

٨٤. ينظر : حلية الأولياء : ١ / ٦٥ ــ ٦٦ ؛ تاريخ دمشق : ١ / ١١٧ ؛ الرّياض النّضرة : ٢ / ٢٦٢ ؛ مطالب السّؤول : ١ / ٩٥ ط : النجف ؛ شرح نهج البلاغة : ٩ : ١٧٣ ؛ المناقب للخوارزمي الحنفي: ٦١ ، الميزان للذهبي : ١ / ٣١٣ ؛ كفاية الطالب : ٢٧٠ ، ط : الحيدريّة ، ص١٣٩ ، ط : الغري ؛ منتخب كنز العمال بهامش مسند حمد : ٥ / ٣٤ ؛ فرائد السّمطين : ١ / ٢٢٣ .

٨٥. شرح نهج البلاغة : ٧ / ٣٢ .

٨٦. المصدر نفسه : ٧ / ٣٣ .

٨٧. ينظر: شرح نهج البلاغة: ٢ / ٤٤٩، ج٩ ص١٦٨، ط: مصر ؛ فتح الملك العلي بصحّة حديث باب مدينة العلم عليّ ، لأحمد بن محمد بن الصديق الحسني المغربي، نزيل القاهرة ، ص ٣٤ ؛ اليواقيت والجواهر، للعارف الشّعراني : ١٧٢ ؛ ينابيع المودّة : ٢١٤ ، ٣١٢ ؛ تاريخ دمشق: ٢ / ٢٨٠؛ شواهد التّنزيل: ١ / ٧٨ ــ ٧٩ ؛ المناقب للخوارزمي : ٢٢٠ ؛ الفصول المهمّة لابن الصّباغ المالكي : ١٠٧ ؛ مفاتيح الغيب ، للفخر الرّازي : ٢ / ٢٨٨ ، ٧٠٠ ؛ مناقب علي بن أبي طالب ، لابن المغازلي الشّافعي : ٢١٢ ؛ ذخائر العقبى : ٩٣ ــ ٩٤ ؛ الرّياض النّضرة : ٢ / ٢٩٠ ؛ فرائد السّمطين: ١/ ١٧٠ .

٨٨. آل عمران : ٧ .

٨٩. شرح نهج البلاغة : ٧ / ٣٤ .

٩٠. ينظر : المصدر نفسه : ٧ / ٣٣ .

٩١. ينظر : المصدر نفسه : ٧ / ٣٤ .

المصادر والمراجع

خير ما نبدأ به القرآن الكريم .

١. ــ الإتقان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة المشهد الحسيني ، القاهرة ، ١٩٦٧م .

٢. ــ الاحتجاج ، أبو علي الفضل بن الحسن ، الطّبرسي (٥٤٨ هـ / ١١٥٣) ، تعليق : محمد باقر الخرسان ، دار النّعمان للطّباعة والنّشر ، النجف الأشرف ــ العراق ، ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م

٣. ــ إحقاق الحق وإزهاق الباطل ، القاضي نور الله الحسيني المرعشي التّستري ،(ت : ١٠١٩ هـ) ، النّاشر : مكتبة المرعشي النجفي ، الطبعة الأولى .

٤. ــ الاختصاص ، محمد بن محمد بن النّعمان ، الشيخ المفيد (ت : ٤١٣ هـ) ، المطبعة الحيدريّة ، النّجف الأشرف ، ١٣٩٠ هـ ، ١٩٧١ م .

٥. ــ الأربعين في أصول الدّين ، فخر الدّين محمد بن عمر ، المعروف بالفخر الرّازي (ت: ٦٠٦ هـ) ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانيّة ، حيدر آباد الدّكن ، الطبعة الأولى ، ١٣٠٣ هـ .

٦. ــ أرجح المطالب فضائل ومناقب امير المؤمنين علي بن أبي طالب الشيخ عبيد الله الحنفي ، دار الدّاعي ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢ هـ .

٧. ــ أسد الغابة في معرفة الصّحابة ، أبو الحسن علي بن أبي المكارم بمحمد بن عبد الكريم الجزري المعروف بابن الأثير (ت : ٦٣٠ هـ) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان .

٨. ــ إسعاف الرّاغبين بهامش نور الأبصار : ١٥٨ الطبعة السّعيديّة ، ص١٤٣ الطبعة العثمانيّة .

٩. ــ الاستيعاب في أسماء الأصحاب ، للإمام الحافظ أبي عمر يوسف بن بد الله بن محمد بن عبد البر (ت : ٤٦٣ هـ) ، تحقيق : عادل مُرشد ، دار الاعلام ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٣ هـ ــ ٢٠٠٢ م .

١٠. ــ الإصابة في تمييز الصحابة ، شهاب الدين ، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي ، المعروف بابن حجر ، ط١ ، دار العلوم الحديثة ، مصر ، ١٣٢٨هـ .

١١. ــ الأمالي ، أبو جعفر محمد بن الحسن الطّوسي (ت : ٤٦٠ هـ) ، مطبعة النّعمان ، النّجف

الأشرف ، ١٣٨٤ هـ ، ١٩٦٤ م .

١٢. ـ جلاء الأفهام في فضل الصّلاة والسلام على خير الأنام لإبن قيّم الجوزيّة (ت : ٧٥١ هـ) ، تحقيق : زائد بن أحمد النّشيري ، دار عالم الفوائد .

١٣. ـ أنوار التّنزيل وأسرار التّأويل ، أبو سعيد عبدالله بن عمر البيضاوي (ت : ٦٨٥ هـ)، تحقيق : محمد صبحي حسن حلاق و محمد أحمد الأطرش ، دار الرّشيد ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١ هـ ، ٢٠٠٠ م .

١٤. ـ بحر العلوم، لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت: ٣٧٥هـ)، تحقيق : الشيخ علي محمد معوض، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الدكتور زكريا عبد الحميد النوتي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٣ م .

١٥. ـ البحر المحيط ، ابو حيان الاندلسي (ت:٧٤٥هـ) ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٣٢٨هـ .

١٦. ـ البرهان في علوم القرآن ،الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت: ٧٩٤هـ) ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، مكتبة دار التراث ، القاهرة .

١٧. ـ البيان والتبيين، تح : عبد السلام محمد هارون، الطبعة الثانية، مكتبة الخانجي بمصر – مكتبة المتنبي ببغداد، ١٣٨٠ هـ – ١٩٦٠م .

١٨. ـ البيان والتّعريف في أسباب ورود الحديث ، ابراهيم بن محمد كمال الدّين الحسيني الدمشقي ، المعروف باسم ابن حمزة الحسيني ، مطبعة البهاء ، الطّبعة الأولى ، حلب، ١٩١١ م .

١٩. ـ تاج اللغة وصحاح العربية ، اسماعيل بن حمّاد ، الجوهري ، (ت : ٣٩٣ ـ ٣٩٨ هـ) ، تح : احمد عبد الغفور عطارد ، دار العلم للملايين ، بيروت ـ لبنان ، ط٤ ، ١٤٠٧ هـ .

٢٠. ـ ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، مطبعة : مصطفى محمد ، ، مصر ، (د . ت) .

٢١. ـ تاريخ العرب في الإسلام ، الدكتور جواد علي ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، الطبعة الأولى ، بغداد .

٢٢. ـ تاريخ العرب في الإسلام ، الدكتور جواد علي ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، الطبعة الأولى ، بغداد .

٢٣. ــ تاريخ مدينة دمشق ، الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشّافعي ، المعروف بابن عساكر (ت : ٥٧١ هــ) ، تحقيق : محب الدّين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي ، دار الفكر .

٢٤. ــ التبيان ، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي ، تحقيق وتصحيح : أحمد حبيب قصير العاملي ، مطبعة النعمان ، النجف ، ١٣٥٨هـ ـ ١٩٦٥م .

٢٥. ــ التحرير والتنوير ، المعروف بتفسير ابن عاشور ، محمد الطاهر بن عاشور ، مؤسّسة التاريخ ، بيروت ــ لبنان ، ط١ .

٢٦. تذكرة الخواص ، لسبط بن الجوزي الحنفي (ت : ٦٥٤ هــ) ، تحقيق : الدكتور عامر النّجّار ، الناشر : مكتبة الثّقافة الدّينيّة ، الطّبعة الأولى ، ١٤٢٩ هـــ ـ ٢٠٠٨ م.

٢٧. ــ تفسير القرآن الحكيم المعروف بالمنار ، محمد رشيد رضا ، ط٢ ، دار الفكر .

٢٨. ــ تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ، عبد الرحمن بن محمد ابن ادريس الرازي (ت : ٣٢٧ هـ) ، تح : أسعد محمد الطيب ، دار الفكر ، بيروت ـ لبنان ، ١٤٢٤ هـ ـ ٢٠٠٣ م .

٢٩. ــ التفسير ومنهج التفاسير الحديثة للقرآن الكريم ، الدكتور نجم الفحام ، دار المدينة الفاضلة ، ط١ .

٣٠. ــ التوحيد ، الصدوق (ت: ٣٨١هـ) ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٨٧هـ .

٣١. ــ الجامع لأحكام القرآن ، لأبي عبد الله محمد بن احمد ، الأنصاري ، القرطبي ، تحقيق: الشيخ محمد بيومي ، أ/ عبد الله المنشاوي ، ط٢ ، مكتبة الإيمان ، مصر ، ٢٠٠٦ م .

٣٢. ــ جامع الأصول من أحاديث الرسول، أبو السعادات، مبارك بن محمد بن الأثير الجزري (ت: ٦٠٦هـ)، اشراف وتصحيح : عبدالمجيد سليم، ومحمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ١٩٤٩م .

٣٣. ــ جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، (ت : ٣١٠هـ) ، قدَّم له :الشيخ خليل الميس ، ضبط وتوثيق وتخريج : صدقي جميل العطَّار ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٢٥هـ ــ ١٤٢٦ هـ ، ٢٠٠٥م .

٣٤. ــ الجامع الصّغير في أحاديث البشير النّذير ، جلال الدّين عبد الرّحمن بن أبي بكر (ت :

٩١١ هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .

٣٥. ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، للحافظ أبي نعيم احمد بن عبد الله الأصفهاني ، (ت : ٤٣٠هـ) ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م .

٣٦. ـ خصائص أمير المؤمنين ، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب ، النّسائي (ت : ٣٠٣هـ)، تحقيق : محمد هادي الأميني ، مكتبة نينوى الحديثة ، طهران ، إيران .

٣٧. ـ الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، الإمام عبد الرحمن جلال الدين السيوطي ، ط١، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م .

٣٨. ـ ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى ، محبّ الدّين أحمد بن عبد الله (ت : ٦٩٤هـ)، مكتبة القدسي ، دار الكتب المصريّة ، ١٣٥٦ هـ .

٣٩. ـ روح البيان ، اسماعيل حقّي ، البروسوي ، (ت : ١١٣٧ هـ) ، دار الفكر ، ١٤٢٩ هـ ـ ٢٠٠٨ م) ، بيروت ـ لبنان .

٤٠. ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، لأبي الفضل شهاب الدين محمود الآلوسي البغدادي ، ط ١ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م .

٤١. ـ الرّياض النضرة في مناقب العشرة ، ابو العباس ، حمد بن عبد الله ، محبّ الدّين الطّبري (ت : ٦٩٤ هـ) ، دار الكتب العلميّة ، الطبعة الثّانية ، ٢٠١٠ م .

٤٢. ـ سنن ابن ماجة ، الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، ابن ماجة ، (ت : ٢٠٧ ـ ٢٧٥ هـ) ، حقّق نصوصه ، ورقّم كتبه ، وأبوابه ، وأحاديثه وعلّق عليه : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الحديث ، القاهرة .

٤٣. ـ السيرة الحلبيّة المسمّى إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون ، بهامشه السيرة النّبويّة والآثار المحمّديّة ، أحمد زيني دحلان ، المطبعة الأزهريّة ، دار المعرفة ، الطّبعة الثّالثة، ١٣٥١ هـ ـ ١٩٣٢ م .

٤٤. ـ شرح الأخبار ، تحقيق : محمد الحسيني الجلالي ، مؤسّسة النّشر الإسلامي ، قم، ط٢، ١٤١٤ هـ .

٤٥. ـ شرح نهج البلاغة ، ابن ابي الحديد، ابو حامد، عز الدين عبد الحميد بن هبة الله المدائني

(ت : ٦٥٦ هـ)، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، مطبعة البابي الحلبي، الطبعة الثانية، ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥م .

٤٦. ــ شواهد التّنزيل لقواعد التّفضيل ، الحاكم الحسكاني، عبيد الله بن أحمد الحذاء الحنفي الّيسابوري (من أعلام القرن الخامس الهجري)، تحقيق وتعليق: محمد باقر المحمودي ، مؤسّسة الطّبع والنّشر التابعة لوزارة الثّقافة والإرشاد الإسلامي الإيراني، مجمع إحياء الثّقافة الإسلاميّة، الطبعة الأولى ، طهران ، إيران ، ١٤١١ هــ، ١٩٩٠م .

٤٧. ــ صحيح التّرمذي ، أبو عيسى محمد بن عيسى (ت : ٢٧٩ هــ) ، بشرح : أبي بكر بن العربي ، القاهرة ، ١٣٥٣ هــ .

٤٨. ــ صحيح مسلم ، مسلم بن حجّاج النّيسابوري (ت : ٢٦١ هــ) ، دار الكتب ، بيروت ، ١٩٧٧ م .

٤٩. ــ الصّواعق المحرقة في الرّد على أهل البدع والزندقة ، أبو العباس أحمد بن محمد بن علي ، المعروف بابن حجر الهيتمي ، تحقيق : مصطفى بن العدوي ، الشّحات أحمد الطّحان ، عادل شوشة ، مكتبة فيّاض ، المنصورة ، مصر ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٩ هــ/ ٢٠٠٨ م .

٥٠. ــ طبقات ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، تحقيق : ادورد سخاو ليدن ، الطّبقات الكبرى ، دار صادر ، دار بيروت ، بيروت ، ١٣٨٠ هــ ، ١٩٦٠ م .

٥١. ــ عيون أخبار الرّضا ، محمد بن علي بن بابويه ، الصّدوق (ت : ٣٨١ هــ) ، المطبعة الحيدريّة ، النّجف الأشرف ، ١٣٩٠ هــ ، ١٩٧٠ م .

٥٢. ــ فتح الملك العلي بصحّة حديث باب مدينة العلم علي ، أحمد بن محمد بن الصديق الحسني المغربي ، نزيل القاهرة (ت : ١٣٨٠ هــ) ، تحقيق : الدكتور عماد سرور ، طبعة الحيدريّة ، طبعة المطبعة الاسلاميّة بالأزهر ، الطبعة الأولى ، ٣٥٤ هــ .

٥٣. ــ فرائد السّمطين في فضائل المرتضى والبتول والسبطين ، ابراهيم بن محمد بن المؤيد بن عبد الله بن علي الجويني الخرساني (ت : ٧٢٢ هــ) ، تحقيق : محمد باقر المحمودي ، مؤسّسة المحمودي للطباعة والنّشر ، الطبعة الأولى ، بيروت ، لبنان ، ١٣٩٨ هــ/ ١٩٧٨ م ، ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠ م .

٥٤. ــ الفصول المهمّة في معرفة الأئمّة ، علي بن محمد بن أحمد ، المعروف بابن الصّبّاغ المالكي المكّي (ت : ٨٥٥ هــ) ، تحقيق : سامي الغريري ، دار الحديث ، الطبعة الأولى، قم ، إيران ، ١٤٢٢ هـ .

٥٥. ــ فضائل الخمسة من الصّحاح السّتّة ، مرتضى الحسيني الفيروزآبادي (ت : ١٤١٠ هــ) ، النّاشر : منشورات فيروز آبادي ، قم ، إيران .

٥٦. ــ الكشاف عن حقائق التأويل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، تحقيق : خليل مأمون شيحا ، ط ٢ ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م .

٥٧. ــ كفاية الطالب في مناقب علي بن ابي طالب عليه السلام ، محمد بن يوسف بن محمد الكنجي الشّافعي (المقتول سنة ٦٥٨ هــ) ، تحقيق : محمد هادي الأمين ، النّاشر : دار إحياء تراث أأهل البيت عليهم السلام ، الطبعة الثّالثة ، ١٤٠٤ هــ .

٥٨. ــ الكافي (الأصول) ، ابو جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق ، الكليني (ت : ٣٢٩ هــ) ، دار الكتب الاسلاميّة ، طهران ، ١٣٨٣ هــ .

٥٩. ــ كنوز الحقائق في حديث خير الخلائق ، محمد بن عبد الرؤوف بن تاج الدّين بن علي بن زين العابدين ، المعروف بالمناوي الشّافعي ، تحقيق : صلاح محمد عويضة ، دار الكتب العلميّة ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٦ م .

٦٠. ــ لسان العرب ، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري ، (ت : ٧١١هـ) ، دار صادر ، بيروت ، (د.ت) .

٦١. ــ لسان الميزان ، ابو الفضل احمد بن علي بن محمد بن احمد بن حجر العسقلاني (ت : ٨٥٢ هــ) ، مؤسّسة الأعلمي ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٠ هــ/ ١٩٧١ م .

٦٢. ــ مجمع البيان في تفسير القرآن ، أمين الإسلام أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي ، تحقيق : لجنة من العلماء ، قدَّم له : الإمام الأكبر السيد محسن الأمين العاملي ، ط ٢ ، مؤسَّسة الأعلمي ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٥م .

٦٣. ــ مجمع الزّوائد ، ابو الحسن نور الدين علي بن ابي بكر بن سليمان الهيثمي (ت : ٨٠٧ هــ

) ، تحقيق : حسام الدين المقدسي ، مكتبة القدسي ، القاهرة ، ١٤١٤ هـ ، ١٩٩٤ م .

٦٤. ــ المحكم والمتشابه بين مدرسة أهل البيت ومدرسة الصّحابة ، الدكتور نجم الفحّام ، لا يزال مخطوطاً في مكتبة المؤلّف .

٦٥. ــ المستدرك على الصّحيحين ، ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد ، الحاكم النيسابوري (ت : ٤٠٥ هـ) ، تحقيق : يوسف عبد الرحمن المرعشلي ، در المعرفة ، بيروت ، لبنان ، (د . ت) وطبعة : مكتبة ومطبعة النّصر الحديثة ، الرّياض .

٦٦. ــ مسند أحمد ، أحمد بن حنبل ، وبهامشه منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، طبع ونشر : دار الفكر العربي .

٦٧. ــ مشكاة المصابيح ، محمد بن عبدالله ، الخطيب التّبريزي ، تحقيق : محمد ناصر الدّين الألباني ، الناشر : المكتب الاسلامي ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٩ هـ ، ١٩٧٩ م .

٦٨. ــ مصابيح السّنّة ، ابو محمد الحسين بن مسعود البغوي الشّافعي (ت : ٥١٦ هـ) ، تحقيق: ضحى الخطيب ، دار الكتب العلميّة ، ١٩٩٨ م .

٦٩. ــ مطالب السّؤول في مناقب آل الرّسول ، كمال الدّين محمد بن طلحة نصيبي الشّافعي (ت : ٦٥٢هـ) ، تحقيق : ماجد بن العطيّة ، مؤسّسة البلاغ ، الطبعة الأولى، بيروت ، ١٤١٩ هـ .

٧٠. ــ المعجم الصّغير ، ابو القاسم سليمان بن احمد الطّبراني (ت : ٣٦٠ هـ) ، دار الكتب العلميّة ، الطبعة الأولى ، بيروت ، لبنان ، (د . ت) .

٧١. مفاتيح الغيب ، الإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن ابن علي التميمي البكري الرازي الشافعي ، ط ٣ ، دار الكتب العلميَّة ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٩م.

٧٢. ــ مقتل الحسين ، ابو المؤيد الموفّق بن احمد الخوارزمي (ت :٥٦٨ هـ) ، تحقيق ـ محمد السّماوي ، دار نور الهدى .

٧٣. ــ مقدمة في أصول التفسير ، ابن تيمية ، تحقيق : عدنان زرزور ، ط ٢ ، مؤسَّسة الرسالة ، ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٢م .

٧٤. ــ المناقب ، الموفق بن احمد بن محمد المكّي الخوارزمي (ت : ٥٦٨ هـ) ، تحقيق : الشّيخ مالك المحمودي ، مؤسّسة النّشر الاسلامي ، قم .

٧٥. ـــ مناقب امير المؤمنين علي بن ابي طالب ، ابو الحسن علي بن محمد الواسطي ، المعروف بابن المغازلي (ت : ٤٨٣ هـــ) ، دار مكتبة الحياة ، الطّبعة الأولى ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٠ هـــ ، ١٩٨٠ م .

٧٦. ـــ منتخب كنز العمال ، علاء الدّين علي بن حسام الدّين ، الشّهير بالمتّقي الهندي (ت: ٩٥٧ هـــ) ، طُبع بهامش مسند الامام احمد ، دار الفكر بيروت .

٧٧. ـــ مواهب الرحمن ، عبد الأعلى السبزواري ، ط١ ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت، ١٤٢٤ هـ-٢٠٠٣م .

٧٨. ـــ ميزان الاعتدال في نقد الرّجال ،شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز الذهبي ، (ت : ٧٤٨ هـــ) ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار المعرفة ، بيروت .

٧٩. ـــ الميزان في تفسير القرآن ، محمد حسين الطباطبائي ، ط١ ، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، ١٤٢٧هـ -٢٠٠٦م .

٨٠. ـــ نظم درر السّمطين في فضائل المصطفى والمرتضى والبتول والسّبطين ، جمال الدّين محمد بن يوسف بن الحسن بن محمد الزرندي الحنفي المدني ، تحقيق : السيد علي عاشور ، دار إحياء التّراث العربي ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٤ م .

٨١. ـــ النكت والعيون ، للماوردي ، أبو الحسن محمد بن حبيب الماوردي البصري ، (ت : ٤٥٠ هـ) ، راجعه وعلّق عليه : عبد المقصود بن عبد الرحيم ، مؤسّسة الكتب الثّقافيّة ، ط٢ ، ١٤٢٨ هـــ ٢٠٠٧ م ، بيروت - لبنان .

٨٢. ـــ نور الابصار في مناقب آل بيت النّبي المختار ، مؤمن بن حسن مؤمن الشّبلنجي ، تحقيق : الدكتور محمد سيد سلطان و الاستاذ عبد المنعم علي سليمان ،دار جوامع الكلم ، القاهرة .

٨٣. ـــ ينابيع المودّة لذوي القربى ، سليمان بن ابراهيم الحنفي القندوزي (ت: ١٢٩٤ هـــ/ ١٨٧٧ م) ، تحقيق : سيّد علي جمال أشرف الحسيني ، دار الأسوة، إيران ، ١٤١٦ هـــ ـــ ١٩٩٦ م .

٨٤. ـــ اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر ، لعبد الوهاب الشّعراني ، دار إحياء التّراث العربي .

الاستعارة أداة للمسكوت عنه
في نهج البلاغة
فن صناعة الخطاب

أ. د. نـجاح فاهم العبيدي

م.م.فراس تركي عبد العزيز

جامعة كربلاء ـ كلية التربية للعلوم الإنسانية

المقدمة

توجّت الاستعارة الدراسات الدّلالية؛ لأنها الصورة التي تتصدر بنية الكلام الانساني بشكل كبير؛ كونها ألمع الصور البيانية نظراً لقيمتها التعبيرية المكثفة وباعتبارها موضوع تفكير فلسفي ولغوي وجمالي ونفسي.

استطاع المسكوت عنه الولوج من خلالها في بنية الخطاب، جاعلاً إياها أداة من أدواته الفاعلة والمؤثر، لما تمتلك من ميزات، تجعل القارئ أو المستمع يحسُّ بالمعنى أكمل إحساس، وهذا العمق الدلالي يختلط مع مظاهر أخرى منها ((أنها أسحر سحراً وأملأ بكل ما يملأ صدراً، ويمتع عقلاً، ويؤنس نفساً ويؤقر أنساً، وأهدى إلى أن يهدي إليك عذارى، قد تخير لها الجمال، وعني به الكمال))[١].

واذا كان المسكوت عنه محورَ ارتكازٍ تقوم عليه علاقة النص بالقارىء من خلال حث المتلقي على استشكاف الدلالة المخبوؤة داخل النص[٢]. فانه والوصف هذا يعد بؤرةً وبوتقةً تنصهر فيها كل حيثيات النص؛ لكنه والوصف هذا – المسكوت عنه – قابل ايضاً لأن يكون هو الآخر محور ارتكاز؛ للكشف عنه في عملية بحث عن صيَغِهِ التي جاء بها ، فهي الأخرى نشاط دلالي تسهم في تقليص شقة البحث عن الهدف المقصود من خلال ما تعارف عليه من عملها، والاستعارة هي احدى صيغ المسكوت عنه.

سنحاول في هذا البحث بيان أداة المسكوت عنه الاستعارة في نهج البلاغة، من خلال التنظير لها، ومن ثم التطبيق على خطاب نهج البلاغة لاستكشاف المسكوت عنه وبيان دلالته.

وقبل الحديث عن أهمية الاستعارة وميزاتها، لابدّ لنا من أن نتفيّأ قليلاً بظلال تعريفها اللغوي والاصطلاحيّ.

أولاً: الاستعارة لغةً

الاستعارة في اللغة من العارية أي نقل الشيء من شخص إلى آخر، حتى تصبح تلك العارية من خصائص المعار إليه، والعارية منسوبة إلى العارة، وهو اسم من الإعارة. تقول أعرته الشيءَ أعيره إعارة. ويقال استعرت منه عارية فأعارنيها.[٣]

جاء في مختار الصحاح مادة (ع و ر): واستعار ثوباً فأعاره إياه. واعتوروا الشيء تداولوه فيما بينهم، وكذا تعوّروه تعوّراً و تعاوراً[٤].

واشتقاقها من عارَ الفرسُ اذا ذهب؛ لأن العاريةَ تذهب من جهة المعير الى المستعيرِ لها من الأعيان، وهكذا حالُها اذا كانت مستعملة في الأمور المجازية.

ثانياً: الاستعارة اصطلاحاً

تناول القدامى مفهوم الاستعارة وكان لهم الفضل في تأصيلها وتأسيسها. ولعل نظرة أرسطو للاستعارة شكّلت في مراحل تاريخية متعاقبة قاعدة لعديد من الدراسات القديمة والحديثة، على حد سواء، فقد عرفها على أنها: ((إعطاء الشيء اسماً يعود على شيء آخر بالانتقال من النوع إلى الجنس ومن الجنس إلى النوع ومن النوع إلى النوع والنقل بالتناسب)).[٥] ولا يخفى على أي دارس بأن الجاحظ من أوائل من صرف وجهه إليها إذ عرفها بـ (تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه)[٦] وعرفها المبرّد بأنها: ((نقل اللفظ من معنى إلى معنى)).[٧]

ونشير هنا إلى أن ابن قتيبة زاد على تعريفهما ذكر العلاقة بين المعنيين بالإشارة إلى علاقتي السببية أو المشابهة. وقد حذا الرّماني حذو سابقيه فعرفها بقوله: الاستعارة تعليق العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة على جهة النقل للإبانة.[٨] كما أنه رأى في الاستعارة بنية متكاملة، فإظهار الدلالة وإبانتها وحسن

إفهام المعاني هي الهمّ الأساسي بين هموم الرماني.[٩]

وعرفت الاستعارة بالدراسات الحديثة بأنها ((الاستعارة الملكة التي نحيا بها)).[١٠] فالمتكلم غالباً لا يستطيع أن يصوغ جملًا موثرةً دون اللجوء إلى الاستعارة. فقد تكون الاستعارة الجمرة التي تضيء وتؤلم أحياناً لتوقظ فينا ما كان غافياً.

ومن خلال تحديد مفهوم النص بوصفه إنتاجية للخطاب. طرحت جوليا كريستيفا مسألة الاستعارة، إذ رأته ((لايكتفي بتصوير الواقع أو الدلالة عليه وإنما يشارك في تحريكه وتحويله)).[١١]

وما نميلُ إليه تعريف أبي الحسن محمد بن أحمد بن طباطبا المشهور بالعلويّ (٢٥٠هـ.) فيما ذهب إليه في تعريفه المختار من أن الاستعارة ((تصيرك الشيء الشيء وليس به، وجعلك للشيء وليس له بحيث لا يلحظ فيه معنى التشبيه صورة ولا حكماً)).[١٢]

ثالثاً: أهمية الاستعارة

تشكل الاستعارة أساساً في المقاربات الدلالية والجمالية، التي تعنى بالإبداع، وهدفها صياغة قوانين عامة تمثل ما يطرد من أساليب وصور تتضامن لتمنح النص جمالية وخصوصية، كما لو أنها صورة مستجدة لها استقلاليتها وحريتها عند المبدع فتعطينا باليسير من اللفظ الكثير من المعاني وهي ((التي تعطي قبل كل شيء الجلاء والمتعة جواً غريباً)).[١٣] وفي طياتها تتضمن المسكوت عنه، الذي يجعل الخطاب حيوياً.

أما فائدة الاستعارة عند عبد القاهر الجرجاني فتتلخص في إبراز ((الفكرة واضحة جلية، وإظهار الصورة في مظهر حسن تعشقهُ النفوس، و تميل إليه

القلـوب، وتهتـزُّ لـه العواطـف، وتتغـذى بـه الأسـماع))[١٤] وقـد عدّهـا أهـم أركان الإعجـاز القـرآني.

وفي ظـل هـذا المفهـوم يغـدو النـص مجـالاً لممارسـات دالـة، وهو((مـا يجعـل الاسـتعارة عنـصراً رمزيـاً، يشـتغل داخـل النـص، وينبثـقُ ضمـن مجموعـة مـن الأطـر والمفاهيـم الاجتماعيـة واللسـانية))[١٥].

واكتفـى جونسـون بالتعـرض لكثير مـن جوانـب النظريـة الغربيـة للأخـلاق وأبـرز دور الاسـتعارة في تشـكيل المفاهيـم الأخلاقيـة: ((حيـث تسـقط قوانـين الطبيعـة عـلى قوانـين الأخـلاق)).[١٦]

ويمكـن القـول إنّ إضـاءة الاسـتعارة وإشـعاع دلالتهـا، لا ينكشـفان إلا لمـن يعـرف و يحسّ بأنهـا ليسـت مـن هـذا المحيط الـذي حلّـت بـه وعنـد إدراك هـذه الحالـة الدلاليـة يتحقـق عنـصر المفاجـأة والمباغتـة، ممـا يكسرُ الألفـة والتتابـع العـادي لسلسـلة الـدلالات في السـياق.[١٧]

وهـذا الأمـر يحتـاج إلى ذائقـة لغويـة وفهـم واسـع لقيمـة الاسـتعارة في الخطـاب. وامكانيـة جعلهـا أداة للمسـكوت عنـه.

ويعتمـد التحليـل الـذي يقترحـه سـبربر و ولسـن للاسـتعارة عـلى فكـرة مفادهـا، أن المخَاطَـبَ المـؤَوِّلَ لقـول اسـتعاري سـيحصل عـلى عـدد مـن الاسـتلزامات الصادقـة.[١٨] ولابـد مـن الاشـارة إلى أن هنـاك فرقـاً شاسـعاً فاصـلًا بين مقاربة (سـيرل) لوقائـع اللغـة ومقاربـة (سـبربر وولسـن) فسـيرل يدافـع عـن فكـرة مبـدأ قابليـة الإبانـة الـذي يقـرّ بإمـكان تمثيـل أيـة فكـرة بقـول حـرفي. وعـلى عكـس ذلـك تدافـع نظريـة المناسـبة عـن توجـه يقـرّ بوجـود بعـض الأفـكار لا يمكـن التعبير عنهـا إلا بأقـوال غير حرفيـة. وهنـا يكمنُ كل الفـرق بـين النظريـة التواضعيـة مثـل نظريـة (سـيرل) والنظريـة

(الاستدلالية) مثل نظرية سبربر و ولسن.[١٩]

لقد اجمع المشتغلون على الاستعارة من القدماء على أنها تشبيه حذف احد طرفيه، ويحضر الطرف الآخر. يغيب كلياً في الاستعارة التي أطلقوا عليها اسم التصريحية، التي عرفوها بأنها استعارة يصرح فيها بالمستعار منه، بينما يحذف المستعار له، كما تبين البنيات المشهورة لديهم.

أ. رأيتُ أسداً

ب. رنت لنا ظبية

ج. كلمتُ بحراً

فالمستعار منه حاضر في هذه البنيات، و هو على التوالي، الأسد والظبية والبحر. أما المستعار له فمتوارٍ محجوب، نهتدي إليه بواسطة بعض القرائن المقامية.وعلى التوالي الرجل الشجاع والمرأة الجميلة والعالم.

ويغيب المستعار منه في الاستعارة التي أطلقوا عليها اسم المكنية، ويبقى على أحد لوازمه التي تعيّنه. اما المستعار له فيصرح به كلياً، كما في الآية القرآنية ((واخفض لهما جناح الذل من الرحمة))[٢٠] التي صرح فيها بالمستعار له الذي هو الابن، بينما حذف المستعار منه الذي هو الطائر المستكين، وأبقى على أحد لوازمه الذي هو الجناح المخفوض.[٢١]

مما تقدم يمكن القول إنّ الاستعارة هي عبارة عن عملية ذهنية، تقوم على التقريب بين موضوعين أو وضعين، وذلك بالنظر إلى أحدهما من خلال الآخر. ومن خلالها يمكن النظر إلى المسكوت عنه والوصول إليه من خلال النظر بالمصرح به والبنية الظاهرة للخطاب، لمعرفة مقاصد المتكلم من كلامه.

بعد العرض النظري للإستعارة ، نحاول الإجابة عن التساؤل: كيف طبق الإمام علي (عليه السلام) المسكوت عنه بوساطة الاستعارة؟ و كيف قدّمها للمتلقي؟

ونجيب عن هذا التساؤل بالنماذج التطبيقية من نهج البلاغة.

النموذج الاول

تحدّث الامام علي (عليه السلام) عمّن أطاعوا الشيطان وسلكوا مسالكه قائلاً:

«في فتن داستهم بأخفافها، ووطئتهم بأظلافها، وقامت على سنابكها»[٢٢]

المستعار له في هذا النص هو (الفتنة)، والمستعار منه (الجمل والثور)، ونوع الاستعارة (مكنية) لأنه لم يصرح بالمستعار منه في هذا الخطاب، وأنما ذكر لازم من لوازمه، حين أسند الفعلين: (داست) و(وطئت) إلى الفتن، وعدّى الأوّل منهما إلى الأخفاف بوساطة حرف الجر، والثاني إلى الأظلاف، غيّب الهويّة الموضوعيّة المجرّدة لتلك الفتن، وأكسبها هويتين فنيتين هما: هويّة الجمل التي تبدّت من خلال الأخفاف، وهويّة الثور التي ظهرت من خلال الأظلاف.

وهاتان الهويّتان البهيميّتان تقدّمان الفتنة من خلال المسكوت عنه قوّة هائلة متمكنةً من السحق، غير مدركة مَن تسحق، ولا ما ينجم عن هذا السحق. وهذا أمر شديد البشاعة بالنسبة إلى عربيٍّ تلك المرحلة الحضارية. وحين يتصوّر الخائضون غمار الفتنة أنهم بعض وقودها لابد من أن يأخذ الوجل قلوبهم فيرعووا.

والاستعارة هي أكثر فائدة من التشبيه؛ لقدرتها على الإيحاء وإثارة أكبر قدر ممكن من التداعيات في ذهن المتلقي[٢٣].

يعني ذلك أنّ أداة المسكوت عنه (الاستعارة العلويّة) لم تقم بالوظيفة

التعويضية وحدها، وظيفة الكشف عن خصوصيّة رؤية الإمام (عليه السلام) إلى الفتنة، ولكنّها قامت بوظيفة ثانية، هي الوظيفة الإقناعيّة.

ولم ترتكز العملية الإقناعية، عبر أداة المسكوت عنه، على المنطق السببي، ولكن على إخراج المتلقي من واقعة الموضوعي والدخول به إلى عالم فني تتبدّى الفتنة فيه جملاً وثوراً. ويصبح المتلقي معه جزءاً من آليات اشتغال هذا العالم المخيف الذي يدخل الخوف من الفتنة قلبه فيبتعد عنها.

كان دفع الفتنة همّاً محورياً عند الامام عليّ (عليه السلام)، خصوصاً في زمن خلافته، فالفتنة التي شهدت ولادتها باكراً في الحياة الإسلامية وكانت على شكل جنين باتت المعضلة التي رافقت عليّاً (عيه السلام) منذ اليوم الأوّل لتوليه الخلافة وحتى استشهاده (عليه السلام). والدنيا كانت الفاعل الأساسيّ الذي أمدّ الفتنة بكل ما تحتاج إليه من وقود، كيف لا، وقد قُيِّض لها رجال أجادوا استثمار الضعف البشري حيالها، واستخدموها مطيّة لمآربهم. ما دعا الامام علي (عليه السلام) استعمال المسكوت عنه في خطابه هذا من خلال أداة (الاستعارة) لبيان هول الفتنة وأثارها السلبية العظيمة.

النموذج الثاني

قال الامام علي عليه السلام: «**أَلاَ وَ إِنَّ اَلدُّنْيَا قَدْ وَلَّتْ حَذَّاءَ فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلاَّ صُبَابَةٌ كَصُبَابَةِ اَلْإِنَاءِ اِصْطَبَّهَا صَابُّهَا أَلاَ وَ إِنَّ اَلْآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ وَ لِكُلٍّ مِنْهُمَا بَنُونَ فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ اَلْآخِرَةِ وَ لاَ تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ اَلدُّنْيَا فإنّ كلّ ولد سيلحق بأبيه (بأمّه) يوم القيمة**»[٢٤].

اطلاق الصبابة استعارة لبقيّتها القليلة ،والقلّة هي الجامع بين المستعار منه

(الصُبَابَةُ) والمستعار له (الدنيا)، والصبابة بقية الماء في الإناء و اصطبها صابها مثل قولنا أبقاها مبقيها أو تركها تاركها[٢٥]. فلو ارتشف الظمآن البقية الباقية من الماء لم يرتو ، وكذلك عمر الانسان و ان طال و انتهب فيه جميع الملذات فما هو بشيء إلا اذا كان وسيلة للنجاة في يوم تشخص فيه الأبصار، و تكشف فيه الأسرار.

قال الرضي (رحمه الله): أقول : الحذاء ، السريعة[٢٦]. للدلالة على سرعة زوال الدّنيا و فنائها كي يتنبّه الغافل عن نوم الغفلة و يعرف عدم قابليتها لأن يطال الأمل فيها.

لقد كان الواقع الاجتماعي في زمن الامام يبعد بين الانسان وبين هذه الواقعية وينأى به عنها. وهذا النحو من العمل للدنيا يسبب التفسخ الاجتماعي، فهو لا يقتصر بآثاره الضارة على الفرد وحده، وإنما يمتد بهذه الآثار إلى المجتمع.

تعامل الامام (عليه السلام) مع الدنيا بمثل ما تعامل به مع الفتنة. وإذا ما قُدِّمت الفتنة بشاعة تدفع للتخلّص منها، فإنّ جهداً أشدّ قد بُذل لتخليص الناس من شرور الدنيا. وهو (عليه السلام) عندما يتحدّث عن الدنيا، فإنّه غالباً ما يبدأ حديثه بحرف الاستفتاح (ألا)؛ لما فيه من طاقة تنبيهيّة لافتة تهيّئ المتلقي لنقله من عالم إلى عالم.

ولا يكتمل خروج المتلقي من عالمه الواقعي، مع هذه الاستقلالية اللافتة، إلاّ مع الهويّة الجديدة التي صارت إليها الدنيا بفعل الاستعارة، إذ باتت الدنيا، في أصلها، مع هذه الهويّة ماءً في إناء. والإناء مهما كان كبيراً يظلّ في نظر المتلقي محدود السعة، فكيف إذا لم يكن قد بقي فيه إلا صبابة، بقيّة عافها صاحبها؛ لأنها لا تبلّ ظمأ.

إنّ هويّة كهذه لا تمكن المتلقي من امتلاك هذه الدنيا وفاق خصوصيّة

رؤيته إليها فحسب، ولكنها تدخل في قناعاته هزال قيمة الدنيا الغائبة ولاسيما أنّ انحسارها مترافق مع إقبال ما يضادّها، نعني به الآخرة. «**ألا وإنّ الآخرة قد أقبلت**»[٢٧] إقبالًا يجعلها تشكل مع الدنيا ثنائية تتعالى فيه الآخرة بشكل حاسم، وذلك وسط دعوة للانتماء إليها، إذ يوجد «**لكلّ منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا**»، وأهميّة الانتماء في الاستعارة العلويّة عائدة إلى أنه انتماء اختياري غير مفروض. وإذا كان الانتماء إلى هذه الاسرة أو تلك انتماء قدرياً لا قبل للإنسان بتغييره، فإننا مع علي (عليه السلام) أمام انتماء إسلامي يحدّد المرء موقعه فيه.

لقد أدخلت أداة المسكوت عنه (الاستعارة) المتلقي عالماً رؤيوياً تسود الأسريّةَ فيه قيمٌ جديدة يذهب معها خيال كلّ متلقّ بالقدر وبالاتجاه الذي تتيحه له رؤيته الخاصة. إنه شريك بقوّة الاستعارة في إنتاج ذلك العالم، وفي الانتماء إليه. لذلك هي مُنتج ثقافي واجتماعي في تمتين النص لتحويله الى خطاب.

وفي موضع ثانٍ من النهج يقول الامام(عليه السلام) **(ازهدوا في هذه الدنيا التي لم يتمتع بها أحد كان قبلكم ولا تبقى لاحد من بعدكم، سبيلكم فيها سبيل الماضين، قد تصرمت وآذنت بانقضاء، وتنكر معروفها فهي تخبر أهلها بالفناء، وسكانها بالموت، وقد أمر منها ما كان حلوا، وكدر منها ماكان صفوا، فلم تبق منها الا سملة كسملة الادواة، وجرعة كجرعة الاناء لو تمززها العطشان)**[٢٨]

يرسل الإمام (عليه السلام) في هذا الخطاب سلسلة من الاستعارات التي تهيّء المتلقي إلى الانقطاع الكليّ عن عالمه السببي من مثل: «إنّ الدنيا قد تصرّمت، وأذنت بانقضاء، وتنكر معروفها، وأدبرت حذّاء». تأتي بعدها هويّة السملة التي أُسبغت على الدنيا، في توازٍ مع هويّة الصبابة، لتصل بالمتلقي إلى ذلك الانقطاع

الكليّ، إذ «لم يبق فيها إلا سملة كسملة الأداوة، أو جرعة كجرعة المَقلة، لو تمزّزها الصديان لم ينقع». وإذا كانت السَّمَلة، الماء القليل يبقى في أَسفل الإِناء[٢٩]، وهي هويّة فنية للدنيا تبرز مدى ضآلتها، فإن علياً (عليه السلام) قد عضدها بأداتين تسهمان في إظهار شحّ تلك الضآلة.

الأولى هي الأداوة، بما هي إناء ماء التطهّر، تمثل السملة فيه، ما علق في قعره من رطوبة، علامةً على ما لا يمكن الإفادة منه. والثانية فيه هي المَقلة، تلك الحصاة التي تقاس بها الجرعة المحدّدة للفرد حين تقلّ المياه.

وإذا كانت الجرعة في ظروف شح الماء هي الدنيا، فإنّ قوله (عليه السلام): «لو تمزّزها الصديان لم ينقع» علامة شديدة الإيحاء بخروج الدنيا من دائرة المفيد. والعربيّ الذي تشكّلت ذاكرته التاريخية على قاعدة الماء تبدو الدنيا أمام ناظريه هوانا فوق هوان، كريهة الوجه يذهب كلّ متلقّ في تصوّر بشاعتها مذهباً تمكّنه منه خصوصيّة رؤيته إلى العالم. وإذا كانت الاستعارة العلويّة الخاصّة بالدنيا استعارة وظيفيّة تهوّن أمر الدنيا، فإن هذا التهوين تهوين وظيفيّ أيضاً، يحاول تسفيه الفتنة من خلال تسفيه الأساس الذي قامت عليه وهو الدنيا بكل ما فيها من دنو واضمحلال وزوال .

النموذج الثالث

أشار عليه السلام بكلامه إلى المنافقين الذين استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر اللهّ، و غلب على حواسهم، و تصرّف في مشاعرهم فقال: **(اِتَّخَذُوا اَلشَّيْطَانَ لِأَمْرِهِمْ مِلاَكاً وَ اِتَّخَذَهُمْ لَهُ أَشْرَاكاً فَبَاضَ وَ فَرَّخَ فِي صُدُورِهِمْ وَ دَبَّ وَ دَرَجَ فِي حُجُورِهِمْ فَنَظَرَ بِأَعْيُنِهِمْ وَ نَطَقَ بِأَلْسِنَتِهِمْ فَرَكِبَ بِهِمُ اَلزَّلَلَ وَ زَيَّنَ لَهُمُ اَلْخَطَلَ)**[٣٠].

الجملة الأولى فيها كناية، حيث تحدد طبيعة العلاقة بين (أهل النفاق والفتن) و(الشيطان)، تلك العلاقة التي كان الشيطان قوام امورهم و نظام حالهم فجعلوه وليا لهم وسلطانا عليهم متصرّفا فيهم بالأمر و النّهي كما قال سبحانه: ﴿**إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الله**﴾[٣١] **و قال تعالى : ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾**[٣٢]. وهذه الكناية تمهد للاستعارة في الجملة التي بعدها –وهو ما نسميه تضافر أدوات المسكوت عنه- وكأن هناك تدرج لنقل المتلقي الى عالم أخر، من عالمه الى عالم رؤيويّ يصنعه الامام (عليه السلام)، مستهدفا الابلاغ والتأثير بالمتلقي في آن واحد.

وأمّا الجملة الثانية، فقد استعمل فيها الاستعارة ، في كلمة (أَشْرَاكاً) جمعا لشَرَك، تخلع فيه الاستعارة عن الشيطان، من جهة أولى، هويته الحقيقية مسبغة عليه هويّة الصياد وما تقتضيه مهنة الصيد من مراوغة واحتيال، وتجرّد أهل النفاق والفتن، من جهة ثانية، من هويتهم الآدميّة، منحدرة بهم نحو التشييء عبر هويّة الأشراك.

فإنّه لّما كان فائدة الشّرك اصطياد ما يراد صيده و كان هؤلاء القوم بحسب ملك الشّيطان لآرائهم و تصرّفه فيهم على حسب حكمه أسباباً لدعوة الخلق إلى مخالفة الحقّ، و منابذة إمام زمانهم و خليفة اللهّ في أرضه، اشبهوا الأشراك لاصطيادهم الخلق بألسنتهم و أموالهم و جذبهم إلى الباطل بالأسباب الباطلة التي ألقاها إليهم الشّيطان و نطق بها على ألسنتهم فاستعار لهم لفظ الاشراك .

وحين تلين عريكة أهل الفتنة للشيطان (الصيّاد)، تدخل الاستعارة طوراً جديداً، فيحدث تحوّل في هويّتي كلّ من الشيطان وأهل الفتنة. يصير الشيطان أنثى الطير المشؤومة المتئمة، ويصير صدر أهل النفاق والفتن خربة تأوي إليها

البوم والغربان. وهذه صورة من أبشع صور حضور الشيطان. هذا الحضور الذي يمثّل المكوّن المحوري بين مكوّنات بنية النفاق الفتن. وحين يصير الشيطان جزءاً من تلك البنية تتبدى خطورتها أمام ناظري المتلقي فتكون الحجة عليهم دامغة.

والشيطان قوام الباطل ومخالفة الحق، فقد اتخذهم الشيطان لنفسه شركاء في إضلال الخلق و إغوائهم، و حبائل صيد الغافلين الجاهلين .(فباض و فرّخ في صدورهم، و دب و درج في حجورهم)[٣٣]. ذكر عليه السلام مقدار تصرف الشيطان في نفوسهم و قلوبهم و عقولهم ، فصّور الشيطان بالطائر فان الطيور إذا باضت في مكان أقامت في ذلك المكان، و مكثت اياما حتى يخرج إفراخها، فاذا خرجت أفراخها لم تزل تجول في تلك النواحي مع أفراخها، فكذلك الشيطان باض في صدورهم أي لازم قلوبهم بالقاء الوساوس، فبقيت تلك الوساوس في قلوبهم حتى قويت، ثم أمرهم بتربية تلك الأفراخ، فكما أنّ الأم تضع طفلها في حجرها و تربّيه كذلك المنافقون كانوا لا يفارقون الشيطان و لا يفارقهم .

(فنظر بأعينهم و نطق بألسنتهم)[٣٤] القلب هو الملك المتصرف في البدن ، وله الرئاسة التامة على جميع الأعضاء و الجوارح و المشاعر الظاهرة و الباطنة ، ولما صارت تلك القلوب من مستعمرات الشيطان صارت الأعضاء و الجوارح تحت تصرفه وعند إرادته ، و لهذا كانوا ينظرون إلى ما يريد الشيطان ، ويتكلمون بما يحب الشيطان ولما صار الأمر هكذا (ركب بهم الزلل ، وزين لهم الخطل) أرشدهم إلى الخطأ وزين لهم المعاصي والذنوب والعقائد الباطلة والمذاهب الفاسدة.

النموذج الرابع

قال عليه السلام : ((اِعْلَمُوا عِبَادَ اَللهَّ أَنَّ اَلْمُؤْمِنَ لاَ يُمْسِي وَ لاَ يُصْبِحُ إِلاَّ وَ نَفْسُهُ ظَنُونٌ عِنْدَهُ فَلاَ يَزَالُ زَارِياً عَلَيْهَا وَ مُسْتَزِيداً لَهَا فَكُونُوا كَالسَّابِقِينَ قَبْلَكُمْ وَاَلْمَاضِينَ أَمَامَكُمْ قَوَّضُوا مِنَ اَلدُّنْيَا تَقْوِيضَ اَلرَّاحِلِ وَ طَوَوْهَا طَيَّ اَلْمَنَازِلِ))(٣٥)

يشير (عليه السلام) الى أن نفس المؤمن ظنون عنده، والظنون البئر التي لا يدرى أ فيها ماء أم لا فالمؤمن لا يصبح و لا يمسي إلا و هو على حذر من نفسه معتقدا فيها التقصير و التضجيع في الطاعة غير قاطع على صلاحها و سلامة عاقبتها . و زاريا عليها عائبا زريت عليه عبت . ثم أمرهم بالتأسي بمن كان قبلهم و هم الذين قوضوا من الدنيا خيامهم أي نقضوها و طووا أيام العمر كما يطوي المسافر منازل طريقه(٣٦).

وكلامه عليه السلام» كونوا كالسابقين قبلكم، والماضين أمامكم». فيه إشارة واضحة إلى جيل صالح تقضّى زمانه. ورجال هذا الجيل «قوّضوا من الدنيا تقويض الراحل، وطوَوْها طيّ المنازل» والاستعارة في هذا الخطاب بليغة، فاستحضار الخيام منزلاً استحضارٌ لفكرة الرحيل بقوّة. فبيوت الطين والحجارة بيوت استقرار يصحّ أن تطلق عليها اللغة العربية كلمة (مساكن)، أما الخيام فبيوت قلق مستمرّ ورحيل حاضر باستمرار، يصحّ أن تطلق عليها اللغة كلمة (منازل) الكلمة عينها التي استخدمها الامام علي (عليه السلام) في استعارته. ويوحي هذا إيحاء شديداً بقلق رجال الآخرة في دنياهم. والتقويض منها داراً، وطيّها طيّ المنازل إشارة إلى تفاهتها في نظرهم، وضألتها في أنفسهم، وإلى استعدادهم للقيام بكلّ ما يؤمّن لهم آخرة مُطَمْئنة. ويعني كلّ ذلك أنهم أصحاب قيم إنسانيّة سامية محصّنون من الانزلاق في مهاوي الدنيا وفتنتها.

ومـن خـلال الاسـتعارة العلويّـة تتضـح صورتهـم بأنهـم المؤمنـون الزاهـدون في الدّنيـا والرّاغبـون في الآخـرة ، أنهـم قطعـوا علائـق الدّنيـا و ارتحلـوا إلى الآخـرة كـما أنّ الرّاحـل إذا أراد الارتحـال يقـوّض متاعـه، وينقـض خيمتـه، ويهـدم بنـاءه، طـووا أيـام الدّنيـا ومـدّة عمرهـم كـما يطـوى المسـافر منـازل طريقـه .

تكمـن الاسـتعارة في التعبـير عـن شـعور يريـد المرسِـل أن يفـرض فيـه المشـاركة عـلى المتلقـي لضـمان اسـتجابته الكاملـة(٣٧) . وفي هـذا الخطـاب مسـكوت عنـه نفـذ مـن خـلال الاسـتعارة، وهـو عتابـه (للمخاطَبـين) مـا لكـم تلهثـون وراء الدنيـا، متخذيهـا مسـاكن دائمـة، وحقيقتهـا زائلـة (كالمنـازل) التـي تطـوى بعـد مـدة وجيـزة، وتاركـين الآخـرة وهـي المسـكن الدائـم للإنسـان الـذي فيـه سـعادته، كـما أن في هـذا الخطـاب مسـكوت عنـه آخـر يمكـن الوصـول اليـه بعـد التمعـن فيـه، وهـو ان مَـنْ حـول الامـام (عليـه السـلام) ، هـم مـن أولاد الدنيـا (بمصطلـح الامـام) الذيـن انغـروا بهـا، وان أولاد الآخـرة قليلـون، ممـا تقـدم يتضـح أن وظيفـة الحجـاج بإلقـاء الحجـة عـلى الآخريـن ظاهـرة، وتبرئـة النفـس أمـام التاريـخ واضحـة. لـذا فـأن المسـكوت عنـه في هـذا الخطـاب هـو أبلـغ مـن التصريـح.

النموذج الخامس

قـال (عليـة السـلام): ((أفضـل (أَمنـن)(٣٨) عـلى مـن شـئت تكـن أمـيره و اسـتغن عمـن شـئت تكـن نظـيره و احتـج إلى مـن شـئت تكـن أسـيره))(٣٩)

ثنائيـة (الأمـير –الأسـير) مفاهيـم حربيـه اسـتعيرت الى المجـال الاخلاقـي. فالأمـير يشـير الى حاكـم البـلاد ، ويشـير أيضـاً الى مفهـوم عسـكري هـو قائـد الجنـد ، والأسـير هـو الخـاسر في الحـرب وألقـي عليـه القبـض ، ومـن خـلال السـياق اللغـوي فـأن كلمـة (الأمـير) تـدل عـلى الامـير العسـكري ، لان مقابلهـا هـو الأسـير.

واستعمال الاستعارة العلوية لثنائية (الأمير / الاسير) تشير الى مجتمع طبقي بين قمة الهرم ، وهو (الأمير) وأدناه هو (الأسير).

ان مدلول الامير هو العطاء : لأنه الاعلى في الطبقات الاجتماعية ، ومدلول الاسير هو الحاجة لأنه مقيد بالأغلال. و الاستعارة العلوية لثنائية (الأمير / الاسير) من المجال العسكري الى المجال المدني يكشف عن مسكوت عنه يشير لصفة المجتمع المدني الذي عاصره الامام (علية السلام) ، فهو مجتمع صراعي يعيش الحرب حتى في أوقات السلم ، كما انها محاوله للتخفيف من قسوة وغلظة المصطلحات الزائدة. فبدلاً ان يكون الاسير مقيداً في السجون سيكون مقيداً بشكل رمزي بالحاجة الى غيره وبدلاً من قسوة الأمير على رعاياه ، سيكون أميراً سلوكياً بكثرة عطائه وسخائه.

ولعل المراد من هذا الخطاب موضوع اخلاقي ، من خلال الاستغناء عما يشين بشخصية الانسان ، أو يعرضه لهدر الكرامة (بيع ماء الوجه) كالاقتراض من لئيم أو انتظار المساعدة لغرض المساومة.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات، وبرحمته تنزل البركات والصلاة على نبيه وآله وصحبه، ومن سار على طريقهم إلى يوم الدين.

أمَّا بعدُ...

إننا نعتقدُ بأن الكلام هو جزءُ من ذات الانسان، استنادا لقول الامام علي (عليه السلام): (**تَكَلَّمُوا تُعْرَفُوا فَإِنَّ اَلْمَرْءَ مَخْبُوءٌ تَحْتَ لِسَانِهِ**)[٤٠]. لذا نعتقد أن نهج البلاغة هو جزء من ذات أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام)، و أن تقديس واحترام نهج البلاغة هو تقديس واحترام لذات الامام (عليه السلام).

لقد عشنا في البحث، نرفلُ من عبق كلمات أَمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، محاولين في ذلك تفحص خطاباته من خلال الاستعارة كأداة للمسكوت عنه، لنقفَ على أبرز ميزاتها، ومن تفحصنا خرجنا بثمراتٍ طيّباتٍ، يمكنُ إجمال أبرزها في نقاطٍ عدة هي:

١. إن للمسكوت عنه وظائف مهمة يؤديها منها وظيفة التحريض، أو الوظيفة الأمنية، أومهاجمة فكرة سائدة، أو تغيير صورة المخاطب في الاذهان، أو المبالغة والإيجاز، او غيرها من الامور.

٢. للمسكوت عنه فوائد جمة، منها وظيفة إغناء النصوص، وتصيرها الى نصوص ديناميكية لها القدرة على التواصل في جميع الاوقات وتحت تصورات شتى، ومن وجهة نظر البحث، ان بقاء نصوص نهج البلاغة نضرة الى اليوم كونها تمتلك خاصية التقلب في الفهم من خلال تعدد مستويات القراءة ولقدرتها على الصمود وهي تقرأ في مستوى افقي وعمودي في الوقت نفسه .

٣. يمكن وصف المسكوت عنه بأنه ممارسة نصية دلالية جمالية، دلالية لأسباب دينية وسياسية وعسكرية وأمنية وأخلاقية وحضارية، بهدف تشكيل خطاب يتناسب ومقتضيات المرحلة وما بعده ويلغي عبر فعالية التجاوز والترك نقاط الخلاف، فيكون الاضمار في بعده الموضوعي، وجمالية لأنها تهب النص رشاقته ونشاطه في التخطي السريع الى المتلقين واشراكهم عند ذاك في عملية التلقي.

٤. يتيح المسكوت عنه انفتاح النص للاتساع في المعنى مما يجعل نصوص نهج البلاغة متجددة، تتسع لكل الازمنة والامكنة؛ لأن هناك أكثر من صورة ودلالة حاضرة ساعة التلقي، وهو ما يسهم في دفع المتلقي الى معاودة القراءة في النص لأكثر من مرة. علاوة على البلاغة والفصاحة والتأثير في المتلقي.

٥. استطاع المسكوت عنه من خلال الاستعارة الكشف عن العالم المأزوم الذي عاصره الإمام علي عليه السلام، حيث يكثر فيه النفاق والفتن وحب الدنيا. الذي قال عنه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) محذراً: ((حبّ الدنيا رأس كل خطيئة))[٤١].

٦. إن الانهيار الذي أصاب الأمة آنذاك من خلال أهل النفاق والفتن وأولاد الدنيا (كما يعبر عنهم الإمام عليه السلام) استلزم من الخطبة العلويّة الدفاع عن قيم الإسلام، ويعني ذلك أن يصير (المسكوت عنه) بوصفه أداة للإبلاغ والتأثير (رسالياً)، أي المسكوت عنه الرسالي الذي يأخذ على عاتقه حفظ القيم الإسلامية الحقة، ومحاربة القيم الفاسدة الباطلة.

٧. للمسكوت عنه وظيفة حجاجية في نهج البلاغة، حيث استعمله الإمام عليه السلام لإلقاء الحجة على الأمة. قصد اثبات أنه فعل ما بوسعه، ولا حجة لأحد عليه. فثقافة الأمة في تلك المرحلة، لا تسمح لمثله أن يقود المرحلة بعد ما حلّ بها ما حلّ. واستعماله للمسكوت عنه في خطبه كوسيلة دفاعية

حجاجية، قد تجاوزت زمانها لتعبّر بعمق عن مرحلة الفتن وحب الدنيا عبر التاريخ البشري الممتد إلى زماننا، و إن الأمة التي تلهث وراء الدنيا وتخذُلُ قائدها هي أمة خاسرة، لذا ينبغي الإفادة من تلك التجربة المريرة لإطاعة القائد كي يتحقق النصر على كل المستويات.

يوصي البحث بالإفادة من خطاب نهج البلاغة لصناعة خطاب ديني وسياسي ووطني، يكثر فيه المسكوت عنه للمّ شتات العراقيين، وبناء وحدة قوية، لمواجهة مشروع تقسيم العراق وتشظيه، وبالتالي استضعافه، ليكون خانعاً، ومواجهة الحرب الطائفية والمذهبية والعرقية؛ وذلك من خلال المسكوت عنه لصناعة خطاب وحدوي رؤيوي.

هوامش البحث:

١. أسرار البلاغة، الجرجاني، تحقيق سعيد محمد اللحام، دارالفكر العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٩، ص٣٠.
٢. ينظر: جماليات التلقي :١٨٤
٣. لسان العرب، ابن منظور، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٦٨، مج ٤، ص ٦١٩.
٤. مختار الصحاح، الرازي، تح و شرح محمود عقيل، دارالجيل، بيروت، ٢٠٠٢، ص ٢٧٤.
٥. الابداع الاستعاري في الشعر، هدى الصخاوي، دار بترا، دمشق، ط ١، ١٩٩٧، ص ٢٠.
٦. البيان والتبيين، الجاحظ، تح: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، ط ٢، ج ١، ص ١٢٩.
٧. الاستعارة نشأتها وتطورها، محمود السيد، دار الهداية، ط ٢، ١٩٩٤، ص ٧.
٨. النكت في إعجاز القرآن، الرماني، تحقيق محمود خلف الله و محمود زغلول، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٧، ص ١٨.
٩. الاعجاز القرآني وآلية التفكير النقدي عند العرب، علي مهدي زيتون، دار الفارابي، بيروت، ط١، ٢٠١١، ص ١٧١.
١٠. فلسفة البلاغة، ريتشاردز، تر: سعيد الغانمي وناصر حلاوي، إفريقيا الشرق، المغرب، ٢٠٠٢، ص٩١.
١١. علم النص، جوليا كريستيفا، ترجمة فريد الزاهي، دار تويقال للنشر، المغرب، ١٩٩٧، ص ٩.

١٢. الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، العلوي، مطبعة المقتطف، مصر، ١٩٩٤، ج١، ص ٢٠٢.
١٣. النقد الأدبي، ويليام ويمزات، تر حسام الخطيب ومحي الدين صبحي، المجلس الأعلى لرعاية الفنون، دمشق، ١٩٧٢، ص ٢٠٦.
١٤. عبد القاهر الجرجاني، اسرار البلاغة، ص .
١٥. جوليا كريستيفا، علم النص، ص ٢٨.
١٦. أحمد الصّاوي، فن الاستعارة، ص ٣٧.
١٧. جماليات الأسلوب المصورة الفنية في الأدب العربي،فايز الداية، ط٢، ١٩٩٦، دار الفكر، ص ١٢.
١٨. التداولية اليوم علم جديد في التواصل، آن روبول و جال موشلار، تر: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط١٠، ٢٠٠٢، ص ١٩٢.
١٩. المصدر نفسه، ص ١٩٤.
٢٠. سورة الإسراء: آية ٢٤
٢١. بنيات المشابهة في اللغة العربية (مقاربة معرفية)، عبدالإله سليم، دار تويقال، المغرب، ط ١٠، ٢٠٠١، ص ٨٠-٨١.
٢٢. - نهج البلاغة، ص ٤٧.
٢٣. ينظر: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، جابر عصفور، المركز الثقافي العربي، بيروت ، الدار البيضاء، ط ٢، ١٩٩٢، ص ٢٤٨.
٢٤. نهج البلاغة، ص ٨٤ .
٢٥. ينظر: لسان العرب ، ابن منظور، ج١، ص ٥١٥.
٢٦. شرح ابن ابي الحديد، ج ١٦، ص١١.
٢٧. نهج البلاغة، ص ٨٤ .
٢٨. نهج البلاغة، ص ٨٩.
٢٩. لسان العرب، ابن منظور، ج ١١، ص ٣٤٥.
٣٠. نهج البلاغة: ص ٥٣.
٣١. سورة الأعراف : آية ٣٠.
٣٢. سورة الأعراف : آية ٢٧.

٣٣. نهج البلاغة: ص ٥٣.

٣٤. نهج البلاغة: ص ٥٣.

٣٥. نهج البلاغة ، ص ٢٥١.

٣٦. ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد، ج ١٦ ، ٣.

٣٧. ينظر : علم الإسلوب والنظرية البنائية، صلاح فضل ، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٧م،ص ٢٨٠.

٣٨. نهج الصباغة في شرح نهج البلاغة ، محمّد تقي الشيخ التّستري ، ج٨، ص ١٦.

٣٩. شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد، ج ٦، ص ١٤٤.

٤٠. بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، ج٨، ص ٢٩.

٤١. التحصين، ابن فهد الحلي، ج ١، ص٢٢.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

١. أسرار البلاغة، الجرجاني، تحقيق سعيد محمد اللحام، دارالفكر العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٩.

٢. الاستعارة نشأتها وتطورها، محمود السيد، دار الهداية، ط ٢، ١٩٩٤.

٣. الابداع الاستعاري في الشعر، هدى الصخاوي، دار بترا، دمشق، ط ١، ١٩٩٧.

٤. الاعجاز القرآني وآلية التفكير النقدي عند العرب، علي مهدي زيتون، دار الفارابي، بيروت، ط١، ٢٠١١.

٥. بنيات المشابهة في اللغة العربية (مقاربة معرفية)، عبدالإله سليم، دار تويقال، المغرب، ط ١٠، ٢٠٠١.

٦. البيان والتبيين، الجاحظ، تح: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، ط ٢، د.ت.

٧. التداولية اليوم علم جديد في التواصل، آن روبول و جال موشلار، تر: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط١٠، ٢٠٠٢.

٨. جماليات الأسلوب المصورة الفنية في الأدب العربي،فايز الداية، دار الفكر، ط٢، ١٩٩٦.

٩. جماليات التلقي، يادكار لطيف الشهرزوري، دار الزمان للطباعة والنشر، دمشق – سوريا ، ط١ ، ٢٠١٠ م.

١٠. شرح نهج البلاغة ، ابن ابي حديد ،تحقيق ، محمد ابو الفضل ابراهيم ، ط١ ، دار احياء الكتب العربية ، بيروت – لبنان ، ١٩٥٥.

١١. الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، جابر عصفور، المركز الثقافي العربي، بيروت ، الدار البيضاء، ط ٢، ١٩٩٢.

١٢. الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، العلوي، مطبعة المقتطف، مصر، ١٩٩٤.

١٣. علم النص، جوليا كريستيفا، ترجمة فريد الزاهي، دار تويقال للنشر، المغرب، ١٩٩٧.

١٤. فلسفة البلاغة، ريتشاردز، تر: سعيد الغانمي وناصر حلاوي، إفريقيا الشرق، المغرب، ٢٠٠٢.

١٥. لسان العرب، ابن منظور، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٦٨.

١٦. مختار الصحاح، الرازي، تح وشرح محمود عقيل، دارالجيل، بيروت، ٢٠٠٢.

١٧. النقد الأدبي، ويليام ويمزات، تر حسام الخطيب ومحي الدين صبحي، المجلس الأعلى لرعاية الفنون، دمشق، ١٩٧٢.

١٨. النكت في إعجاز القرآن، الرماني، تحقيق محمود خلف الله و محمود زعلول، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٧.

١٩. نهج البلاغة، علي بن أبي طالب (عليه السلام)، شرح صبحي الصالح، قم، إيران، دار الهجرة، ١٤١٢هجرية.

٢٠. نهج البلاغة، المعجم المفهرس لألفاظه، دار التعارف للمطبوعات، ١٩٩٠.

الإنـجاز بالقول
في عهد الإمام علي (عليه السلام)
ـ الأمر والنهي ـ

دراسة تطبيقية
على وفق نظرية أفعال الكلام العامة

أ . م . د أحمد جعفر داوود | م . د حسين صالح ظاهر

كلية التربية ـ جامعة واسط | مديرية تربية كربلاء

المدخل

اتسم البحث اللغويّ المعاصر بالعدد الكثير من الطرائق النظريّة ، ولكنه لم يخرج عن إطار ثلاث اتجاهات أساسيّة هي : ((البنيويّة بوصفها نظرية للنظام اللغويّ ، وعلم اللغة التوليديّ بوصفه نظرية الكفاءة اللغويّة ، ونظرية الفعل الكلاميّ بوصفها نظرية الاستعمال اللغويّ))[1] ونظرية الفعل الكلاميّ التي ظهرت عن طريق أبحاث (جون أوستن وجون سيرل) تعدّ من أحدث نظريات البحث اللغوي إذ حاولت تغطية جوانب اللغة كلّها عبر الإفادة من الأبحاث السابقة لها وقد أدخلت هذه النظرية نفسها في ما أصطلح عليه بـ(التداولية اللسانيّة) والتي اتسمت بالاتجاه الشمولي في أبحاثها مما جعلها تعالج مواضيع اللغة من كلّ جوانبها ، ومنها البحث في المجالات الآتية :

((١ ـ علم التركيب : النحو الذي يقتصر على دراسة العلاقة بين الكلمات

٢ ـ علم الدلالة : يدور على الدلالة التي تتحدد بعلاقة تعيين المعنى الحقيقيّ القائم بين العلامات وما تدل عليه

٣ ـ التداولية : التي تعنى بالعلاقات بين العلامات ومستعمليها))[2]

وظفت نظرية أفعال الكلام كلّ ما يتعلق بالمسألة التداولية وغيرها لتقوم بوصف وظائف اللغة ، ((فالتداوليّة تختصّ بتقصي كيفية تفاعل البنى والمكونات اللغويّة مع عوامل لغرض تفسير اللفظ ومساعدة السامع على ردم الهوة التي تحصل أحيانا بين المعنى الحرفي والمعنى الذي قصده المتكلم)) [3] وهذه العوامل من مثل الجانب الاجتماعي ، وجانب القدرة والإنجاز ، والجانب النفسيّ ، والجانب الثقافي ، وسياق الحال ، والعلاقات بين المفردات في التركيب وخارجه أي : العلاقات

الداخلية والعلاقات الخارجية لتصل إلى الهدف من استعمال المتكلم لهذا التركيب أو ذاك ؛ لأنّ التداولية اللسانيّة ((قامت على تحليل مقامات الخطاب ومقاصده، إذ عنيت بدراسة معاني المنطوقات في علاقتها بالمتكلم ، ودراسة الاستلزام الحواري ، ودراسة كيفية كون الاتصال أوسع من القول))[٤] .

وترى نظرية أفعال الكلام أنّنا حينما ننطق بجملة ما أو نسق ما فإنّنا نفعل ذلك لسد حاجة اتصالية محددة تماما ، فنحن نريد أن نقدم تحذيرا أو طلبا ، أو أي معنى آخر يتطلبه مقام التواصل ، وهذه المنطوقات تمثل المعاني المرادة داخل التفاعل الاتصاليّ ، وعلى أساس الموقف وسياق الحال المصاحب وحاجاتنا ، أي : القضيّة نقوم بإنجاز الأفعال المناسبة ، ويكون هذا الفعل خاضع لشروط معينة من أهمها مراعاة نظام اللغة ، وقصد التأثير ، ومبدأ المناسبة أو مبدأ التعاون ؛ ليكون المنجز الكلامي حقيقيا ومؤثرا في المتلقي ((فالفعل الكلامي : يتعلق بمنطوقات لا يمكن أن تُحدد أساسا إلاّ بالنظر إلى مواقف استعمالها))[٥] ، وهذا الاستعمال لايوصف بالنجاح إلاّ بمراعاة نظام اللغة وأحكامها ((فالاهتمام بالصياغة التركيبيّة يرجع أصلا إلى المعنى))[٦] ؛ فالتركيب أو المنطوق يمثل الأساس الذي ينطلق منه الباحث ليتعامل ((مع اللغة بوصفها نسقا به تترتب الكلمات لتقول ممكنها الدلالي ، وفق تركيبها الخاص))[٧] و كلّ تركيب يؤدي غرضه التواصلي ويظهر معناه يعدّ إنجازا لغويا؛ لأنّ ((الفعل الإنجازي : المقصود به أنّ المتكلم حين ينطق بقول ما ، فهو ينجز معنى قصديا .... وهو ما سماه أوستن بقوة الفعل وقد اشترط أوستن لتحقيق هذا المعنى الإنجازي ضرورة توافر السياق))[٨] .

وقد حددت النظرية خمسة أنواع لما يصح أن تطلق عليه بـ(الفعل الإنجازي أو الإنجاز بالقول) وهذه الأنواع هي :

((١ ـ الإخباريات : نقل خبر ما ، التقرير ، والزعم ، والتنبؤ

٢ ـ التوجيهيات : توجيه المخاطب إلى فعل شيء ما

٣ ـ الإلتزاميات : التزام المتكلم بفعل شيء ما

٤ ـ التعبيريات : تعبير عن شيء ما

٥ ـ الإعلانيات : الإعلان عن شيء ما))(٩).

وسنبحث قسم التوجيهات وكل ما يتعلق به ؛ لأنّ الطلب يقع في مباحث هذا القسم، ثم نحلل الأمر والنهي وإثبات أنها أفعال إنجازية على وجه الحقيقة.

الإطار النظري

الطلب (الأمر والنهي) تركيب يراد به من المتلقي القيام بفعل إيجابا في الأمر وسلبا في النهي ؛ لأنّ ((معنى الأمر في اللغة : نقيض النهي ، وفعله أمر يأمر أمرا))[١٠] ، ومعنى نفيض النهي ((أنّ الأمر طلب إيقاع الفعل ، والنهي طلب ترك الفعل))[١١] ، وقال السيوطي : ((أمّا الأمر في الاصطلاح فهو : قول القائل لمن هو دونه افعل .... وصيغته «افعل ، و لتفعل»، وهي حقيقة في الإيجاب)) [١٢] ، وذكر ابن الشجري صيغة الأمر فقال: ((«لتفعل» صيغة يؤدى بها الأمر وهي مكونة من لام الأمر أو لام الطلب ؛ لأنّ الفعل يطلب بها))[١٣] وقال العلوي عن الأمر : ((صيغة تستدعي الفعل ، أو قول ينبئ عن استدعاء الفعل من الغير على جهة الاستعلاء))[١٤] فالأمر والنهي عند المتكلم و المتلقي يقعان في حيز الفكرة الذهنية نفسها يقول الزجاجي : ((أنّ لفظ الأمر والنهي واحد ، كقولك : اضرب ولا تضرب))[١٥] ، ويرى الاستراباذي أنّ النهي ((راجع إلى الأمر ؛ لأنّه طلب ترك الفعل كما أنّ الأمر طلب الفعل))[١٦] ، أمّا السكاكي فقال : ((للنهي حرف واحد هو « لا « الجازم في قولك : لا تفعل ، والنهي محذو به حذو الأمر في أصل الاستعمال))[١٧] ؛ وبحث المحدثون الأمر والنهي بتجريد تام دون الاهتمام كثيرا بسياق الحال المصاحب ، وعلى أساس هذا التجريد صار المفهوم عندهم أنّه ((يطلب من جهة آمرة أعلى من الجهة المأمورة))[١٨] وافترضوا أنّ هناك عناصر محددة تساهم في إنتاج دلالة الأمر والنهي هي : ((عنصر العلو ، وعنصر الاستعلاء ، وعنصر الإمكان ، وعنصر الزمان ، وعنصر المصلحة))[١٩] ، وقد وضع بعض الباحثين قوانين مفترضة لعمل الأمر والنهي في الذهن وهي :

((١ـ شرط الوسم مقوليا : هو وسم الإيجاب في الأمر القيام في الفعل ، ووسم

السلب في النهي الامتناع

٢ ـ شرط الحالة الذهنية : هي إرادة تحقيق المحتوى القضوي « إنجاز القضية «

٣ ـ شرط الدلالة الذهنية : على المخاطب إنجاز المطلوب فورا أو مستقبلا

٤ ـ شرط علاقة التخاطب : المتكلم يكون في مرتبة حقيقية آمرة ، المخاطب يكون في مرتبة متقبلة للأمر

٥ ـ شروط التأثير ذهنيا وسلوكيا : المتلقي مقتنعا ومنفذا

٦ ـ القاعدة التكوينية : ترك المتلقي لتحقيق العمل المطلوب)) [٢٠]

فهذه الآراء وغيرها سواء في ذلك القدماء والمحدثون تحاول إظهار مقصد المتكلم بشكل لا لبس فيه ، كون اللغة في الأساس هي للتعبير عن أغراض ومقاصد إذ يعدّ البحث المعاصر القصدية ((أداة وظيفية موجهة نحو إفهام المخاطب، واعتماد المتلقي أساسا في تحقيق الإفهام ، واستنتاجه عبر ما يحمله النصّ من رموز وإيحاءات ودلالات لتحقيق الاستجابة في الفهم)) [٢١] وقد وظّف جون أوستن فكرة المقصدية في وصفه للأفعال الإنجازية ومنها التوجيهيات فقال : ((إذا أنجز متكلم فعلا كلاميا من قسم التوجيهيات فإنّ الغرض الإنجازي لمنطوقه يكمن في أنْ يحرك سامعه لينفذ فعلا معينا ، وهكذا تكون الحال النفسية المعبَر عنها في فعل توجيهي هي رغبة المتكلم أنْ يستطيع المتلقي التنفيذ))[٢٢] ، وصُنفَ الفعل التوجيهي في نظرية أفعال الكلام بـ(الإنجاز المباشر) ووضع (أوستن) شروطا محددة لتحقق هذا الإنجاز منها :

((١ ـ يجب أنْ يحصل تواضع واتفاق على نهج مطرد متعارف عليه

٢ ـ في كلّ حالة مفترضة يجب أنْ يكون الأشخاص المعنيون ، والملابسات

المخصوصة على وفق المناسبة

٣ ـ أنْ يكون للمشاركين القصد والنية في أن يتبعوا هم أنفسهم ذلك السلوك ..... وبما ينتج عنه))[٢٣] .

وعدّل (جون سيرل) هذه الشروط التي ذكرها أوستن وقسمها إلى أقسام منها :

((١ ـ الغرض الإنجازي للفعل الكلامي ، ويمكن أنْ توصف المقاصد الاتصالية ، والعملية بالغرض الإنجازي التي يتوخاها متكلم ما بمنطوقه

٢ ـ الموقف النفسي الذي يعبر عنه المتكلم بالفعل الكلامي .... مثلا : الرغبة، والقصد ، والاعتقاد

٣ ـ اتجاه المطابقة بين الكلمات والوقائع .... فإذا نطق المتكلم فعلا توجيهيا، أو التزاميا فإنّ الوقائع يجب أنْ تتغير على نحو ما يشير إليه الفعل اللغويّ في الكلمات بحيث يطابق المحتوى القضويّ))[٢٤] .

وليكتسب كلّ كلام صفة الإنجاز اللغويّ ، والنجاح عبر التأثير بالمتلقي يجب أنْ يتم على وفق منظومة ثقافية يتشارك فيها طرفا الاتصال فيكون استعمال النسق اللغويّ في التركيب على ما يسمح به نظام اللغة المستعملة وأحكامه النحوية ؛ لأنّ ((التواصل هو التعبير عن رسالة تجريدية عبر الإشارة المادية ، والرسائل المعنية مقيدة بإشارة معينة على وفق القوانين التي تشترك فيها الفرق المشاركة في الحدث التواصليّ))[٢٥] وفكرة احترام طرفي الاتصال لمنظومة الثقافة العامة المشتركة بينهما ، أطلق عليها في التداولية اللسانية مصطلح (مبدأ التعاون) وهذا المبدأ ينتج ((عن واقع أنّهم أشخاص يتمتعون بالإدراك ، وينبغي تصوره على أنّه تطبيقا

لعقلانيـة السـلوكيات البشريـة ، وصوابيتهـا))[٢٦] و مبـدأ التعـاون في المحادثـة الـذي وضعـه (غرايـس) وذكـر لـه بعـض الأصـول التـي يجـب مراعاتها في التواصـل ، ومـن هـذه الأصـول ((مبـدأ المناسـبة : ليكـن كلامـك مناسـبا لسـياق الحـال ، وتكلـم عـلى قـدر الحاجـة ، ولا تقـل مـا تعتقـد كذبـه ، وتجنـب الابهـام في التعبـير))[٢٧] ، أمّـا الجانـب الاجتماعـيّ فلـه أهميـة وارتبـاط مبـاشر في عمليـة التواصـل وتوضيـح مقاصـد المتكلـم مـن التركيـب المنطـوق الـذي يظهـر ارتبـاط ((الدلالـة المقاميـة بالجانـب الاجتماعـيّ للخطـاب ، وبالحيثيـات الخارجيـة التـي يتـم في إطارهـا إنشـاء الـكلام))[٢٨] فالجانـب الاجتماعـيّ يسـهم في تحديـد القصـد إذ ((تعـدّ الإحالـة فعـلا تداوليـا بالأسـاس يربـط بـين عنـاصر هـي : الخطـاب ومـا يحيـل عليـه حضـورا أو ذكـرا ، و المتخاطبـين ، والمخـزون الذهنـي الـذي يعتقـد المتكلـم توافـره لـدى المخاطَـب))[٢٩] .

فالأفعـال الكلاميّـة أو (الإنجـاز بالقـول) هـي تواصـل يقـوم عـلى شروط وسـلوك يجب أن تراعـى مـن المتكلـم ليسـتطيع أنْ يوصـل مـا يريـد مـن أفـكار تؤثـر في المتلقـي بنحـو مـا وبذلـك تكـون ((الإنجازيـة سـلوك التعريـف للمسـتمع عـلى مـا ينـوي المتكلم إيصالـه مضَمّنـا في التلفظيـة ، فهـي شرط لازم للفعـل التأثـيري ليحقـق الإنجـاز ، وإذا لم يتعـرف المتلقـي فيهـا عـلى هـذه القيمـة كانـت مهـددة بالفشـل))[٣٠] .

وعـلى هـذا الأسـاس سـيكون بحثنـا وتحليلنـا لعهـد الإمـام (٨) لعاملـه (مالـك الأشـتر) وإظهـار الإنجـاز اللغـويّ المتحقـق في منطوقـات الإمـام (٨) التـي أصبحـت منهـاج وطريـق لـكل مَـنْ يريـد العمـل بالعـدل والإنسـانية ، ونـشر الخـير في أي مجتمـع .

الإطار التطبيقيّ

حددت نظرية أفعال الكلام شروطا في قسم (التوجيهيات) لوصف أي قول بالمنجز اللغوي أو الفعل الكلامي ، فذكرت شرط الإخلاص وهو : أنْ يكون المتكلم معتقدا اعتقادا تاما بصدق أقواله واستعداده لتطبيقه دون أدنى تردد .

وشرط المحتوى القضويّ : أي أنْ يحمل قضية ما تهم طرفي الاتصال وهذا الشرط هو من أهم شروط النظرية .

وشرط النسق النحوي للمنطوق : أي أنْ يراعي المتكلم الأحكام الخاصة بنظام اللغة المستعملة بالتواصل وسياق الحال .

وشرط المناسبة (مبدأ التعاون) الذي يراعيه عندما أطلق ملفوظه ليطلب من المتلقي شيء ما مع مراعاة سياق الحال والموقف .

استعمل الإمام علي (٨) تركيب (الأمر والنهي) في عهده لعامله (مالك الأشتر) للتوجيه والتحذير وقد تعددت المنطوقات (التراكيب) لتشمل كلّ ما يسمح به نظام اللغة العربيّة من أمر مباشر عن طريق (صيغة فعل الأمر) أو (الفعل المضارع المقترن بلام الأمر) أو (اسم الفعل إياك) أو (الفعل المضارع المقترن بلا الناهية) وتعدد هذه الصيغة سببه متطلبات القصد وسياق المعنى المصاحب للحالة وقد سُمِيت هذه التراكيب في الفعل الكلامي بـ(الفعل المباشر) وهو : ((الفعل الذي يتلفظ به المتكلم في خطابه ، وهو يعني حرفيا ما يقول ، وفي هذه الحالة يكون المتكلم قاصدا أنْ ينتج أثرا إنجازيا على المتلقي عبر جعله يدرك تماما المراد منه في الإنجاز))[٣١] وسنورد كلّ النصوص التي أحصيناها في عهد الإمام (٨) مع تحليل لبعض المنطوقات هربا من الإطالة والتكرار ؛ لأنّ كلّ

نـصّ يحمـل صفـة الإنجـاز اللغـويّ .

استعمل الإمام (٨) صيغة فعل الأمر المباشر مع الضمير(الهاء) بقوله :

((١ـ أمـره في عهـده إليـه حـين ولاّه مـصر ، جبايـة خراجهـا ، وجهـاد عدوهـا ، واسـتصلاح أهلهـا ، وعـمارة بلادهـا

٢ ـ أمره بتقوى الله وإيثار طاعته ، وإتباع ما أمر به كتابه من فرائضه وسننه

٣ ـ أمـره أنْ يكـسر مـن نفسـه عنـد الشـهوات ، وينزعهـا عنـد الجمحـات ؛ فـإنّ النفـس أمـارة بالسـوء إلاّ مـا رحـم ربيّ))[٣٢] .

فـإذا نظرنـا إلى هـذه المنطوقـات عـلى وفـق شروط : الإخلاص والقصـد ، والمحتوى القضـوي، والنسـق النحـوي ، والمناسـبة ، وسـنذكر شرطـي الإخـلاص والمحتـوى القضـويّ أولا لأنّهـما يحمـلان الدلالـة نفسـها في تركيـب الأمـر والنهـي :

(الإخـلاص والقصـد) : الإمـام عـلي (٨) عندمـا عهـد إلى مالـك الأشـتر بصفتـه الـوالي الجديـد إلى مـصر ، أي : أنّـه يمثـل الإمـام نفسـه في تلـك البـلاد ؛ لذلـك حينـما يطلـب منـه أنْ يتبـع سياسـة مـا في قيـادة الدولـة فمـن المنطقـي تكـون هـي السياسـة عينهـا التـي يتبعهـا الخليفـة نفسـه ، وذلـك مـا يجعـل شرط الإخـلاص ظاهـر في قصـد الإمـام (٨) فهـو يريـد بنـاء دولـة تحمـل فكـر الإسـلام الحقيقـي كـما أراد الله سـبحانه وتعـالى وسـنة نـبيـه الكـريم (صلى الله عليـه وآلـه) وهـذه الدولـة لابـدّ لهـا مـن مقومـات وأسـس إنسـانية ، واجتماعيـة ، واقتصاديـة وعسـكرية وغيرهـا مـن متطلبـات العيـش الكريـم وهـي في صميـم فكـر الإمـام (٨) الـذي يمثـل رأس الهـرم في السـلطة الشرعيـة ، والسياسـية في الدولـة الإسـلاميّة فهـو يمتلـك الوجاهـة الدينيـة ؛ لأنّ الرسـول (صلى الله عليـه وآله)قـد نـصّ عـلى خلافتـه حينـما قـال في حديـث طويـل منـه : ((هـذا مـولى

مَن أنا مولاه اللهم والي من والاه ، وعاد مَن عاداه))[٣٣] ، ومن مثل قوله (صلى الله عليه وآله): ((مَن سرّه أنْ يحيى حياتي ويموت مماتي ، ويسكن جنّة عدن غرسها ربي فليوال عليا من بعدي وليوال وليه)) [٣٤] فالإمام (٨) قد أظهر قصده ونيته واعتقاده التام في إلزام عامله بوصاياه التي استعمل صيغة الطلب ليبلغها ، وهي عبارة عن منهج واضح وصريح في كيفية إدارة الدولة على وفق رؤية المنظومة الإسلامية في العيش الكريم للإنسان أيا كان معتقده وجنسه هذه المنظومة المتمثلة بالقرآن الكريم ، والسنّة النبويّة فالإمام (٨) وكتاب الله لا يفترقان ؛ لقول الرسول (صلى الله عليه وآله): ((علي مع القرآن والقرآن مع علي لا يفترقان حتى يردا عليّ الحوض)) [٣٥] ، وقضية العيش الكريم للإنسان ، وبنائه البناء الصحيح هي القضية الجوهرية التي جاء بها الإسلام وهذا ينقلنا إلى (المحتوى القضويّ):

أو القضية التي يتضمنها منطوق الإمام وهي أساس كل فعل كلامي مباشر أو غير مباشر فلاشكّ في أنّ الإسلام جاء بفكر جديد غير ما هو سائد ؛ كونه يدعو ((إلى تنظيم اجتماعي يختلف اختلافا جذريا عن التنظيم الذي كان قائما في الجزيرة العربية ، فهو يدعو إلى الصدق والاستقامة ، ويضع للتفاضل الاجتماعيّ مقاييس جديدة تقوم على أساس الأخلاق الفاضلة والصالحة))[٣٦] فالإسلام أراد تأسيس قواعد اجتماعية تدعو إلى العدالة الاجتماعية ، ومساواة الناس أمام الله لا يفرقهم سوى مقدار الإيمان ودرجة التقوى فيه ، وهذه القضية مما ثبت في قول الإمام (٨) وعمله من مثل قوله في الثبات على سنّة الرسول (صلى الله عليه وآله) : ((والله لا ننقلب على أعقابنا بعد إذ هدانا الله تعالى ، والله لئنْ مات لأقاتلنّ على ما قاتل عليه حتى أموت))[٣٧] ، فالقضية أو (المحتوى القضوي) في كلّ الملفوظات المنجزة من الإمام (٨) هي الإنسان وما يتعلق به ، فهو قطب الرحى في الفكر

الإسلاميّ فالأمر والنهي الواردان في العهد هما لتنظيم علاقة الحاكم بالمحكوم أي : دستور ومنهاج حياة يجب إتباعه بكلّ إخلاص للوصول إلى أقصى درجات السعادة والرفاهية الإنسانية ضمن ما يسمح به الشرع ؛ لأنّه جعل ((خلق مجتمع عادل متراحم جوهرا في دين الله))[٣٨] ، فالمحتوى لمنطوقات الإمام (٨) يحمل قضية إنسانية بكل ما تحمله الكلمة من معنى وهذا الإنسان يعيش وفق منظومة إسلامية تشرع له ليعيش حياة كريمة سواء في ذالك المسلم وغير المسلم .

أمّا شرط النسق اللغوي ، ومبدأ التعاون التداوليّ فسيظهران مع تحليل منطوقات الإمام (٨) ؛ فقد استعمل (٨) صيغة الفعل المقترنة بالهاء في أول ثلاثة منطوقات (تراكيب) وهي صيغة الفعل (أمره) ، ولعل استعمال الهاء الذي هو للغائب المذكر ما يبرره ؛ لأنّه (٨) يريد لكلامه أنْ يصلَ أولا إلى المتلقي المباشر وهو عامله (مالك الأشتر) ، ثمّ يتعداه إلى كلّ متلقي يقرأ هذا العهد أو يسمعه وهو ما يظهر تمكنه من نظام اللغة وأحكامه ، وفصاحته ليست موضع الدراسة فهو ينتمي إلى ((ما يطلق عليه الغربيون مركز الهيبة اللغويّة))[٣٩] ، فلو استعمل الإمام الإمام (٨) كاف الخطاب لكان هذا الأمر يحمل تحديدا أو قيدا دلاليا وزمنيا يخص عامله فقط ، فيؤل المعنى على هذا التحديد ولا يحمل الإنجاز المستمر في التأثير ، فضلا عن الدلالة التداولية التي يحملها الضمير (الهاء) في الإحالة على سابق وفي هذا السياق تحيل على تكليف شرعيّ؛ كون الإمام (٨) يمثل السلطة الشرعية التي يعرفها كلّ مسلم آمن بالله ورسوله (صلى الله عليه وآله)؛ لقوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾[٤٠] فقد اتفق المفسرون والمؤرخون على انّها نزلت في الإمام علي (٨)، أورد الحسكانيّ في شواهد التنزيل أنّ آية الولاية ((نزلت في عليّ والحسن

والحسين)) [٤١] وقال البلاذريّ : ((نزلت في عليّ ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾)) [٤٢] فالاستعمال الإحالي له ما يبرره ؛ لأنّ الإمام (٨) أراد التأسيس لنظام دولة تحفظ حقوق الإنسانية فبدأ بالمسائل العامة التي تهم الحاكم في البلاد ، ثمّ حدد له الغطاء الشرعي الذي يجب أنْ يحتمي به ، وبعد ذلك عرج على الصفات الخاصة التي يجب أنْ يتحلى بها لينجح في إدارة الدولة ، وهي في الحقيقة أشبه بالعنوانات العامة التي يدخل تحتها المسائل الخاصة التي أوردها فيما بعد فذكر(٨) الخطة العامة لكل حاكم يريد العدل والرفاه لرعيته فقدّم المسألة الاقتصادية لأهميتها (جباية خراجها) والقوة التي تحمي الناس وأمنهم (جهاد عدوها) ، وبناء المجتمع وصلاحه (استصلاح أهلها) والتخطيط الحضاري لهذا البناء (عمارة بلادها) ؛ وقد اتبع الإمام (٨) نسقا لغويا لا لبس فيه ظهر في الألفاظ المتناسقة في منطوقاته، وهي ذات دلالات موحية بقصد المتكلم عبر علاقاتها الداخلية والخارجية فـ(جهاد عدوها) توحي بعدم وجود نية الاعتداء بأي شكل بل الدفاع عن النفس وهو حقّ إنساني مكفول من الشرع ، واختياره (٨) لـ(استصلاح أهلها) له دلالاته ؛ لأنّ صيغة استصلح على وزن (استفعل) وهي صيغة من معانيها المستعملة الطلب بمهلة بعد مهلة على سبيل المجاز قال سيبويه في معنى استفعل : ((استخرجته ، أي : لم أزل أطلب إليه حتى خرج)) [٤٣] فاستعمال (استصلح) ليتبع اللين والرفق في مهلة لطلب الإصلاح في الناس كونهم الهدف الأول لأي عملية بناء في المجتمع ؛ لأنّ هناك فرق بين (أصلح) التي تظهر العلو في الأمر، والاستعلاء من الآمر وهي صفة بعيدة كلّ البعد عن الإمام (٨) وبين (استصلح)؛ لأنّه ((لا يكون إلاّ بحيلة وعلاج)) [٤٤] فهذه المعاني المتضمنة في الألفاظ يعرفها المتلقي؛ لأنّ (مبدأ التعاون) قد تمّ مراعاته من قبل المتكلم ، وهو الإمام (٨) لأنّه بصدد التأثير بمنطوق

مباشر على المتلقي ، أي : فعلا إنجازيا مباشرا وهو عند (سيرل) يعني ((الفعل الذي تطابق قوته الإنجازية مراد المتكلم ، أي يكون القول مطابقا للقصد بصورة تامة ، ويتمثل في معاني الكلمات التي تتكون منها الجملة ، وقواعد التأليف التي تنتظم بها الكلمات التي تكون الجملة ويستطيع المتلقي أن يصل إلى مراد المتكلم بإدراكه لهذه الشروط))[٤٥] ؛ ثمّ يزيد الإمام (٨) قدرته التأثيرية على المتلقي المسلم عبر الطلب بأنْ يتقي الله ، ويعمل على طاعته بإتباع أحكام القرآن الكريم ، وسنة النبيّ (صلى الله عليه وآله)سواء أكان ذلك في أمر شرعيّ أو ماديّ ، ولا يميل بهوى ويتبع ما تسول له نفسه (يكسر نفسه عند الشهوات فإنّ النفس أمارة بالسوء إلاّ ما رحم ربي) ومثل هذه المنطوقات تظهر استحضار الإمام للمنظومة الفكرية التي يستمد منها أفكاره وهي القرآن والسنّة ، ويظهر ذلك في التناص مع كتاب الله في قوله تعالى : ﴿**وَمَا أُبَرِّىءُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾[٤٦] والتناص في منطوقات الإمام (٨) هي سمة ظاهرة فهي من أهم المؤثرات التي تدفع المتلقي للتفاعل مع المتكلم والتأثر مما يجعله ينفذ المطلوب لأنّ المتكلم ((أنْ يفصل وإنّما يحيل بتكثيف إلى قصة أو حدث مشهور ، أو قولة مأثورة ممّا يجعل التوجيه ممكنا خاضعا لشرط التأويل))[٤٧] ، ولعل استعمال ألفاظ القرآن الكريم والسنّة النبويّة هو ممّا يدخل في (مبدأ التعاون) ((وذلك لخاصية جوهرية في هذه النصوص ؛ وهي أنّها ممّا ينزع الذهن البشري لحفظه ومداومة تذكره))[٤٨] ، وتراكيب الإمام (٨) تظهر الكفاية التواصلية غبر ما تؤديه من وظائف تواصلية ناجحة عبر الدلالات التي لا لبس فيها عند المتلقي ((فالوصف اللغويّ الكافي هو الذي يسعى إلى تحقيق الكفاية التداولية فضلا عن الكفايتين النفسية والنمطية))[٤٩] .

وبعد أنْ أوصل الإمام قصده بالإنجاز العام انتقل إلى التفصيلات وذلك زيادة في ترسيخ فكرة المنجز اللغوي وتأثيره على المتلقي وظهر ذلك في صيغة فعل الأمر المباشر فقال (٨) :

((١ـ املك هواك .

٢ ـ شُح بنفسك عمّا لا يُحلُ لك.

٣ ـ أشعِرْ قلبك الرحمة.

٤ ـ أعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحبّ وترضى أنْ يعطيك الله.

٥ ـ انظر إلى عِظم ملك الله فوقك وقدره منك.

٦ ـ الصق بأهل الورع والصدق ، ثمّ رُضْهُم على أنْ لا يطروك ولا يبجحوك بباطل لم تفعله.

٧ ـ أكثر مدارسة العلماء ، ومناقشة الحكماء في تثبيت ما صَلُحَ عليه أمر بلادك، وإقامة ما استقام به الناس قبلك.

٨ ـ الصق بذي المروءات والأحساب ، وأهل البيوتات الصالحة والسوابق الحسنة.

٩ ـ اختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك في نفسك ، ممن لا تضيق به الأمور ولا تُمحكه الخصوم ، ولا يتمادى في الزلة ، ولا يُحصرُ من الفيء إلى الحقّ إذا عرفه ، ولا تُشرف نفسه على طمع ، ولا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه .

١٠ ـ تفقّد أمر الخراج بما يصلح أهله فإنّ في إصلاحه وصلاحهم صلاحا لمن سواهم ولا صلاحَ لمن سواهم إلاّ بهم ؛ لأنّ الناس كلهم عيال على الخراج وأهله.

١١ـ استوص بالتجار وذوي الصناعات وأوصِ بهم خيرا وتفقد أمورهم بحضرتك ، وفي حواشي بلادك.

١٢ ـ حُطْ عهدك بالوفاء ، وارع ذمتك بالأمانة ، واجعل نفسك جُنَة دون ما أعطيت.

١٣ ـ املك حمية أنفك ، وسورة حدّك ، وسطوة يدك ، وغرب لسانك ، واحترس من كلّ ذلك بكف البادرة ، وتأخير السطوة ، حتى يسكن غضبك))[٥٠]

واستعمال هذه الصيغة تعدّ من سمات الإنجاز المباشر ؛ كونها تعطي فكرة واضحة عمّا يريده المتكلم ، فهي تعدّ منجزا لغويا لتجاوز تأثيرها المتلقي الأول (مالك الأشتر) إلى يومنا هذا ، فكل من أراد سياسة الناس وقيادتهم يحاول أنْ يتبع هذه المعاني التي أنجزها الإمام (٨) ، سواء في ذلك أكان من أتباعه المسلمين أولم يكن ؛ لأنّها تهم الإنسانية في مضمونها وتجعل الخير عامّا إذا ما التزم بها من يحكم فالأوامر ما هي إلاّ خطة عمل مفصلة لمن يريد أنْ ينجح في مهمته ، والبقاء في حدود الدائرة الشرعية المتمثلة في القرآن والسنّة ، فبعد أنْ ذكر المسائل العامة بصيغة (أمره) ، فصّل كيفية النجاح والوصول إلى الهدف العام عن طريق التأثر بهذه الأوامر وإتباعها التي تصب في مصلحة المتلقي ، أي : حصول الفائدة ، وتحقق هذا ؛ لأنّ المتكلم مارس فعلا مباشرا على المتلقي ؛ لأنّ ((الأفعال الإنجازية المباشرة هي : التي تطابق قوتها الإنجازية مراد المتكلم))[٥١] فالمتكلم يمتلك مفاتيح نظام اللغة المستعملة ، واستعماله لألفاظ تحمل إحالات تداولية على نصوص مقدسة (القرآن والسنّة) فضلا عن مراعات المناسبة ، وسياق الحال ، وهذا ممّا أسهم في تحقيق الإنجاز ، من مثل قوله (٨): (وشح بنفسك) فهي تحيل على قوله تعالى : ﴿**فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ**

نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٥٢] و(حُطْ عهدك بالوفاء) تحيل على قوله تعالى : **﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾**[٥٣] ومن مثل (املك حمية أنفك) تحيل على قوله تعالى : **﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾**[٥٤] ، فمثل هذه الإحالات تزيد من فعل التأثير في القول ن فضلا عن استعمال الإمام (٨) لم أصطلح عليه بـ(واسم القوة) في نظرية أفعال الكلام ((فهناك تمييز داخل الجملة بين ما يتصل بالعمل المتضمن بالقول في حدّ ذاته ، وهو ما يسمى « واسم القوة « المتضمنة في القول ، وبين ما يتصل بمضمون العمل وهو « واسم المحتوى القضوي «))[٥٥] ، ويظهر هذا الواسم في القول باستعمال صيغة الأمر المباشر ، أمّا واسم المحتوى القضوي فيظهر في باقي الجملة ، وذلك ؛ لأنّ الفاعل في فعل الأمر المباشر مستتر وجوبا فيكون الخطاب موجها لكلّ مَنْ يسمع أو يقرأ ؛ لأنّ الزمن في فعل الأمر مفتوح ((فزمنه تأويلي، حيث أنّ تأويله في الحاضر أو الاستقبال ، يقوم على قواعد الاستلزام التخاطبيّ))[٥٦]، فالإنجاز اللغويّ من سمات نجاحه أنّ رسالة المتكلم ((تقوم على إعطاء القدر الضروري من المعلومات لكن دون زيادة ، إنّ الشريك في التلفظ بالخطاب ينشئ دلالة بتصرفه في الاستدلالات السياقيّة المنطقيّة والاجتماعيّة .... وإنّ احترام مبدأ التعاون يعدّ ضروريا لهذه العملية))[٥٧] ، فصيغ الأمر كلّها تؤدي إلى فائدة المتلقي فهي تعدّ منجزا متحققا ؛ لأنّ الناس على مختلف الحقب الزمنيّة تحاول السير على هذا المنهاج في الحكم الذي أنجزه الإمام (٨) في عهده لعامله (مالك) .

وقد استعمل (٨) (واسم القوة) الإنجازية في صيغة اسم الفعل (إياك) في منطوقات النهي والتحذير بقوله :

((١ـ إياك ومساماة الله في عظمته ، والتشبه به في جبروته

٢ ـ إياك والدماء وسفكها بغير حِلّها ، فإنّه ليس شيءٌ أدعى لنقمة ولا أعظم لتبعة .... من سفك الدماء بغير حقّها

٣ ـ إياك والإعجاب بنفسك ، والثقة بما يعجبك منها وحبّ الإطراء

٤ ـ إياك والمنّ على رعيتك بإحسانك ، أو التزيد فيما كان من فعلك ، أو تعدّهم فتتبع موعدك بخلفك

٥ ـ إياك والاستئثار بما الناس فيه أسوة والتغابي عمّا تعنى به ممّا قد وضح للعيون))(٥٨)

في هذه المنطوقات تقديم واسم القوة (إياك) الذي يعطي القوة في اللفظ له أسبابه فهو مستعمل في اللغة للدلالة على التحذير قال سيبويه : ((هذا باب ما جرى منه على الأمر والتحذير ، وذلك قولك إذا كنت تحذر إياك ، كأنّك قلت : إياك نَحِ ن وإياك باعد ..... وحذفوا الفعل من إياك لكثرة استعمالهم إياك في الكلام فصار بدلا من الفعل))(٥٩) ، ويحدد المبرد اختصاص إياك بالأمر فقال : ((فلما كانت إياك لاتقع إلاّ اسما لمنصوب كانت بدلا من الفعل ، دالة عليه ، ولم تقع هذه الهيئة إلاّ في الأمر ؛ لأنّ الأمر لا يكون إلاّ بفعل))(٦٠) ، وقد استعمل العرب (إياك) في سياق التحذير ، ومعنى التحذير هو : ((تنبيه المخاطب على أمر مكروه ليتجنبه))(٦١) ، وقد استعمل الإمام إياك ليدلل على قوة اللفظ التي تحفز المتلقي وتجعله منتظرا القضية التي من أجلها تمّ تحذيره ، ومحتوى القضايا في مثل قوله (٨) : (الدماء وسفكها بغير حلها) و(المنّ على الرعية) و(الإعجاب بالنفس) و (الاستئثار بحقوق الناس) فمثل هذه الأمور تعجل بسخط الناس وهو ممّا يوجب العقوبة في الآخرة ، فتكون النفس حذرة منه مما يوجب عمل الصحيح مع الرعية ، فالنهي بصيغة التحذير أقوى دلالة في العقل وأسرع تأثيرا في النفس وهو ما

أراده الإمام (ع) ، ويظهر ذلك امتلاكه لـ((ثنائية القدرة والإنجاز وهي ثنائية تبرز خاصية الإبداع))[٦٢] ، والمعنى المصاحب لسياق الحال عند المتكلم يتطلب في بعض المواقف استدعاء أدوات تكون ذات دلالات قوية تجعل المتلقي يستوعب القصد الذي أراده المتكلم ويكون أشد انتباها للمطلوب منه من مثل التوكيد ؛ وهو ما استعمله الإمام (ع) في صيغة النهي بـ(لا) الناهية مع الفعل المضارع المؤكد بنون التوكيد الثقيلة وهذه النون في نظام اللغة العربية مختصة للتوكيد ، في كتاب رصف المباني قال المالقي : ((هي مؤكدة للفعل خفيفة أو مثقلة .... ومدخلها أبدا في فعل الطلب))[٦٣] ، ونصّ الاستراباذي على اختصاصها بالتوكيد فقال : ((النون المؤكدة خفيفة كانت أو ثقيلة تختصّ بالفعل المستقبل الذي فيه معنى الطلب وذلك ما كان أمرا أو نهيا))[٦٤] ، ولعل السياقات التي استعمل فيه الإمام (ع) التوكيد هي التي فرضت عليه ذلك ؛ لأنّ المتكلم يلجأ إلى التوكيد ((لتمكين الشيء في النفس وتقوية أمره))[٦٥] ، فقد وردت في مواضع تعدّ من الأهمية بمكان في فكر الإسلام لحماية الإنسان وحقّه في العيش الكريم فكان لابدّ من النهي المؤكد للوصول إلى أقصى درجات قوة اللفظ والتأثير لترك الفعل من مثل قوله (ع) :

((١ـ لا تكوننّ عليهم سبُعا ضاريا تغتنم أكلهم

٢ ـ لا تنصبنّ نفسك لحزب الله

٣ ـ لا تندمنّ على عفوٍ ، ولا تبجّحنّ بعقوبة

٤ ـ ولا تعْجلنّ على تصديق ساعٍ

٥ ـ ولا تدخلنّ في مشورتك بخيلا يعدل بك عن الفضل ، ويعدك الفقر

٦ ـ ولا يكوننّ المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء

٧ ـ الله الله في المساكين لا يشغلنّك عنهم بطرا ، فإن لا تُعذر بتضييع التافه لأحكامك

٨ ـ لا تقطعنّ لأحد من حاشيتك وخاصتك قطيعة

٩ ـ لا تدفعنّ صلحا دعاك إليه عدوك لله فيه رضا

١٠ ـ لا تغدرنّ بذمتك ، ولا تخيسنّ بعهدك ، ولا تختلنّ عدوك

١١ ـ لا تعولنّ على لحن القول بعد التأكيد والتوثيق

١٢ ـ لا تقوينّ سلطانك بسفك دمٍ حرامٍ ، فإنّ ذلك مّما يضعفه ويوهنه بل يزيله وينقله))(٦٦)

استعمال التوكيد بالنون (واسم القوة) الإضافي في المنجز اللغويّ في منطوقات النهي له ما يبرره فالإمام (ﻉ) أراد أقصى تأثير في المتلقي المباشر (عامله)، والمتلقي المستقبليّ وهم عامة الناس ليتجنبوا الأمور التي نهى عنها وأكد نهيه بالنون وهي مسائل قد ذكرها بشيء من العموم في عهده فأراد أنْ يخصصها في النهي المؤكد ؛ لأنّ مثل هذه المسائل قد أمرنا الشرع المقدس المتمثل بالقرآن والسنة تجنبها والابتعاد عنها ، فالإسلام قد أقر المساواة في الحقوق لكلّ المسلمين وغير المسلمين ، فقوله (ﻉ) (لا تكونن عليهم سبعا) كي يمنعه من استغلال سلطته في أكل أموال الناس دون وجه حقّ ، وهي من أهم صفات الحاكم العادل ، والحقيقة أنّ منطوقات النهي المؤكد كلها تكوّن جزءا مهما من المنظومة الشرعية التي أكدها الإسلام في الحقوق العامّة فـ(العفو والصفح) من أهم الأسس التي بُنيت عليها دعوة الرسول (صلى الله عليه وآله) ففضلا عن الآيات التي تحثنا على العفو والتسامح فهناك

مواقف كثير للرسول تظهر تسامحه وعفوه من مثل تعامله (صلى الله عليه وآله) مع أهل مكة يوم الفتح فقد ظهر ((خلق النبي على حقيقته سماحا ونبلا وغفرانا ؛ لقد عفى عن الجميع ، وغفر لجميع الذين أساءوا إليه وناصبوه العداء وحاولوا قتله))[٦٧] ؛ فالنهي يعدّ منجزا لغويا مباشرا لأنّه يعالج قضايا تهمّ الناس مع ميزة علاقة مباشرة بالمنظومة الثقافية الإسلامية عن طريق الإحالة ((فالخطاب يكون متسقا حقا إذا وجدت علاقات قضوية بين الأقوال التي تكونه))[٦٨] وهذه العلاقات هي : الزمانية والغرضية ، والإحالية ، فالمنظومة الفكرية حاضرة في منطوقات الإمام (٨) ؛ وعليه فشرط الإخلاص متوفر بالتأكيد ، وشرط المحتوى القضويّ ظاهر ، فضلا عن شرط النسق اللغويّ وشرط المناسبة .

الخاتمة

وجد البحث أنّ توافر هذه الشروط يحقق فكرة الإنجاز اللغويّ بكل شروطه سواء في ذلك الشروط التي طبقها البحث أو تلك التي ناقشتها النظرية في تحليلها للمنوطقات التي عدّتها من أقسام الإنجاز اللغويّ المباشر ، ويثبت هذا أنّ الإمام (٨) قد سبق النظرية بأشواط في مراعاته ، وتطبيقه كلّ ما يتعلق بمسألة الإنجاز اللغويّ ، ويظهر ذلك في امتداد التأثير على المتلقي منذ أنْ قال (٨) منطوقاته إلى يومنا هذا ، وهذا التأثر لم يقتصر على المسلمين ، بل تعداه إلى عموم الإنسانية فعهده لمالك يعدّ وثيقة للإنسانية بكل مشاربها وتعدد أجناسها ، وميولها الفكريّة أو العقائديّة وتداول العهد بين أروقة المنظمات الإنسانيّة خير دليل على استمرارية هذا الإنجاز .

وهذا يدفعنا إلى المزيد من الدراسة لما ورد من كلام عن الرسول (صلى الله عليه وآله)وأهل بيته (٨) على وفق التوجهات المعاصرة في دراسة اللغة ؛ لأنّ كلامه يعدّ صورة عالية من الفصاحة ، والبلاغة التي تؤثر في النفس الإنسانية، أي : إنجازا لغويا على وفق مقاييس نظرية أفعال الكلام ، فهو صورة راقية للاستعمال اللغويّ ، وكلامهم صورة متقدمة في تطبيق النظام اللغويّ الذي نال عناية النظرية البنيوية ، وصورته الإبداعية التي أظهرت الكفاية اللغوية في كلامهم تعدّ مجالا مثاليا لتطبيق توجهات النظرية التوليديّة.

هوامش البحث:

١- مدخل إلى نظرية الفعل الكلامي ، جوتس هنده ، ترجمة سعيد البحيري ، القاهرة ، زهراء الشرق ، ٢٠١٢ ، ١٥.

٢ ـ التداولية اليوم علم جديد في التواصل ، آن ريبول وجاك موشلار ، ترجمة سيف الدين دغفوس وآخرون ، بيروت ، المنظمة العربية للترجمة ، ٢٠٠٣ ، ٢٩

٣ ـ التداولية ، جورج يول ، ترجمة قصي العتابي ، الرباط ، دار الأمان ، ٢٠١٠ ، ١٣

٤ ـ علاقة اللغة بالجنوسة ، عبد النور الخراقي ، الرياض ، اصدار المجلة العربية (١٤١) ، ٢٠١٢ ، ١٨

٥ ـ اللغة والفعل الكلامي والاتصال ، زيبليه كريمر ، ترجمة سعيد البحيري ، القاهرة ، زهراء الشرق ، ٢٠١١ ، ٨٢

٦ ـ جدلية الإفراد والتركيب في النقد العربي القديم ، محمد عبد المطلب ، القاهرة ، الشركة المصرية ، ١٩٩٥ ، ١٥٤

٧ ـ التفكير الدلالي في الدرس اللساني العربي الحديث ، خالد هويدي ، بغداد ، مكتبة عدنان ، ٢٠١٢، ٦٥

٨ ـ الأفعال الانجازية في العربية المعاصرة ، علي محمود الصراف ، القاهرة ، مكتبة الآداب ، ٢٠١٠ ، ٤٠

٩ ـ آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، محمود أحمد نحلة ، القاهرة ، مكتبة الآداب ، ٢٠١١ ، ٨١ ومابعدها

١٠ ـ لسان العرب ، ابن منظور ، بيروت ، دار صادر ، ٤ / ٢٦ (أمر)

١١ ـ أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين ، قيس الأوسي ، بغداد ، بيت الحكمة ، ١٩٨٨ ، ٨٣

١٢ ـ الإتقان في علوم القرآن ، السيوطي ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٨٧ ، ٢ / ١٧٦

١٣ ـ الأمالي الشجرية ، ابن الشجري ، بيروت ، دار المعرفة ، ١ / ٩٨

١٤ ـ الطراز المتضمن لأسرار البلاغة ، العلوي ، مصر ، مطبعة المقتطف ، ٣ / ٢٨١

١٥ ـ كتاب الخط ، الزجاجي ، تحقيق تركي العتيبي ، بيروت ، دارصادر ، ٢٠٠٩ ، ٨٩

١٦ ـ البسيط في شرح الكافية ، الاستراباذي ، تحقيق حازم الحلي ، قم ، المكتبة الأدبية ، ٢ / ٣٨٥

١٧ ـ مفتاح العلوم ، السكاكي ، تحقيق عبد الحميد الهنداوي ، بيروت ، دار الكتب ، ٢٠٠٠ ، ٤٢٩

١٨ ـ المعاني في ضوء أساليب القرآن ، عبد الفتاح لاشين ، دمشق ، المطبعة الأموية ، ١٩٨٣ ١٦٦

١٩ ـ تحويلات الطلب ومحددات الدلالة ، حسام أحمد قاسم ، القاهرة ، الآفاق العربية ، ٢٠٠٧ ٤٧ وما بعدها

٢٠ ـ ينظر دائرة الأعمال اللغوية ، شكري المبخوت ، بيروت ، دار الكتاب الجديد ، ٢٠١٠ ، ١٩٣

٢١ ـ النحو القرآني في ضوء لسانيات النصّ ، هناء محمود ، بيروت ، دار الكتب ، ٢٠١٢ ، ١٧١

٢٢ ـ ينظر مدخل إلى نظرية الفعل الكلامي ، ٨٨

٢٣ ـ نظرية أفعال الكلام ، جون أستن ، ترجمة عبد القادر قيني ، الرباط ، أفريقيا الشرق ، ٢٠٠٦ ، ٢٧ ، ٢٨

٢٤ ـ ينظر ، مدخل إلى نظرية الفعل الكلامي ، ٨٦ وما بعدها

٢٥ ـ أعلام الفكر اللغويّ ، تأليف مشترك ، ترجمة أحمد الكلابيّ ، بيروت ، دار الكتاب الجديد ٢٠٠٦، ٢/ ١٠٣

٢٦ ـ المضمر ، تأليف مشترك ، ترجمة ريتا خاطر ، بيروت ، المنظمة العربية للترجمة ، ٢٠٠٨ ، ٣٤٧

٢٧ ـ مدخل إلى اللسانيات ، محمد محمد يونس ، بيروت ، دار الكتاب الجديد ، ٢٠٠٤ ، ٩٩

٢٨ ـ مفهوم الحرفية ومفهوم الفضاء في التراث النحويّ مقاربة لسانية ، عثمان صادق شريجة، اربد ، عالم الكتب الحديث ، ٢٠١١ ، ٢٥

٢٩ ـ الخطاب وخصائص اللغة العربية ، أحمد المتوكل ، الجزائر ، منشورات الاختلاف ، ٢٠١٠ ، ٧٨

٣٠ ـ المقاييس الاسلوبية في الدراسات القرآنية ، جمال حضريّ ، بيروت ، دار مجد ، ٢٠١٠ ، ٢٣٥

٣١ ـ آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ٩٨

٣٢ ـ شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ، بيروت ، دار الفكر ، ١٩٥٤ ، مج٤/ ١٦٦ ، ١٦٧

٣٣ـ تأريخ الإسلام ، الحافظ الذهبي ، تحقيق مصطفى عبد القادر ، بيروت ، دار الكتب العلمية ٢٠٠٥، مج ٢ / ٢٢٤

٣٤ ـ خصائص الوحي المبين ، الحافظ ابن بطريق ، تحقيق مالك المحمودي ، قم ، دار القرآن الكريم ، ١٤١٧ هـ ، ٣٠، ٣١

٣٥ ـ ينابيع المودة ، القندوزيّ ، تحقيق علي جمال الحسيني ، قم دار الأسوة ، ٣٩٨

٣٦ ـ تأريخ العرب القديم والبعثة النبوية ، صالح احمد العلي ، بيروت ، مركز المطبوعات ، ٢٠٠٠ ، ٣٧٢

٣٧ ـ قراءة جديدة في حروب الردة ، علي الكوراني ، قم ، نشر باقيات ، ٢٠١١ ، ١٠

٣٨ ـ الله والإنسان ، كارين آرمستونغ ، ترجمة محمد الجورا ، دمشق ، دار الحصاد ، ١٩٩٦ ٣٨٩

٣٩ ـ الأطلس اللغويّ في التراث العربيّ ، خالد نعيم ، لندن ، دار السياب ، ٢٠١٠ ، ٢٨

٤٠ ـ سورة المائدة ، الآية : ٥٥

٤١ ـ شواهد التنزيل لقواعد التفضيل ، الحاكم الحسكاني ، تحقبق محمد باقر المحمودي ، بيروت ، مؤسسة الأعلمي ، ١ / ١٤٩

٤٢ ـ أنساب الأشراف ، البلاذري ، تحقيق فيلفرد ماديلونغ ، بيروت ، مؤسسة الريان ، ٢٠٠٩ ق ٢ / ١٦٢

٤٣ ـ الكتاب ، سيبويه ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ٢٠٠٤ ، ٤ / ٧٠

٤٤ ـ شرح المفصل في صنعة الإعراب ، الخوارزمي ، تحقيق عبد الرحمن العثيمين ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، ٣/ ٣٥٣

٤٥ ـ الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة ، ٩٨

٤٦ ـ سورة يوسف ، الآية : ٥٣

٤٧ ـ ديناميـة النصّ ، محمد مفتاح ، الدار البيضاء ، المركز الثقافي العربي ، ٢٠١٠ ، ٩٠

٤٨ـ التعالق النصي ، نانسي إبراهيم ، القاهرة ، دار رؤية ، ٢٠١٤ ، ٢٥٦

٤٩ ـ من البنية الحملية إلى البنية المكونية ، أحمد المتوكل ، الدار البيضاء ، دار الثقافة ، ٢٥٧

٥٠ ـ شرح نهج البلاغة ، مج ٤ / من ١٦٧ إلى ٢١١

٥١ ـ آفاق جديدة في البحث اللغويّ المعاصر ، ٨٤

٥٢ ـ سورة التغابن ، الآية : ١٦

٥٣ ـ سورة الحجّ ، الآية : ٣٨

٥٤ ـ سورة الشورى ، الآية : ٣٧

٥٥ ـ التداولية اليوم علم جديد في التواصل ، ٣٣

٥٦ ـ الزمن في اللغة العربية ، امحمد الملاخ ، الرباط ، دار الأمان ، ٢٠٠٩ ، ٣١٢

٥٧ ـ التداولية من أوستن إلى غوفمان ، فيليب بلانشيه ، ترجمة صابر حباشة ، إربد ، عالم الكتب الحديث، ٢٠١٢ ، ١١٧

٥٨ ـ شرح نهج البلاغة ، مج ٤ / ١٦٨ و ٢٠٩ و ٢١١

٥٩ ـ الكتاب ، ١ / ٢٧٣

٦٠ ـ المقتضب ، المبرد ، تحقيق حسن محمد حسن ، بيروت ، دار الكتب ، ١٩٩٩ ، ٢ / ١٧٢

٦١ ـ معاني النحو ، فاضل السامرائي ، الموصل ، بيت الحكمة ، ٢ / ٥٢٥

٦٢ ـ الوصفية مفهومها ونظامها في النظريات اللسانية ، رفيق بن حمودة ، تونس ، دار محمد علي ، ٢٠٠٨، ٣٤٧

٦٣ ـ رصف المباني في شرح حروف المعاني ، المالقي ، تحقيق أحمد الخراط ، دمشق ، مجمع اللغة العربية، ٣٣٤

٦٤ ـ البسيط في شرح الكافية ، ٢ / ٦٦٦

٦٥ ـ معجم مصطلحات البلاغة ، أحمد مطلوب ، بغداد ، المجمع العلمي العراقي ، ١٩٨٦، ٦

٦٦ ـ شرح نهج البلاغة ، مج ٤ / من ١٦٧ إلى ٢١٠

٦٧ ـ في خطى محمد ، نصري سلهب ، بيروت ، دار الميزان ، ٢٠١٠ ، ١٣٨

٦٨ـ القاموس الموسوعي للتداولية ، جاك موشلار وآن ريبول ، ترجمة مشتركة ، تونس ، المركز الوطني للترجمة ، ٢٠١٠ ، ٥٠١

المصادر والمراجع

ـ القرآن الكريم

١. الإتقان في علوم القرآن ، السيوطي ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٨٧

٢. أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين ، قيس الأوسي ، بغداد ، بيت الحكمة، ١٩٨٨

٣. الأطلس اللغويّ في التراث العربيّ ، خالد نعيم ، لندن ، دار السياب ، ٢٠١٠

٤. أعلام الفكر اللغويّ ، تأليف مشترك ، ترجمة أحمد الكلابيّ ، بيروت ، دار الكتاب الجديد ٢٠٠٦

٥. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، محمود أحمد نحلة ، القاهرة ، مكتبة الآداب ، ٢٠١١

٦. الأفعال الانجازية في العربية المعاصرة ، علي محمود الصراف ، القاهرة ، مكتبة الآداب ، ٢٠١٠

٧. الأمالي الشجرية ، ابن الشجري ، بيروت ، دار المعرفة ،

٨. أنساب الأشراف ، البلاذري ، تحقيق فيلفرد ماديلونغ ، بيروت ، مؤسسة الريان ، ٢٠٠٩

٩. البسيط في شرح الكافية ، الاسترابادي ، تحقيق حازم الحلي ، قم ، المكتبة الأدبية

١٠. تأريخ الإسلام ، الحافظ الذهبي ، تحقيق مصطفى عبد القادر ، بيروت ، دار الكتب العلمية ٢٠٠٥

١١. تأريخ العرب القديم والبعثة النبوية ، صالح احمد العلي ، بيروت ، مركز المطبوعات ، ٢٠٠٠

١٢. تحويلات الطلب ومحددات الدلالة ، حسام أحمد قاسم ، القاهرة ، الآفاق العربية ،

٢٠٠٧

١٣. التداولية ، جورج يول ، ترجمة قصي العتابي ، الرباط ، دار الأمان ، ٢٠١٠

١٤. التداولية اليوم علم جديد في التواصل ، آن ريبول وجاك موشلار ، ترجمة سيف الدين دغفوس وآخرون ، بيروت ، المنظمة العربية للترجمة ، ٢٠٠٣

١٥. التداولية من أوستن إلى غوفمان ، فيليب بلانشيه ، ترجمة صابر حباشة ، إربد، عالم الكتب الحديث ، ٢٠١٢

١٦. التعالق النصي ، نانسي إبراهيم ، القاهرة ، دار رؤية ، ٢٠١٤

١٧. التفكير الدلالي في الدرس اللساني العربي الحديث ، خالد هويدي ، بغداد ، مكتبة عدنان ، ٢٠١٢

١٨. جدلية الإفراد والتركيب في النقد العربي القديم ، محمد عبد المطلب ، القاهرة، الشركة المصرية ، ١٩٩٥

١٩. خصائص الوحي المبين ، الحافظ ابن بطريق ، تحقيق مالك المحمودي ، قم ، دار القرآن الكريم ، ١٤١٧ هـ

٢٠. الخطاب وخصائص اللغة العربية ، أحمد المتوكل ، الجزائر ، منشورات الاختلاف ، ٢٠١٠

٢١. دائرة الأعمال اللغوية ، شكري المبخوت ، بيروت ، دار الكتاب الجديد ، ٢٠١٠

٢٢. دينامية النصّ ، محمد مفتاح ، الدار البيضاء ، المركز الثقافي العربي ، ٢٠١٠

٢٣. رصف المباني في شرح حروف المعاني ، المالقي ، تحقيق أحمد الخراط ، دمشق ، مجمع اللغة العربية.

٢٤. الزمن في اللغة العربية ، امحمد الملاخ ، الرباط ، دار الأمان ، ٢٠٠٩

٢٥. شرح المفصل في صنعة الإعراب ، الخوارزمي ، تحقيق عبد الرحمن العثيمين ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي.

٢٦. شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ، بيروت ، دار الفكر ، ١٩٥٤
٢٧. شـواهد التنزيـل لقواعـد التفضيـل ، الحاكـم الحسـكاني ، تحقبـق محمـد باقـر المحمـودي، بـيروت ، مؤسسـة الأعلمـي
٢٨. الطراز المتضمن لأسرار البلاغة ، العلوي ، مصر ، مطبعة المقتطف
٢٩. ـ علاقـة اللغـة بالجنوسـة ، عبـد النـور الخراقـي ، الريـاض ، اصـدار المجلـة العربيـة (١٤١)، ٢٠١٢
٣٠. في خطى محمد ، نصري سلهب ، بيروت ، دار الميزان ، ٢٠١٠
٣١. القامـوس الموسـوعي للتداوليـة ، جـاك موشـلار وآن ريبـول ، ترجمـة مشـتركة ، تونـس ، المركـز الوطنـي للترجمـة ، ٢٠١٠
٣٢. قراءة جديدة في حروب الردة ، علي الكوراني ، قم ، نشر باقيات ، ٢٠١١
٣٣. الكتاب ، سيبويه ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، القاهرة ، مكتبة الخانجي، ٢٠٠٤
٣٤. كتاب الخط ، الزجاجي ، تحقيق تركي العتيبي ، بيروت ، دارصادر ، ٢٠٠٩
٣٥. لسان العرب ، ابن منظور ، بيروت ، دار صادر
٣٦. اللغـة والفعـل الكلامـي والاتصـال ، زيبليـه كريمـر ، ترجمـة سـعيد البحـيري ، القاهـرة ، زهـراء الـشرق ، ٢٠١١
٣٧. الله والإنسان ، كارين آرمستونغ ، ترجمة محمد الجورا ، دمشق ، دار الحصاد ، ١٩٩٦
٣٨. مدخل إلى اللسانيات ، محمد محمد يونس ، بيروت ، دار الكتاب الجديد ، ٢٠٠٤
٣٩. مدخـل إلى نظريـة الفعـل الكلامـي ، جوتـس هنـده ، ترجمـة سـعيد البحـيري ، القاهـرة ، زهـراء الـشرق ، ٢٠١٢
٤٠. المضمر ، تأليف مشترك ، ترجمة ريتا خاطر ، بيروت ، المنظمة العربية للترجمة، ٢٠٠٨
٤١. معاني النحو ، فاضل السامرائي ، الموصل ، بيت الحكمة
٤٢. المعاني في ضوء أساليب القرآن ، عبد الفتاح لاشين ، دمشق ، المطبعة الأموية، ١٩٨٣

٤٣. معجم مصطلحات البلاغة ، أحمد مطلوب ، بغداد ، المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٦

٤٤. مفتاح العلوم ، السكاكي ، تحقيق عبد الحميد الهنداوي ، بيروت ، دار الكتب، ٢٠٠٠

٤٥. مفهوم الحرفية ومفهوم الفضاء في التراث النحويّ مقاربة لسانية ، عثمان صادق شريجة، اربد ، عالم الكتب الحديث ، ٢٠١١

٤٦. المقاييس الاسلوبية في الدراسات القرآنية ، جمال حضريّ ، بيروت ، دار مجد ، ٢٠١٠

٤٧. المقتضب ، المبرد ، تحقيق حسن محمد حسن ، بيروت ، دار الكتب ، ١٩٩٩

٤٨. من البنية الحملية إلى البنية المكونية ، أحمد المتوكل ، الدار البيضاء ، دار الثقافة

٤٩. النحو القرآني في ضوء لسانيات النصّ ، هناء محمود ، بيروت ، دار الكتب ، ٢٠١٢

٥٠. نظرية أفعال الكلام ، جون أستن ، ترجمة عبد القادر قيني ، الرباط ، أفريقيا الشرق، ٢٠٠٦

٥١. الوصفية مفهومها ونظامها في النظريات اللسانية ، رفيق بن حمودة ، تونس ، دار محمد علي ،٢٠٠٨

٥٢. ينابيع المودة ، القندوزيّ ، تحقيق علي جمال الحسيني ، قم دار الأسوة

التعليل

في عهد الإمام علي (عليه السلام)

لمالك الأشتر (رضوان اللّه عليه)

م. د. حميد يوسف إبراهيم

كلية العلوم الإسلامية / جامعة ذي قار

مقدمة

يعد التعليل واحداً من الأساليب اللغوية التي يلجأ إليها المتكلم، عندما يكون قاصداً بيان صحة ما ذهب إليه، وهو بيان علة الشيء أو علة الحكم، ويأتي بمثابة إجابة عن سؤال مفترض، قد يسأله السامع أو لا، تبعاً لمدى إحاطته بالنص، وهو كذلك من جهة المنشئ، فالمتكلم المدرك لحيثيات ما يتكلم عنه يلجأ إلى بيان علل أحكامه وفروضه ومقولاته ونحوها؛ ليساعد على الفهم؛ ولغلق الطريق أمام التأويل غير المقصود عند المتكلم، أو لإقناع المخاطب فيما يتضمنه الخطاب من فروض وأحكام، فيقوم المتكلم بتنزيل السامع منزلة السائل، ومثل هذا الأسلوب تجده عند من له إحاطة بموضوعه، وأكثر ما يتجلى ذلك في النصوص المعصومة، وهي النص القرآني ونصوص أهل البيت عليهم السلام، وجاء هذا البحث بعنوان (**التعليل في عهد الإمام علي عليه السلام لمالك الأشتر رضي الله عنه**)؛ ليسلط الضوء على التعليلات التي ذكرها الإمام علي عليه السلام في ثنايا عهده لمالك الأشتر رضي الله عنه، وهو يبين فلسفة ما يذكره من أحكام وفروض ومقولات ونحوها، ومما ينشده البحث هنا بيان أثر تلك التعليلات في إيضاح أسس إنسانية الدولة؛ لتكون دولة الإنسان، وتضمن البحث تمهيداً عن بيان معنى التعليل وفائدته، ومبحثين، الأول لبيان الأدوات اللغوية التي استعملها الإمام عليه السلام في تعليلاته، أما الثاني فلبيان التعليل الناتج من مضمون الجملة، ثم خاتمة، فقائمة بالمصادر، وهذه الخطة قابلة للتبديل أو التعديل، ومن الله التوفيق.

تمهيد

معنى التعليل وفائدته:

العلة بكسر العين تأتي بمعنى المرض[١] . وتأتي بمعنى الحدث يشغل صاحبه عن حاجته ، كأن تلك العلّة صارت شغلاً ثابتاً منعه من شغله الأوّل[٢] ، وتأتي بمعنى السّبب ، يقال : هذا علّةٌ لهذا ، أي سببٌ[٣] . وكلمة (التعليل) من الفعل المضعَّف (علَّل) على وزن (تفعيل) التي تدل في أحد معانيها على الجعل ، والتعليل يعني جعل علة أو إيجادها ؛ ليعطي معنى (التبيين) .

أما اصطلاحاً فهي ما يتوقف عليه الشيء[٤]. وعرَّفها الشريف الجرّجاني(٨١٦هـ) بأنها: ((ما يتوقف عليه وجود الشّيء ويكون خارجاً مؤثراً فيه))[٥]. وقيل إنَّ التعليل : ((هو أن يريد المتكلم ذكر حكم واقع أو متوقع ، فيقدم قبل ذكره علة وقوعه))[٦] . فالتعليل هو تبيين الغرض من إيقاع الفعل أو بيان سبب وقوعه. وهو على قسمين: تعليل بالغرض وتعليل بالسبب ، ففي الأول يعلل الفعل بذكر المراد من إيقاعه والباعث عليه ، وفي الثاني يعلل بذكر المؤثر والمسبب له[٧].

يتداخل معنى العلة بمعنى السبب عند كثير من العلماء[٨] ، فالمصطلحان يلتقيان في شيء ويفترقان في آخر ، ومما يفرق به بينهما أنَّ ((السببية عامل مؤثر ومسبب ، وأما العلة فهي الغاية المرادة والنتيجة المبتغاة))[٩] من الفعل أو الحكم أو القول ، وعندئذٍ تكون العلة غائية ، ولكنها لا تكون كذلك في كل الأحوال ، قال الزمخشري (٥٣٨ه) : ((وما كل علة بغرض ، ألا تراك تقول : قعدت عن الغزو للعجز والفاقة ، وخرجت من البلد لمخافة الشر ، وليس شيء منها بغرض لك ، وإنَّما هي علل وأسباب))[١٠] . وبناء على ما تقدم يمكن القول إنَّ العلة

مقصودة في أصل إيجاد الشيء ، أما السبب فقد لا يكون مقصوداً ، وإنَّما هو أثر من آثار وجود الشيء أو نتيجة له أو تداعي من تداعياته .

قال الرضي الاسترابادي (٦٨٨هـ): ((فالمفعول له هو الحامل على الفعل سواء تقدم وجوده على وجود الفعل ، كما في قعدت جبنا ، أو تأخر عنه ، كما في جئتك إصلاحاً لحالك ؛ وذلك لأنَّ الغرض المتأخر وجوده يكون علة غائية حاملة على الفعل ، وهي إحدى العلل الأربع كما هو مذكور في مظانه ، فهي متقدمة من حيث التصور وإن كانت متأخرة من حيث الوجود))[١١] .

واختلفت وجهات الأصوليين في تعريف العلة تبعاً لاختلاف وجهات نظرهم في التعليل[١٢] ، فقيل : إنها الوصف المؤثر بذاته في الحكم ، والموجب له بناء على جلب مصلحة أو دفع مفسدة قصدها الشارع[١٣] . أو هي الوصف المؤثر في الأحكام بجعل الشارع لا بذاته . أو هي الباعث أو الداعي للشارع على تشريع الحكم[١٤].

فائدة التعليل :

البحث عن علل الأشياء أمر فطري في الإنسان ، ومبدأ العلية مبدأ عقلي يجعل الانسان دائماً يواجه سؤال : لماذا؟[١٥] ، حتى إذا خفي عنه سبب الحدث أو جهله أثار ذلك في نفسه العجب ، ولذلك قيل : إذا ظهر السبب بطل العجب[١٦].

إن وجود علة للشيء أو الحكم يعطيه من القوة في التأثير ، وإيجاد القناعة ما لا يعطيه وهو غير معلل ؛ فإنَّ((إثبات الشيء معللاً آكد من إثباته مجرداً من التعليل))[١٧] . ففي قوله تبارك وتعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ**﴾[سورة الحج الآية١] . أمر بالتقوى ، وذكر الأمر وحده قد لا يحمل على التقوى ، فجاء ذكر هول الساعة تعليلاً لوجوبها وحملاً على الامتثال للأمر

؛ ولهذا فالتعليل يفيد التقرير والأبلغية[١٨] ، فهو ((نوع من أنواع التأكيد والتثبت والاطمئنان بصحة الخبر أو الحكم ، وذكر الشيء معللا مما يقوي تأثيره في النفس وثقتها به))[١٩] . وبناءً على ذلك يؤتى بالتعليل لبيان الأغراض المقصودة من وراء الفعل أو القول أو الحكم ، أو الأسباب المؤدية إلى وجوده ؛ لتتم القناعة به، ويصبح مقبولاً ومستساغاً عند السامع ، ويأخذ طريقه في الواقع .

وينشد هذا البحث تفحص ذلك الأسلوب في عهد الإمام علي عليه السلام لمالك الأشتر رضي الله عنه ، وفيما يأتي بيان ذلك :

المبحث الأول
التعليل بالأدوات

كان التعليل واحدة من دلالات بعض الأحرف والأدوات المستعملة في اللغة، فوردت في اللغة أدوات عديدة دالة على التعليل، وكانت هذه الأحرف أدوات ربط بين الحكم وعلته، وأهم هذه الأدوات التي وردت في عهد الإمام علي عليه السلام لمالك الأشتر رضي الله عنه :

١ – التعليل باللام :

وهي أحد أحرف الجر، ولها معان كثيرة منها التعليل، وهي اللام ((التي يصلح في موضعها «من أجل»))[٢٠]. وتختص اللام من بين الحروف المفيدة للتعليل بأنها تستعمل فيه بكلا قسميه؛ فـ((العلة المقترنة باللام قد تكون حاصلة قبل الفعل، وقد تكون مراداً تحصيلها))[٢١]. قال ابن يعيش (٦٤٣هـ): ((اللام قد تدخل على المصادر التي هي أغراض الفاعلين في أفعالهم ... فكأنها دخلت ...لإفادة أنَّ ذلك الغرض من إيقاع الفعل المتقدم))[٢٢] . وقد وردت اللام للإفادة التعليل في مواضع من العهد المبارك، ومنه قوله عليه السلام : ((ثمّ لا قوام لهذين الصّنفين إلاّ بالصّنف الثّالث من القضاة والعمّال والكتّاب؛ لما يحكمون من المعاقد ويجمعون من المنافع، ويؤتمنون عليه من خواصّ الأمور وعوامّها))[٢٣] . حكم عليه السلام بكون الرعية طبقات يكمل بعضها الآخر، فيصلح بصلاحه ويتعثر بتعثره، والمراد بالصنفين الجنود وعمال الخراج، وهما لا يمكن أن يؤديا وظيفتيهما بشكل صحيح إلا بصنف آخر، وهم القضاة والعمال والكتاب، وقد بَيَّنَ عليه السلام علة الحكم الذي ذكره بأن هؤلاء هم من يتولى إدارة هذا الأمر وإحكامه بما

يتناسب مع المصلحة .

ومنه قوله ﷺ ((وأعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك؛ ليأمن بذلك اغتيال الرّجال له عندك))(٢٤) . أمر ﷺ بل حكم بإعطاء القاضي ما يستحقه ويسد حاجته ؛ ليبعده عن الطمع والاستغلال للمنصب أو أن يستغله أصحاب المطامع أو أن يُحَطَّ من قدره أو يُنتقصَ منه ، وهنا يؤسس الإمام ﷺ لقاعدة في الحكم ، فوظَّفَ ﷺ ما توفره اللغة من أدوات التعليل التي تسهم في بيان مشروعية الأحكام ؛ لغرض الإقناع ، ولتذعن العقول لذلك قبل النفوس .

وأشار ﷺ إلى أسباب دمار البلاد وخرابها بقوله ﷺ : ((وإنّما يؤتى خراب الأرض من إعواز أهلها ، وإنّما يعوز أهلها لإشراف أنفس الولاة على الجمع ، وسوء ظنّهم بالبقاء ، وقلّة انتفاعهم بالعبر))(٢٥) . فإشراف أنفس الولاة على الجمع ، مضافاً إليها سوء الظن وعدم الاعتبار كانت سبباً في خراب البلاد وضياع حقوق العباد ، فتشخيص الإمام ﷺ للعلة يستبطن تحذيراً لأولياء الأمر أنْ لا يكونوا كذلك. ويبدو أن جملة (وسوء ظنهم بالبقاء وقلة انتفاعهم بالعبر) هي علة إشراف أنفس الولاة على الجمع ، لكنه ﷺ ربط الأولى باللام وربط الأخريين بالواو ، وبهذا فقد ذكر ﷺ العلة وعلة العلة ، وأن هذه العلل قد تجتمع لتكون علة للمعلول الأول في الجملة .

والواقع أنَّ التعليل واقع بجملة تامة المعنى في الأغلب وما هذه الأحرف التي جعلت للعليل إلا أدوات ربط بين أجزاء النص ؛ لتسهم في تماسكه وقوته ، فلو نظرنا إلى التعليل في قوله ﷺ : ((وتفقّد أمر الخراج بما يصلح أهله ، فإنَّ في صلاحه وصلاحهم صلاحا لمن سواهم ، ولا صلاح لمن سواهم إلاّ بهم ؛ لأنّ النّاس كلهم عيال على الخراج وأهله ، وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من

نظرك في استجلاب الخراج؛ لأنّ ذلك لا يدرك إلاّ بالعمارة ، ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرب البلاد ، وأهلك العباد ، ولم يستقم أمره إلاّ قليلا))[٢٦] . لوجدنا أنَّ التعليل حاصل بالجملة التي بعد حرف اللام وهي جمل : (لأنَّ الناس ... لأنَّ ذلك...) .

٢ ـ التعليل بالباء :

ذكر النحاة للباء معاني عديدة ، أحدها التعليل ، فـ((يكون ما بعدها سبباً وعلة فيما قبلها))[٢٧] ، ومنه قوله تعالى : ﴿**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ**﴾[سورة البقرة ، من الآية٥٤] . فالباء هنا داخله على السبب ؛ إذ أنَّ ظلمهم أنفسهم مسبب عن اتخاذهم العجل ، أي: فقد حكم النبي موسى عليه السلام على قومه بأنَّهم ظالمون بسبب اتخاذهم العجل إلهاً من دون الله تبارك وتعالى[٢٨] .

ومنه قوله عليه السلام: ((**ولا تحدثنّ سنّة تضرّ بشيء من ماضي تلك السّنن ، فيكون الأجر لمن سنّها ، والوزر عليك بما نقضت منها**))[٢٩]. جعل عليه السلام نقض السنن الصالحة علة لتحمل الوزر ، فأفادت الباء تعليلاً ، والمعنى : أنك تتحمل الوزر بسبب نقضك سنن الصالحين من قبلك .

ومنه قوله عليه السلام: ((**وإنّ أفضل قرّة عين الولاة استقامة العدل في البلاد ، وظهور مودّة الرّعيّة ، وأنّه لا تظهر مودّتهم إلاّ بسلامة صدورهم ، ولا تصحّ نصيحتهم إلاّ بحيطتهم على ولاة الأمور))[٣٠]. أفادت الباء في الموضعين التعليل، فسلامة الصدور علة لظهور المودة، والحيطة علة لصحة النية.**

٣ ـ التعليل بـ(من) :

يأتي حرف الجر (مِنْ) لدلالات أهمها ابتداء الغاية[٣١]. وقد يدل على التعليل؛ وذلك عند دخولها على ما يكون سبباً وعلة في وجود متعلقها ، ويحسن مكانها لفظة (بسبب)[٣٢] ، نحو قوله تعالى : ﴿**يَجْعَلُونَ أَصْابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ واللهُ مُحِيطٌ بِالْكافِرِينَ**﴾[سورة البقرة ، من الآية١٩] . أي : بسبب الصواعق ، فهي ما حملهم على أن يجعلوا أصابعهم في آذانهم ، فأفادت (من) التعليل[٣٣] . ومنه قول الإمام عليه السلام : ((وإنّما يؤتى خراب الأرض من إعواز أهلها))[٣٤] . أي : إنَّ البلاد تتعرض للخراب بسبب فقر أهلها واحتياجهم إلى أبسط مقومات العيش ، وما يتعرضون له من حاجة ونقص في الأموال والثمرات ناتج عن تصرفات غير صحيحة من الحكام.

٤ – التعليل بالحرف (على):

يأتي حرف الجر(على) لمعان أشهرها وأكثرها استعمالا الاستعلاء[٣٥]. وقد تأتي لإفادة التعليل إذا كانت داخلة على ما هو سبب في وجود متعلقها كقولنا: (شكرت المحسن على إحسانه) ، و(جازيته على صنيعه) ، فالإحسان سبب لشكر المحسن، والصنيع سبب المجازاة ، فذكر شبه الجملة (على إحسانه ، على صنعيه) إنما كان ليعلل بهما وقوع الشكر والمجازاة[٣٦] . ومنه قوله تعالى : ﴿**وَلِتُكَبِّرُواْ اللهَّ عَلَى مَا هَدَاكُمْ**﴾[سورة البقرة : الآية ١٨٥]. أي : لهدايته إياكم[٣٧]، فأمرهم بتكبيره وتعظيمه ؛ بسبب هدايته إياهم . ومنه قوله عليه السلام : ((ثمّ لا يكن اختيارك إيّاهم على فراستك واستنامتك وحسن الظنّ منك))[٣٨]. نهى عليه السلام محذراً من أن يتم اختيار الكتاب وعموم موظفي الدولة بالاعتماد على الفراسة وما يبدونه من سمات مطلوبة وصفات حسنة ، والتعليل هنا يبين سبب النهي عن مثل هذا النوع من الاختيار .

ومنه قوله (عليه السلام) : ((ولا تندمنّ على عفو))[٣٩] . فقد نهى (عليه السلام) عن الندم بسبب العفو عن الرعية . وهذا القول يتضمن الحث على العفو والتسامح مع الرعية فيما يقصرون به من دون قصد ، ويتضمن أن يكون الندم عن الظلم لا عن العفو .

٥ ـ التعليل بـ (حتى):

تسبق الأداة (حتى) الفعل المضارع ؛ لتفيد معاني ، منها التعليل ، أي تأتي (بمعنى كي) ، قال ابن يعيش: ((يكون الفعل الأول سبباً للثاني ، فتكون (حتى) بمنزلة (كي)، وذلك قولك : أطع الله حتى يدخلك الجنة ، وكلمته حتى يأمر لي بشيء ، فالصلاة والكلام سببان لدخول الجنة والأمر بالشيء))[٤٠]. ومنه قوله تعالى: ﴿**وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ**﴾ [سورة البقرة من الآية٢١٧] . والمعنى : كي يردوكم ، وهذا غرض دوامهم على القتال وتعليل له[٤١] . ومنه قول الإمام (عليه السلام) : ((وليكن آثر رؤوس جندك عندك من واساهم في معونته ، وأفضل عليهم من جدته ، بما يسعهم ويسع من ورائهم من خلوف أهليهم ، حتّى يكون همّهم همّا واحداً في جهاد العدوّ))[٤٢] . يمثل ما قبل الأداة (حتى) سبباً لما بعدها ومقدمة له ، والتقدير : (لكي يكون همهم ...) ، وبهذا يبين (عليه السلام) علة الأمر بذلك .

ومنه قوله (عليه السلام) : ((واجعل لذوى الحاجات منك قسماً تفرّغ لهم فيه شخصك، وتجلس لهم مجلساً عامّاً ، فتتواضع فيه لله الّذي خلقك ، وتقعد عنهم جندك وأعوانك من أحراسك وشرطك ، حتى يكلمك متكلمهم غير متعتع ...))[٤٣] . تضمن الطلب في بداية الجملة وما تلاه من عبارات مقدمات ليتحقق ما بعد الأداة من إمكانية التكلم مع الحاكم من دون خوف أو قهر ، بما يجعل كلامهم سلساً ، فمعلوم أنَّ الخوف والتردد يجعل المتكلم مضطرب الكلام ، فيكون تقدير الكلام : (لكي يكلمك مكلمهم ...) .

المبحث الثاني

التعليل المتحقق بالجمل أو بمضمونها :

لا يقتصر بيان علة الشيء على استعمال الأحرف الدالة على التعليل ، وإنما قد يتحقق التعليل بالجملة كلها أو بمضمون الجملة ، لكن هذه الجملة لا تخلو من رابط يربط العلة بمعلولها ، فقد يكون الفاء وقد يكون غيره من أحرف الربط ، وقد يكون الضمير أو اسم الإشارة ونحو ذلك ، وهذا النمط من التعليل هو الأكثر استعمالاً في العهد المبارك ، وفيما يأتي بيان ذلك :

١ ـ التعليل بالجملة الاسمية :

ابتدأت بعض الجمل التعليلية في العهد المبارك بأدوات ربط ، ومنها اسم الإشارة الذي يمثل نوعاً من أنواع الإحالة ، ومنه قوله عليه السلام : ((إنّ شرَّ وزرائك من كان للأشرار قبلك وزيراً ، ومن شركهم في الآثام فلا يكوننّ لك بطانة ، فإنّهم أعوان الأثمة ، وإخوان الظّلمة ، وأنت واجد منهم خير الخلف ممّن له مثل آرائهم ونفاذهم ، وليس عليه مثل آصارهم وأوزارهم ممّن لم يعاون ظالما على ظلمه ، ولا آثما على إثمه ، أولئك أخفّ عليك مؤونة ، وأحسن لك معونة ، وأحنى عليك عطفا ، وأقلّ لغيرك إلفاً))[٤٤] . فجملة (أولئك أخف عليك مؤونة...) تعليل لما تقدمها من الترغيب بالفئة التي ارتضى عليه السلام أن تكون منها البطانة والأعوان ؛ لما يتصفون به من الصفات ، وبما تكون عليه النتائج التى تضمنها كلامه عليه السلام من خفة المؤونة وحسن المعونة والحنان والعطف ، وعدم ارتباطهم بغير من ولَّاهم ولا موالفتهم له والحنين إليه . وما تجدر الإشارة إليه أنَّ هذا الترغيب جاء بعد تحذير ونهي عن اتخاذ أعوان الظلمة بطانة ، وهذا النهي يتضمن كونهم كثيري

المؤونة والإضرار بالمصالح العامة ، وأنهم يشكلون عبئاً مادياً ونفسياً على الحاكم ، وأنهم لا يرتجى منهم حسن المعونة والعطف .

وقد يكون التعليل بين ركني الجملة ، فقد يكون المبتدأ معلولاً للخبر ، ومنه قوله ﷺ : ((فاتّخذ أولئك خاصّة لخلواتك وحفلاتك ، ثمّ ليكن آثرهم عندك أقولهم بمرّ الحقّ لك ، وأقلّهم مساعدة فيما يكون منك ممّا كره اللهّ لأوليائه))[٤٥] . فالخبر(أقولهم)، ومعطوفه (أقلهم) علتان للإيثار المذكور في الجملة وهو في موقع الابتداء . والظاهر أنَّ الخبر في النص لم يكن وحده علة الإيثار ، وإنما تضافر معه كونه (الخبر) جاء بصيغة اسم التفضيل (أفعل) .

ولا ينحصر هذا النمط من التعليل بالجملة آنفة الذكر ، وإنما يمكن تأويل كثير من الجمل بها ، ويبدو أن ذلك عائد إلى تلك العلاقة الإسنادية الرابطة بين المسند والمسند إليه ، فهذه عملية الربط تمثل الجامع المشترك بين أنماط التعليل الممكنة في كلام العرب ، فالمبتدأ يرتبط بخبره بعلاقة إسنادية ، والشرط مرتبط بجوابه ، والعلة مرتبطة بمعلولها وهكذا ، فضلاً عن كون أدوات التعليل في النتيجة هي أدوات ربط، وأنَّ التعليل متحقق بالأداة وما دخلت عليه .

٢ ـ التعليل بالجملة الاسمية المؤكدة :

تأتي الجملة الاسمية المتضمنة تعليلاً لما سبقها مؤكدة بـ(إنَّ) ؛ ويرى بعض العلماء أنَّ الأداة (إنَّ) تفيد التعليل[٤٦] ، فتعلل ما قبلها بما بعدها ، ومثلوا لذلك بنحو: قوله تعالى : ﴿**وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾[سورة التوبة ، من الآية١٠٣]. فجملة (إنَّ صلاتك ...) تعليل لما قبلها من الأمر بالصلاة ، وكأنها إجابة عن سؤال مفاده : (لماذا أصلي عليهم ؟) ؛ ليأتي الجواب بجملة (إنَّ) وما دخلت عليه . وبناءً على ذلك فالتعليل ((مستفاد من الجملة بتمامها بقرينه

السياق))[٤٧] . وأمثلته كثيرة في العهد المبارك ، ومنها قوله عليه السلام في بداية العهد : ((أمره بتقوى الله... وأنْ ينصر الله سبحانه بقلبه ويده ولسانه ؛ **فَإِنَّهُ جَلَّ اِسْمُهُ قَدْ تَكَفَّلَ بِنَصْرِ مَنْ نَصَرَهُ وَإِعْزَازِ مَنْ أَعَزَّهُ وَأَمَرَهُ أَنْ يَكْسِرَ نَفْسَهِ مِنَ اَلشَّهَوَاتِ وَيَزَعَهَا عِنْدَ اَلْجَمَحَاتِ فَإِنَّ اَلنَّفْسَ أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ اَللَّهُ**))[٤٨] ، يتضمن النص ترغيباً بالطاعة ، وتحذيراً من المعصية ، وقد مثَّل فيه التعليل سلوكاً تربوياً تعليمياً عند الإمام عليه السلام ، ابتدأ التعليل هنا بأداة التوكيد (إنَّ) ؛ ليكون التعليل بجملة هذه الأداة ، وفي هذين التعليلين استدعى عليه السلام النص القرآني داعماً لأمره ، ففي الأولى كان قوله عليه السلام راجع إلى مضمون قوله تعالى : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ**﴾[سورة محمد ، الآية٧] . وفي الثانية استدعى قوله تعالى : ﴿**وَمَا أُبَرِّىءُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ**﴾[سورة يوسف الآية٥٣] . وهو هنا يذهب بالتعليل إلى كونه حكمة ومقولة تذعن لها العقول ، وتستجيب لها النفوس ، وهو ما يولد قوة في الاقناع وتقبل الحكم ، وهو سلوك تربوي تعليمي يبث المعلومة بالطريقة التي تصل إلى القلب والعقل معاً ؛ لأنَّ ما يشير إليه أو ما مطلوب فعله مدعوم بالحجج والبراهين المقنعة، وما ذلك إلا لتأخذ هذه الأوامر طريقها إلى القبول في النفس والقلب ، ثم التنفيذ في الواقع .

ومنه قوله عليه السلام : ((**فليكن أحبّ الذّخائر إليك ذخيرة العمل الصّالح ، فاملك هواك ، وشحّ بنفسك عمّا لا يحلّ لك ؛ فإنّ الشحّ بالنفس الإنصاف منها فيما أحبّت أو كرهت**))[٤٩]. في النص حكمة وحقيقة تضمنها التعليل جاءت لبيان أهمية الإنصاف ولو على حساب الميول والرغبات ؛ إذ يمثل الشح بالنفس علة لما تقدمه من الأوامر التي تضمنها النص .

ومنه قوله عليه السلام : ((**فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الّذي تحبّ أن يعطيك**

اللهّ من عفوه وصفحه ، فإنّك فوقهم ووالي الأمر عليك فوقك ، واللهّ فوق من ولاّك، وقد استكفاك أمرهم وابتلاك بهم ... فإنّه لا يدى لك بنقمته))(٥٠). أشار عليه السلام إلى أنَّ ما يترتب على الحكام وما مطلوب منهم أن يعملوه ناتج من كونهم يملكون أمور الناس وهنا بيان المسؤولية ؛ ليلحقها بالتحذير من أنك أيها الحاكم يوجد فوقك من مكنك من ذلك ، وأنَّ الله فوق كل فوق ، وأنك لا تستطيع رد نقمته إن نصبت نفسك لحرب الله بمحاربة عباده أو لم تؤد الواجب أو تضيع حق من توليت أمرهم .

وفضلاً عن المنهج التربوي تؤسس تعليلات الإمام عليه السلام لنسق لغوي هو أنَّ التعليل يأتي بياناً لأمر قد طلب سواء كان أمراً أم نهياً أم تحذيراً أم غيره من أساليب الطلب المعروفة عند العرب .

قال عليه السلام : ((إياك ومماساة الله في عظمته والتشبه في جبروته ؛ فإنَّ الله يذل كل جبار ويهين كل مختال))(٥١) . جاءت جملة (فإنَّ ...) ؛ لتبين علة ما تقدمها من تحذير ونهي عن الشبه بالصفات الجلالية لله تبارك وتعالى ؛ لأنَّ الحاكم قد يصيبه الزهو العجب وداء العظمة التي يؤدي به إلى ظلم العباد والبغي عليهم ؛ ليأتي التحذير من الإمام عليه السلام عن تجنب هذا السلوك وأمثاله الذي تكون نتيجته سخط الله الذي يتمثل بالإذلال تارة وبالإهانة تارة أخرى .

وهذا النمط من التعليل هو الأكثر استعمالاً في العهد المبارك ، ويبدو أنَّ ذلك عائد إلى أنَّ الإمام عليه السلام كان بصدد بيان العلة بصورة أكثر وضوحاً وتفصيلاً ليتحقق الإقناع بها، وأنَّ ذلك يتحقق بجملة تامة المعنى ابتدائية مؤكدة بـ(أن) ، وهذا التوكيد يشير إلى تنزيل السامع منزلة المنكر ، فيحتاج الكلام إلى توكيد ، وأنَّ هذه الجملة تحمل مضموناً ناتجاً من العلاقة بين أجزاء الكلام .

وقد يكون التعليل مركبا فتجده مكوناً من جملة (إنَّ) واسمها الضمير وخبرها المؤلف من قضية شرطية مركبة ، ومنه قوله عليه السلام : ((أنصف الناس... فإنَّك إلَّا تفعل تظلم... ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه ومن خاصمه الله ادحض حجته وكان لله حربا... بالمرصاد))[٥٢] . فالتعليل المتضمن في جملة الشرط وجوابه جعله الإمام عليه السلام معللاً بجملة شرطية أخرى ، فقد تدرج عليه السلام في بيان علة حكمه الأول عندما جعله معلقاً على حكم ثانٍ والثاني معلق على ثالث وهكذا ؛ لتتسلسل الحجج والبراهين التي يفرضا التعليل بوصفها مسلمات للإسهام في الإقناع وتنضيج السلوك الذي به تتبين إنسانية الحاكم في تعامله مع الرعية ؛ ليشعر الإنسان بإنسانيته . وهذا البيان يمثل تحذيراً ، فضلاً عن كونه علة لمثل هذه التصورات التي بيَّنها عليه السلام .

٣ ـ التعليل بالمفعول لأجله:

ذكره سيبويه في ((باب ما ينتصب من المصادر لأنه عذر لوقوع الأمر فانتصب ؛ لأنه موقوع له ولأنه تفسير لما قبله لم كان ؟))[٥٣] . وأوجزه الزمخشري بقوله: إنه ((علة الإقدام على الفعل))[٥٤] . وقال الرضي الاسترابادي (٦٨٨هـ): إنه ((الحامل على الفعل سواء تقدم وجوده على وجود الفعل ، كما في قعدت جبنا، أو تأخر عنه ، كما في جئتك إصلاحا لحالك))[٥٥] . ومنه قوله عليه السلام : ((ثمّ انظر في أمور عمّالك فاستعملهم اختبارا ، ولا تولّهم محاباة وأثرة ، فإنّهما جماع من شعب الجور والخيانة))[٥٦] . أي لا يكون اختيارك ناتجاً عن المحاباة والمجاملة ، وإنما عن اختبار ، فالاختبار يجب أن يكون علة الاستعمال ، وليس المحاباة ، ثم علل الأمر والنهي وسبب ذلك .

٤ ـ التعليل في التركيب الشرطي :

يدل الشرط على أنَّ وقوع الأمر مرتبط بوقوع غيره أو ناتج عنه[٥٧] ، أي: أنْ يتوقف وجود الثاني على وجود الأول أو يمتنع لامتناعه أو يمتنع لوجوده ؛ إذ أنَّ مضمون جملة الشرط إنَّما يستحق مضمون جوابه بوقوعه هو في نفسه أو بامتناعه، فيكون الأول سبباً وعلة في الثاني وجوداً وعدماً[٥٨] ، نحو قوله تعالى: ﴿فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاء الْكَافِرِينَ﴾[سورة البقرة ، من الآية ١١٩]. قال ابن جني: ((إنَّ حقيقة الشرط وجوابه أنْ يكون الثاني مسبباً عن الأول ، نحو : قولك : (إن زرتني أكرمتك). فالكرامة مسببة عن الزيارة))[٥٩]. وجعله بعضهم قسمين : ((أحدهما أن يكون مضمونه مسبباً عن مضمون الشرط، نحو : إنْ جئتني أكرمتك . والثاني : أنْ لا يكون مضمون الجواب مسبباً عن مضمون الشرط، وإنما يكون الإخبار به مسبباً، نحو : إن تكرمني فقد أكرمتك أمس ، والمعنى : إنْ اعتددت عليَّ بإكرامك إياي فأنا أيضاً اعتدد عليك بإكرامي إياك))[٦٠] . نعم قد لا يكون الشرط سبباً في جوابه كما مفروض فيما تقدم ، لكن جواب الشرط يعلل ما قبله من شرط . ومن أمثلة التعليل بالمتحصلة بالتركيب الشرطي في العهد المبارك قوله (عليه السلام) : ((فمن قارف حكرة بعد نهيك إيّاه فنكّل به، وعاقبه في غير إسراف))[٦١]. فجملة جواب الشرط تُبَيِّنُ سبب الاقتراف وجزاءه وجملة الشرط وجوابه علة لما قبلها من كلام ، والتنكيل والعقاب نتيجتان للقيام بالاحتكار بعد تقديم النصح بعدم ارتكابه والنهي عنه . ومما تجدر الإشارة إليه هنا أنه (عليه السلام) بالرغم من حكمه بمعاقبة من يمارس الاحتكار إلا أنه كان مراعياً لمقتضيات العدالة ؛ إذ فرض اجتناب الإسراف في إيقاع تلك العقوبة في قوله (عليه السلام): (وعاقبه في غير إسراف) .

ومـن التراكيـب الشرطيـة التـي أفـادت التعليـل في العهـد المبـارك قولـه ﷺ: ((ومـن ظلـم عبـاد اللهّ كان اللهّ خصمـه دون عبـاده ، ومـن خاصمـه اللهّ أدحـض حجّتـه))[٦٢]. فظلـم العبـادة علـة خصومـة الله تبـارك وتعـالى للظـالم ، والخصومـة علـة إدحـاض الحجـة، ومـا بالـك بمـن كان حالـه كذلـك ؟ وهنـا تتبـين فاعليـة ذكـر العلـة وتأثيرهـا في النفـوس ، ومـا يتضمنـه النـص مـن تحذيـر مـن هـذا السـلوك .

ومنه قولـه ﷺ : ((وإن ظنّـت الرّعيّـة بـك حيفـاً فأصحـر لهـم بعـذرك ، واعـدل عنـك ظنونهـم بإصحـارك))[٦٣] . يشـكل ظـن الرعيـة بحاكمها علـة لبيان العـذر أمامهم ؛ وفي هـذا السـلوك إبعـاد للحاكـم عـن سـوء ظـن رعيتـه بـه ، وتحفيـز لـه عـلى القيـام بواجبـه، فهـو أمـام خياريـن ، إمـا أداء واجباتـه بـما يتـلاءم ومصالـح العبـاد والبـلاد ، وإمـا بيـان العـذر في ذلـك ، فربـما سـاعدته رعيتـه عـلى تنفيـذ واجباتـه إن كان عـذره مقبـولاً أو عزلتـه إن كان عـذره غـير مقبـول .

٥ – التعليل بجملة الطلب وجوابه :

قـد تتألـف الجملـة العربيـة مـن طلـب وجوابـه ، نحـو : قولـك : (ادرسْ تنجـحْ)، ورأى النحـاة مثـل هـذا الـكلام عـلى تقديـر جملـة شـرط وأداة ، يـدل عليهـما الطلـب المذكـور ، وعندهـم أن جـواب الطلـب هـو في الحقيقـة جـواب للـشرط المحـذوف[٦٤]، فتقديـر الجملـة السـابقة : (ادرسْ ، فـإن تـدرسْ تنجـحْ) . ويتضمـن الطلـب وجوابـه تعليـلاً مـا ، فجـواب الطلـب نتيجـة للطلـب والطلـب علـة للحكـم المتحقـق في جوابـه، ومنـه قولـه ﷺ : ((فاسـتر العـورة مـا اسـتطعت، يسـترْ اللهّ منـك مـا تحـبّ سـتره مـن رعيّتـك))[٦٥] . يتبـين مـن النـص أنَّ سـتر الحاكـم عـلى رعيتـه علـة لسـتر الله تبـارك وتعـالى مـا يخشـى أنْ يعرفـه النـاس مـن أسـرار الحاكـم جـزاءً لـه عـلى حسـن تحننـه عـلى رعيتـه .

٦ – التعليل بالمشتقات:

اختلف عدد المشتقات باختلاف الحدود التي وضعت له ، فهي عند النحويين أربعة: (اسم الفاعل ، واسم المفعول ، والصفة المشبهة ، واسم التفضيل)، وهي عند اللغويين أوسع لأنّهم يرون أنّ بعض الجوامد مشتقة[٦٦] ، ولم يخرج الأصوليون عن مضمون ما قاله النحويون[٦٧] ، وهي عند الصرفيين ثمانية : اسم الفاعل ، وصيغ المبالغة ، والصفة المشبهة ، واسم المفعول واسما الزمان والمكان ، واسم التفضيل، واسم الآلة[٦٨] . وتحديد النحاة لها بهذه الأنواع ملاحظ فيه دلالتها على حدث وذات باختلاف العلاقة بين الحدث والذات ، فإنْ كان ملحوظاً فيه القيام بالفعل فهو اسم الفاعل وإن كان ملحوظاً فيه وقوع الفعل فهو اسم المفعول ، وإن كان ملحوظاً فيه تفضيل هذه الذات على غيرها فهو اسم التفضيل ، وهكذا .

وقد تقع هذه المشتقات في سياق يفهم تضمنها بيان علة الحكم ، وهذه العلة هي المعنى أو الحدث في الاسم المشتق ، فجملة : (عاقب المسيء) فيها اسم الفاعل (المسيء) يدل على القيام بالإساءة وهو ما يعد علة للحكم (المعاقبة) الذي تتضمنه الجملة[٦٩]، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ**﴾[سورة الأحزاب من الآية ٢٤] . فالآية تتضمن أنَّ فعل النفاق علة للعذاب . وقد أشار إلى تضمن المشتق معنى التعليل أبو حيان (٧٤٥ﻫ) بقوله : ((والحال والصفة قد يجيئان ، وفيهما معنى التعليل ، تقول : أهن زيداً سيئاً ، وأكرم زيداً العالم ، تريد لإساءته ولعلمه))[٧٠]. وقد ورد مثل ذلك في العهد المبارك ، ومنه قول الإمام علي عليه السلام : ((ثمّ انظر في حال كتّابك فولّ على أمورك خيرهم ، واخصص رسائلك الّتي تدخل فيها مكائدك وأسرارك بأجمعهم لوجوه صالح الأخلاق))[٧١] . فاسما التفضيل (خير) و(أجمع) تضمنا بيان علتي التولية والتخصيص المشار إليهما في النص ، فتوليته الأمر معلولة لكونه

خيرهم ، وتخصيصه بالرسائل معلولة بكونه أجمعهم لوجوه الصلاح والأخلاق .

ومنه قوله عليه السلام : ((وليكن أحبّ الأمور إليك أوسطها في الحقّ ، وأعمّها في العدل ، وأجمعها لرضى الرّعيّة))(٧٢) . يشير النص إلى أنَّ الأوسطية في الحق ، والأعمية في العدل والأجمعية لرضى الرعية علل لكونها أحب الأمور ، وأن هذا الأمر يكون أحب كلما اتصف بهذه الصفات .

ومنه قوله عليه السلام : ((وليكن أبعد رعيّتك منك ، وأشنؤهم عندك أطلبهم لمعايب النّاس))(٧٣). تضمن الأمر هنا توجيهاً بكون طلب عيوب الناس والبحث عنها علة للإبعاد والشناءة ، وأنك أيها الحاكم عليك إبعاد من يكون همه وغايته البحث عن عيوب الناس .

ومنه قوله عليه السلام : ((فولّ من جنودك أنصحهم في نفسك للهّ ولرسوله ولإمامك، وأنقاهم جيباً ، وأفضلهم حلماً))(٧٤) . تضمن النص نصيحة الحاكم بأن تكون الأفضلية في النصيحة والنقاء والحلم عللاً لتولية الأمور لمن يتصف بهذه الصفات بلحاظ الأفضلية .

٧ – التعليل المستفاد في سياق الاستثناء المفرغ :

وهو في الواقع راجع إلى التعليل المتحقق بالعلاقة الاسنادية بين المبتدأ وخبره وبين الفعل وفاعله ، لكنه يتميز عنها بما يدل عليه الاستثناء المفرغ من التوكيد والقصر ، ومنه قوله عليه السلام: ((أمره بتقوى اللهّ ، وإيثار طاعته واتّباع ما أمر به في كتابه ، من فرائضه وسننه ، الّتي لا يسعد أحد إلاّ باتّباعها ، ولا يشقى إلا مع جحودها وإضاعتها))(٧٥) ، يشير النص إلى أنَّ السعادة علة لاتباع الفرائض والسنن وأنَّ الشقاء علة جحود الفرائض والسنن وإنكارها وإضاعتها .

الخاتمة :

وبعد هذه الرحلة في عهد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام لمالك الأشتر رضي الله عنه ، توصل البحث إلى ما يأتي :

١ – إن الإمام عليه السلام قد أسس في عهده المبارك إطاراً عاماً وتفصيلياً عن إدارة شؤون الناس ، وقد ضمن ذلك تأسيسه لمنهج تربوي في بيان الأمور ؛ ولذا فقد ساق العلل المقنعة التي تساعد على تبني منهجه الرسالي في الحكم وإدارة الدولة . وأنه قد خاطب فطرة الإنسان في ذلك ، وكانت تعليلاته متناغمة مع ما تتطلبه نفس الإنسان وعقله بما يساعده على تحويل تلك الفروض إلى واقع عملي تنطلق منه الأمة في تأسيس نفسها وإيجاد كيانها .

٢ – إنَّ الإمام عليه السلام قد بَيَّن العلل والقصود التي وراء ذكره مثل هذه الأمور سواء كانت طلبا أوغيره ؟ فهذه العلل التي ساقها عليه السلام مقولات تحمل مضامين عالية ومكتنزة الدلالة تسهم في الإقناع لتقبل الطلب أو الحكم ، وهي في مجملها تبين النزعة الانسانية التي يريد الإمام عليه السلام غرسها في الحاكم لتتبين إنسانية الدولة وتتحقق دولة الإنسان لا دولة الحاكم .

٣ – إنَّ الإمام عليه السلام قد نزل السامع (المتلقي) منزلة السائل في بيانه علل ما أورده ؛ ولذا تجد العلل المذكورة تمثل إجابة عن تساؤل مفترض من المتلقي أو هي لدفع إشكال أو شبهة فيما يكون من قصد المتكلم ، لكنه بهذا قطع الطريق أمام تلك الاحتمالات الدلالية التي قد تكون مشحونة بالحمولات الثقافية للمتلقي سلباً أو إيجاباً.

٤ – إنَّ التعليل متحقق إجمالاً ومتحصل بمضمون الجملة ، وما هذه الأدوات

التي يذكرها النحاة للتعليل إلا روابط بين المعلول وعلته ، وقد تبين أن التعليل بالجمل هو الأكثر استعمالاً ، ويبدو أنَّ ذلك عائد إلى اشتمال الجملة على ما يحسن السكوت عليه أو أنها فكرة تامة المعنى ، وهو ما يكون أبلغ في القول وأوقع في النفس .

٥ – إن التعليل في العهد المبارك يعد أسلوباً تربوياً وظف فيه الإمام (عليه السلام) إمكانيات اللغة لبيان الدواعي والأغراض وراء كل حكم أو فرض أو نصيحة عرضها الإمام (عليه السلام) ، وقد تبين أن ذكر الشيء معللا أوقع في النفوس من ذكره مجرداً .

أعتذر إلى الله وإلى سيدي أمير المؤمنين عن كل سوء فهم لا شك أنه من غير قصد .

هوامش البحث:

١. لسان العرب ١١/ ٤٧١ ، وينظر : معجم مقاييس اللّغة ٤/ ١٤ ، القاموس المحيط ٤/ ٢١ .
٢. لسان العرب ١١/ ٤٧١ ، وينظر : معجم مقاييس اللّغة ٤/ ١٣ .
٣. لسان العرب ١١/ ٤٧٢ مادة (علل) .
٤. ينظر :الكليات ١/ ٢٥٠ .
٥. التّعريفات : ٨٨ .
٦. تحرير التحبير : ٣٠٩، وينظر الكليات : ٢/ ٧١.
٧. ينظر الشرط في القران: ١٥٥.
٨. لسان العرب : ١١ / ٤٧١ ، والصحاح : ٥/ ١٧٧٣ ، وتاج العروس : ٨/ ٣٢ ، والقاموس المحيط: ٤/ ٢١ .
٩. السببية والتعليل في التركيب الشرطي – د. مصطفى جطل وناديا حسكور ، بحث ، مجلة بحوث جامعة حلب، ع : ١٧ ، ١٩٩٠ : ١٠–١١ .
١٠. الكشاف : ١/ ٨٢–٨٣ ، والفروق في اللغة : ٦٤ .
١١. شرح الرضي على الكافية:٢/ ١٩٢.

١٢. ينظر تعليل الاحكام : ١١٢ .

١٣. مباحث العلة :٧٧ . وينظر المستصفى : ١/ ٥٥-٦٠ ، تعليل الاحكام : ١١٩، القياس : ١٨٣ .

١٤. ينظر : تعليل الاحكام : ١١٧ ، القياس : ١٨٨-١٨٩، ومباحث العلة : ٧٣ ، مباحث التعليل : ٨٠.

١٥. ينظر الفلسفة نشأة وتطور : ٢٧٨-٢٧٩.

١٦. ينظر: حاشية الصبان: ٣/ ١٦ .

١٧. الطراز : ٣/ ١٣٨-١٣٩.

١٨. ينظر: الاتقان: ٣/ ٢٥٥، ومعترك الاقران : ١/ ٣٧٢.

١٩. التراكيب اللغوية : ٤٧.

٢٠. البرهان : ٤/ ٣٤٠ ، وينظر رصف المباني : ٢٢٣.

٢١. معاني النحو : ٣/ ٨٧.

٢٢. شرح المفصل : ٧/ ٢٠.

٢٣. العهد : ٢٧-٢٨ .

٢٤. العهد : ٣٥ .

٢٥. العهد : ٣٩ .

٢٦. العهد : ٣٧ .

٢٧. - النحو الوافي : ٢/ ٤٩٠.

٢٨. بلاغة القرآن : ١/ ١٠٥ .

٢٩. العهد ٢٦ .

٣٠. العهد : ٣١ .

٣١. ينظر : ارتشاف الضرب :٢/ ٤٤٢، مغني اللبيب :١/ ٣٥٣، النحو الوافي :٢/ ٤٥٩-٤٦٠.

٣٢. ينظر : النحو الوافي :٢/ ٤٦٣.

٣٣. بلاغة القرآن : ١/ ٣٨ .

٣٤. العهد ٣٩ .

٣٥. ينظر: الجنى الداني : ٤٤٤ ، ومغني اللبيب:١/ ١٥٢-١٥٣ ، النحو الوافي : ٣/ ٥٠٩.

٣٦. أسلوب التعليل في اللغة العربية : ١٠٩ .

٣٧. بلاغة القرآن الكريم (الشيخلي) : ١/ ٣٩٧ .

٣٨. العهد ٤١ .

٣٩. العهد : ١٧ .

٤٠. شرح المفصل :٧/ ٣٠.

٤١. بلاغة القرآن : ١/ ٤٦٦ .

٤٢. العهد : ٣١ .

٤٣. العهد : ٤١ .

٤٤. العهد : ٢٣-٢٤ .

٤٥. العهد ٢٤ .

٤٦. ينظر البرهان : ٣/ ٩٦، ٤/ ٢٢٩ ، الاتقان : ٢/ ١٧٤، وينظر : الحروف العاملة : ٤٣-٤٤.

٤٧. تقرير الشربيني : ٢/ ٣٠٨.

٤٨. العهد :١٤

٤٩. العهد : ١٦ .

٥٠. العهد : ١٦ .

٥١. العهد :١٨ .

٥٢. العهد : ١٩ .

٥٣. الكتاب :١/ ١٨٤ ، و١/ ١٨٥-١٨٦، وينظر : شرح المفصل : ٢/ ٥٣،همع الهوامع : ٣/ ١٣٣.

٥٤. شرح المفصل :٢/ ٥٢.

٥٥. شرح الرضي على الكافية:٢/ ١٩٢.

٥٦. العهد ٣٥

٥٧. ينظر المقتضب : ٢/ ٤٦.

٥٨. ينظر : شرح المفصل : ٨/ ١٥٦، البرهان : ٢/ ٣٥٤.

٥٩. الخصائص :٣/ ١٧٥.

٦٠. حاشية الصبان : ٤/ ٢٢.

٦١. العهد : ٤١ .

٦٢. العهد : ١٩ .

٦٣. العهد : ٥٣ .

٦٤. ينظر : المقتصد : ١/ ١١٢٣/ ١١٢٤، شرح المفصل : ٧/ ٤٨.

٦٥. العهد : ٢١ .

٦٦. ينظر: المصدر نفسه ١٧١– ١٧٢ .

٦٧. ينظر: البحث النحوي عند الأصوليين :٨٥ .

٦٨. ينظر: تصريف الأسماء : ٨٣ ، وأبنية الصرف في كتاب سيبويه : ١٧١ .

٦٩. أسلوب التعليل في اللغة العربية : ١٩٠ .

٧٠. البحر المحيط : ٧/ ١٧٨.

٧١. العهد : ٤٠ .

٧٢. العهد : ٢٠ .

٧٣. العهد : ٢١ .

٧٤. العهد : ٢٩ .

٧٥. العهد : ١٤ .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم .

١. أبنية الصرف في كتاب سيبويه : د. خديجة الحديثي ، مكتبة لبنان ، ناشرون، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٣.

٢. الاتقان في علوم القرآن: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (٩١١هـ) ، تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ، مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني ، مصر، ط ١ ، ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م .

٣. ارتشاف الضرب من لسان العرب : ابو حيان الاندلسي (٧٤٥هـ) ، تحقيق وتعليق : د. مصطفى احمد النماس ، مطبعة المدني ،مصر ،،ط١ ، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٧م .

٤. أسلوب التعليل في اللغة العربية : أحمد خضير عباس ، دار الكتب العلمية ، بيروت ط١ ، ١٤٢٨ه-٢٠٠٧م .

٥. البحث النحوي عند الاصوليين: د. مصطفى جمال الدين ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية ، دار الرشيد ، بغداد ، ط ١ ، ١٩٨٠ .

٦. البحر المحيط : أبو حيان الاندلسي ، مكتبة النصر الحديثة ، الرياض ، د.ت .

٧. البرهان في علوم القرآن : بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (٧٩٤هـ)، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار احياء الكتب العربية ، ط١ ، د.ت .

٨. بلاغة القرآن الكريم في الإعجاز إعراباً وتفسيراً بإيجاز : بهجت عبد الواحد الشيخلي، مكتبة دنديس ، عمان ، الأردن ، ط١ ، ١٤٢٢ه-٢٠٠١م .

٩. تاج العروس من جواهر القاموس : محب الدين ابو الفيض الحسيني الزبيدي (١٢٠٥هـ) ، المطبعة الخيرية ، مصر ، ط١ ، ١٣٠٦هـ .

١٠. تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن:ابن أبي الاصبع المصري (٦٥٤هـ) ، تقديم وتحقيق : د. حفني محمد شرف ، القاهرة ، ١٣٨٣هـ- ١٩٦٣م.

١١ .التراكيب اللغوية في العربية دراسة وصفية تطبيقية : د. هادي نهر ، مطبعة الارشاد ، بغداد ١٩٨٧،م.

١٢ .تصريف الأسماء : محمد الطنطاوي، مطبعة وادي الملوك ، القاهرة ، ط ٥ ، ١٩٥٥ .

١٣ .التعريفات : السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني (٨١٦هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣ م .

١٤ .تعليل الاحكام : محمد مصطفى شلبي ، دار النهضة العربية ، بيروت،١٩٨١م .

١٥ .تقرير الشربيني بهامش حاشية العطار العطار على جمع الجوامع : الشيخ عبد الرحمن الشربيني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، د.ت .

١٦ .الجنى الداني في حروف المعاني: حسن بن قاسم المرادي ، تحقيق : د. طه محسن ،مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر ، مطابع جامعة الموصل ، ١٣٩٦هـ-١٩٧٦م .

١٧ .حاشية الصبان على شرح الاشموني على الفية ابن مالك (ومعه شرح الشواهد للعيني) : محمد بن علي الصبان (١٢٠٦هـ)، دار احياء الكتب العربية ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه ، مصر ، د.ت .

١٨ .الحروف العاملة في القران الكريم بين النحويين والبلاغيين : د. هادي عطية مطر ، مكتبة النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٦ .

١٩ .الخصائص : أبو الفتح عثمان بن جني (٣٩٢هـ) ، تحقيق : محمد علي النجار ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، د.ت .

٢٠ .رصف المباني في شرح حروف المباني : أحمد بن عبد النور المالقي (٧٠٢هـ) ، تحقيق : أحمد محمد الخراط ، مطبعة زيد بن ثابت ، دمشق ، ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م .

٢١ .السببية والتعليل في التركيب الشرطي: د. مصطفى جطل وناديا حسكور ، بحث ، مجلة بحوث جامعة حلب، ع: ١٧ ، ١٩٩٠ .

٢٢ .شرح الرضي على الكافية : رضي الدين محمد بن الحسن الاسترابادي (٦٨٨هـ)، دار الكتب

العلمية، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٥هـ–١٩٨٥م .

٢٣.شرح المفصل : الشيخ موفق الدين بن يعيش النحوي (٦٤٣هـ)، عالم الكتب، بيروت ، د.ت .

٢٤.الشرط في القرآن على نهج اللسانيات الوصفية: د. عبد السلام المسدي ، ود. محمد الهادي الطرابلسي، الدار العربية للكتاب ، ليبيا ، تونس ، ١٩٨٥م .

٢٥.الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية : إسماعيل بن حماد الجوهري (٤٠٠هـ)، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت ، د. ت .

٢٦.الطراز : يحيى بن حمزة بن علي بن ابراهيم العلوي اليمني(٧٢٩هـ)،دار الكتب العلمية،بيروت د.ت.

٢٧.العهد : عهد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام لمالك الأشتر رضي الله عنه ، مؤسسة الرياضي للطباعة العامة.

٢٨.الفروق في اللغة : أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (٤٠٠هـ)، علق عليه ووضع حواشيه : محمد باسل عيون اسود ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط٤، ١٤٢٧ هـ ـ ٢٠٠٦ .

٢٩.الفلسفة نشأة وتطور : محمد بدر الدين الصاوي ، دار الفكر، بيروت ، ط٤ ، ١٣٩٣هـ– ١٩٧٣م.

٣٠.القاموس المحيط : مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (٨١٧هـ) ، إعداد وتقديم محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، ط ٢ ، ١٤٢٤ هـ ـ ٢٠٠٣ م .

٣١.القياس حقيقته وحجيته : د. مصطفى جمال الدين ، النجف ، ١٩٧٢م .

٣٢.الكتاب : سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (١٨٠هـ) ، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط ١ ، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م .

٣٣.الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التاويل : الامام جاد المولى محمود بن عمر الزمخشري (٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت ، لبنان ، د.ت .

٣٤.الكليات : أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (١٣٠١هـ) ، تحقيق: عدنان درويش ، ومحمد المصري ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م .

٣٥.لسان العرب : محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (٧١١هـ) ، دار صادر، ط ١ ، بيروت ، د. ت .

٣٦.مباحث التعليل عند الاصوليين والامام الغزالي: (أطروحة دكتوراه) حمد عبير الكبيسي ، جامعة الازهر ١٩٦٩م .

٣٧.مباحث العلة في القياس عند الاصوليين :عبد الحكيم عبد الرحمن اسعد السعدي ، بيروت ، ط١ ١٩٨٦م .

٣٨.المستصفى من علم الاصول : ابو حامد محمد بن محمد الغزالي (ومعه: كتاب فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت للعلامة عبد العلي محمد الانصاري الهندي) ، المطبعة الاميرية ببولاق ، مصر ، ط١ ، ١٣٢٢هـ .

٣٩.معاني النحو : الدكتور فاضل صالح السامرائي ، مطبعة التعليم العالي ومطبعة دار الحكمة في الموصل ، ١٩٩١ .

٤٠.معترك الاقران في اعجاز القران : جلال الدين السيوطي ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار الفكر العربي ، د.ت .

٤١.معجم مقاييس اللّغة : أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا (٣٩٥هـ) تحقيق وضبط : عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م .

٤٢.مغني اللبيب عن كتب الاعاريب : جمال الدين بن هشام الانصاري ، حققه وخرج شواهده : د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله ، مراجعة سعيد الافغاني ، دار الفكر ، دمشق ، ط٢ ، ١٩٦٩م .

٤٣. المقتصد في شرح الايضاح: عبد القاهر الجرجاني، تحقيق : د. كاظم بحر المرجان، بغداد ، ١٩٨٢م .

٤٤. المقتضب : أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (٢٨٥هـ) تحقيق الاستاذ محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب ، بيروت ، د.ت .

٤٥. النحو الوافي : عباس حسن ، انتشارات ناصر خسرو ، طهران ، ط ٨ ، ١٤٢٦هـ.

٤٦. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: جلال الدين السيوطي، تحقيق وشرح : د. عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية ، الكويت ، ١٣٩٧هـ – ١٩٧٧م .

الحجاج وأثره في بناء العقيدة

التوحيد في نهج البلاغة أنموذجا

م. د. موفق مجيد ليلو

جامعة الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) ـ ميسان

مقدمة

تسعى هذه القراءة الحجاجية إلى التعريف بالحجاج وارتباطه بالبلاغة والمنطق وكونه وسيلة ناجعة لمقارعة الأباطيل ودفع الشبهات بنور العقل ووضوح الحجة من خلال تتبع السمات الأسلوبية لحجاجية النص العلوي وتحليلها للوقوف أسرار كلام الأئمة الأطهار (عليه السلام).

ولكن كيف يمكن للحجاج- وهو منهج لساني متداخل مع البلاغة والمنطق والجدل- ان يسهم في بلورة المفاهيم الإنسانية؟

فهل يمكن للحوار اليوم ان يكون طريقا للإقناع في عصر تبددت فيه مفاهيم الحوار والتعايش السلمي مع ما تمر به البشرية من ثورة معلوماتية وتواصلية، إلا ان كل ذلك لم يخفف من حدة العنف والتكفير وإقصاء الآخر. فأصبحت ثقافة العنف ومنطق القوة هما السائدان.

من هنا تنطلق إشكالية البحث وأهميته، إذ نحن أحوج في هذا العصر إلى سيادة منطق الحوار والإقناع في كل خطاباتنا دون ان نقصي الآخر أو نكفره، وأدوات المحاججة والإقناع إنما تتحقق بسلوك هذا المنهج، بل الأحرى ان تسعى المؤسسات التعليمية والتطويرية إلى انتهاج هذه الآليات أو تنشئة الأجيال عليها وزرع ثقافة الإقناع والتعايش والتسامح في مؤسساتها، إي يمكن ان تضاف مادة دراسية ضمن المقررات لهذا الغرض.

وثمة أمر آخر يتعلق بالحجاج، إذ ليس النصوص كلها تعتمده في خطاباتها، ومن هنا نجد ان مواطن المناظرة والجدل والخطابة، وسيدها علي ع تفيض بهذه المعاني، فقد كانت المدة التي قضاها عليه السلام عصر تصارع لإرادات شتى بين

الخوارج من جهة ومعاوية وابن العاص من جهة أخرى وطلحة والزبير من جهة ثالثة كل يصدح بآرائه وعقائده وإعلامه المضلل.

اقتضت منهجية الدراسة ان تكون في مبحثين: أحمدهما اختص بالتعريف بالحجاج لغة واصطلاحا ومفهوم الحجاج في القران الكريم واهم تقنياته والابعاد الحجاجية، فيما كان المبحث الثاني عن اثر الحجاج في بناء العقيدة وترسيخها ومظهر ذلك في نصوص النهج من خلال الآليات الاقناعية. ثم ختمت الدراسة بخاتمة تضمنت أهم ما أسفرت عنه.

وسيكون النص موضع الدراسة هو الخطبة الاولى وخطبة (١٨٦) في نهج البلاغة بتحقيق د.صبحي الصالح، لأهمية هاتين الخطبتين في موضوع التوحيد وايجازا لما يتسع له المقام.

المبحث الأول
مفهوم الحجاج

الحجاج لغة:

يرتبط لفظ الحجاج بالحجة وهي كما يحددها بعض اللغويون في مادة (حجج) بقولهم: «والحُجَّةُ: وَجْهُ الظَّفَر عند الخُصومة. والفِعل حاجَجْتُه فَحَجَجْتُه. واحتَجَجْتُ عليه بكذا. وجمع الحُجَّة: حُجَجٌ . والحِجاج المصدر. والحَجاجُ : العظمُ المستدير حولَ العَين ويقال: بل هو الأَعْلى الذي تحت الحاجب»[١]، ويشير ابن فارس الى ان هذا الأصل يأتي لأربعة معان هي:

«الأول: القصد، وكل قَصْدٍ حجٌّ، ثم اختُصَّ بهذا الاسمِ القصدُ إلى البيت الحرام للنُّسْك. والحَجِيج: الحاجّ...وممكن أن يكون الحُجَّة مشتقّةً من هذا؛ لأنها تُقْصَد، أو بها يُقْصَد الحقُّ المطلوب. يقال حاججت فلاناً فحجَجْته أي غلبتُه بالحجّة، وذلك الظّفرُ يكون عند الخصومة، والجمع حُجَج. والمصدر الحِجَاج...

والأصل الآخر: الحِجَّة وهي السّنَة. وقد يمكن أن يُجمع هذا إلى الأصل الأوّل؛ لأن الحجّ في السنة لا يكون إلا مرَّةً واحدة، فكأنَّ العام سُمِّي بما فيه من الحَجّ حِجّة...

والأصل الثالث: الحِجَاجُ، وهو العظْم المستدير حَولَ العَين. يقال للعظيمِ الحِجَاجِ أَحَجُّ، جمع الحِجَاج أحِجَّة...

والأصل الرابع: الحَجْحَجة النُّكوص. يقال: حَملوا علينا ثمَّ حَجْحَجُوا. والمُحَجْحِج: العاجز»[٢].

ولا شك أن المعنى الاول هو الاقرب الى معنى الحجاج؛ لأنه تضمن معنى الظفر على الخصم والغلبة بالحجة.

الحجاج اصطلاحا

من المعنى اللغوي يمكن ان نرى الربط بين معنى الحجة والحجاج، فالحجة – كما يعرفها الجرجاني- «ما دل به على صحة الدعوى، وقيل: الحجة والدليل واحد»[٣]، وأما الدليل فهو « الذي يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، وحقيقة الدليل، هو ثبوت الأوسط للأصغر ، واندراج الأصغر تحت الأوسط»[٤].

أما الجدل فهو: «القياس المؤلف من المشهورات والمسلمات، والغرض منه إلزام الخصم وإفحام من هو قاصر عن إدراك مقدمات البرهان. دفع المرء خصمه عن إفساده قوله: بحجة ، أو شبهة. أو يقصد به تصحيح كلامه ، وهو الخصومة في الحقيقة»[٥].

وفي كتاب (مصنف في الحجاج- الخطابة الجديدة١٩٥٨) لـ(بيرلمان وتيتكاه) وهو من الدراسات الحجاجية الرائدة التي سلطت الضوء على المنظومة المفاهيمية للحجاج وأطره ومنطلقاته وتقنياته، وقد حدد المؤلفان مفهوم الحجاج من خلال موضوعه وغايته ف «موضوع نظرية الحجاج هو درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات ، او ان تزيد في درجة ذلك التسليم»[٦].

فالحجاج بشكل عام: «هو العملية التي من خلالها يسعى المتكلم الى تغيير نظام المعتقدات والتصورات لدى مخاطبه بواسطة الوسائل اللغوية» [٧].

فغاية الحجاج تكون بإذعان المتلقي، وهو ما يتحقق عن طريق الاقتناع،

وليس الإقناع، وثمة فرق بينهما، اذ «ان المرء في حالة الاقتناع يكون قد اقنع نفسه ، بواسطة أفكاره الخاصة، أما في حالة الإقناع فان الغير هم الذين يقنعونه دائما»(٨).

ومن هنا فان الفكرة التي يتحرك الحجاج في مجالها ليست البديهيات وإنما القضايا المشككة، التي يحتاج فيها إلى تدقيق أو تشديد عليها.

والحجاج كما يرد في المعجم الفلسفي: «جملة من الحجج التي يؤتى بها للبرهان على رأي أو إبطاله ، أو طريقة تقديم الحجج والاستفادة منها»(٩)

وتعرف موسوعة البلاغة الحجاج بأنه: «تقديم براهين بواسطة البشر لتبرير معتقداتهم وقيمهم وللتأثير في أفكار الآخرين وأفعاله»(١٠)، ويعرفه الدكتور الولي بأنه : «توجيه خطاب إلى متلق ما لأجل تعديل رأيه أو سلوكه أو هما معا، وهو لا يقوم إلا بالكلام المتألف من معجم اللغة الطبيعية»(١١)، وهذا يعني ان الحجاج هدفه التأثير والإقناع بالدرجة الأولى عن طريق توظيف اللغة بأساليبها وجمالياتها للإقناع ، مع التركيز على إقناع المخاطب وإذعانه لواضح الحجج وقوة البرهان.

إلا ان هذا لا يعني ان الأسلوب لا ينتمي إلى الجهاز المفاهيمي للحجاج، بل له الأهمية الكبرى في البيان والتبيين، ولذا نرى الدكتور صولة يطبق منهج الجمع بين الإقناع والإمتاع أو التأثير والإثارة التي تحققها الخصائص الأسلوبية للنص مستمدا ذلك من نوعي الحجاج البرهاني لبيرلمان وتيتكاه ، واللساني لديكرو وانسكمبر.

فانتماء الحجاج إلى البلاغة الجديدة إنما يكون بالجمع بين ما سبق ذكره دون الانسلاخ من الملامح الأسلوبية إلى العقليات فقط والبرهنة، نعم يتداخل الحجاج مع كثير من الاختصاصات المعرفية كالتواصل والجدل والتداولية والبلاغة والمنطق.

مفهوم الحِجاج في القرآن الكريم

ترد مادة (حجج) في القران الكريم ومشتقاتها في ثلاثة وثلاثين موضعا[١٢]، والحجة في القران الكريم كما يعرفها الراغب: «الدلالة المبينة للمحاجة أي المقصد المستقيم والذي يقتضي صحة أحد النقيضين، قال تعالى: ﴿**قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ**﴾[١٣]، وقال: ﴿**لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا**﴾[١٤]، فجعل ما يحتج بها الذين ظلموا مستثنى من الحجة وإن لم يكن حجة،... ويجوز أنه سمى ما يحتجون به حجة كقوله: ﴿**وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ**﴾[١٥]، فسمى الداحضة حجة.

وقوله تعالى: ﴿**لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُم**﴾[١٦] أي لا احتجاج لظهور البيان، والمحاجة: أن يطلب كل واحد أن يرد الآخر عن حجته ومحجته، قال تعالى: ﴿**وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللهِ**﴾[١٧] ﴿**فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ**﴾[١٨].

وقال تعالى: ﴿**لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ**﴾[١٩]

وقال تعالى: ﴿**هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ**﴾[٢٠]

وقال تعالى: ﴿**وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ**﴾[٢١][٢٢]

ومن هنا يتبين ان الحجاج في القران الكريم دلالة على اقتران هذه اللفظة بوجود طرفين وتأتي في مواضع المخاصمة والجدال، مع الالتفات الى ان النص القراني استعمل المحاجَّة، ولعل استقراء الآيات الكريمة يشي بمعنى الذم للمحاجة، في حين يستعمل القران لفظ الحجة مقترنا ب (بالغة، او داحضة) ففيه وجهان ممدوح واخر مذموم وهو اقرب الى مفهوم الحجاج الحديث[٢٣].

تقنيات الحجاج

تقسم تقنيات الحجاج عن الدارسين الى:

١. الادوات اللغوية الصرفة: مثل الفاظ التعليل، بما فيها الوصل النسبي والتركيب الشرطي وكذلك الافعال اللغوية والحجاج بالتبادل والوصف وتحصيل الحاصل.

٢. الآليات البلاغية مثل تقسيم الكل الى اجزائه ، والاستعارة والبديع والتمثيل.

٣. الآليات شبه المنطقية: ويجسدها السلم الحجاجي بأدواته والياته اللغوية، ويندرج ضمنه كثير منها، مثل الروابط الحجاجية: لكن، حتى، فضلا عن ليس كذا، فحسب، ادوات التوكيد، درجات التوحيد، والاحصاءات، وبعض الاليات التي منها الصيغ الصرفية مثل التعدية بأفعال التفضيل والقياس وصيغ المبالغة(٢٤).

سمات النص الحجاجي

جمع بعض الدارسين أهم سمات النص الحجاجي في اربعة نقاط:

«القصد المعلن اي البحث عن الاثر الذي يحدثه النص في المتلقي اي إقناعه بفكرة معينة، والتناغم: أي قيام النص على منطق دقيق التسلسل، والاستدلال اي السياق العقلي او التطور المنطقي للنص، والبرهنة: واليها ترد الأمثلة والحجج والتقنيات(٢٥).

الأبعاد الحجاجية

إذا كانت البلاغة قد تمحورت حول الإقناع والجدل في بداياتها، فإنها انعطفت بعد ذلك نحو الاهتمام بالألفاظ ومدى فاعليتها في تحقيق جماليات النص، ولكن بيرلمان

وتيتكاه في كتاباتهم أعادوا إليها روح الجدل والإقناع، فأصبحت البلاغة الجديدة- كما يحب ان يسميها بعضهم – هي السائدة والمهيمنة على الدرس البلاغي الحديث.

ويركز البحث الحجاجي القديم والمعاصر على ثلاثة أبعاد رئيسة، وهي الابعاد التي تحقق الاقناع وهي :

«أولا : أخلاق القائل (المحددات السياقية).

ثانيا: تصيير السامع في حالة نفسية ما (التأثير)

ثالثا: القول نفسه من حيث هو يثبت او يبدو انه يثبت»[٢٦].

وهي المحددات والابعاد التي ذكرها ارسطو في بيان الحجة تحت مسميات « الايتوس والباتوس واللوغوس»[٢٧].

المبحث الثاني

حجاجية التوحيد في نهج البلاغة

يمثل التوحيد أصل العلوم والمعارف الكونية، وقد جاءت رسالات الأنبياء للدعوة إليه ونبذ كل ما سوى الحق سبحانه، فلا غرابة ان تخصص له في القرآن الكريم ما يقرب الثلث أو أكثر من آيات العقيدة وتسمى سورة باسم التوحيد وتعدل ثلث القران، وفي نهج البلاغة ما يقاربها ، إلا إننا أشرنا فيما سبق إلى أن الحجاج يتركز على المشككات لا البديهيات، وربما يرى أكثرنا أن التوحيد أو قل وجود الخالق أو الصانع لهذا الكون العظيم من بديهيات العقل، فلماذا إذن نستدل أو نوظف الحجاج في ترسيخ أو إقناع الآخر بذلك؟

ويمكن الاجابة على ذلك بالقول بأن هناك الكثير– وخاصة في موجة الإلحاد والعلمنة– ممن يتناسون وجود الحق سبحانه، بل ويسلطون العقل حتى على الغيب، فلا إيمان إلا بما تخلقه التجربة ويعضده البرهان، ولا بدء للخليقة إلا بنظريات وفرضيات يؤيدها العلم وتقدرها الحسابات، وفي هذه الظروف يبقى الحوار الإقناعي والحجاجي هو المهيمن على منطق هؤلاء، فنحن نحتاج إلى أدلة عقليه وبراهين تجعل الحجة تنطق على لسان المتلقي فتتشكل لديه ملكة الاقتناع الذاتي بما يمكن ان يضمن ما نسميه (بالأمن العقائدي أو الفكري)، وهو ما نحتاج الى ترسيخه لدى الآخر ممن لا يؤمن الا بالمادة فضلا عن تحصين المجتمع لا سيما الشباب ضد موجات الالحاد، وهو ما يمكن ان يقدمه نهج البلاغة من منهج (احترام العقل) وترسيخ القناعات بلغة الحوار، بعيدا عن فرض القوة أو السلطة وجعلها قناة للتواصل.

ونهج البلاغة بسمته الخطابية يمثل معينا لا ينضب، كل وارد عليه ينهل منه بقدره (أي بقدر الوارد لا المورد)، فهو يخاطب الخاص والعام مراعيا خصوصيات الزمان والمكان مع قدرته على مواكبة الزمن، بل والسبق فيه، فتأتي النصوص سابقة لعصرها (وربما أثارت هذه الإشكالية بعض المشككين ف نسبته ومثلت إحدى شبهاتهم المدعاة)[٢٨]. وفي أحلك الظروف وأشدها يجيب الإمام علي ع عن إشكالات توحيدية تحتاج إلى مجالس وتوضيحات كثيرة لكنه يقدمها بلغة مكثفة إقناعية يذعن لها المتلقي.

خصوصية النص العلوي

لماذا نهج البلاغة؟ ولماذا الحجاج؟

فلنتفق أولا على ان عصر علي (عليه السلام) كان مليئا بالإحداث، حيث واجه (عليه السلام) أعتى الانقسامات التي شهدتها الأمة، وهو الوحيد من بين الأربعة الذي جمع بين الإمامة والمبايعة من قبل الجماهير، فكانت حرب صفين والجمل والنهروان، وكان يجادلهم بمنطق العقل والنص، التي تستبطن حضورا قويا للحجة والبرهان .

ولما كان نهج البلاغة في أكثره خطابا بكل ما للكلمة من محمولات حديثة، وخاصة باب الخطب، فهو بهذا يتميز بجملة من المميزات الأسلوبية التي تلقي بظلالها على النصوص، ومن أهم تلك الملامح الأسلوبية لحجاج النهج:

١. استعمال الروابط الحجاجية ووسائل التعليل مثل(لام التعليل ، فاء السببية، لأن، ...) وخاصة في مواضع الحجاج العقائدي .

٢. استعمال السؤال الإنكاري.

٣. استعمال البرهان والحجة.

٤. الاستشهاد بالنص القرآني والشعر العربي والأمثال العربية .

٥. استخدام التصوير (التشبيه والمجاز والكناية) في خلق القناعات وتبديد الشبهات.

٦. التكرار في مناسبات كثيرة والتركيز على المقدمات العقدية.

٧. البناء الهرمي للنصوص (أو القضايا) بالتعبير المنطقي في تسلسل فريد يعجز المرء عن محاكاته. وتقديم فقرة على اخرى في تدرج نصي يوظف كل معايير النصية.

٨. فرادة الانتقاء للكلمة.

٩. قوة الإيقاع وتساوي الفقرات، بل تماثلها أحيانا، وتوظيف البديع كوسيط إقناعي تطرب له النفس ويذعن له العقل والخيال.

البناء المنطقي للنص

يتميز النص العلوي ببنائه المسبوك الذي يرتب النتائج على المقدمات في سلسلة متتابعة من الهرميات والقياسات العقلية مع مراعاة الدقة في الانتقاء وجرس الكلمة والتوازن الايقاعي الذي تخلقه الجمل المترابطة بالروابط الحجاجية التي تشير الى ربط الاسباب بمسبباتها ، كيف لنا ان حلل نصا كسبيكة الذهب تذوب فيه كل عناصر الابداع وتتماهى فيه كل عظمة المرسل، فتتشابك الصور مع دقة الكلمة ورقة العبارة والايقاع وقوة الكلمة ففي بيان خلق الخلائق يشير الى العلة من ذلك وهي علة تستدعي في المتلقي روح النظر والتفكر وتوقظ في نفسه التأمل فيما حوله في جمل مترابطة ومتوازية احيانا، سأكتب الفقرات بشكل

عمودي ليتبين مقدار التجانس والتوازي بين الجمل والذي يسهم بشكل كبير في التأسيس للقناعات والاعتقادات لقرب الايقاع من النفس وهيمنته ولا سيما ان كان المعنى ساميا والسبك قويا فلا يترك للمتلقي مجلا للتشكيك بعد ان تتوالى الحجج والادلة بخطاب عقلي تأملي يخلق في نفس متلقيه الاقناع والتأثير.

إذن ثمة حجة سببية تتصل بكل ما سبق تأتي في ختام الفقرة.

فـــمن وصف اللهّ سبحانه فقد قرنه

و من قرنه فقد ثنّاه

و من ثنّاه فقد جزّاه

و من جزّأه فقد جهله.

و من جهله فقد أشار إليه

و من أشار إليه فقد حدّه

و من حدّه فقد عدّه

و من قال فيم فقد ضمّنه

و من قال علام فقد أخلى منه

ومن ذلك ايضا قوله:

« خَلَقَ الْخَلاَئِقَ عَلَى غَيْرِ مِثَال خَلاَ مِنْ غَيْرِهِ،

وَلَمْ يَسْتَعِنْ عَلَى خَلْقِهَا بِأَحَد مِنْ خَلْقِهِ.

وَأَنْشَأَ الأرض

فَأَمْسَكَهَا مِنْ غَيْرِ اشْتِغَال،

وَأَرْسَاهَا عَلَى غَيْرِ قَرَار،

وَأَقَامَهَا بِغَيْرِ قَوَائِمَ،

وَرَفَعَهَا بِغَيْرِ دَعائِمَ،

يلحظ التوازن بين الجمل مع تكرار الغيرية بشكل لافت للانتباه والتي تشير الى اللاسببية والابداع في خلة الكون ، فاطر السموات والارض.

الخلق		مثال
الامساك		اشتغال
الارساء	(غير)	قرار
الاقامة		قوائم
الرفع		دعائم

المظاهر اللغوية للحجاج في النص العلوي

أ. حجاجية التكرار في النص العلوي

تبدو اهمية التكرير « في الحجاج من حيث التقرير والكشف والتوكيد والاثبات والاقناع وهو ما يسمى الاقناع بالتكرير (Repeating)[٢٩].

ويعد التكرار من الأساليب المهمة في النصوص الحجاجية ذلك انه « يوفر لها طاقة مضافة تحدث أثرا جليلا في المتلقي وتساعد على نحو فعال في إقناعه أو حمله على الإذعان ذلك ان التكرار يساعد أولا على التبليغ والإفهام ويعين المتكلم ثانيا على ترسيخ الرأي او الفكرة في الأذهان»[٣٠].

ففي فاتحة الخطبة الاولى وهو قوله :

«أوّل الدّين معرفته وكمال معرفته التّصديق به. وكمال التّصديق به توحيده. و كمال توحيده الإخلاص له. وكمال الإخلاص له نفي الصّفات عنه لشهادة كلّ

صفة أنّها غير الموصوف و شهادة كلّ موصوف أنّه غير الصّفة. فمن وصف اللهّ سبحانه فقد قرنه. ومن قرنه فقد ثنّاه . و من ثنّاه فقد جزّاه. و من جزّأه فقد جهله. و من جهله فقد أشار إليه. و من أشار إليه فقد حدّه. و من حدّه فقد عدّه. ومن قال فيم فقد ضمّنه. ومن قال علام فقد أخلى منه. كائن لا عن حدث. موجود لا عن عدم. مع كلّ شي ء لا بمقارنة. و غير كلّ شيء لا بمزايلة. فاعل لا بمعنى الحركات و الآلة. بصير إذ لا منظور إليه من خلقه . متوحّد إذ لا سكن يستأنس به و لا يستوحش لفقده»[٣١].

تنبني هذه الفقرات بناء هرميا يرتفع شيئا فشيئا من خلال لبنات تشكل القاعدة والأساس في بناء عقيدة صحيحة من خلال وسيلة السببية وبروابط حجاجية توضح العلة من ذلك بأدلة عقلية خالصة تستميل المتلقي بدقة العبارة واختيارها وتخلق أثرا في إيقاعها كما يلي:

أوّل الدّين معرفته

وكمال معرفته التّصديق به

وكمال التّصديق به توحيده

وكمال توحيده الإخلاص له

وكمال الإخلاص له نفي الصّفات عنه............. ل...شهادة كلّ صفة أنّها غير الموصوف

و شهادة كلّ موصوف أنّه غير الصّفة

ويقدم التكرار ربطا لفظيا ومعنويا لسياق يكثر فيه الترديد، وهذا ما يتضح في مقدمة الخطبة الأولى في نهج البلاغة، وهي مخصصة في مطلعها للتوحيد ونفي الشريك وبين صفات الخالق سبحانه، في بناء تسلسلي يتركب اللاحق على السابق،

إذ ليس بالإمكان التقديم او التأخير لجملة واحدة فضلا عن الكلمة، فأول الدين معرفة الله (والضمير يعود على الله سبحانه وتعالى لما ورد من إشارة في أول الخطبة: الحمد لله الذي...)، وكمال المعرفة ترتكز على **التّصديق به** ...وهذا حتى تنتهي إلى بيان العلة «لشهادة كلّ صفة أنّها غير الموصوف، وشهادة كلّ موصوف أنّه غير الصّفة.

ويمكن النظر إلى النص السابق من زاويتين فالبناء الحجاجي الذي يستعين بالجملة الخبرية لتثبيت الفكرة وترسيخها ومن خلال تسلسل هرمي واضح، تتأسس فيه كل فقرة على ما بعدها حتى تنتهي الفقرة بجملة السببية أو العلة.

ويعمل التكرار كرابط إيقاعي بين الجمل القصيرة والتي تتركب من الشرط والجزاء، اذ يترتب كل نتيجة على شرطها، وكل هذه الجمل مرتبطة بأداة واحدة هي (من) التي تفيد العاقل ، دون ان تحدده أو تقيده، لذا فهو يمكن ان ينطبق على كل من (وصفه، ثناه، جزأه، جهله...، فهو خطاب على مستوى عام ودائم لا يقيد بزمان أو مكان ، بل يبقى قائما ومناسبا لكل زمان، وهذا من أسرار ديمومته، ويلحظ عليه الاختزال والإيجاز، فضلا عن قيامه بالضرورة – كشأن الخطابة– على «الانتقاء والاختيار، انتقاء ما يراه مناسبا للمقام واختيار الحجج الأقدر على الفعل والتأثير»[٣٢]، واسلوب الشرط يتضمن العلة والمعلول او السبب والنتيجة فلا يخلو من عرض للاسباب التي تؤدى الى تسلسل النتائج من خلال مقولات عقلية واضحة لا تقبل التشكيك ولا الجدل ، فمن ذلك مثلا «**فمن وصف اللهّ سبحانه فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثنّاه، و من ثنّاه فقد جزّاه** فالوصف يقتضي القرن ، والقرن يؤدي إلى التثنية ، والتثنية تستدعي التجزئة وهكذا ...والملاحظ على البنية الحجاجية للنص أنها اتكأت على التكرار وجملة الشرط بالدرجة الأولى .

ويتضح التكرار في النص في بعض الفقرات:

كائن لا عن حدث

موجود لا عن عدم

مع كلّ شيء لا بمقارنة

و غير كلّ شيء لا بمزايلة

فاعل لا بمعنى الحركات و الآلة

بصير إذ لا منظور إليه من خلقه

متوحّد إذ لا سكن يستأنس به و لا يستوحش لفقده.

ولعل التكرار يتضح جليا في نص الخطبة الاولى على مستوى اللفظ فقد تكررت (لا) ثماني مرات في النص السابق، وعلى مستوى التركيب وان اختلفت الجمل الا ان النسق واحد في كثير من الجمل وثمة تقارب واضح في عدد مفردات كل جملة من الخطبة السابقة. وكما معلوم فانه اي التكرار « شكل من اشكال الاتساق المعجمي الذي يتطلب اعادة عنصر معجمي او ورود مرادف له او شبه مرادف او عنصر ا مطلقا او اسما عاما»[٣٣].

ب. حجاجية النفي

يمثل النفي أو (السلب) آلية مهمة لنقض الافكار والاشتغال على اثبات اضدادها ، وتتجلى أهميته في كونه « الية للنقض ، تفتت أسس الرأي المضاد أو تنزع عنه المصداقية وتثبت بدلة الرأي المتبنى»[٣٤] .

ففي خطبة واحدة تكررت لا النافية فقط بأشكالها المختلفة ما يزيد عن السبعين مرة ، فضلا عن الادوات الاخرى مثل (ما، لم ، ليس ، غير...) فهي

الاخـرى تكـررت لتعـبر عـن سـلب كل مـا (عجـز وضعـف وجارحـة عـن الـذات المقدسـة) لتثبـت في الطـرف الاخـر الكـمال والاطـلاق لذاته سبحانه وتعـالى. وكل تلك الجمـل المنفيـة/ المثبِتـة (بكسر البـاء) ترتبـط بروابـط الوصـل ضمـن بنـاء متسلسـل، اذ الوصـل هـو « تحديـد الطريقـة التـي يترابـط بهـا اللاحـق السـابق بشـكل منظـم»[٣٥] .

وضمن هذا البناء يأتي النفي ليقوض التصورات والاوهام كما في قوله:

«**مَا وَحَّدَهُ مَنْ كَيَّفَهُ**

وَلاَ حَقِيقَتَهُ أَصَابَ مَنْ مَثَّلَهُ،

وَلاَ إِيَّاهُ عَنَى مَنْ شَبَّهَهُ،

وَلاَ صَمَدَهُ مَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ وَتَوَهَّمَهُ.

يلحـظ المتأمـل في هـذه الجمـل الترابـط النـصي الـذي تخلقـه الـواو بمعيـة النفـي او (لا) الزائـدة لتوكيـد النفـي، فكأنهـا نتائـج مقدمـة عـلى اسبابها، مـع ملاحظـة السـلب في القضيـة الـذي يكـون اقـوى مـن الصـورة لـو كان (مـن كيفـه مـا وحـده) ، فمجابهـة المتلقـي بالسـلب أشـد وقعـا عـلى النفـس وأكثـر تأثـيرا، اذ بـه تنتفـي صفـات (التوحيـد، اصابـة الحقيقـة، القصـد ، الصمديـة).

ثـم ترتبـط الجملـة التـي بعدهـا بالفصـل للإجابـة عـن سؤال افـتراضي وهـو ان مـن تجـري عليـه الكيفيـة والتمثيـل والتشـبيه والاشـارة والتوهـم يكـون خالقـا ام مخلوقـا؟ صانعـا ام مصنوعـا؟ وهـو قولـه:

كُلُّ مَعْرُوف بِنَفْسِهِ مَصْنُوعٌ

وَكُلُّ قَائِم فِي سِوَاهُ مَعْلُولٌ

وقـد تـرك الوصـل هنـا لبيـان العلـة اذ تشـعر الجملتـان أعـلاه بعلـة مـا ذكـر فـترك

الوصل فيها، وعطف الثانية على الاولى. وهي قضايا عقلية كلية تبدأ بلفظ العموم (كل)، او يمكن القول انها من البديهيات اتي لا تحتاج الى عظيم جهد لإدراكها.

وفي موضع آخر يشير الى علة الخلق بجمل تكثر فيها ادوات النفي (لم ، ولا) وهو آكد في تقرير من الاخبار المثبت، ويلحظ الصعود في بيان العلل في السلم الحجاجي في الملفوظات بشكل تصاعدي ويتضح ذلك في قوله (عليه السلام):

لَمْ يَتكَأَدْهُ صُنْعُ شَيْء مِنْهَا إِذْ صَنَعَهُ،

وَلَمْ يَؤُدْهُ مِنْهَا خَلْقُ مَا بَرَأَهُ وَخَلَقَهُ، وَلَمْ يُكَوِّنْهَا :

وَلاَ لِوَحْشَة كَانَتْ مِنْهُ، فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَأْنِس إِلَيْهَا م٧

و لاَ لُمِكَاثَرَةِ شَرِيك فِي شِرْكِهِ م٦

وَلاَ لِلاْزْدِيَادِ بِهَا فِي مُلْكِهِ م٥

وَلاَ لِلاْحْتِرَازِ بِهَا مِنْ ضِدٍّ مُثَاوِر م٤

وَلاَ لِلاْسْتِعَانَةِ بِهَا عَلَى نِدٍّ مُكَاثِر م٣

وَلاَ لِخَوْف مِنْ زَوَال وَنُقْصَان م٢

لِتَشْدِيدِ سُلْطَان م١

ولم يذكر النتيجة هنا بل يشير الى اليها بعد الاشارة الى الفناء والبعث ،مع مراعاة تسلسل الحجج السلبية واستيفاء كل الممكنات التي تجري على المخلوق والمصنوع دون الخالق، والنتيجة هي « **لكِنَّهُ سُبْحَانَهُ دَبَّرَهَا بِلُطْفِهِ، وَأمسَكَهَا بِأَمْرِهِ، وَأَتْقَنَهَا بِقُدْرَتِهِ**». ، فليس ثمة احتياج او فقر في ساحة المطلق ، وكل العلل المذكورة هي علل افتقار للممكن دون واجب الوجود، وهو ما يثبته حرف الاستدراك (لكن) وهو رابط حجاجي يأتي مسبوقا بالنفي فيسلب ما قبله، مهما قل او كثر،

ليثبت ما بعده.

ومنه قوله:

وَلاَ يَتَغَيَّرُ بِحَال،

وَلاَ يَتَبَدَّلُ فِي الأَحْوَالِ،

وَلاَ تُبْلِيهِ اللَّيَالي وَالأَيَّامُ،

وَلاَ يُغَيِّرُهُ الضِّيَاءُ وَالظَّلاَمُ،

وَلاَ يُوصَفُ بِشَيء مِنَ الأَجْزَاءِ

وَلاَ بِالجَوَارِحِ وَالأَعْضَاءِ،

وَلاَ بِعَرَض مِنَ الأَعْرَاضِ،

وَلاَ بِالْغَيْرِيَّةِ وَالأَبْعَاضِ.

وَلاَ يُقَالُ: لَهُ حَدٌّ وَلاَ نِهَايَةٌ،

وَلاَ انقِطَاعٌ وَلاَ غَايَةٌ،

وقوله:

لاَ يُشْمَلُ بِحَدّ،

وَلاَ يُحْسَبُ بِعَدٍّ،

وقوله:

لاَ تَصْحَبُهُ الأَوْقَاتُ،

وَلاَ تَرْفِدُهُ الأَدَوَاتُ،

في الجمل المنفية المترابطة بالواو وكأنها جملة واحدة مع زيادة التوكيد بالنفي

اشعار بسلب النقص بوجوهه المختلفة من التغير والتبدل والوصف بالجزئية والجسمية والعرضية والغيرية والحدية والمنتهى فضلا عن الانقطاع والغاية وكلها صفات المحدود لا المطلق وهي ادلة على النقص، ودفع النقص وتنزيه الخالق اسبق من وصفه بصفات الكمال، لأن نفي الجسمية والحسية عن ذات الحق سبحانه لا تستبطن اثباتا لصفات الكمال له سبحانه ، وهذا الاسلوب أي النفي اكثر وقعا واقناعا للمتلقي.

ومثله قوله:

لَمْ يَلِدْ فَيَكُونَ مَوْلُوداً، وَلَمْ يُولَدْ فَيَصِيرَ مَحْدُوداً.

وقوله:

لاَ تَنَالُهُ الاْوْهَامُ فَتُقَدِّرَهُ،

وَلاَ تَتَوَهَّمُهُ الْفِطَنُ فَتُصَوِّرَهُ،

وَلاَ تُدْرِكُهُ الْحَوَاسُّ فَتُحِسَّهُ،

وَلاَ تَلْمِسُهُ الاْيْدِي فَتَمَسَّهُ.

لَيْسَ فِي الاْشْيَاءِ بِوَالِج، وَلاَ عَنْهَا بِخَارِج.

تقدم هذه الجمل اسبابا وعللاً للنتائج التي ترتبط بفاء السببية ، فالخالق لم يلد ولذلك فهو لا يكون مولودا ، ولم يولد لأنه ان كان كذلك فسيكون محدودا لأنه سيكون ممكنا ومعدوما ثم وجد، وهكذا في بقية الاسباب التي تؤدي بدليل العقل واثارة الفكر الى النتائج المذكورة لتنزيه الخالق سبحانه مثلا اذا لم يكن مدركا بالحواس فلاشك انه لا يحس ، واذا كان الفطن لا تتوهمه فلا يمكن ان يصوّر.

جـ- حجاج التعليل بالأداة

تقوم حجة السببية في هذه الخطبة بشكل واضح يتجلى في الاكثار من الروابط السببية كاللام والفاء السببية والباء الجارة (التي تفيد التعليل)، فمن امثلتها في اللام :

لَمْ يَتكَأَدْهُ صُنْعُ شَيْء مِنْهَا إِذْ صَنَعَهُ،

وَلَمْ يَؤُدْهُ مِنْهَا خَلْقُ مَا بَرَأَهُ وَخَلَقَهُ، وَلَمْ يُكَوِّنْهَا ....لِتَشْدِيدِ سُلْطَان،

وَلاَ لِخَوْف مِنْ زَوَال وَنُقْصَان،

وَلاَ لِلاْسْتِعَانَةِ بِهَا عَلَى نِدٍّ مُكَاثِر

وَلاَ لِلاْحْتِرَازِ بِهَا مِنْ ضِدٍّ مُثَاوِر

وَلاَ لِلاْزْدِيَادِ بِهَا فِي مُلْكِهِ،

و لاَ لُمِكَاثَرَةِ شَرِيك فِي شِرْكِهِ،

وَلاَ لِوَحْشَة كَانَتْ مِنْهُ، فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَأْنِسَ إِلَيْهَا.

تنبني هذه الفقرة على تنوع الاسباب لام التعليل مع اختلاف العلة واستيفاء الوجوه في علة الخلق، وفي الفناء ايضا يشير الى العلة من ذلك بروابط الواو ولكن

ثُمَّ هُوَ يُفْنِيهَا بَعْدَ تَكْوِينِهَا،

لاَ لِسَأَم دَخَلَ عَلَيْهِ فِي تَصْرِيفِهَا وَتَدْبِيرِهَا،

وَلاَ لِرَاحَة وَاصِلَة إِلَيْهِ، وَلاَ لِثِقَلِ شَيْء مِنْهَا عَلَيْهِ.

لاَ يُمِلُّهُ طُولُ بَقَائِهَا فَيَدْعُوَهُ إِلَى سُرْعَةِ إِفْنَائِهَا، لكِنَّهُ سُبْحَانَهُ دَبَّرَهَا بِلُطْفِهِ، وَأمسَكَهَا بِأَمْرِهِ، وَأَتْقَنَهَا بِقُدْرَتِهِ.

وفي مرحلة البعث والنشور ايضا دون حاجة اليها.

ثُمَّ يُعِيدُهَا بَعْدَ الْفَنَاءِ مِنْ غَيْرِ حَاجَة مِنْهُ إِلَيْهَا،

وَلاَ اسْتِعَانَة بَشَيْء مِنْهَا عَلَيْهَا،

وَلاَ لِانصِرَاف مِنْ حَال وَحْشَة إِلَى حَالِ اسْتِئْنَاس،

وَلاَ مِنْ حَالِ جَهْل وَعَمىً إِلَى [حَالِ]عِلْم وَالْتِمَاس،

وَلاَ مِنْ فَقْر وَحَاجَة إِلَى غِنىً وَكَثْرَة،

وَلَا مِنْ ذُلٍّ وَضَعَة إِلَى عِزٍّ وَقُدْرَة(٣٦).

وتظهر فاعلية التعليل بالباء في الخطبة نفسها في موضع آخر في قوله:

بِتَشْعِيرِهِ الْمَشَاعِرَ عُرِفَ أَنْ لاَ مَشْعَرَ لَهُ

وَبِمُضَادَّتِهِ بَيْنَ الأمور عُرِفَ أَنْ لاَ ضِدَّ لَهُ،

وَبِمُقَارَنَتِهِ بَيْنَ الأشياء عُرِفَ أَنْ لاَ قَرِينَ لَهُ.

فالباء في النص السابق تعليلية تقدمت تقدم السبب على النتيجة والعلة على المعلول ، مع التنغيم الذي يخلقه الجناس والاشتقاقات في كل جملة على حدة وكما يتضح:

بِتَشْعِيرِهِ الْمَشَاعِرَ .... مَشْعَرَ

وَبِمُضَادَّتِهِ ....ضِدَّ

وَبِمُقَارَنَتِهِ ....قَرِينَ

ومعلوم ما للأثر الصوتي والايقاع من هيمنة على الخطابة بشكل عام وهذا النص خاصة، فهو يصطنع جوا مؤثرا ويستميل المتلقي وتزيد عوامل الانشداد في نفسه.

والرابط الثالث هو فاء السببية التي تتكرر في النص بشكل واضح مشيرة الى العلة

لاَ يُقَالُ: كَانَ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ، فَتَجْرِيَ عَلَيْهِ الصِّفَاتُ الْـمُحْدَثَاتُ،

وَلاَ يَكُونُ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ فَصْلٌ، وَلاَ لَهُ عَلَيْهَا فَضْلٌ، فَيَسْتَوِيَ الصَّانِعُ والْمَصْنُوعُ، وَيَتَكَافَأَ الْمُبْتَدَعُ وَالْبَدِيعُ.

ومنه قوله:

خَضَعَتِ الأشْيَاءُ لَهُ،

وَذَلَّتْ مُسْتَكِينَةً لِعَظَمَتِهِ،

لاَ تَسْتَطِيعُ الْهَرَبَ مِنْ سُلْطَانِهِ إِلَى غَيْرِهِ فَتَمْتَنِعَ مِنْ نَفْعِهِ وَضَرِّهِ،

وَلاَ كُفؤَ لَهُ فَيُكَافِئَهُ، وَلاَ نَظِيرَ لَهُ فَيُسَاوِيَهُ.

هُوَ الْمُفْنِي لَهَا بَعْدَ وُجُودِهَا، حَتَّى يَصِيرَ مَوْجُودُهَا

ومنه قوله

وَلاَ أَنَّ الأشْيَاءَ تَحْوِيهِ فَتُقِلَّهُ أَوْ تُهْوِيَهُ،

أَوْ أَنَّ شَيْئاً يَحْمِلُهُ، فَيُمِيلَهُ أَوْ يُعَدِّلَهُ.

وكثيرا ما تأتي الاسباب بعد مقدمات كثيرة ، تعتمد في اغلبها على النفي والربط بالواو، وهو ما يتضح في قوله:

يُخْبِرُ لاَ بِلِسَان وَلَهَوَات، وَيَسْمَعُ لاَ بِخُرُوق وَأَدَوَات،

يَقُولُ وَلاَ يَلْفِظُ،

وَيَحْفَظُ وَلاَ يَتَحَفَّظُ،

وَيُرِيدُ وَلاَ يُضْمِرُ.

يُحِبُّ وَيَرْضَى مِنْ غَيْرِ رِقَّة،

وَيُبْغِضُ وَيَغْضَبُ مِنْ غَيْرِ مَشَقَّة.

يَقُولُ لِمَا أَرَادَ كَوْنَهُ: كُنْ فَيَكُونُ، لاَ بِصَوْت يَقْرَعُ،

وَلاَ بِنِدَاء يُسْمَعُ، وَإِنَّمَا كَلاَمُهُ سُبْحَانَهُ فِعْلٌ مِنْهُ أَنْشَأَهُ وَمَثَّلَهُ،

وكقوله:

لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلِ ذلِكَ كَائِناً

وَلَوْ كَانَ قَدِيماً لَكَانَ إِلهاً ثَانِياً.

د ـ حجاجية البنية الصرفية

من اشكال التكرار التي وردت في النص تكرار البنية الصرفية كاسم الفاعل واسم المفعول ، والافعال المضارعة ،فمن تكرار اسم الفاعل قوله :

فَاعِلٌ لاَ بِاضْطِرَابِ آلَة،

مُقَدِّرٌ لاَ بِجَوْلِ فِكْرَة،

وقوله

لَيْسَ فِي الاْشْيَاءِ بِوَالِج، وَلاَ عَنْهَا بِخَارِج.

وقوله

مُؤَلِّفٌ بَيْنَ مُتَعَادِيَاتِهَا،

مُقَارِنٌ بَيْنَ مُتَبَايِنَاتِهَا،

مُقَرِّبٌ بَيْنَ مُتَبَاعِدَاتِهَا،

مُفَرِّقٌ بَيْنَ مُتَدَانِيَاتِهَا

وعند التأمل في هذه الجمل نرى ان كل صيغ اسم الفاعل جاءت نكرة للتعبير عن العموم والاطلاق في الصفة ، ففي الجملتين الاوالى والثانية نلحظ نفي الواسطة زيادة في التوكيد اذ القيد المذكور لنفي صفات الممكن عنه سبحانه.

ولا يخفى ان دلالة اسم الفاعل تختزن في داخلها مفهوم الفعل(فالفاعل الصانع والخالق) ، في حين تكرارا اخر ولكن لصفة لمخلوق (اسم المفعول) وهي تستبطن حمولة لغوية لما وقع عليه الفعل. في قوله:

لَمْ يَلِدْ فَيَكُونَ مَوْلُوداً، وَلَمْ يُولَدْ فَيَصِيرَ مَحْدُوداً.

وقوله :

وَلاَ يَكُونُ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ فَصْلٌ، وَلاَ لَهُ عَلَيْهَا فَضْلٌ، فَيَسْتَوِيَ الصَّانِعُ والْمَصْنُوعُ، وَيَتَكَافَأَ الْمُبْتَدَعُ وَالْبَدِيعُ.

ومن حجاجية الصيغة الصرفية كثرة تردد الفعل المضارع المنفي ب(لا) او (لم) ايضا:

(تصحبه ، ترفده، يشمل، يحسب، يجري، يحول، يزول، يجوز، يلد ، يولد ، تناله، يتغير ، يتبدل، تبيله، يغيره ، يوصف، يقال، يلفظ، يتحفظ، يضمر، يكن، يقال، يكون، يستغن ، يعجزه، يمتنع، يحتاج، يتكأده، يؤده، يكونها).

هذه اهم الافعال المضارعة المنفية في النص، وهي كما يتضح افعال مضارعة تشير الى نفي هذه الصفات واللوازم حالا واستقبالا بما لا يدع مجالا لإثبات صفة المخلوق له سبحانه عما يصفون ، وفي اكثر الاحوال نجد ان افعال السلب (المنفية) تأتي مضارعة لما لها من امتداد زمني طولي غير منقطع الاب القرينة، في حين تأتي

افعال الوصف او الايجاب للذات الالهية او ما يسمى بالصفات الثبوتية بصيغة الفعل الماضي الدال على التحقق في الماضي والوقوع، وهو ملم اسلوبي يضفي بعدا حجاجيا اعمق في نفس المتلقي، وهذا لاعني ان الفعل الماضي لم يأت منفيا (سلبيا) في ال نص قط - بل جاء ولكن في مواضع قليلة وكذلك بالنسبة للفعل المضارع (الثبوتي).

من ذلك مثلا قوله (عليه السلام): «**وَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ، يَعُودُ بَعْدَ فَنَاءِ الدُّنْيَا وَحْدَهُ لاَ شَيْءَ مَعَهُ، كَمَا كَانَ قَبْلَ ابْتِدَائِهَا، كَذلِكَ يَكُونُ بَعْدَ فَنَائِهَا، بِلاَ وَقْت وَلاَ مَكَان، وَلاَ حِين وَلاَ زَمَان**».

ومن صور ورود الفعل الماضي لأثبات الفعل قوله:

وَحَصَّنَهَا مِنَ الأَوَدَ وَالاْعْوِجَاجِ،

وَمَنَعَهَا مِنَ التَّهَافُتِ وَالانْفِرَاجِ،

أَرْسَى أَوْتَادَهَا،

وَضَرَبَ أَسْدَادَهَا،

وَاسْتَفَاضَ عُيُونَهَا

وَخَدَّ أَوْدِيَتَهَا،

فَلَمْ يَهِنْ مَا بَنَاهُ، وَلاَ ضَعُفَ مَا قَوَّاهُ.

ويظهر من النص اعلاه الفعل الماضي وهو يدل على الوقوع فلم يسبق بنفي الا في (ضعف) وقد جاء ماضيا مراعاة للنفي الذي وقع في الفعل المضارع المنفي ب(لم) اذ العطف يقتضي التشريك ، المضارع المنفي ب(لم) بحكم الماضي، بل هو ماض، لذا عطف عليه ب(لا) زيادة في توكيد النفي ودلالة على امتداد الفعل في الازل.

ومن ورود الماضي ايضا قوله:

١. جَلَّ عَنِ اتِّخَاذِ الأبْنَاءِ

٢. وَطَهُرَ عَنْ مُلاَمَسَةِ النِّسَاءِ.

٣. سَبَقَ الأوْقَاتَ كَوْنُهُ

٤. ضَادَّ النُّورَ بِالظُّلْمَةِ

٥. بِهَا تَجَلَّى صَانِعُهَا لِلْعُقُولِ

٦. وَبِهَا امْتَنَعَ عَنْ نَظَرِ الْعُيُونِ

الخاتمة

بعد تلك القراءة السريعة لخطبتي النهج (الاولى و١٨٦) يمكن للباحث ان يشير الى اهم الملامح الحجاجية للنص بعد التأمل والتحليل ومنها:

١. مع ان الدين -كما يرى بعض الدارسين- من الموضوعات البديهية التي لا تخضع للحجاج بل تدخل ضمن دائرة الايمان ، فان مباحث العقيدة كما يشير العلماء والفقهاء لابد ان تكون عن قناعة ودليل، بل لابد من استحصالها والوصول فيها الى يقين قطعي في اثبات العقائد، ويمثل الحجاج خير وسيلة اقناعية في هذا المورد، اذ يحقق الإقناع والاطمئنان بدليل العقل وساطع البرهان.

٢. تزداد الحاجة اليوم الى بناء القناعات ولا سيما في الوقت الذي ترتفع فيه اصوات الدعوات الضالة ومن يروج لها، فلا حاجة الى التصعيد او التكفير، بل يكفي ان نصنع القناعات في مجتمعنا في شتى الميادين من خلال المنهج الحجاجي والادلة العقلية فيما يتعلق بالعقيدة، فالأمر يحتاج الى ثورة فكرية ومواجهة لكل تيارات الانحراف وهي مسؤولية كل مؤمن رسالي فضلا عن المثقف ورجل الدين.

٣. في النص العلوي تهيمن الروابط الحجاجية لا سيما حروف العليل والسببية بشكل لافت للنظر مثل(الفاء واللام والباء...) وهي تشعر بقوة الخطاب المتوجه من الباث الى المتلقي معززة كل نتيجة بجملة اسباب لا بسبب واحد من خلا توظيف الروابط وسبكها للنص .

٤. يسهم التكرار في بناء النص بناء حجاجيا كونه عاملا مهما من عوامل خلق الاقناع والتوكيد والتركيز على الافكار المركزية والبؤر الاساسية للنص .

٥. روابط العطف هي الاخرى تكثر في النص وتزيد من قوة سبكه وعطف

الحجج بعضها على البعض وربط الاسباب بمسبباتها واحيانا يتطلب الامر عشرات الجمل ، فلابد من وجود الروابط التي تسبك النص وتخلق بين فقراته التماسك.

٦. مثل النفي وهو آلية النقض ودحض الفكرة وابطال الحجة في النص العلوي وقد تنوعت اساليبه بين نفي الجملة والمفردة ، ومع اقتران النفي بالتكرار تزداد الطاقة الاقناعية للنص ، اذ يشكل النفي نقضا لفكرة وهدمها ، ومن ثم بناء منظومة عقيدية اخرى ، وتجدر الاشارة الى كثرة تردد النفي في الخطاب التوحيدي، لأن سلب صفات الممكن عن واجب الوجود تقتضي وفرة الادوات التي تنزه الخالق عن صفات المخلوق.

٧. البناء التسلسلي او السمي للحجج والتأسيس على بعضها البعض يضفي على النص تماسكا وحجاجية اكثر لاسيما مع توالي المقدمات – مع كثرتها- وارتباطها بالنتائج.

هوامش البحث:

١. كتاب العين: ج٣/ ١٠.
٢. مقاييس اللغة: ج٢/ ٢٣- ٢٤
٣. التعريفات : ٦٧.
٤. التعريفات: ٨٦
٥. التعريفات:٦٠
٦. في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات : ١٣، نقلا عن مصنف في الحجاج :٥
٧. في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات : ٦٨، نقلا عن مصنف في الحجاج :١٤٦
٨. في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات : ١٥، نقلا عن مصنف في الحجاج: ٥٤
٩. المعجم الفلسفي: ج١/ ٤٤٦.
١٠. موسوعة البلاغة:ج١/ ١٤٣.
١١. مدخل إلى الحجاج – أفلاطون وأرسطو وشاييم بيرلمان: محمد الولي: ١١. مجلة عالم الفكر، مج ٤٠

ع ٢، ٢٠١١م.

١٢. ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القران الكريم: ١٩٤

١٣. سورة الانعام: ١٤٩

١٤. سورة البقرة :١٥٠

١٥. سورة الشورى:١٦

١٦. سورة الشورى: ١٥ .

١٧. سورة الانعام:٨٠

١٨. سورة آل عمران: ٦١.

١٩. سورة ال عمران :٦٥

٢٠. سورة ال عمران :٦٦

٢١. سورة غافر:٤٧

٢٢. المفردات في غريب القران : ١٠٨.

٢٣. ينظر :مفهوم الحجاج في القران الكريم – دراسة مصطلحية: د.لهابة محفوظ ميارة، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مجلد٨١، ج٣،

٢٤. استراتيجيات الخطاب: ٤٧٧

٢٥. ينظر :الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه: ٢٦– ٢٧

٢٦. بلاغة الحجاج في الشعر القديم : ١٧.

٢٧. معجم تحليل الخطاب باتريك شارودو ودومينيك مانغولو: ٢٣.

٢٨. ينظر: مصادر نهج البلاغة.

٢٩. بلاغة الحجاج في الشعر القديم: ٦١

٣٠. الحجاج في الشعر العربي:١٦٨

٣١. نهج البلاغة:١٧– ١٨

٣٢. دراسات في الحجاج: ١٢٢.

٣٣. لسانيات النص:١٦– ١٧

٣٤. بلاغة الاقناع في المناظرة :٢٢٣

٣٥. لسانيات النص ::٢٢

٣٦. نهج البلاغة: ٣٤٢

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. استراتيجيات الخطاب- مقاربة لغوية تداولية: د.عبد الهادي ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد، بنغازي ليبيا ، ط١، ٢٠٠٤م

٢. بلاغة الاقناع في المناظرة: د. عبد اللطيف عادل، منشورات دار ضفاف، والاختلاف- بيروت ، ط١، ٢٠١٣م.

٣. بلاغة الحجاج في الشعر القديم: د.محمد سيد علي عبد العال، مكتبة الآداب- القاهرة ، ط١، ٢٠١٤م.

٤. التعريفات: السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني (٨١٦ه) ، دار أحياء التراث العربي-بيروت ط١، ٢٠٠٣م.

٥. الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه: د. سامية الدريدي، عالم الكتب الحديث، اربد – الاردن، ط٢، ٢٠١١م.

٦. دراسات في الحجاج: د. سامية الدريدي، عالم الكتب الحديث، عمان ط١، ٢٠٠٩م.

٧. في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات : د.عبد الله صولة، دار الجنوب، تونس ،ط١، ٢٠١١م.

٨. كتاب العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال .

٩. لسانيات النص- مدخل الى انسجام الخطاب: محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – المغرب، ط٢، ٢٠٠٦م.

١٠. مدخل إلى الحجاج – أفلاطون وأرسطو وشاييم بيرلمان: د.محمد الولي، مجلة عالم الفكر، مجلة دورية محكمة تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،

مج٤٠ ع ٢، ٢٠١١م.

١١ .مدخل إلى الحجاج: أفلاطون وأرسطو وشاييم بيرلمان، د.محمد الولي ،١١، مجلة عالم الفكر، مج٤٠- ع٢، ٢٠١١م.

١٢ .المعجم الفلسفي: د.جميل صليبا، منشورات ذوي القربى، مط: سليمانزادة، إيران، ط١، ١٣٨٥هـ.

١٣ . المعجم المفهرس لألفاظ القران الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الحديث ، القاهرة، ١٣٦٤هـ.

١٤ .معجم تحليل الخطاب باتريك شارودو ودومينيك مانغونو، ترجمة: عبد القادر المهيري حمادي صمود، المركز الوطني للترجمة- تونس ٢٠٠٨م.

١٥ . المفردات في غريب القران: الراغب الأصفهاني(٥٠٢هـ)، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة ، بيروت.

١٦ . مفهوم الحجاج في القران الكريم – دراسة مصطلحية: د.لمهابة محفوظ ميارة، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مجلد٨١، ج٣،

١٧ . مقاييس اللغة: لأبي الحسين أحمد بن فارِس بن زكَرِيّا (٣٩٥هـ)، تحقيق:عبد السَّلام محمد هَارُون، اتحاد الكتاب العرب،١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

١٨ . موسوعة البلاغة: تحرير: توماس أ.سلون، ترجمة : نخبة، إشراف: عماد عبد اللطيف، مصطفى لبيب، المركز القومي للترجمة، مصر، ٢٠١٦م.

الضرورة الشعرية بين أحكام النحويين

وكلام أمير المؤمنين (عليه السلام)

«دراسة في نقص الاستقراء النحوي»

م. م. حيدر هادي خلخال الشيباني

كلية التربية للعلوم الإنسانية - جامعة بابل

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، والصّلاةُ والسّلامُ على النبيِّ العربيِّ الأمينِ، سَيدِنا محمدٍ(ﷺ) خاتمِ المرسَلين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصَحبِهِ الغُرِّ الميامين.

أمّا بعدُ

فغير خافٍ على أُولي الدراية والنُّهى، وعلى أرباب الفكر والمعرفة، أنَّ كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) عامة والمجموع في (نهج البلاغة) خاصة بحرٌ لا يُدرك قرارُه، ولا تُسبرُ أغوارُه، فهو ذروةُ الكلامِ العربي الفصيح بعد كلام الباري عز وجل، وكلام نبيِّه المصطفى (ﷺ)، وقد ضمَّ نفحاتٍ من كلامِ العزيز الجبار، وقبسات من بدائع النبيِّ المختار، وحوى من الأساليب النحوية أرقاها، وتضمن من جواهر المعاني أعلاها، ولا شك في ذلك فهو ((كلام دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوقين)).

وتسعى دراستنا هذه إلى نقد القواعد النحوية التي بُنيت على استقراء ناقص، وتصحيح بعض ما تقرر من أحكام نحوية قصرها النحويون على لغة الشعر وحده، اتضح خلاف ذلك، فهي واردة في النظم والنثر على حد سواء، مستندين بذلك إلى كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) في نهج البلاغة، فهو نص عربي فصيح فريد في لغته وتراكيبه، قد جاء على وفق معايير علماء العربية فيما يصح الاستشهاد به، لكنه لم ينلْ استحقاقه في الدرس النحوي.

وفي الختام أَرجو أن أكون قد وفِقتُ في عملي هذا فإنْ أكنْ أصبتُ فذلك من كرمِ الله تعالى و حُسنِ توفيقه، وإنْ كانت الاخرى فمن قصور يديَّ وخطئها وجل

من لا يُخطئ ، والكمال لله وحده، وآخرُ دعوانا أَنِ الحَمْدُ لله ربِّ العالمين وصلواتُه وسلامُهُ على نبيِّنا مُحمّدٍ الأمين(ﷺ) وآلهِ الطيبين الطاهرين (عليهم السلام)، وصحبه المنتجبين(رضي الله عنهم).

التمهيد : الضرورة الشعرية وأهم مذاهب النحويين فيها:

درجَ أعلام الدرس النحوي على الاستشهاد بالشعر بوصفه مصدرًا مهمًا من مصادر التقعيد النحوي، ومن المسلَّم به أنَّ لغة الشعر تتسم بركيزتين أساسيتين هما الوزن والقافية فضلا عن اتسامه بطابع الانفعال بخلاف النثر ، ومن هنا كانت للغة الشعر خصوصية في طريقة استعمال المفردة جرْسًا وبنيةً ، وفي صوغ التركيب؛ لإيصال الانفعال من جهة ، والتأثير في المتلقي من جهة أخرى[١]، ومن هنا قد يضطر الشاعر إلى الخروج عن قواعد النحو من أجل إيصال أفكاره، قال ابن جني: ((الشعر موضع اضطرار، وموقف اعتذار. وكثيرا ما يُحرفُ فيه الكَلِم عن أبنيته وتُحال فيه الْمُثُل عن أوضاع صِيَغها لأجله))[٢]، وسُمي هذا الخروج بالضرورة الشعرية في التراث اللغوي العربي.

الضرورة كما تناولتها معجمات اللغة مشتقة من مادة (ضرر)، وهي اسم لمصدر (الاضطرار) وهو الحاجة إلى الشيء أو الإلجاء إليه ، ورجلٌ ذو ضرورة، أي: ذو حاجة، وقد اضطر إلى الشيء أي أُلجِئ إليه[٣] ، ومنه قوله تعالى: ﴿**فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ**﴾ (سورة البقرة من الآية: ١٧٣).

أما في الاصطلاح فإنّ الذي يظهر أنَّها من مصطلحات الفقهاء والمفسرين، إذ تعني عندهم ((الحالة الْمُلجِئة إلى ما لا بدَّ منه، والضرورة أشدُّ درجات الحاجة))[٤] وعلى هذا تشمل ((كلَّ ما أدّى إلى الاضطرار، كالمشقة التي لا مدفع لها، وما به حفظ النفس وغيرها، كالحاجة الشديدة إلى الماء أو الأكل. ومنها « الضرورات

تُبيح المحظورات»))[٥].

وأما مفهوم الضرورة الشعرية في الاصطلاح اللغوي إجمالًا فتعني ((الخروج على القواعد والأُصول بسبب الوزن والقافية ، وقد جوَّز القدماء للشاعر ما لم يجوّزوا للناثر))[٦]؛ لأنّ احتفال العرب بالشعر جعلت اللغويين يقولون: ((الشعراء أُمَراء الكلام، يقصرون الممدود، ولا يمدُّون المقصور، ويقدّمون ويؤخرون، ويؤمنون ويشيرون، ويختلسون ويُعيرون ويستعيرون))[٧] .

وقد اختلفت كلمة النحويين في معنى الضرورة الشعرية على مذهبين ، فمذهب الجمهور يرى أن الضرورة ما تقع في الشعر دون النثر سواء أكان عنه مندوحة(سعة أو فسحة) أم لا[٨]، فلم يشترطوا فيها اضطرارَ الشاعر إلى الخروج عن بعض الأقيسة النحوية ، بل جوّزوا له في الشعر ما لم يجُز في الكلام[٩]، ويمثل هذا الرأيَ ابنُ جني الذي يقول: ((ألَا تراهم كيف يدخلون تحت قبح الضرورة مع قدرتهم على تركها، ليعدوها لوقت الحاجة إليها))[١٠]، وابنُ عصفور الذي يقول: ((اعلمْ أنَّ الشعر لما كان موزونًا يخرجه الزيادة والنقص منه عن صحة الوزن ويحيله عن طريق الشعر أجازت العرب فيه ما لا يجوز في الكلام اضطروا إلى ذلك أو لم يضطروا)) [١١] وأخذ بهذا المذهب الرضي[١٢]وابن هشام[١٣]، والبغدادي[١٤] ، والالوسي [١٥] .

ومذهب آخر يرى في الضرورة أنّها تقع فيما ليس للشاعر عنه مندوحة [١٦] ، أي تقع بشرط الاضطرار ، وهو المذهب الذي نسبه بعض النحويين إلى سيبويه[١٧]، وعليه يكون إمامَ ابنِ مالك الذي هو رائد هذا المذهب والمشتهر به كثيرًا، فقد صرَّح معقِبًا على بعض الأبيات الشعرية قائلًا: ((فإذ لم يفعلا ذلك مع استطاعته ففي ذلك إشعار بالاختيار وعدم الاضطرار))[١٨] ، وأشار آخرون إلى أنَّ سيبويه

يـرى رأيَ الجمهـور في الـضرورة [١٩]، والـسر في هـذا الاختـلاف والاضطـراب يرجـع إلى تحليـل كلِّ فريـق لـكلام سـيبويه.

وأغلـب الظـنِّ أن مـا ذكـره سـيبويه أقـرب إلى فهـم الجمهـور في هـذه المسـألة ؛ ((لأن كثيرا مـن الشـواهد التـي أوردهـا في أقسـام الـضرورة المختلفـة مـن تلـك الشـواهد التـي وردت فيهـا روايـات أُخـرى، تُخرجهـا مـن مجـال الـضرورة ، ومـع ذلـك لم يذكـر سـيبويه شـيئًا مـن تلـك الروايـات في كتابـه)) [٢٠] ، عـلى أَنَّ ختـام البـاب الـذي عـرض فيـه (مـا يحتمـل في الشـعر) ولا يجـوز في الـكلام جـاء فيـه: ((وليـس شيء يضطـرون إليـه إلا وهـم يحاولـون بـه وجهـا)) [٢١] ، وعـلى وفـق هـذا فـإنَّ الـضرورة عنـده ــ وإن كانـت تقتـصر عـلى الشـعر ولا تجـوز في سـعة الـكلام ـــ إلا أنَّ الشـاعر لا بـد مـن أنْ يسـعى مـن وراء ارتكابهـا إلى معنـى تجيـزه أقيسـة العربيـة المستنبَطة مـن النثر، وإلا يُعـدُّ مـا جاء بـه مخالِفًـا للقواعـد، إذ يقـول في بـاب الممنـوع مـن الـصرف: ((اعلـم أنَّـه يجـوز في الشـعر مـا لا يجـوز في الـكلام مـن صرف مـا لا ينـصرف، يشـبهونه بـما قـد حُـذف واستُعمل محذوفًـا)) [٢٢] ، كـما جـرى حمـل المسـائل بعضهـا عـلى بعـض عـلى نحـو التشـابه بينهـا في الأحـكام في مواضـع أُخـر [٢٣]. ومـن أجـل هـذا ذهـب السـيد إبراهيـم محمـد إلى أن((المعنـى الـذي تتوجـه عليـه الـضرورة الشـعرية عنـد سـيبويه أنهـا بلـوغ مسـتوى مـن التعبـير مبلـغ مسـتوى آخـر)) [٢٤] ، ولهـذا قيـل: ((علـة الضرائـر التشـبيه لـشيء بشيء أو الـرد إلى الأصـل)) [٢٥]، فالفـرق بـين مـا يقـع في الشـعر والنثر مـن خـروج عـن القواعـد واحـد ((فكلاهمـا خـروج عـن القيـاس ، وإنـما الفـرق بينهـما أنَّ الشـعر وقـع فيـه مـن ذلـك مـا لم تَثبـت الروايـة بوقوعـه في الـكلام ، وهـذا هـو محـل الـضرورة)) [٢٦] ، وهـذا هـو وجـه الـكلام في هـذا البـاب الـذي وسـمناه (مـا حملـه النحويـون عـلى الـضرورة الشـعرية وورد في كلام الامـام (عليه السلام) ، إذ ليـس مهـمًا لـديَ سـواء أكان الشـاعر مُختـارًا

في ارتكابه الضرورات أم مضطرًا إلى ذلك، فغايتنا الرئيسة تنصب حول التماس شيءٍ من النظائر النثرية الواردة في كلامه (عليه السلام) لجملة من القواعد النحوية التي حُكم عليها بأنها من الضرائر الشعرية، لنُثبت بذلك أنها ليست مقتصرة على لغة الشعر فقط، بل هي واردة في النثر أيضًا، وبهذا يظهر مدى نقص استقراء النحويين ، وإغفالهم لنصوص نهج البلاغة في التقعيد النحوي.

ولّما كانت الضرورات مرتبطة بالشعر ، والشعر ما لا يحيط به أحد تعذّرَ حصرُها وإحصاؤها، على أن هذا لم يمنع علماء العربية من وضع تقسيمات عامة تنطوي تحت كل قسم مباحث فرعية، ولعل لابن السراج قصب السبق في تثبيت مبادئ التصنيف في الضرورة، إذ قال: ((ضرورة الشاعر أنْ يضطر الوزن إلى حذف أو زيادة أو تقديم أو تأخير في غير موضعه وأبدال حرف أو تغيير إعراب عن وجهه على التأويل أو تأنيث مذكر على التأويل وليس للشاعر أن يحذف ما اتفق له ولا أن يزيد ما شاء بل لذلك أصول يعمل عليها))[٢٧]، وقد راعى تلك الأصول أغلب من جاء بعده مثل السيرافي[٢٨] ، وابن عصفور[٢٩] وأبو حيان[٣٠] .

وقد تناول البحث نماذج من مسائل الضرورة الشعرية منقسمًا على المباحث الآتية:

المبحث الأول

توكيد جواب الشرط بنون التوكيد:

للتوكيد في العربية أنماط مختلفة وأساليب متعددة من ذلك التوكيد بنونَي التوكيد الثقيلة أو الخفيفة، وهما حرفان من حروف المعاني، قد اتفق النحويون على دلالتهما على التوكيد، وإنْ كان التوكيد بالثقيلة أشدَّ دلالةً كما نُقل عن الخليل[٣١].

وقد دار خلافٌ بين النحويين في أصلهما، فذهب البصريون إلى أنهما أصلان، على حين يرى الكوفيون أنَّ المشددة هي الأصل[٣٢]، وهما حرفان يختصان بالدخول على الأفعال، فيؤكد فيهما الفعل المضارع جوازًا أو وجوبًا[٣٣].

ومن المواضع التي اختلف فيها النحويون هي دخول نون التوكيد في جواب الشرط، فقد ذهب فريق منهم إلى أنّ هذا التوكيد إنّما يجوز في الشعر لا في النثر، قال سيبويه: ((وقد تدخل النون بغير «ما» في الجزاء، وذلك قليلٌ في الشعر، شبهوه بالنهي حين كان مجزوماً غير واجب))[٣٤] نحو قول الشاعر كميل بن معروف[٣٥]: (من الطويل)

فمهما تَشَأ مِنْهُ فَزارَةُ تُعْطِكُمْ ومهما تَشَأ مِنْه فزارَةُ تَمْنَعَا

وقد انتهج مذهبَ سيبويه هذا جمعٌ من علماء العربية منهم الفرّاء وهو يعرض لقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ**﴾ (سورة النمل من الآية:١٨)[٣٦]،وقد أكد هذا المذهبَ المبّردُ[٣٧]، وابنُ السراج[٣٨]، والسيرافي[٣٩]، وأبو علي الفارسي[٤٠]، والقيرواني[٤١]، وأبو البركات الأنباري[٤٢]، والزمخشري[٤٣]، وابن الحاجب[٤٤]، وآخرون[٤٥].

إنَّ حمل الشاهد الشعري على الضرورة الشعرية لا يمنع من تعليله وبيان وجهه

في العربية، إذ ((ليس شيء يضطرون إليه إلا وهم يحاولون به وجها))[٤٦]، ومن هنا ذهب علماء العربية إلى أنَّ علة توكيد جواب الشرط - وهو مما لا يجوز في سعة الكلام - هي مشابهته للنهي، وقد فسر هذا أبو علي الفارسي بقوله: ((شبهوا الجزاء لمّا أدخل النون عليه بالنهي؛ لأن الجزاء فعل مجزوم كما أنَّ النهي فعل مجزوم وهو غير واجب كما أنَّ النهي غير واجب))[٤٧]، أي إنَّ العلة علة مشابهة، فالعرب ((يشبهون الشيء بالشيء وإن لم يكن مثله في جميع الأشياء))[٤٨]، وبحسب هذا الفهم فالمفترض أن يكون هذا داعيًا إلى قبول هذا التوكيد في غير الشعر لا قصره عليه، ولعل الذي دعاهم إلى هذا هو نقص استقرائهم وعدم التقصّي بدقة عن شواهد في غير الشعر؛ لأنَّ الشواهد على تلك المسالة كثيرة من القرآن الكريم[٤٩] وغيره.

كان على النحويين أن يستندوا إلى هذه النصوص القرآنية وسواها في تعديل القاعدة النحوية؛ فالضوابط النحوية يجب أن تخضع للنصوص الفصيحة المسموعة وتستند اليها وليس العكس، لكننا رأيناهم يتمسكون بما تقرر لديهم محاولين تأويل هذه النصوص على الحذف والتقدير، بل جزم ابن السراج بعدم جوازه فقال:((لا يجوز:إن تأتني لأفعلن))[٥٠].

إنَّ النحويين – من أجل الخروج من تضارب السماع والقياس– قد ذهبوا إلى أنَّ الفعل المؤكَّد بالنون ههنا لم يقع في جواب الشرط ، بل وقع في جواب قسَمٍ دلَّتْ عليه (اللام) الموطئة للقسم المحذوفة في (إنْ) ، وعلى هذا يكون التركيب قائمًا على الشرط ، إلا أنَّ جوابه قد حُذِفَ لدلالة جواب القسم المقدَّر عليه، لحذف (اللام) الموطئة للقسم قبل (إنْ)[٥١]، وتأكيدهم على حذف (اللام) الموطئة للقسم إنما أصله الخلاف في جواز وقوع الجواب للشرط مع تقدم القسم عليه، فإنَّ الثابت لدى أكثر النحويين أنه إذا اجتمع الشرط والقسم فإنَّ الجواب للسابق

منهما؛ قال سيبويه: ((فلو قلت: إن أتيتني لأُكرمنَّك، وإن لم تأتني لأغمنَّك، جاز ؛لأنه في معنى: لئن أتيتني لأكرمنك ولئن لم تأتني لأغمنك، ولا بد من هذه اللام مضمرة أو مظهرة؛ لأنها لليمين، كأنك قلت: والله لئن أتيتني لأكرمنك))[٥٢].

وهذا الرأي لم يصمد أمام كثرة الشواهد النحوية المخالفة لما قرروه[٥٣]، هذا من وجه، ومن وجه آخر فإنهم في الوقت الذي يُصرُّون على تقدير (اللام) الموطئة للقسم كي يسوّغوا دخول (اللام) في فعل الجواب نجدهم حين يُجاب القسم بالشرط يحملون (اللام) الموطئة على الزيادة أو على الضرورة الشعرية[٥٤]،وفي هذا خلط واضح وجلِّي أساسه تقديم القاعدة والقياس على أدلة السماع الموثوق بها، لهذا نراهم يذهبون في توجيه الأفعال التي اقترنت بنون التوكيد في جواب الشرط إلى تقدير القسم[٥٥].

لما تقدم كلِّه كان ينبغي الوقوف عند تلك الشواهد والنظر في سياقاتها والقرائن المحيطة بها للوصول إلى ضوابط نحوية تؤسس لقاعدة عامة على ألاّ تغفل ما يتفرع عنها من مسائل استنادًا إلى الموروث اللغوي المحتج به، وإذا كان استقراء النحويين قد أوصلهم إلى قاعدة ترى إجابة المتقدم من الشرط والقسم واجبة عند اجتماعهما فإننا لسنا ملزمين بهذا استنادا لما استقريناه من شواهد تخالف هذا.

واذا تقرر هذا فإنَّ السياق والقرائن الدلالية المحيطة في النص لها أثر في فهمه وبيان المراد منه؛ لذا إنَّ حمل تلك النصوص على حذف (اللام) الموطئة للقسم فيه بُعد وتكلف، إذ التركيب لم يكن بحاجة إلى توكيد الشرط والقسم عليه ، فمدار الكلام في آية سورة الأعراف هو الحديث عن قصة نبيِّنا آدم وحواء (عليهما السلام) وبيان خشيتهما من الخسران المهدِّد لهم؛ لذا عمدَ النص إلى توكيد الفعل بالنون؛ لأنهما يخافان تحققه ووقوعه، لكنهما يطمعان بغفران ذنوبهما والعفو عنهما ؛ لذا لم

يُقسما على هذا ، وهذا ما دعاهما إلى التذلل والمسكنة للتعبير عمّا صدر عنهما من المخالفة؛ لذا قالا: ﴿**وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ والمعنى أنَّ ((خسران الحياة يهددنا وقد أطل بنا وما له من دافع إلا مغفرتك للذنب الصادر عنا وغشيانك إيانا بعد ذلك برحمتك وهي السعادة لما أن الانسان بل كل موجود مصنوع يشعر بفطرته المغروزة أن من شأن الأشياء الواقعة في منزل الوجود ومسير البقاء أن تستتم ما يعرضها من النقص والعيب ، وإن السبب الجابر لهذا الكسر هو الله سبحانه وحده فهو من عادة الربوبية))[٥٦]، وبهذا يكون فعل الشرط قد أُجيب بالقسم[٥٧] بفعل مؤكَّد بنون التوكيد، وما يعضُد هذا أن القرآن الكريم أشار إلى قصة النبي نوح (عليه السلام) فقال الله تعالى: ﴿**قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ (سورة هود :٤٧)، فلم يعمد النص إلى استعمال (اللام) الموطئة للقسم، بل جاء على الشرط فقال: ((وإلا تغفر...))؛لأن النبي (عليه السلام) ـ كغيره من البشر ـ يطمع في مغفرة الله تعالى ؛ لذا لم يؤكِّد الشرط المنفي.

وكذا الحال في آية سورة المائدة فإنَّ الذي دعا إلى أن يُعتنى بتوكيد جواب الشرط بنون التوكيد دون توكيد الشرط هو مراعاة السياق وظروف المقال أيضًا ، فإنَّ توكيد الفعل (لَيَمَسَّنّ) فيها إنما جاء لبيان أنَّ مستحِق العقوبة هو من عاند وأصرَّ على فعلته ، وتنبيهًا على أنَّ العذاب هو جزاء مَن دام على الكفر ولم ينقلع عنه[٥٨]. فمدارُ القول وأهميته تشديد العقوبة على هذا الصنف من الناس ، أمّا الذين لم ينتهوا فلهم فرصة في التوبة والعودة إلى الصواب لهذا لم يكن ثمة ما يدعو إلى التوكيد والتشديد باستعمال (اللام) الموطئة للقسم ، ودليل هذا أن الله تعالى قال في عَقب الآية: ﴿**أَفَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ**﴾ .

ومن الشواهد العلوية على هذه المسألة قوله (عليه السلام) في خطبة له في قسمة الأرزاق بين الناس: ((فَإِنْ رَأَى أَحَدُكُمْ لِأَخِيهِ غَفِيرَةً فِي أَهْلٍ أَوْ مَالٍ أَوْ نَفْسٍ؛ فَلاَ تَكُونَنَّ لَهُ فِتْنَةً))(٥٩).

كلامه (عليه السلام) في النهي عن الحسد بأنّ من يرى عند أخيه زيادة أو نماء في اد تلك الأمور فلا يحمله ذلك على الافتنان المفضي إلى الحسد والغيرة(٦٠)؛ ((لأن من نظر في أحوال الدنيا الى من فوقه يستحقر ما عنده من نعم اللهّ، فيكون ذلك فتنة عليه))(٦١)، فالتعليق الشرطي قائم في التركيب بدليل أن الإمام قرن النهي بـ(الفاء) وهي جملة جواب الشرط، وقد جاء فعلها مؤكدًا بنون التوكيد.

ومثله قوله (عليه السلام) في مقطع من كتاب إلى مالك الأشتر: ((وإِنِ ابْتُلِيتَ بِخَطأ، وأفْرَط عَلَيْكَ سَوْطُكَ أَوْ سَيْفُكَ أَوْ يَدُكَ بِالْعُقُوبَةِ، فَإِنَّ فِي الْوَكْزَةِ فَما فَوْقَها مَقْتَلَةً، فلا تطْمَحَنَّ بِكَ نَخْوَةُ سُلْطَانِكَ عَنْ أَنْ تُؤَدِّيَ إلى أَوْلِيَاءِ المَقْتُولِ حَقَّهُمْ))(٦٢).

فالفعل (تطمحن) الواقع في جواب شرط (إن ابتليت) جاء مؤكَّدًا بنون التوكيد .

ومثله قوله (عليه السلام)في إحدى حِكَمه: ((مَنْ وَضَعَ نَفْسَهُ مَوَاضِعَ التُّهَمَةِ فَلاَ يَلُومَنَّ مَنْ أَسَاءَ بِهِ الظَّنَّ))(٦٣).

والنحويون يقدِّرون في مثل هذه الشواهد (لام) مضمرة موطئة للقسم قبل (إن) والتقدير(لئن)(٦٤)، وهذا لا يصح مع وجود (الفاء) في الأفعال (تكونن) و(تطمحن) ، فهي مما تربط فعل الشرط بجوابه.

ولعل ما يدحض تلك التقديرات كثرة الشواهد النثرية من القرآن الكريم وكلام الإمام (عليه السلام) فهما كافيان لإبطال القول القاضي بحمل التركيب على

الضرورة الشعرية، ولهذا ذهب ابن مالك إلى جوازه في سعة الكلام[٦٥]، وتابعه الرضي فقال: ((وقد تدخل نون التأكيد اختيارًا في جواب الشرط))[٦٦]، وهو ما رآه الشاطبي[٦٧] ،وناظر الجيش[٦٨]، وأكده الاشموني[٦٩]، وتبنّى هذه المسألة من المحدثين الدكتور خليل بنيان الحسون[٧٠].

وصفوة ما ورد أنَّ القسم يصح أن يقع جوابًا للشرط، ولا داعي إلى تكلف التقدير والتأويل؛ لأنه ليس من الصواب أن يُعمد إلى تأويل تلك النصوص النحوية الكثيرة، ومما ينتج عن وقوع هذا القسم في الجواب توكيد الفعل المضارع بنون التوكيد ، فأصل المسألة هو جواز وقوع القسم جوابا للشرط، وهو ما تحقق بورود الفعل مسبوقًا بـ(لا) الناهية ، فأوكد جوازا[٧١] ؛ لأن مدار الكلام معتمِد على الجواب .

واستنادًا إلى ما تقدم ذكره يمكن إعادة صوغ القاعدة النحوية بالآتي : جواز إجابة الشرط بالقسم ، بفعل مؤكد بنون التوكيد في السعة والاختيار لا في الضرورة الشعرية فقط ، استنادًا إلى ما ورد في البلاغة فضلاً عن القرآن الكريم وكلام العرب.

المبحث الثاني

إبقاء ألف (ما) الاستفهامية عند جرها بحرف الجر :

قرر النحويون أن ألف (ما) الاستفهامية تُحذف إذا سُبِقت بحرف جر، على أنْ تبقى الفتحة دليلًا عليها، وتعليل هذا الحذف إما للفرق بين الاستفهامية والموصولة(٧٢)،أو للتخفيف لكثرة الاستعمال(٧٣)،أو للدلالة على التركيب؛ إذ إنَّ تركيب حرف الجر مع (ما) الاستفهامية يصيِّرهما ككلمة واحدة موضوعة للاستفهام للحفاظ على صدارة الاستفهام(٧٤)، على أنَّ وجوب حذف الف(ما) الاستفهامية مقصور على المجرورة بحرف الجر، أما المجرورة بالإضافة في نحو: مجيء ما جئت فالحذف فيها ليس لازمًا(٧٥).

وقد اختلفت آراء العلماء في حكم هذا الحذف، فذهب قسم من النحويين إلى أنّه واجب(٧٦)، ومقيس(٧٧)، ومن سنن العربية (٧٨)، وذهب ابن جني إلى أنَّ حذف الألف لغة ضعيفة (٧٩) ، وعدَّه الهروي لغة(٨٠)، وللزمخشري رأيان في توجيه هذا الحذف، فرأى في أحدهما أنَّ إثبات الألف جائز(٨١)، وأشار في الآخر إلى أنّ اثباتها قليلٌ شاذ(٨٢).

ولما كان الوجوب النحوي في تلك المسالة منتقضًا بعدد من الشواهد الشعرية التي جاءت فيها الف (ما) الاستفهامية مثبتة بالرغم من جرها بحرف الجر في مثل قول حسان بن ثابت(٨٣) : (من الوافر)

على مَا قَامَ يَشْتمنِي لئيم   كخنزيرٍ تَمَرّغ فِي رَمادِ

ذهب جملة من النحويين إلى حمل هذا الإثبات على الضرورة الشعرية وقصروه عليها، ومن بينهم القزاز(٨٤)، والعكبري(٨٥)، وأبو حيان الذي يقول: ((والمشهور أن إثبات الألف في «ما» الاستفهامية، إذا دخل عليها حرف جر، مختص بالضرورة))(٨٦).

وتابعهم على ذلك ابن هشام[٨٧]،والأشموني[٨٨]،والأزهري[٨٩]،ومن المحدَثين محمود شكري الآلوسي[٩٠]، وأحمد الحملاوي[٩١]، وعبد السلام هارون[٩٢].

إنَّ اثبات الف (ما) الاستفهامية عند جرها بحرف الجر لم يكن مقتصرًا على الشعر فقط، بل هو وارد في الموروث اللغوي الفصيح، فقد جاء في مواطن متعددة من الحديث النبوي الشريف، هذا فضلا عن مجيئه في قراءة عيسى وعكرمة التي مرّ ذكرها، من ذلك قول النبي محمد (ﷺ) للإمام علي (عليه السلام): ((بِمَا أَهْلَلْتَ يَا عَلِيُّ؟ قَالَ: بِمَا أَهَلَّ بِهِ النبي(ﷺ) قَالَ: فَاهْدِ وَامْكُثْ حَرَامًا كَمَا أَنْتَ))[٩٣]، وقوله (ﷺ): ((لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يُبَالِي الْمَرْءُ بِمَا أَخَذَ مِنَ الْمَالِ، أَمِنْ حلالٍ أم مِن حَرامٍ))[٩٤].

وربما وقع نظر عدد من النحويين على بعض هذه الشواهد فاستند اليها في تجويز هذا الاثبات مطلقًا، ولعلّ الفراء يقف في مقدمتهم، اذ قال: ((وإذا كانت «مَا» في موضع «أي» ثم وصلت بحرفٍ خافضٍ نُقصت الألف من «مَا» ليعرف الاستفهام من الخبر. ومن ذلك قوله: ﴿**فِيمَ كُنْتُم**﴾ و﴿**عَمَّ يتساءَلُونَ**﴾وإن أتممتها فصواب))[٩٥]، وأخذ به الزمخشري في أحد قوليه[٩٦] وقد مر ذكره، وصرح بمثل هذا الرازي في توجيه (ما) في قوله تعالى: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّٰهِ لِنتَ لَهُمْ**﴾ (سورة آل عمران من الآية:١٥٩)[٩٧].

وممن أيد ذلك أيضًا ابن مالك بعد أن احتج بالشواهد الحديثية التي ذكرناها، ورأى جواز إثبات الألف إلا أنه حكم عليها بالشذوذ، إذ قال: ((وشذ ثبوت الألف في «بما اهللت»، و«لا يبالي المرء بما اخذ المال» (...)؛لأنّ (ما) في المواضع الثلاثة استفهامية مجرورة فحقها أنْ تحذف فرقًا بينها وبين الموصولة))[٩٨]، ثم حمل بيت حسّان على الاختيار لا الاضطرار لإمكانه ان يقول (علام قام...)[٩٩]، وابن

مالك في حكمه على تلك الشواهد بالشذوذ يخالف المنهج الذي سار عليه في كتابه (شواهد التوضيح) الذي عمد فيه إلى تعديل الكثير من القواعد النحوية احتكامًا إلى نصوص الحديث النبوي الشريف، وهذا ما نبّه عليه محقق الكتاب الدكتور طه محسن[١٠٠] ، على أن وصف الشاهد الحديثي في هذه المسالة بالشذوذ لم يقتصر على ابن مالك بل سبقه في ذلك ايضا العكبري[١٠١] .

يبدو لي مما تقدم أن القصد بشذوذ الشواهد الحديثية معناه خروجها عن الباب وقياس النحويين، إلا أنها لم تشذ في استعمال العرب لاسيما عند فصحائهم وبلغائهم ، وهذا ما نص عليه ابن السراج قائلا: ((والشاذ على ثلاثة أضرب: منه ما شذ عن بابه وقياسه ولم يشذ في استعمال العرب له))[١٠٢]؛ لذا يجب أن يستند إليه في تعديل القاعدة النحوية ، لأنها بنيت على استقراء ناقص؛ لأن من أنماط الشاذ ((الشاذ المقبول ؛ فهو الذي يجيء على خلاف القياس، ويقبل عند الفصحاء، والبلغاء)) [١٠٣] ، ولاشك في أنَّ النبيَّ محمدًا (ﷺ) أفصح من نطق بالضاد ، ويحدِّث الناس بما يعرفون وبما هو شائع عندهم ؛ لذا قيل: إنَّ الشاذ هو ما ((يكون في كلام العرب كثيرًا لكن بخلاف القياس)) [١٠٤]، ولهذا فالاحتكام إلى ما سُمع في تعديل أقيسة النحويين أصل يعتد به[١٠٥] ، ومن أجل هذا ذهب الفراء إلى تجويز هذا الاثبات مطلقًا من دون قصره على الشعر، وهو منطق صائب وسليم يفرضه الواقع اللغوي المؤيد لهذا الإثبات، الذي ورد في النثر الفصيح من كلام العرب[١٠٦]، الأمر الذي جعل الرضي يحكم على هذا الحذف الالف بالجواز لا الوجوب[١٠٧]، ولهذا فإن الأولى تصحيح القاعدة بالاستناد إلى ما سمع وإن كانت قياسًا ، وهذا ما عليه الازهري الذي وصف المسالة بالضرورة في موضع، وصرح في موضع آخر إلى جواز ورودها في الشعر والنثر مستندًا في ذلك إلى قراءة عكرمة وعيسى[١٠٨].

وخلاصة ما تقدم يظهر لنا أنَّ اثبات الف (ما) الاستفهامية عند سبقها

بحرف الجر في غير التركيب ليس وقفًا على لغة الشعر، بل هو وارد في النثر في أفصح النصوص وأبلغها أيضا ، من ذلك قول الإمام علي (عليه السلام) في دعاء كميل: ((يا اِلهي وَرَبّي وَسَيِّدي وَمَوْلايَ لِاَيِّ الاُمُورِ اِلَيْكَ اَشْكُو وَلِما مِنْها اَضِجُّ وَاَبْكي لِاَليمِ الْعَذابِ وَشِدَّتِهِ، اَمْ لِطُولِ الْبَلاءِ وَمُدَّتِهِ))[١٠٩] .

واذا كان النحويون قد امتنعوا من توجيه إثبات الف (ما) الاستفهامية دلاليًا، لأنهم يعدونه اضطرارا يلجأ اليها الشاعر للهروب عيوب الوزن على رأي من حمل الضرورة على هذا[١١٠] ، فإننا بوسعنا الاستدلال بالسياق لبيان ذلك، إذ إنَّ الناظر في الشواهد التي ذكرناه يجد أنَّ ثمة جامعا مشتركًا بينها وهو وجود القرينة الدالة على استفهامية (ما) ، وهذا أحد الأسباب التي يذكرها النحويون على وجوب حذف الف(ما) ، فهم يسعون إلى ايجاد دليل للفرق بين الاستفهامية والموصولة ، والدليل واضح وموجود فيما استشهدنا به ، وهو (أم) المعادلة والسياق ، فهي كافية لبيان استفهامية(ما) من دون الحاجة إلى حذف ألفها ؛ لذا يمكننا القول: إن(أم) المعادلة كما كانت شرطا يدل على همزة الاستفهام المحذوفة يمكننا الاستدلال بها على تحديد (ما) الاستفهامية من الخبرية ، فالشيء يردُ مع نظيره كما يردُ مع نقيضه كما يقول ابن جني[١١١] .

وقد يقال: ما الدليل على الإثبات في قراءة عكرمة وعيسى ، قلت: الدليل موجود وواضح ، وهو السياق، فإنّ الإجابة التي وردت في الآية اللاحقة دليلٌ على الاستفهام، فقال تعالى: ﴿**عَمَّ يَتَسَاءلُونَ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ**﴾ (سورة النبأ:١-٢).

وبهذا نصل إلى تعديل القاعدة النحوية في ضوء تلك النصوص الفصيحة بالقول: يجوز إثبات (ما) الاستفهامية في السَّعة والاختيار بشرط أمن اللبس وإيضاح المُراد لورود ذلك في نهج البلاغة.

المبحث الثالث

اقتران خبر(كاد) بـ(أنْ):

(كاد) فعل من الافعال الناسخة يدخل على الجملة الإسمية، فيرفع المبتدأ اسمًا له ، ويكون الخبر خبرًا له في موضع نصب [١] ، وهو من أفعال المقاربة، فقولنا: (كاد زيد يقوم) معناه: (قارب القيام ولم يقم)[١١٢].

وقد منع النحويون وقوع خبره اسمًا حملًا على ما يناظره في المعنى ، من مثل (عسى)[١١٣] ؛ لذا فالغالب في خبره أن يكون فعلًا مضارعًا متجردًا من (أن)؛ لأن (أن) تخلص الفعل للاستقبال و (كاد) موضوع للقرب فيتدافع المعنيان[١١٤] .

على أن أقيسة علماء العربية لم تمنع الشعراء من استعمال (أن) في خبر (كاد) ، إذ وردت بعض الشواهد الشعرية مخالفة لما قرروه من ذلك قول رؤبة[١١٥]: (الرجز)

رسمٌ عفا من بعد ما قد امَّحى　　　قد كاد من طول البلى أن يمصحا

لهذا قرر سيبويه أنه محمول على الضرورة الشعرية، فقال: ((وكدت أن أفعل لا يجوز إلا في شعر؛ لأنه مثل كان في قولك: كان فاعلا ويكون فاعلا))[١١٦] ، وأكد ذلك في موضع آخر محتجًا ببيت رؤبة المذكور آنفًا[١١٧] .

يظهر من تعليل سيبويه أنه حمل (كاد) على (كان) في أنَّ خبرهما لا يأتي مقترنًا بـ(أنْ) فهما متشابهان من هذه الناحية ، إلا أن ابن بابشاذ عدَّ ذلك نوعًا من المخالفة بينهما ، ذكر ذلك وهو يوازن بين (عسى) و(كاد) من حيث اقتران خبرهما بـ(أن) ، إذ قال : ((فإن رأيت «أن» في أخبار هذه فإنما هي مشبهة بـ(عسى)، وإذا رايتها محذوفة «عسى» فإنَّ (عسى) مشبهة بـ(كاد)واخواتها للتقارب الذي بينهما ، فمثال مجيء (أن) في خبر (كاد) قول الشاعر: قد كاد من طول البلى أن يمصحا(...)فهذه

وجـه مخالفـة هـذه الافعـال لـكان واخواتهـا لأن (كان وأخواتهـا) لا تدخـل (أن) في اخبارهـا لا يجـوز: كان زيـد أن يقـوم))[١١٨] .

فسيبويه عـلى وفـق هـذا التعليـل قـد حمـل(كاد) عـلى (كان) في عـدم مجيء خبرهما مقترنًـا بـ(أن) عـلى الـضرورة الشـعرية، أمـا ابـنُ بابَشـاذ فرأيـه يتجـه إلى تجويـز اقـتران خـبر (كاد) بـ(أن)، إذ قرنـه بـما يخالفـه وهـو عـدم جـواز اقـتران خـبر كان بـ(أن). ويبدو لي أن كلا التعليلـين - فيـما يخـص مشـابهة (كان) - يفتقـر إلى الدقـة والاسـتقراء التـام، فليـس سـيبويه دقيقًـا ، ولا ابـن بابَشـاذ مصيبًـا؛ لأنَّ اقـتران خـبر(كان) بـ(أن) ليـس ضرورةً شـعرية كـما ذهـب الأول ، ولا ممنوعًـا كـما رأى الثـاني، فهـو وارد في فصيـح الـكلام[١١٩]، في قولـه تعـالى : ﴿**وَمَا كَانَ هَـذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَى مِن دُونِ اللهِ**﴾ (سـورة يونـس مـن الآيـة:٣٧) ، وفي قـول الإمـام عـلي (عليه السلام): ((فَـإِذَا كَانَ ذلِـكَ كَانَ أَكْـبَرُ مَكِيدَتِـهِ أَنْ يَمْنَـحَ الْقَـوْمَ سُـبَّتَهُ)) [١٢٠] .

أمـا وجـه التعليـل الآخـر وهـو حمـل (كاد) عـلى (عسـى) فـإن الـذي دعـا إليـه هـو المشـابهة بينهـما في معنـى المقاربـة ، فـ(عسـى) لمقاربـة حصـول الفعـل في المسـتقبل ؛لأنـه يـدل عـلى طمـع وتـرج[١٢١] ، لهـذا اقـترن خبرهـا بـ(أن) الدالـة عـلى المسـتقبل ،أمـا (كاد) فهـي لمقاربـة الفعـل في الحـال لذلـك لا يقـترن خبرهـا بـ(أن)[١٢٢] ، وهـذا سـبيل في العربيـة واسـع ذكـره ابـن جنـي قائـلًا: ((العـرب إذا شـبهت شـيئا بـشيء مكنـت ذلـك الشـبه لهـما، وعمـرت بـه الحـال بينهـما))[١٢٣] .

وقـد سـلك مذهـبَ سـيبويه في حمـل تلـك المسـالة عـلى الـضرورة الشـعرية عـددٌ مـن العلـماء منهـم المـبرّد[١٢٤] ، وابـن الـسراج[١٢٥] ، والزجّاجـي[١٢٦] ، والفـارسي[١٢٧] ، والجرجـاني[١٢٨] ، وأبـو الـبركات الأنبـاري[١٢٩]، وغيرهـم [١٣٠] .

والحـق أنَّ هـذا النمـط التركيبـي واردٌ في عـدد مـن الشـواهد النثريـة – ولم يكـن بابـه

الشعرَ كما صرح بذلك سيبويه ومتابعوه – فقد ورد في الحديث النبوي الشريف في أكثر من موضع منها قوله(ﷺ):((كاد الفقر أنْ يكون كفرًا، وكاد الحسد أن يسبقَ القدر)) [١٣١]،كما ورد مثل هذا الاقتران في مواضع أُخر من السنة المطهَّرة[١٣٢]، ونقل الازهري عن العرب قولهم : ((كاد زيد أن يموت و«أنْ» لاتدخل مع «كاد»))[١٣٣] ، ومن شواهد هذا الاقتران في الكلام العلوي المبارك قوله (عليه السلام) في فضل الشهيد وأجره: ((مَا اَلْمُجَاهِدُ اَلشَّهِيدُ فِي سَبِيلِ اَللَّهِ بِأَعْظَمَ أَجْراً مِمَّنْ قَدَرَ فَعَفَّ لَكَادَ اَلْعَفِيفُ أَنْ يَكُونَ مَلَكاً مِنَ اَلْمَلاَئِكَةِ))[١٣٤].

يريد الامام (عليه السلام) بهذا القول بيان أهمية العفاف وترك القبيح والمنكر في تقويم سلوك الفرد وأخلاقه، فأوضحَ أنَّ من يمتنع عن فعل القبيح مع قدرته عليه له أجر مجاهد استشهد في سبيل الله تعالى، ولعل وجه الشبه بين الشهادة والعفاف هو طهارة النفس ونقاؤها ((وذلك لشدة أخذ الانسان زمام نفسه ، حتى إنَّ الفاعل لذلك كأنه ملائكة في طهارة النفس))[١٣٥]، إذ إنَّ صفة العفة تلك ترتقي بصاحبها إلى منزلة الملائكة الذين لا يفعلون القبيح أبدًا، وتقترب بسلوكه من صفاتهم، وقد دلَّ الامام على ذلك باستعمال ما يدل على المقاربة وهو الفعل (كاد) ، غير أن ترك القبيح هي صفة واحدة من بين صفات كثيرة قد تحلى الملائكة بها ؛ لذا فمن شاء الاقتراب من درجة الملائكة عليه امتلاك صفات أُخر، ومن هنا كان استعمال (أنْ) في خبر (كاد)، في إيحاء منه (عليه السلام) إلى أن درجة القرب تحتاج إلى أن تكون أشدَّ حين التخلق بصفات أُخر ، هذا فضلًا عن أن هذا الاقتران قد يشير إلى تحقق هذه الصفة في المستقبل؛ لأنَّ (أن) المصدرية تدل على المستقبل، ولعل ما يعضُد هذا إيراد صفة (الشهيد)، ومعلوم أن أجر الشهادة إنما يتم في يوم القيامة وهو مستقبل ، وهذا يناسب ذكر (أن) التي تُحيل المعنى إلى المستقبل ،

فالعفيف إنما يكون من الملائكة وبدرجتهم في يوم الحساب ، على أنه لا يكون من جنسهم؛ لأن (ال) في الملائكة عهدية ، وهذا من بديع التقابل الدلالي.

ومن الشواهد العلوية أيضًا قوله (عليه السلام) لعقيل بن أبي طالب (رضي الله عنه): ((فَأَحْمَيْتُ لَهُ حَدِيدَةً ثُمَّ أَدْنَيْتُهَا مِنْ جِسْمِهِ لِيَعْتَبِرَ بِهَا فَضَجَّ ضَجِيجَ ذِي دَنَفٍ مِنْ أَلَمِهَا وَ كَادَ أَنْ يَحْتَرِقَ مِنْ مِيسَمِهَا فَقُلْتُ لَهُ ثَكِلَتْكَ اَلثَّوَاكِلُ يَا عَقِيلُ أَ تَئِنُّ مِنْ حَدِيدَةٍ أَحْمَاهَا إِنْسَانُهَا لِلَعِبِهِ وَ تَجُرُّنِي إِلَى نَارٍ سَجَرَهَا جَبَّارُهَا لِغَضَبِهِ أَ تَئِنُّ مِنَ اَلْأَذَى وَ لاَ أَئِنُّ مِنْ لَظَى؟))(١٣٦).

يشير كلام الأمام (عليه السلام) إلى الحادثة التي جرت بينه وبين أخيه عقيل (رضي الله عنه)، وهي حادثة من حوادث كثيرة يذكرها أرباب السِّيرة والتاريخ في الإشارة إلى عدل الإمام علي (عليه السلام) ، وقوله (كاد أن يحترق) يدل على أنه قد احمى الحديدة ليعتبر عقيل من حرارة نارها لا لإيذائه بها ، إذ ((الحديدة لم تتصل بجسم عقيل، وانّما اقتربت منه فحس بلفحها))(١٣٧)، ففعل الإحراق لم يحصل؛ لذا كان مناسبًا إيراد (أن) ؛ لأنها تدل على تراخي حصول الفعل وتحقيقه في المستقبل، ولا يمكن أن يكون مراد الإمام من ذلك إحراق عقيل والدليل على ذلك قول الإمام (عليه السلام) نفسه إذ قال: (ثم أدنيتها من جسمه..) ، ولا شك في ذلك لأنه لم يُذنب، وحتى وإن افترضناه ذنبًا فليس جزاؤه الإحراق ، ولذا لم يتدافع المعنيان، فاستعمال (كاد) دلَّ على أنَّ الحديدة إنما اقتربت من جسد عقيل قربًا شديدًا مما جعله يشعر بحرارتها وهذا يتفق مع دلالة(كاد) التي تدل على ((شدة قرب الفعل من الوقوع))(١٣٨) ، لكن مجيء(أن) الدالة على الاستقبال أعطى دلالة التراخي وعدم الإحراق، وبهذا لم يتدافع المعنيان.

لذا تبين لنا أن ذكر (أن) وعدم ذكرها في خبر (كاد) لم يكن الداعي اليه اضطرارَ الشاعر كما قيل، بل لبيان دلالة القرب وشدته ، وفي هذ يقول عبد القاهر الجرجاني: ((وقد علمنا أن «كاد» موضوع لأن يدل على شدة قرب الفعل

من الوقوع، وعلى أنه قد شارف الوجود))[١٣٩]، وأكد هذا المعنى آخرون[١٤٠]،وقد يكون من أجل هذا اشترط النحويون في خبرها أن يكون فعلا لا اسمًا ؛ لأنَّ الاسم لا دلالة فيها على الزمن كما هو معلوم، لهذا اشترطوا وقوع الفعل في خبرها ، وما هذا إلا إرادة للزمن بصيغة الفعل ، أو مداناته وقرب الالتباس به ومواقعته[١٤١].

اتضح مما تقدم أنَّه نمَط شائع في كلام العرب نظمًا ونثرًا ، وليس كما نُقل عن أحدهم بأنه تركيب لا يقوله عربي![١٤٢] ؛ لذا فإنَّ نقص الاستقراء فيما يخص هذا النمط واضحٌ وجلي ولا يمكن ردُّه أو نقضه، وهذا ما جعل نحويين آخرين يحتكمون إلى تلك النصوص مقررين جوازه في السَّعة والاختيار، منهم ابن يعيش[١٤٣] ، وابن مالك الذي يقول: ((وهو مما خفي على أكثر النحويين أعني وقوعه في كلام لا ضرورة فيه والصحيح جواز وقوعه إلا أن وقوعه غير مقرون بـ«أن» أكثر وأشهر من وقوعه مقرونا بـ«أن» ولذلك لم يقع في القرآن إلا غير مقرون بـ«أن»))[١٤٤]، وكذلك في نهج البلاغة فقد ورد الخبر مقترنا بـ(أن) أكثر[١٤٥]، وأكد القول برفض القول الضرورة في هذه المسألة أيضًا الرضي، وابن عقيل والاشموني والازهري والسيوطي[١٤٦]، وأكد ذلك الدكتور محمود فجال من المحدثين[١٤٧] .

نخلص مما تقدم إلى أنَّ هذا الاقتران مما يجوز في السعة والاختيار وليس وقفًا على الشعر كما ذهب فريق من النحويين، وكان الباعث على هذا الاقتران بيان شدة القرب من عدمه، فشدة القرب من عدمه أو التراخي في حصول الفعل هما الفيصل في توجيه هذا الاقتران كما اتضح هذا في الشواهد العلوية، واستنادًا إلى كلِّ هذا نصل إلى تعديل القاعدة النحوية على النحو الآتي: يجوز في السعة والاختيار اقتران خبر (كاد) بـ(أن) لبيان الفارق الزمني بين الاقتران وعدمه ، استنادا إلى ورود الشواهد النثرية الفصيحة المؤيدة لذلك من نهج البلاغة فضلا عن الحديث النبوي الشريف وكلام العرب، وليست المسالة مقتصرةً على الضرورة الشعرية.

المبحث الرابع

اقتران خبر (لعل) بـ(أن) أو وقوعه فعلا ماضيًا[١٤٨]

(لعلَّ) من النواسخ الحرفية المشبَّهة بالفعل يعمل عمل (إنَّ)، اختلف اللغويون والنحويون فيه من حيث البساطةُ والتركيبُ، فيرى البصريون أنَّه حرف مركَّب و(اللام) فيه زائدة[١٤٩]، على حين ذهب الكوفيون إلى بساطته[١٥٠]، وهو ما نُسب إلى أكثر النحويين[١٥١] .

ويرد (لعلَّ) لمعان متعددة منها: الترجي، والخوف، والتوقع، والتعليل ، والتمني والطمع والاشفاق، والشك، والتحقيق[١٥٢]، والبصريون يُرجعون هذه المعاني كلَّها إلى لترجي والإشفاق[١٥٣]، وهو في تلك المعاني إنما يدخل على المُمْكِن القابل للتحقّق[١٥٤] .

وهو حرف ينصب الاسم ويرفع الخبر ، ويشترط النحويون في خبره أن يكون فعلا مضارعا مجردًا من(أن) ، هذا في سعة الكلام، أما في الضرورة الشعرية فيجوز هذا الاقتران قال سيبويه : ((وقد يجوز في الشعر أيضا لَعلِّي أن أفعل، بمنزلة عسيت أن أفعل))[١٥٥]. وسار على هذا جمع من العلماء منهم المبرد[١٥٦]، و ابن السراج[١٥٧] ، والزمخشري[١٥٨]، وابن الصائغ[١٥٩].

وقد علل النحويون هذا الاقتران بالحمل على (عسى) اذا هما للترجي والاشفاق ، فحُملت (لعل) على (عسى) في جواز اقتران خبرها بـ(أن) ؛ لأن الاصل في خبرها إما أن يكون اسمًا صريحًا أو فعلًا مضارعًا غير مقترن بـ(أن) ، كما حُملت (عسى) على (لعل) في العمل ، فخروج (عسى) عن عمل الرفع والنصب على الترتيب إلى عمل النصب والرفع، فيقال: عسايَ وعساك وعساه، مقترضة

عمل النصب والرفع على الترتيب من (لعلّ)[١٦٠] ، وهذا من قبيل التقارض في اللغة[١٦١].

ومما ينقض توجيه هذا الاقتران على الضرورة الشعرية وروده في مواطن كثيرة من السنة النبوية الشريفة، من ذلك قول النبي محمد (صلى الله عليه وآله): ((لعلك أنْ تخلفَ حتى ينتفعَ بك أقوام، ويضر بك آخرون))[١٦٢]، وقوله(صلى الله عليه وآله): ((إنما أنا بشُر، وإنكم تختصمون إلي، ولعل بعضكم أنْ يكونَ ألحن بِحجتِه مِن بعض))[١٦٣]، كما جاء في مواضع متعددة من مرويات أئمة أهل البيت (عليهم السلام)[١٦٤]، فضلًا عن وروده كثيرًا في كلام العرب[١٦٥].

ومن شواهد هذا الاقتران في الكلام العلوي المبارَك قوله (عليه السلام) في الخوارج حين أنكروا تحكيمَ الرجال: ((وَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يُصْلِحَ فِي هذِهِ الْهُدْنَةِ أَمْرَ هذِهِ الأُمَّةِ، وَلاَ تُؤْخَذُ بِأَكْظَامِهَ))[١٦٦] .

يُشير كلامه (عليه السلام) إلى قضية التحكيم والمدة التي اشترطها أجلًا لها، وهو جواب للخوارج الذين سألوا عن الهدف من وراء تعيين هذه المدة ، فالإمام إنما أراد بيان ذلك بأنَّه يرجو الله سبحانه وتعالى أنْ تصلحَ هذه الأمة في هذه الهدنة التي يتوقف فيها القتال فيُترك لها الخيار في النظر فيما يُصلحها ، ولا يُؤخذ عليها الطريق إلى الهدى والرجوع إلى الحق ، إذا لم تقبل تلك المدة أو الأجل نكون قد منعنا بعض الناس من العودة إلى الحق[١٦٧] ، فاستعمال (أن) في خبر (لعل) إنما جاء متساوقًا مع تعليل النحويين ، بأن ذلك محمول على (عسى) ؛ لأن الامام في معرض رجاء الله عز وجل ، على اننا ممكن ان نستند إلى هذا الشاهد في الاستدلال على مجيء (لعل) للتعليل وهو ما ذهب اليه الأخفش والكسائي[١٦٨]، فسياق النص كفيل بتأكيد ذلك المعنى ، فهو (عليه السلام) في بيان سرد الاسباب من وراء

اشتراط تلك الهدنة ، إذ قال: ((فإنما فعلت ذلك ليتبين الجاهل و يتثبت العالم و لعل الله أن يصلح في هذه الهدنة أمر هذه الأمة)) ، وبهذا يكون الإمام (عليه السلام) قد جمع بين معنَي الرجاء والتعليل في سياق واحد.

وقد جاء هذا الاقتران في موضع آخر من نهج البلاغة أيضًا في كتاب له (عليه السلام) إلى عامله على أذربيجان، قال فيه: ((وَلَعَلِّي أَلاَّ أَكُونَ شَرَّ وُلاَتِكَ لَكَ، وَالسَّلاَمُ))(١٦٩).

إنَّ اقتران خبر (لعل) بـ(ان) في مواضع كثيرة من الشعر والنثر يبعد القول بحمل المسالة على الضرورة الشعرية؛ لهذا قرر عدد من النحويين إلى تجويز هذا الاقتران في الشعر والنثر ، فقد وجعله الرضي كثيرا في الشعر قليلا في النثر(١٧٠)، وذهب ابن هشام إلى وروده كثيرا ولم يخصه في الشعر فقال:((ويقترن خبرها بـ«أن» كثيرًا حملا لها على «عسى»))(١٧١) ، على حين جوزه آخرون مطلقًا من غير بيان حكم الكثرة أو القلة(١٧٢)، وهذا منهج سليم؛ لأن الوجه النحوي ((إذا فشا الشيء في الاستعمال وقوي في القياس فذلك ما لا غاية وراءه))(١٧٣)، ولا شك في أنه استعمال شائع كما اتضح في عدد من الشواهد، فضلا عن أنه لم يخرج عن أقيسة النحويين وضوابطهم؛ لذا فالقياس عليه جائز.

ومما يجدر ذكره أن للنحويين آراءً مختلفة في التوجيه الإعرابي للمصدر المؤول الواقع خبرًا لـ(لعل)، فقيل هو على التشبيه بـ (عسى) ف(أن) في موضع نصب، كأنك قلت: قاربت أن تفعل(١٧٤) ، وقيل نُصب بإسقاط الجار(١٧٥)، وقيل: في الكلام محذوف فتقدير قولنا مثلا : لعل الله أن يحفظ العراق ، لعل الله صاحب حفظ العراق(١٧٦)، وقيل: على الاخبار بالمصدر للمبالغة .

ولم يرتض قسم من العلماء تلك التقديرات لكثرة الشواهد الواردة في هذا

الاقتران[١٧٧] ، وعدَّ الدكتور فاضل السامرائي هذا الاقتران من قبيل التعبيرات الفصيحة على غير القياس ، فلم يقبل عدها على اسقاط حرف الجر ، لأنه لو كان كذلك لجاز اظهاره ، كما أن تأويلها على معنى (قارب) لا يصح فيما لا مقاربة فيه[١٧٨] ، على أنه ليس كل ما يصح تقديره في الاعراب تصح دلالته ومعناه، إذ ثمة فرق بين تقدير الاعراب وتفسير المعنى[١٧٩] .

ومما يتصل بخبر (لعل) أن النحويين نسبوا لمبرمان (ت٣٢٦هـ) منعه وقوع الفعل الماضي خبرا له[١٨٠]، لأنها تدل على الرجاء وهو مستقبل، ونُقل عن الرماني القول بهذا أيضًا[١٨١]، وأكد ذلك الحريري قائلا: ((ويقولون: لعله ندم ولعله قدم، فيلفظون بما يشتمل على المناقضة وينبئ عن المعارضة، ووجه الكلام أن يقال: لعله يفعل))[١٨٢] ، وقد اعترض على ذلك ابو حيان، ورأى جوازه على حكاية الحال الماضية [١٨٣] ، وقد اعترض ابن هشام على رأي الحريري مستدلا على مجيء خبر (لعل) فعلًا ماضيا بشاهد من السنة النبوية وبشواهد شعرية أيضًا[١٨٤] .

وما ذهب اليه ابن مبرمان ومن تابعه منتقض بما ورد على لسان أمير المؤمنين، إذ قال(عليه السلام): لسائل سأله: أَكان مسيرنا إلى الشام بقضاء من الله وقدره: ((ويحك، لعلّكَ ظَنَنْتَ قضاءً لازماً، وقَدَراً حاتِماً، ولو كان كذلك لبَطَلَ الثوابُ والعقابُ، وسَقَطَ الوعدُ والوعيد))[١٨٥].

يذكرُ العلماء أن الإمام (عليه السلام) بعد عودته من صفّين سأله رجل شامي : يا أمير هل كان مسيرنا إلى حرب أهل الشام بقضاء اله تعالى وقدره؟ ، يريد السائل من هذا أنه اذا كان مسيرنا بقضاء الله تعالى وقدره لم يكن لنا في تعبنا ثواب ، فلا اختيار لنا فيه ولا ثواب لنا على فعله ؛ لذا جاء قوله (ويحك لعلك...) رفعًا

للوهم الذي يتصوره السائل ، بأن ما يحصل من قضاء الله وقدره ينبغي ألا يدفع إلى الظن بسلب حرية اختيار العبد ؛ لأن ذلك سيؤدي إلى بطلان مبدأ الثواب والعقاب [١٨٦].

فاستعمال الفعل الماضي خبرًا لـ(لعل) إنما جاء لبيان ما استفهم عنه السائل عن حالة حدثت في الماضي ، فهو يريد أن يستوضح من الإمام ما حدث في صفين بعد مدة من عودتهم منها ؛ لذا دل الخبر (ظننت) على حكاية الحال الماضية ، وبهذا يكون النص ناقضًا لما ذهب اليه مبرمان ، ومتفقًا مع مارآه ابو حيان ، على أنَّ ذلك لا يمنع من ورود الفعل الماضي في الدلالة على الاستقبال في خبر (لعل) ، لورود شواهد تؤيد هذا[١٨٧] ، زيادةً على ((ثبوت ذلك في خبر (ليت) وهي بمنزلة (لعل)))[١٨٨].

وبهذا نصل إلى تعديل القاعدة النحوية في ضوء ما تقدم ونقول : يجوز اقتران خبر (لعل) بـ(أن) في السعة والاختيار ، حملا على (عسى) ، كما يجوز أيضا وقوعه فعلا ماضيا خلافا لمبرمان ومن تابعه.

الخاتمة والنتائج

١. تُوصف أمة العرب بأنها أمة شعرية، وقد انعكس اهتمامها في الشعر على جوانب من حياتها وتفكيرها من ذلك الاعتداد به كمصدر رئيس من مصادر الاحتجاج النحوي، مما أسهم بكثرة خروج الشعراء عن بعض الأقيسة النحوية، وسمي هذا الخروج بالضرورات الشعرية، فقد قصر النحويون بعض الأساليب على لغة الشعر وحده من دون النثر استطاع البحث نقض ذلك بإيراد شواهد نثرية من كلام الإمام في نهج البلاغة فضلًا عن القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وكلام العرب النثري لِما عُدّ مقتصرا على الشعر، وكانت المسائل التي عالجها البحث على النحو الآتي:

٢. أظهر البحث جواز توكيد جواب الشرط بنون التوكيد في السعة والاختيار.

٣. تبيَّن في البحث جواز إبقاء ألف (ما) الاستفهامية عند جرها بحرف الجر نظمًا ونثرًا.

٤. قرر النحويون أن خبر (كاد) لا يقترن بـ(أن) لتدافع المعنيين ، فإن ورد فهو مقتصر على لغة الشعر فقط، لكن البحث نقض ذلك وذهب إلى جواز اقتران خبر(كاد) بـ(أنْ) لبيان دلالة تحقق الخبر في المستقبل.

٥. جواز اقتران خبر (لعل) بـ(أن) حملًا على (عسى)،لاشتراكهما في معنى الترجي والإشفاق.

٦. جواز ورود خبر (لعل) فعلًا ماضيًا خلافا لابن مبرمان.

٧. والحمد لله رب العالمين وصلواته وسلامه على نبينا محمد وآله الطاهرين.

هوامش البحث:

١. ينظر : تاريخ النقد الادبي والبلاغة حتى نهاية القرن الرابع الهجري ، د. محمد زغلول سلام ، ٥٩

، والأصول:٧٩ــ٨٠ .

٢. الخصائص:٣/ ١٩١ .

٣. ينظر : كتاب العين: ٧/ ٧ (ضر) ، وتهذيب اللغة:١١/ ٣١٥(ضر) ، ولسان العرب: ٤/ ٤٨٣(ضرر).

٤. القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة، د. محمد مصطفى الزحيلي:١/ ٢٨٨

٥. معجم مصطلحات الفقه الجعفري،د. أحمد فتح الله:٢٦٣ .

٦. معجم النقد العربي القديم، د. أحمد مطلوب:٢/ ١٠٠ ،

٧. الصاحبي :٤٦٨ ، وينظر : المزهر في علوم اللغة وأنواعها: ٢/ ٣٩٩ .

٨. ينظر : شرح جمل الزجاجي:٢/ ٥٤٩، وخزانة الأدب:١/ ٢٣ ، لغة الشعر دراسة في الضرورة الشعرية: ٩٨، والضرورة الشعرية دراسة اسلوبية، إبراهيم محمد:٦١ .

٩. ينظر : الضرورة الشعرية ومفهومها لدى النحويين، ابراهيم بن صالح الحندود:٤٠٤ .

١٠. ينظر : الخصائص:٣/ ١٩١ ، ٣/ ٦٢ــ٦٣ ، وشرح جمل الزجاجي:٢/ ٥٩٤، ولغة الشعر دراسة في الضرورة:١٠٠ــ١٠٣ .

١١. ضرائر الشعر:١٣ ، وينظر : شرح جمل الزجاجي:٢/ ٥٩٤ ، وارتشاف الضرب:٥/ ٢٣٧٧ ، وهمع الهوامع:٣/ ٢٧٣ .

١٢. ينظر : شرح الرضي على الكافية: ١/ ٤٤ ، وخزانة الادب:١/ ٣٣ .

١٣. ينظر : مغني اللبيب:٧٢ ، وخزانة الادب:١/ ٣١ ، وهمع الهوامع:٣/ ٢٧٣، ولغة الشعر دراسة في الضرورة:٩٨.

١٤. ينظر : خزانة الادب:١/ ٣١ .

١٥. ينظر : الضرائر وما يسوغ للشاعر دون الناثر:٦ .

١٦. ينظر : خزانة الادب:١/ ٣١ ،والضرائر وما يسوغ للشاعر دون الناثر:٦.

١٧. ينظر : شرح جمل الزجاجي:٢/ ٥٤٩ ، وارتشاف الضرب:٥/ ٢٣٧٧ ، ولغة الشعر دراسة في الضرورة الشعرية:٩٢ ، والضرورة الشعرية ومفهومها لدى النحوين:٣٩٧ .

١٨. شرح التسهيل:١/ ٢٠٢ ، وينظر : شرح الكافية الشافية:١/ ٣٠٠ ، والضرورة الشعرية ومفهومها لدى النحويين:٣٩٩ .

١٩. ينظر : الضرائر وما يسوغ للشاعر دون الناثر:٦، وسيبويه والضرورة الشعرية، إبراهيم حسن:٣٥، وشواهد الشعر في كتاب سيبويه،د.خالد عبد الكريم جمعة:٤٣٨ .

٢٠. شواهد الشعر في كتاب سيبويه:٤٣٧ .

٢١. الكتاب:١/ ٣٢ ، وينظر : الضرائر وما يسوغ للشاعر دون الناثر:١٨ .

٢٢. الكتاب: ١/ ٢٦ ، وينظر : الأشباه والنظائر:٢/ ٢٠١ـ٢٠٢ .

٢٣. ينظر : المصدر نفسه: ١/ ٢٩ ،٣٢، ٤٨ ، ٩٩ .

٢٤. الضرورة الشعرية ، دراسة أسلوبية:١٢ـ١٣ .

٢٥. الاشباه والنظائر:٢/ ٢٠١ .

٢٦. الضرورة الشعرية ، دراسة اسلوبية:١٥

٢٧. الأصول في النحو: ٣/ ٤٣٥

٢٨. يُنظر : ما يحتمل الشعر من الضرورة، تح: د. عوض بن حمد القوزي:٣٤ــــ٣٥.

٢٩. يُنظر : ضرائر الشعر: ١٦.

٣٠. يُنظر : ارتشاف الضرب:٥/ ٢٣٧٨.

٣١. يُنظر : الكتاب : ٣/ ٥٠٩ ، وشرح المفصل : ٩/ ٣٧ ، والنحو الوافي : ٤/ ١٦٧.

٣٢. يُنظر : الإنصاف في مسائل الخلاف : ٢/ ٦٥٠ ، ومغني اللبيب :٤٤٣.

٣٣. يُنظر : تمهيد القواعد:٢/ ٣٩١٧-٣٩٣٣ ، والتراكيب اللغوية في العربية، د. هادي نهر:١٣٥ـ١٣٨.

٣٤. الكتاب :٣/ ٥١٥ ، ويُنظر : المقاصد الشافية: ٥/ ٥٥٠.

٣٥. يُنظر : الكتاب:٣/ ٥١٥ ، والمقاصد الشافية:٥/ ٥٥٠، وخزانة الادب:١١/ ٣٨٨ ، تمهيد القواعد:٢/ ٣٩٣٤ . والبيت في الحماسة، البحتري، تح:د. محمد إبراهيم حور، وأحمد محمد عبيد:٥٧

٣٦. ينظر :معاني القرآن : ١/ ١٦٢ ، وخزانة الادب:١١/ ٣٨٩..

٣٧. يُنظر : المقتضب :٣/ ١٤.

٣٨. يُنظر : الأصول في النحو :٢/ ٢٠٠.

٣٩. يُنظر : ما يحتمل الشعر من الضرورة :٨١ .

٤٠. يُنظر : التعليقة : ٤/ ١٨ .

٤١. يُنظر : ما يجوز للشاعر في الضرورة:٣٢٦

٤٢. يُنظر : البيان في غريب اعراب القرآن:١/ ٣٨٦ ، والنحويون والقرآن:١٣٣

٤٣. يُنظر : المفصل :٣٣١

٤٤. يُنظر : الإيضاح في شرح المفصل :٢/ ٢٧٥ ، وشرح التصريح :٢/ ٣٠٧

٤٥. يُنظر : الضرائر :٢٠ ، وارتشاف الضرب :١/ ٦٥٦ .

٤٦. الكتاب:١/ ٣٢ ، ويُنظر : الضرائر :١٨ .

٤٧. التعليقة :٤/ ١٨-١٩ .

٤٨. الكتاب:٣/ ٢٧٨ .

٤٩. يُنظر : النحويون والقرآن :١٣٣ .

٥٠. الأصول في النحو:٢/ ١٦١ .

٥١. يُنظر : البحر المحيط : ٣/ ٥٤٤ ، والدر المصون :٥/ ٢٨٥ ، واللباب في علوم الكتاب : ٩/ ٦٥ ، ١٠/ ٢٨٧ ، وإعراب القرآن وبيانه:٢/ ٥٣٥-٥٣٦ .

٥٢. الكتاب:٣/ ٦٥-٦٦ .، وينظر : الأصول في النحو:٢/ ١٦١، والبيان في غريب إعراب القرآن:٢/ ١٦١ ،وشرح الكافية الشافية:٣/ ١٦١٥ ، والنحويون والقرآن:٢٤١.

٥٣. يُنظر : الصفحة   من هذا البحث.

٥٤. يُنظر : شرح الرضي على الكافية:٤/ ٤٥٧ ، وتوضيح المقاصد:٣/ ١٢٩٠ ، وحاشية الخضري : ٢/ ١٢٦.

٥٥. يُنظر : المحرر الوجيز:١/ ٤٦٥، واللباب في علوم الكتاب :٧/ ٤٦١ ، واعراب القرآن وبيانه: ٢/ ٥٣٥- ٥٣٦.

٥٦. الميزان :٦/ ٢٦٥ .

٥٧. يُنظر : إعراب القرآن وبيانه:٢/ ٥٣٦ .

٥٨. يُنظر : مفاتيح الغيب:١٢/ ٦٠ ، وأنوار التنزيل: ٢/ ١٣٨ .

٥٩. شرح (المعتزلي) : ١/ ٣١٢ . ((الغفيرة : الكثرة والزيادة)). لسان العرب:٥/ ٢٧ (غفر).

٦٠. ينظر : شرح (البحراني) :٢/ ٥ ، وفي ظلال نهج البلاغة:١/ ١٦٨ .

٦١. منهاج البراعة(الراوندي) :١/ ١٩٢ .

٦٢. شرح (المعتزلي) : ١٧/ ١١١ ، الوكزة : الطعنة ، ووكزه : طعنه: يُنظر : كتاب العين٥/ ٣٩٤ : (وكز).

٦٣. شرح (المعتزلي): ١٨/ ٣٨٠ .

٦٤. يُنظر : الكتاب:٣/ ٦٥-٦٦ ، والاصول في النحو:٢/ ١٦١، وشرح الرضي على الكافية:٤/ ١١٠.

٦٥. يُنظر : شرح الكافية الشافية :٣/ ١٤٠٣-١٤٠٥ ، وخزانة الادب:١١/ ٣٨٨ .

٦٦. شرح الرضي على الكافية:٤/ ٤٨٥ ، ويُنظر : خزانة الادب:١١/ ٣٨٨ .

٦٧. ينظر :المقاصد الشافية:٥/ ٥٥٠ ، وخزانة الادب:١١/ ٣٨٨ .

٦٨. يُنظر : تمهيد القواعد: ٢/ ٣٩٣٤ .

٦٩. يُنظر :شرح الاشموني:٣/ ١٢٢ .

٧٠. يُنظر : النحويون والقرآن:١٣٣ .

٧١. يُنظر : المصدر نفسه:٣/ ٥٠٩ ، وأساليب التوكيد في القرآن الكريم، عبد الرحمن المطردي:٤٣

٧٢. يُنظر : معاني القرآن للفراء :٢/ ٢٩٢ ، وأمالي ابن الشجري:١/ ٣٣٠ ، وشرح المفصل :٤/ ٩ ، ومغني اللبيب :٣٩٤، والاتقان في علوم القرآن:٢/ ٢٨٨ .

٧٣. يُنظر : الانصاف في مسائل الخلاف :٢/ ٥٧٢ .

٧٤. يُنظر : الانصاف في مسائل الخلاف :٢/ ٥٧٢ ، وشرح الرضي على الكافية :٣/ ٥٠ ، والبرهان في علوم القرآن : ٤/ ٤٠٣ ، وأساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين،د. قيس اسماعيل الأوسي: ٣٨١.

٧٥. يُنظر : الكتاب:٤/ ١٦٤ ، والمقاصد الشافية:٨/ ٩٦-٩٧ .

٧٦. يُنظر : كتاب الأزهية في علم الحروف، الهروي،تح: عبد المعين ملوحي:٨٥، ومغني اللبيب:٣٩٤، والاتقان في علوم القرآن:٢/ ٢٨٨ ، والأساليب الإنشائية في النحو العربي، عبد السلام هارون:١٩٥.

٧٧. يُنظر : همع الهوامع:٣/ ٤٦١ .

٧٨. يُنظر : فقه اللغة وسر العربية، تح: السقا واخرون:٣٤٨ .

٧٩. يُنظر :المحتسب :٢/ ٣٤٧ ، والبحر المحيط:١٠/ ٣٨٣ ، والقرآن الكريم واثره في الدراسات النحوية،د. عبد العال سالم مكرم:٣٢٧

٨٠. يُنظر : كتاب الأزهية:٨٦ .

٨١. يُنظر : الكشاف:٤/ ١١-١٢، ويُنظر : البحر المحيط:٩/ ٥٨ .

٨٢. يُنظر : الكشاف:٢/ ٩٢ .

٨٣. يُنظر : المحتسب: ٢/ ٣٤٧ ، ومغني اللبيب:٣٩٤ ، وهمع الهوامع:٣/ ٤٦١ ، وخزانة الادب:٦/ ٩٩، والبيت في ديوانه :١/ ٢٥٨ ، وهو فيه على خلاف ما يرويه النحويون فروايته فيه: ففيم تقول يشتمني لئيم كخنزير تمرغ في رماد ، وعلى هذا فلا شاهد فيه،

٨٤. يُنظر : ما يجوز للشاعر في الضرورة:٣١٧ .

٨٥. يُنظر : اعراب ما يشكل من الفاظ الحديث النبوي، تح:د. عبد الحميد هنداوي:٦٦ .

٨٦. يُنظر : البحر المحيط:٩/ ٥٨ .

٨٧. يُنظر : مغني اللبيب:٣٩٤ .

٨٨. يُنظر : شرح الأشموني :٤/ ١٦ .

٨٩. يُنظر : شرح التصريح:٣/ ١٤٨٧ .

٩٠. يُنظر : الضرائر وما يسوغ للشاعر دون الناثر:٣٢٧ .

٩١. يُنظر : شذا العرف في فن الصرف، تح: نصر الله عبد الرحمن نصر الله:١٦٠ .

٩٢. يُنظر : الاساليب الانشائية في النحو:١٩٥ .

٩٣. صحيح البخاري :٢/ ١٤٠(١٥٥٧) ، السنن الكبرى ، النسائي ،تح :حسن عبد المنعم شلبي:٤/ ٥١(٣٧١٠) ، وبحار الأنوار:٣٠/ ٦٢٧.

٩٤. صحيح البخاري :٣/ ٥٩ (٢٠٨٣) .

٩٥. معاني القرآن:٢/ ٢٩٢ .

٩٦. يُنظر : الكشاف:٤/ ١١-١٢ .

٩٧. يُنظر : مفاتيح الغيب: ٩/ ٤٠٦_٤٠٧ .

٩٨. شواهد التوضيح :٢١٧ .

٩٩. يُنظر المصدر نفسه :٢١٨ .

١٠٠. يُنظر : شواهد التوضيح :٣١ .

١٠١. يُنظر : إعراب ما يشكل من ألفاظ الحديث :٦٦ .

١٠٢. الأصول في النحو :١/ ٥٧ .

١٠٣. كتاب التعريفات:١٢٤ .

١٠٤. المصدر نفسه والصحيفة نفسها.

١٠٥. يُنظر : الخصائص:١/ ١٢٦ .

١٠٦. يُنظر : شرح شافية ابن الحاجب تح: محمد نور الحسن وآخرينِ:١/ ٢٩٧ .

١٠٧. يُنظر : شرح الرضي على الكافية:٣/ ٥٠ وخزانة الادب:٦/ ٩٩ .

١٠٨. يُنظر : موصل الطلاب الى قواعد الاعراب،تح: عبد الكريم مجاهد :١٤٩ .

١٠٩. إقبال الأعمال :٣/ ٣٣٥ ، وينظر :المصباح ، الكفعمي :٥٥٨ .

١١٠. يُنظر : المقاصد الشافية:٨/ ٩٧ .

١١١. يُنظر : الخصائص:٢/ ٢٠٣

١١٢. ينظر :شرح المفصل :٧/ ١١٩ .

١١٣. يُنظر :الكتاب :٣/ ١٢ ،والمقتضب:٣/ ٧٥، وتوضيح المقاصد:١/ ٥١٥ــــ٥١٧، والنواسخ في كتاب سيبويه ، د. حسام النعيمي:٧٨ .

١١٤. يُنظر : الأصول في النحو : ٢/ ٢٠٧ ، واللباب في علل البناء والإعراب:١/ ١٩٤ وشرح المفصل :٧/ ١١٩،والإيضاح في شرح المفصل:٢/ ٩١،وتوضيح المقاصد:١/ ٥١٥، وشرح ابن عقيل : ١/ ٣٣٠ .

١١٥. ينظر : الكتاب:٣/ ١٦٠، والمقتضب:٣/ ٧٥ ، والبيت في ديوانه :١٧٢ ،وقوله (يمصحا) من : ((مصح الشيء مصوحا: ذهب وانقطع)) الصحاح :١/ ٤٠٥ (مصح).

١١٦. الكتاب : ٢/ ١٢ .

١١٧. يُنظر :المصدر نفسه :٣/ ١٦٠ ، و إعراب القرآن (النحاس): ١/ ٢٣٧.

١١٨. شرح المقدمة المُحسِبة، تح: د. خالد عبد الكريم : ١/ ٣٥٢-٣٥٣ .

١١٩. يُنظر : النحويون والقرآن : ٢٧٤ .

١٢٠. شرح (المعتزلي) : ٦/ ٢٨٠ .

١٢١. يُنظر : لسان العرب :١٥/ ٥٤(عسا) .

١٢٢. ينظر :شرح المفصل :٩/ ١٢٤ ،والتوطئة، أبو علي الشلوبيني، دراسة وتحقيق:د. يوسف أحمد المطوع :٢٩٩ .

١٢٣. الخصائص : ١/ ٣٠٥ .

١٢٤. يُنظر : المقتضب :٣/ ٧٥ .

١٢٥. يُنظر : الأصول في النحو : ٢/ ٢٠٧ .

١٢٦. يُنظر : حروف المعاني والصفات، تح: علي توفيق الحمد : ٦٧ .

١٢٧. يُنظر : الإيضاح العضدي :٧٨ .

١٢٨. يُنظر : كتاب المقتصد :١/ ٣٦١ .

١٢٩. يُنظر : أسرار العربية : ١٢٩ .

١٣٠. يُنظر : التوطئة :٢٩٩ ، والمقرب : ١/ ٩٨ ، وضرائر الشعر:٤٧-٤٨ .

١٣١. الكافي : ٢/ ٣٠٧ ،والدعاء للطبراني، تح:مصطفى عبد القادر عطا :١/ ٣١٩ (١٠٤٨) .

١٣٢. يُنظر : الكتاب المصنف في الاحاديث والآثار لابي شيبة ، تح: كمال يوسف الحوت:٧/ ٤٧٨ ، ٧/ ٥٥٥ ، والسنة : ابن حنبل، تح:د. محمد سعيد سالم القحطاني : ١/ ١٣٣ ، صحيح البخاري

:٢/ ٢٩ (١٠١٥) ، سنن أبي داوود ،تح:محمد محيي الدين عبد الحميد:٤/ ٢٧٢ (٤٨٨٨)، و سنن النسائي :٣/ ٨٤ (١٣٦٦) ،والكافي :٨/ ٢١٧ ، المحلى بالآثار، ابن حزم :٧/ ٤٨٧ .

١٣٣. تهذيب اللغة : ١٠/ ١٧٩ (كود) ، وينظر :لسان العرب: ٣/ ٣٨٢ (كود) ، وتاج العروس:٩/ ١٢١ (كود).

١٣٤. شرح (المعتزلي) : ٢٠ / ٢٣٣ .

١٣٥. توضيح نهج البلاغة :٤/ ٤٨٣ .

١٣٦. شرح (المعتزلي) :١١/ ٢٤٥ ، الميسم : المكواة أو الحديدة التي يوسم بها، والجمع مواسم ومياسم. ينظر: لسان العرب:١٢/ ٦٣٦(وسم).

١٣٧. توضيح نهج البلاغة : ٢/ ٣٨٢ .

١٣٨. دلائل الإعجاز، الجرجاني، قرأه وعلق عليه:أبو فهر محمود محمد شاكر : ٢٧٥ ، ويُنظر : الزمن النحوي في اللغة العربية، د. كامل رشيد :١٨٥ .

١٣٩. دلائل الإعجاز :٢٧٥ .

١٤٠. يُنظر شرح المفصل : ٧/ ١١٩ ، و المقرب :١/ ٩٩ ، وشرح التصريح:١/ ٢٨٤ـــ٢٨٥.

١٤١. يُنظر : الكتاب : ٣/ ١١ ،وشرح كتاب سيبويه(السيرافي) :٣/ ٢٠٢ ، والمقرب :١/ ٩٩ ، والزمن النحوي :١٨٥

١٤٢. يُنظر : خزانة الادب :٩/ ٣٤٩ وهو راي علي بن حمزة البصري .

١٤٣. يُنظر : شرح المفصل:٧/ ١٢١ .

١٤٤. شواهد التوضيح :١٥٩ .

١٤٥. يُنظر : شرح (المعتزلي): ٨/ ٢٨٧ ، ٩/ ٢٦٩، ١٩/ ٢٥٧ .

١٤٦. يُنظر : شرح الرضي على الكافية :٤/ ٢٢٠ ، والمساعد :١/ ٢٩٥ ، وشرح الأشموني:١/ ٢٧٦ـــ٢٧٨، وشرح التصريح:١/ ٢٨٤،وهمع الهوامع :١/ ٤٧٤ـــ٤٧٦

١٤٧. يُنظر : الحديث النبوي في النحو العربي ،دراسة مستفيضة لظاهرة الاستشهاد بالحديث في النحو العربي، ودراسة نحوية للاحاديث الواردة في أكثر شروح ألفية ابن مالك : ١٨٩ .

١٤٨. مجيء خبر (لعل) فعلا ماضيا ليس ضرورة ، لكننا ذكرنا هنا لاتفاق الموضع وهو الخبر.

١٤٩. يُنظر : كتاب العين :١/ ٨٩ ، والكتاب:٣/ ٣٣٢ ، واللامات : ١٣٥ ، والإنصاف في مسائل الخلاف :١/ ٢١٨ ، والجنى الداني:٥٧٩ .

١٥٠. يُنظر : الإنصاف في مسائل الخلاف: ١/ ٢١٨/ ٢١٩، و شرح المفصل: ٨/ ٨٨، والجنى

الـداني:٥٧٩ .

١٥١. يُنظر : الجنى الداني:٥٧٩ .

١٥٢. يُنظر : مغني اللبيب :٣٧٩ ، وتمهيد القواعد:٣/ ١٢٩١-١٢٩٤ .

١٥٣. يُنظر : همع الهوامع :١/ ٤٨٨ .

١٥٤. يُنظر : شرح ابن عقيل :١/ ٣٠٨ ، وارتشاف الضرب : ١٢٤٠ ،و تمهيد القواعد:٣/ ١٢٩٣ .

١٥٥. الكتاب : ٣/ ١٦٠ .

١٥٦. يُنظر : المقتضب : ٣/ ٧٤ .

١٥٧. الأصول في النحو : ٢/ ٢٠٧ .

١٥٨. يُنظر : شرح المفصل :٨/ ٨٦ ، وخزانة الادب :٥/ ٣٤٥ .

١٥٩. يُنظر : اللمحة في شرح الملحة، تح :إبراهيم بن سالم الصاعدي : ٢/ ٥٣٩ .

١٦٠. يُنظـر : الكتـاب:٢/ ٣٧٥ ، وشرح الكافيـة الشـافية:١/ ٧٧ ، ومغنـي اللبيـب:٣ ٢٠٣ ، والنحـو الـوافي:١/ ٢٤٢ .

١٦١. ينظر: ظاهرة التقارض في النحو العربي، أحمد محمد عبد الله : ٢٣٤ .

١٦٢. صحيـح البخـاري:٢/ ٨١ (١٢٩٥) ، وسـنن ابي داوود:٣/ ١١٢(٢٨٦٤) ، وكنـز العـمال :٦/ ٦(١٤٥٩٢) .

١٦٣. صحيح البخاري: ٩/ ٢٥ (٦٩٦٧) ، وسنن أبي داوود: ٣/ ٣٠١ (٣٥٨٣).

١٦٤. يُنظر : الوافي، الفيض الكاشاني :٢١/ ٣٣ ، ٦/ ٢٩ .

١٦٥. يُنظر : دراسات لأسلوب القرآن :١/ ٢/ ٦٠٤-٦٠٥ .

١٦٦. شرح (المعتـزلي) : ٨/ ١٠٣ ، والاكظـام جمـع كظـم وهـو مخـرج النفـس مـن الحلـق يقـال :اخـذت بكظمـه أي بمخـرج نفَسـه، يُنظـر : الصحاح:٥/ ٢٠٢٢ــــ٢٠٢٣ (كظـم) .

١٦٧. يُنظر : شرح (الموسوي) :٢/ ٣٥١ ، وتوضيح نهج البلاغة :٢/ ٢٦٣ .

١٦٨. يُنظر : الجنى الداني:٥٨٠ ، ومغني اللبيب :٣٧٩ .

١٦٩. شرح (المعتزلي) :١٤/ ١٠٣ .

١٧٠. يُنظر : شرح الرضي على الكافية :٤/ ٤٤٦ ، وحاشية الصبان ٣/ ٣٣٢ .

١٧١. مغني اللبيب :٣٧٩ ، وينظر: خزانة الادب :٥/ ٣٤٥ .

١٧٢. يُنظـر : شرح التصريـح : ١/ ٢٩٧ ، وشرح الاشـموني : ١/ ٢٩٠ ، و همـع الهوامـع :١/ ٤٩٢ ، وتمهيـد القواعـد :٣/ ١٣٨٣ ، والنحـو الـوافي :١/ ٦٢٢ .

١٧٣. الخصائص:١/ ١٢٧ .

١٧٤. يُنظر : الكتاب :٣/ ١٦٠ ، وكتاب اسفار الفصيح، الهروي، دراسة وتحقيق:د. أحمد بن سعيد بن محمد قشاش :١/ ٣٢٧ .

١٧٥. يُنظر : مغني اللبيب : ٤٣ .

١٧٦. يُنظر : التذييل والتكميل :٥/ ١٥٧ .

١٧٧. يُنظر : مغني اللبيب :٢٠١–٢٠٢ .

١٧٨. يُنظر : الجملة العربية تأليفها واقسامها :١٢٢ .

١٧٩. يُنظر : الخصائص : ١/ ٢٨١.

١٨٠. يُنظر : التذييل والتكميل : ٥/ ٢٣ ، وهمع الهوامع : ١/ ٤٩٢ ، ودراسات لأسلوب القرآن:١/ ٢/ ٦٠٠ .

١٨١. يُنظر : البرهان في علوم القرآن :٤/ ٣٩٥ .

١٨٢. درة الغواص في أوهام الخواص،تح: عرفات مطرجي : ٣٦ ، وينظر: مغني اللبيب :٢٨٠ .

١٨٣. يُنظر : التذييل والتكميل:٥/ ٢٣ .

١٨٤. يُنظر : مغني اللبيب : ٣٧٧

١٨٥. شرح (المعتزلي) :١٨/ ٢٢٧ .

١٨٦. يُنظر : شرح (البحراني) :٥/ ٢٧٩ ، وتوضيح نهج البلاغة:٤/ ٢٩٢ .

١٨٧. يُنظر : مغني اللبيب :٣٧٧ .

١٨٨. المصدر نفسه:٣٧٧ ، ويُنظر : البرهان في علوم القرآن :٤/ ٣٩٥ ، ودراسات لأسلوب القرآن:١/ ٢/ ٦٠٠ .

المصادر والمراجع

۞ القرآن الكريم .

١. ارتشاف الضرب من لسان العرب ، أبو حيان الأندلسي (ت:٧٤٥هـ) ، تحقيق وشرح ودراسة : د. رجب عثمان محمد ، مراجعة : د. رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي ـ القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٨م

٢. أساليب الإنشاء في كلام السيدة الزهراء (عليها السلام) دراسة نحوية بلاغية، عامر سعيد نجم ، العتبة العلويَّة المقدسة ــ النجف الأشرف ،٢٠١١م .

٣. الأساليب الإنشائية في النحو العربي ، عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي ـ القاهرة ، ط٥ ، ٢٠٠١م .

٤. أساليب التوكيد في القرآن الكريم ، عبد الرحمن المطردي ، الدار الجماهرية ـ ليبيا ،ط١ ،١٩٨٦م .

٥. أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين ، د. قيس إسماعيل الأوسي ، بيت الحكمة ـ بغداد ، ١٩٨٨م

٦. الاستقراء الناقص وأثره في النحو العربي،د. محمد بن عبد العزيز العميريني، دار المعرفة الجامعية ـ الأزاريطة ـ مصر ،٢٠٠٧م.

٧. الأشباه والنظائر في النحو ، السيوطي ، تح : د.عبد العال سالم مكرم ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ، ط١ ، ١٩٨٥م

٨. الأصول في النحو ،ابن السَّرَّاج (ت:٣١٦هـ) ، تح :د. عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ، ط٣ ، ١٩٩٦م.

٩. الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، أبو البركات

الأنباري ، تح : محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة ـ القاهرة ، ط٤ ، ١٩٦١م.

١٠. الإيضاح في شرح المفصل، ابن الحاجب، تح: د. إبراهيم محمد عبد الله، دار سعد الدين ـ دمشق ،ط٢ ، ٢٠١٣م .

١١. بناء الجملة العربية، د. محمد حماسة عبد اللطيف، دار غريب ــ القاهرة ، ٢٠٠٣م.

١٢. بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة ، محمد تقي التستري (ت١٤١٥هـ) ، دار أمير ـ طهران ، ط١ ، ١٤١٨هـ

١٣. البيان في غريب إعراب القرآن، ابو البركات الأنباري،تح:د. طه عبد الحميد طه، مراجعة:مصطفى السقا، الهيأة المصرية العامة للكتاب ،١٩٨٠م.

١٤. تاريخ النقد الأدبي والبلاغة حتى نهاية القرن الرابع الهجري، د. محمد زغلول سلام ،المعارف ـ الإسكندرية (د.ت).

١٥. التراكيب اللغوية في العربية دراسة وصفية تطبيقية ، د. هادي نهر ، الجامعة المستنصرية ـ كلية الآداب، ١٩٨٧م

١٦. تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد، الدماميني(ت:٨٢٧هـ) ، تح: د. محمد بن عبد الرحمن بن محمد المفدى ، ط١، ١٩٨٣م .

١٧. التعليقة على كتاب سيبويه ،أبو علي الفارسيّ، تح: د. عوض بن حمد القوزي ،ط١ ، ١٩٩٠م

١٨. توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك،المرادي (ت:٧٤٩هـ)،شرح وتحقيق : عبد الرحمن علي سليمان ، دار الفكر العربي ـ بيروت،ط١ ، ٢٠٠٨م

١٩. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، عبد القادر البغدادي (ت:١٠٩٣هـ)

، شرح وتحقيق : عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ـ القاهرة ، ط٤ ، ١٩٩٧م

٢٠. الخصائص ، ابن جِنّي (ت: ٣٩٢هـ)، تح: محمد علي النجّار ، المكتبة العلمية ـ مصر ،(د.ت).

٢١. ديوان أبي دواد الإيادي، حققه وجمعه : أنوار أحمد الصالحي ، ود. أحمد هاشم السامرائي، دار العصماء ـ دمشق ، ط١ ، ٢٠١٠م .

٢٢. ديوان الأخطل، شرحه وصنَّف قوافيه وقدم له: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، ط٢ ،١٩٩٤م .

٢٣. ديوان الأعشى الكبير، ميمون بن قيس ، تح :د. محمد حسين (د.ت).

٢٤. ديوان امرئ القيس،تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف ـ القاهرة، ط٥،(د.ت).

٢٥. ديوان جرير بشرح محمد بن الحبيب، تح: د. نعمان محمد أمين طه، دار المعارف ـ القاهرة، ط٣ ، (د.ت) .

٢٦. ديوان حسان بن ثابت، حققه وعلّق عليه: د. وليد عرفات، دار صادر ـ بيروت

٢٧. سيبويه والضرورة الشعرية، د. إبراهيم حسن إبراهيم ، ط١ ، ١٩٨٣م .

٢٨. شرح التسهيل ، ابن مالك (ت:٦٧٢هـ) ، تح : د. عبد الرحمن السيد ، ود. محمد بدوي المختون ، دار هجر ـ القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٠م

٢٩. شرح التسهيل المسمى (تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد)،ناظر الجيش (ت: ٧٧٨ هـ) ،دراسة وتحقيق: د. علي محمد فاخر وآخرين ، دار السلام ـ القاهرة ،ط١ ، ١٤٢٨ هـ

٣٠. شرح التسهيل (القسم النحوي)، المرادي، تحقيق ودراسة: محمد عبد النبي أحمد، مكتبة الإيمان ـ المنصورة ،ط١، ٢٠٠٦م .

٣١. شرح الدماميني على مغني اللبيب ، الدماميني ، صححه وعلق عليه: أحمد عزو عناية، مؤسسة التاريخ العربي - بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٧م .

٣٢. شرح الرضي على الكافية ، الرضي الأستراباذي (ت٦٨٦هـ) ، تصحيح وتعليق : يوسف حسن عمر ، منشورات جامعة بنغازي ، ط٢ ، ١٩٩٦م .

٣٣. شرح المفصَّل ، ابن يعيش (ت:٦٤٣هـ)، إدارة الطباعة المنيرية - مصر، (د.ت).

٣٤. شرح جمل الزجاجي (الشرح الكبير) ، ابن عصفور (ت:٦٦٩هـ) ، تح:د. صاحب أبو جناح، وزارة الأوقاف العراقية ، ١٩٨٠ م .

٣٥. شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد (ت:٦٥٦هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل - بيروت، ط١، ١٩٨٧م.

٣٦. شرح نهج البلاغة ، السيد عباس الموسوي ، دار الرسول الأكرم ، دار المحجة البيضاء - بيروت ، ط١ ، ١٤١٨هـ .

٣٧. شرح نهج البلاغة ، ميثم البحراني(ت٦٨٩هـ)، ط٢ ، ١٤٠٤ هـ .

٣٨. شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الأنوار للمجلسي ،علي أنصاريان ، مؤسسة النشر الإسلامي - طهران ، ط١ ، ١٤٠٨هـ .

٣٩. شواهد الشعر في كتاب سيبويه، د.خالد عبد الكريم جمعة، مطبعة الدار الشرقية - مصر،ط٢، ١٩٨٩م .

٤٠. الصاحبي في فقه اللغة العربية وسنن العرب في كلامها ، ابن فارس (ت:٣٩٥هـ) ، شرح وتحقيق : السيد أحمد صقر ، السعودية - مكة المكرمة، (د.ت).

٤١. ضرار الشعر ، ابن عصفور، تح: السيد إبراهيم محمد، دار الأندلس ـ بيروت،ط١، ١٩٨٠م.

٤٢. الضرائر وما يسوغ للشاعر دون الناثر ، محمود شكري الآلوسي، شرحه: محمد بهجة الأثري، المكتبة العربية ـ بغداد ، (د.ت) .

٤٣. الضرورة الشعرية دراسة أسلوبية، السيد إبراهيم محمد ، دار الأندلس ــ بيروت ، ط٣ ، ١٩٨٣م .

٤٤. الضرورة الشعرية ومفهومها لدى النحويين دراسة على ألفية بن مالك، إبراهيم بن صالح الحندود ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، السنة الثالثة والثلاثون، العدد الحادي عشر بعد المائة، ٢٠٠١م .

٤٥. القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية، د. عبد العال سالم مكرم، مؤسسة علي جراح الصباح ـ الكويت ، ط٢ ، ١٩٧٨م .

٤٦. القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة ، د. محمد مصطفى الزحيلي، دار الفكر ـ دمشق ،ط١ ، ٢٠٠٦ م .

٤٧. الكتاب ، كتاب سيبويه ، سيبويه (ت:١٨٠هـ) تح : عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ــ القاهرة ، ط٣ ، ١٩٨٨م .

٤٨. كتاب العين ، الخليل الفراهيدي (ت:١٧٥هـ) ، تح :د. مهدي المخزومي ، ود. إبراهيم السامرائي ، وزارة الثقافة والإعلام ــ دار الرشيد ــ بغداد، ١٩٨٠م.

٤٩. كشف المشكل في النحو، الحيدرة اليمني (ت:٥٩٢هـ) ،تح: د. هادي عطية مطر ، مطبعة الإرشاد ـ بغداد ،١٩٨٤م .

٥٠. الكشف والبيان عن تفسير القرآن ، الثعلبي (ت:٤٢٧هـ) ، تح : الإمام أبي محمد بن عاشور ، مراجعة وتدقيق : الأستاذ نصير الساعدي ، دار إحياء

التراث العربي ــ بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٢م .

٥١. اللامات، الزجاجي، تح: مازن المبارك، دار الفكر ـ دمشق ط٢ ، ١٩٨٥م .

٥٢. اللباب في علل البناء والإعراب ، العكبري ، تح: د. عبد الإله النبهان ،دار الفكر ـ دمشق ،ط١ ، ١٩٩٥م

٥٣. لغة الشعر دراسة في الضرورة الشعرية، د. محمد حماسة عبد اللطيف، دار الشروق ــ القاهرة، ط١ ، ١٩٩٦م.

٥٤. ما يحتمل الشعر من الضرورة ، السيرافي ،تحقيق وتعليق: د. عوض بن حمد القوزي، جامعة الملك سعود ـ الرياض ،ط٢، ١٩٩١م

٥٥. المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، السيوطي ،تح: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية ـ بيروت،ط١ ، ١٩٩٨م

٥٦. معاني القرآن وإعرابه، الزجّاج (ت:٣١١هـ)، شرح وتحقيق:د. عبد الجليل شلبي، عالم الكتب ـ بيروت،ط١ ، ١٩٨٨م.

٥٧. معاني القرآن، الأخفش الأوسط (ت: ٢١٥هـ)،تحقيق: الدكتورة هدى محمود قراعة ، مكتبة الخانجي ـ القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٠ م .

٥٨. معاني القرآن، الفرّاء (ت:٢٠٧هـ) ، تح : أحمد يوسف النجاتي ، ومحمد علي النجار ، وعبد الفتاح إسماعيل ، دار المصرية ــ القاهرة (د.ت).

٥٩. معاني النحو ، د. فاضل السامرائي ، دار الفكر ــ عمّان ، ط٢ ، ٢٠٠٣م.

٦٠. معجم ألفاظ الفقه الجعفري، د. أحمد فتح الله،مطابع المدوخل ـ الدمام، ط١، ١٩٩٥م.

٦١. معجم النقد العربي القديم ،د. أحمد مطلوب ، دار الشؤون الثقافية ـ بغداد

١٩٨٩م .

٦٢. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ابن هشام ، تح : د.مازن المبارك ، ومحمد علي حمد الله ، دار الفكر ـ دمشق ، ط٦ ، ١٩٨٥م .

٦٣. المقتضب ، المبرّد ،تح : محمد عبد الخالق عضيمة ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٩٤م

٦٤. النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة ، عباس حسن (ت١٩٧٨م) ، دار المعارف ــ القاهرة ، ط٣ (د.ت)

٦٥. النحويون والقرآن ، د. خليل بنيان الحسون، مكتبة الرسالة الحديثة ـ الأردن،ط١ ، ٢٠٠٢م.

٦٦. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، السيوطي، تح: عبد الحميد هنداوي،المكتبة التوفيقية ـ مصر، (د.ت).

العدول في الظواهر التركيبية في خطاب نهج البلاغة

م. د. أحلام عبد المحسن صكر
جامعة ذي قار كلية التربية للعلوم الإنسانية

المقدمة :

يعد العدول هو كسراً لشبكة العلاقات التي يقيمها الاستعمال العادي بين الكلمات ووضعها ضمن شبكة علاقات جديدة خاصة بالخطاب الأدبي [1] ، إذ إن مستوى الخطاب المألوف يتميز بشفافية عالية تسمح للمتلقي باختراقها إلى مردودها الخارجي مباشرة لأنه جاهز بصفة دائمة ، وحاضر في المخزون الذهني ، أما لغة الخطاب الأدبي فأنها تتميز بكثافة شديدة ، لا تسمح للمتلقي بهذا الاختراق السريع ، وإنما تتطلب منه أن يتوقف إزاءها لينشغل بعناصرها البسيطة أو المركبة المجاوزة أو غير المجاوزة التي تربط في مرجعيتها الدلالية بعدّة احتمالات علقت بها من طول الاستعمال أحياناً ومن طبيعة السياق أحياناً أخرى وهي خصيصة شعرية في الصياغة الأدبية[2].

والعدول إجراء تفرضه طبيعة الموقف ومقاصد الخطاب ، وله وظيفة رئيسة (ماثلة فيما تحدثه من مفاجأة تؤدي بالمتلقي إلى الغبطة والإمتاع والإحساس بالأشياء إحساساً متجدداً)[3].

وذلك ان المتلقي الذي وصل إلى مرحلة التشبع جراء ما هو مكرر وتقليدي لا ينتبه على الكلمات والصياغة وما ترمز إليه إلا إذا وضعت على نحو مدهش ومبتكر[4].

ومن مظاهره في خطاب النهج:

١ـ التقديم والتأخير

وهو باب تتبارى فيه الأساليب ، فأنهم أتوا به دلالة على تمكنهم من الكلام وانقياده لهم ، وله في القلوب أحسن موقع وأعذب مذاق[5] .

والجملة العربية لا تنماز بحتمية في ترتيب عناصرها ألا في بعض الرتب التي يمثل العدول عنها خروجاً عن اللغة النفعية إلى اللغة الإبداعية[٦].

ولعل ظاهرة التقديم والتأخير من أبرز الظواهر اللغوية التي منحت قواعد اللغة هذه الطاقة الحركية، فهو (باب كثير الفوائد، جمّ المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية لا يزال يفتر لك عن بديعة ويفضي لك إلى لطيفة ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعه ويلطف لديك موقعه ثم تنظر فتجد سبب إن راقك ولطف عندك إن قدّم في شيء وحوّل اللفظ عن مكان إلى مكان)[٧]، ومنحت هذه الظاهرة المتكلم حرية صياغة الجملة وتشكيل عناصرها التشكيل الذي يجعل الجملة أدق إعراباً عن نفسه وأكثر استجابة لتصوير ما هو موضع اهتمامه من عناصر التركيب[٨].

وتكسب هذه الظاهرة الكلام جمالاً وتأثيراً لأنه سبيل إلى نقل المعاني في ألفاظها إلى المخاطبين كما هي مرتبة في ذهن المتكلم فيكون الأسلوب صورة صادقة لإحساسه ومشاعره[٩].

وهو تقنية لسانية، وظاهرة أدائية تعتري الخط الأفقي للتراكيب يتمثل في تحريك العناصر المؤسسة لكيانات التركيب، أي احد طرفي الإسناد وما يتصل بهما من متعلقات وأركان تكميلية من أماكنها الأصلية إلى أماكن جديدة، أثر العمل بمبدأ تحاور المواقع والمراتب وتبادلها لتخرج بذلك اللغة من الطابع النفعي المجرد من الإيحاء إلى طابع فني ولغة إبداعية نابضة ذات قدرة على إفراز المعنى العميق والدلالة البعيدة[١٠].

ويأتي ترتيب الكلمات في الكلام ترجمة لترتيب ما في النفس من معان وينظر إلى مواقع الكلمات وجريانها طبق خواطر النفس وألوان الحس، ويمثل بذلك

العنصر المتقدم بؤرة

التركيز والمحطة التي تستقطب العناية والاهتمام[١١].

ويتضمن أسلوب التقديم والتأخير أبعاداً نفسية ونكتاً ولطائف بلاغية كثيرة[١٢]، وقد أشار إلى جملتها عدد من النحويين والبلاغيين[١٣].

وإذ يعمد خطاب النهج إلى هذا الفن القولي فإنما يستهدف التركيز على جملة من المعاني الإضافية ومن بينها المعاني النفسية.

ـ تقديم المسند إليه:

إن مرتبة المسند إليه التقديم لان مدلوله هو الذي يخطر في الذهن أولاً لأنه المحكوم عليه، والمحكوم عليه سابق للحكم[١٤]، فالمسند وصف والمسند إليه موصوف، والعادة أن يتقدم الموصوف ثم تتلوه صفته[١٥].

ففي قوله (عليه السلام): (**فَمَا أعظَمَ منَّةَ اللهِ عندنَا حين أنعمَ علينا بِهِ**)[١٦]، يوحي تقديم المبتدأ (ما) على الخبر (أعظم منة الله) بدلالة التعظيم والمدح لشخص النبي (**صلى الله عليه وآله وسلم**).

وجاء تقديم المسند إليه واجباً لأن المبتدأ إذا كان اسماً مستحقاً للصدارة في جملته أما بنفسه مباشرة كأسماء الاستفهام وأسماء الشرط وما التعجبية وكم الخبرية وأما بغيره كالمضاف إلى واحد مما سبق وجب تأخر الخبر[١٧].

كما في قوله (عليه السلام): (**وما للطُّلقاءِ وأبناءِ الطُّلقاءِ والتمييزَ بين المهاجِرينَ الأولينَ**)[١٨]، يصور تقديم المبتدأ (ما) على الخبر شبه الجملة (للطلقاء) دلالة التوبيخ والذم للمخاطب فضلاً عن استفهامه بـ (ما) التي هي لغير العاقل ليؤكد فكرة الخطاب ومعناه.

كما يتقدم المسند إليه وجوباً الواقع بعد (أما) لأن الفاء لا تقع بعدها مباشرة ، ولان الخبر الذي تدخل عليه لا يتقدم على المبتدأ[١٩] ، نحو قوله (عليه السلام) : (**فأنا لله وأنا إليه راجعونَ، فلقَد استُرجعتِ الوديعةُ ، وأخذتِ الرهينةُ ، أمَّا حُزنِي فسرمدُ وأمَّا ليلِي فمسَّهدٌ**) [٢٠] ، إذ يشير الخطاب إلى مدى الحزن والألم في نفسه (عليه السلام) لمصابه في فقده الزهراء (عليها السلام) ، وقد جاء المبتدأ (حزني ، وليلي) متقدماً وجوباً على الخبر (سرمد ، ومسهد) الذي يصور حزنه الأبدي وسهره الليالي لفراقها (عليها السلام) .

وقد يؤتى بالمسند إليه مقدماً لأغراض[٢١] ، منها لتعجيل المساءة[٢٢] ، كما في قوله (عليه السلام) :(**فالويلُ لمنْ أنكرَ المقدرَ ، وجحدَ المدبرَ**)[٢٣] ،يتجلى من تقديم المسند إليه (الويل) دلالة الوعيد والتهديد ، فضلاً عن ما في تقديمه من إثارة للرعب والخوف في نفس المخاطب ، والويل كلمة تقال لكل من وقع في عذاب أو هلكة[٢٤]. كما يتقدم المسند إليه على المسند الفعلي لإفادة معنى تخصيص المسند إليه بالخبر الفعلي[٢٥] ، نحو قوله (عليه السلام) : (**إنَّما أجتمعَ رأيُ ملئكُمْ على اختيارِ رجلينِ أخذْنَا عليهِمَا ألاَّ يتعدَّيَا القرآنَ فتاهَا عنهُ وتركَا الحقَّ وهما يبصرَانِهِ**)[٢٦].

يشير تقديم المسند إليه (هما) على الخبر الفعلي (يبصرَانِهِ) إلى دلالة توكيد تحايل ومكر المخاطبين لتركهم طريق الحق مع معرفتهم به ، فقصر الفعل على الفاعل من دون أن يكون له شريك إذ أفاد تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي معنى التخصيص[٢٧]، اي(هو ان يكون الفعل فعلاً قد أردت أن تنص فيه على واحد فتجعله له وتزعم انه فاعله دون آخر أو

دون كل أحد)[٢٨] . ويشير تخصص المسند إليه بالخبر الفعلي إلى دلالة التقريع والتأديب في قوله (عليه السلام): (**كيفَ تُسيغُ شَراباً وطعَاماً وأنتَ تعلمُ أنَّكَ تأكُلُ حرَاماً وتشربُ حرَاماً**)[٢٩] .

إذ تقدم المسند إليه (أنت) على الخبر الفعلي (تعلم) لأن المعنى إرادة تقريره بأنه الفاعل ، وكان أمر الفعل في وجوده ظاهراً وبحيث لا يحتاج إلى الإقرار بأنه كائن ، أي تنحو بالإنكار إلى نفس المذكور – الفاعل – ، وأبيت أن تكون بموضع أن يجيء منه الفعل وممن يجيء منه وان يكون بتلك المثابة[٣٠] .

ويتناسب تقديم المسند إليه مع مقام الوعيد والتحذير في قوله (عليه السلام) : (**فإنْ أنتُم لم تستقيُموا لي على ذلك لم يكُنْ أحدٌ أهونَ عليَّ ممن أعوجَّ منكُمْ**)[٣١] .

فقدم المسند إليه (أنتم) على الخبر الفعلي المنفي (لم تستقيموا) لتقوية الحكم وتقريره[٣٢]

كما يتقدم المسند إليه لإفادة التعميم بالنص على عموم السلب ، أي شمول النفي لكل فرد من أفراد المسند إليه ، وبيان ذلك إن الوسيلة الغالبة في تحقيق عموم السلب هي تقديم أداة من أدوات العموم على أداة نفي إذ لا تقع الأولى في حيز الثانية وحينئذ تكون أداة العموم المسند إليه المقدم لإفادة التعميم بالنص على عموم السلب[٣٣] ، كما في قوله (عليه السلام): (**وما كلُّ ذي قلبٍ بلبيبٍ ولا كلُّ ذي سمعٍ بسميعٍ ولا كل ذي ناظرٍ ببصيرٍ**)[٣٤] .

يصور تقدم المسند إليه (كل) على الخبر شبه الجملة دلالة التحذير والوعظ للسامعين.

وقد يمثل العنصر المتقدم بؤرة التركيز التي تستقطب العناية والاهتمام،نحو قوله (عليه السلام):

(**إنَّ حزنَنَا عليهِ على قدرِ سرورِهِم بهِ إلاَّ أنَّهُم نقصُوا بغيضاً ونقصنَا حبيباً**) [٣٥]، فالخطاب رسم صورتين الأولى : الحزن عليه وعبر عنها بالمسند إليه (حزننا عليه)

، والأخرى السرور لأعدائه وعبر عنها بالمسند (على قدر سرورهم به) ، والحزن والسرور نقيضان وهما من الحالات التي تصيب الإنسان وتعبر عما في داخله ، ولأهمية المخاطب جاء الخطاب مؤكداً بـ (أن) للدلالة على مبلغ ذلك الحزن لفقده ، لان المنشيء إذ (يغير العناصر التي يشتمل عليها سياق الجملة ، فانه يغير في الوقت نفسه القوة الترابطية بين الكلمات)(٣٦) .

ـ تقديم المسند :

المسند هو المخبر به أو المحكوم به(٣٧) ، ويتقدم المسند على المسند إليه في السياق الاسمي وجوباً (٣٨) ، إذ كان الخبر له الصدارة في الكلام ، فلا يصح تأخيره(٣٩) ، نحو قوله (عليه السلام): **(عجباً لأبن النابغةِ يزعمُ لأهلِ الشامِ أنَّ فيَّ دعابةً وانّي أمرؤٌ تلعابةٌ... فإذا كان عند الحربِ فأيُّ زاجرٍ وآمرٍ هو ؟ ما لم تأخُذ السيوفُ مآخذَها)**(٤٠) .

يتجلى من التقديم الواجب للمسند (أي) على المسند إليه (هو) دلالة التعجب والإنكار من المخاطب ، فضلاً عن السخرية منه لذله وجبنه عند الحرب وعدم المواجهة .

ويقدم المسند على المـــسند إليه للتعظيم وكثرة الاهتمام فضلاً عن الاختصاص والحصر (٤١) ، كما في قوله (عليه السلام) : **(من كفاراتِ الذنوبِ العظامِ ، إغاثةُ الملهوفِ والتنفيسُ عن المكروبِ)** (٤٢) .

يشير تقديم المسند شبه الجملة (من كفارات) على المسند إليه (إغاثة الملهوف ، والتنفيس عن المكروب) إلى دلالة الاطمئنان للمتلقي لوجود كفارة لذنوبه ، واللهفة والكرب من الحالات التي تصيب نفسية الإنسان لأمر ما مما يدخل الهم والكرب إليه .

وقد يحفز تقديم المسند المتلقي ويمده بالقدرة على استكناه ما وراء التراكيب من ظلال وقيم دلالية ، وحتى تأخذ بذلك العبارة موقعها المناسب في نفسه نحو قوله (عليه السلام): **(فاتَّقِ اللهَ يا بنَ حنيفٍ ولتكففْ أقراصُكَ، ليكونَ من النارِ خلاصُكَ)**[٤٣].

تكمن القيمة التعبيرية في تقديم المسند خبر كان (من النار)على المسند إليه اسمها (خلاصك) في التعبير عن دلالة التخويف والتحذير ، وقد حقق التقديم والتأخير فائدتين احداهما صوتية والأخرى نفسية ، إذ نرى تقديم (من النار) على (خلاصك) حافظ على التوازن الصوتي العام وعلى الانسجام الموسيقي الخاص برعاية الفاصلة ، والى جوار هذه الفائدة الصوتية ثمة فائدة نفسية دلالية هدفها الإشارة إلى حالة الخوف من ذكر النار ولا يكاد قلب يخلو من هذا الهاجس .

وقد يفيد تقديم المسند التشويق إلى ذكر المسند إليه[٤٤] ، كما في قوله (عليه السلام): **(إنَّ من أحبِّ عبادِ الله إليهِ عبداً أعانهُ اللهُ على نفسِه فاستشعْرَ الحُزنَ وتجلببَ الخوفَ)**[٤٥].

يصور تقديم المسند خبر إن (من أحب) على المسند إليه اسمها (عبداً) دلالة النصح والوعظ ، وقد أفاد التقديم في إثراء المعنى المطلوب وإحداث الغموض الفني المقصود في ذهن المتلقي في أول سماعه الخطاب .

وقد يقترن تقديم المسند الفعلي بعنصر المفاجأة ، لان كل تقديم وتأخير في العبارة الواحدة يولّد معنى[٤٦] ، ومن ذلك قوله (عليه السلام) : **(فقد بلغنِي عنكَ قولٌ هو لكَ وعليكَ فإذا قَدِمَ عليك رسُولي فارفعْ ذَيلكَ واشدُدْ مئزرَكَ واخرجْ من جحرِكَ واندبْ من معَكَ)**[٤٧] .

إذ يصور تقديم الفعل (بلغني) على المسند إليه الفاعل (قول) دلالة الغضب من المخاطب ، وقدم المسند مراعاة لعلم المخاطب بالمسند إليه وجهله بالمسند ، لان المخاطب كان يثبط القوم من الخروج مع الامام (عليه السلام) . ويتقدم المفعول به

على الفعل لإفادة دلالة الاهتمام والتخصيص أو الحصر[٤٨] ، إذ الأصل في الفعل أن يتقدم على معموله ولا يتعداه إلى غيره[٤٩] ، ففي قوله (عليه السلام) : **(وقد دعوتُنا إلى حكمِ القرآنِ ولستَ من أهلِهِ ، ولسَنا إياكَ أجْبنَا ولكنَّا أجبنَا القرآنَ في حكمِهِ)**[٥٠].

تقدم المفعول به (إياك) على فعله (اجبنا) ، ويشير سبق المفعول به بالنفي إلى نفي تخصيص الإجابة للمخاطب لأنه ليس أهل لذلك ، ويتجلى من ذلك معنى السخرية والاستهزاء بالمخاطب ، وقد استدرك في الخطاب الإجابة للقرآن وحكمه.

ونجد في تقديم المفعول به على الفاعل في قوله (عليه السلام) : **(الحمدُ لله الذي لا يبلغُ مدحتهُ القائلونَ ولا يحصِي نعماءهُ العادُّونَ ولا يؤدِّي حقهُ المجتهدونَ)**[٥١] .

دلالة التعظيم والاهتمام بالمتقدم ، فقدم المفعول به (مدحته ، نعماءه ، حقه) على الفاعل (القائلون ، العادون ، المجتهدون) إذ إن مدار الخطاب منصب عليها وهي المبحوث عنها ، فكان الأولى بها أن تتقدم على الفاعل لأنها الأهم في الذكر ، لتكون أمام الحاضرين في اللفظ كما هي في الواقع .

وإذ تتبادل المعمولات مواقعها الوظيفية في التركيب ، فأن ذلك يشير إلى إنتاج مدلول نفسي لا يتأتى في الترتيب الطبيعي ، من ذلك في قوله (عليه السلام): **(اللَّهُمَّ إليكَ أفضت القلوبُ ، ومدَّت الأعناقُ ، وشخصَت الأبصارُ ، ونُقلت الأقدامُ وأنضيت الأبدانُ)**[٥٢].

فقد تقدم شبه الجملة من الجار والمجرور (إليك) على الفعل (أفضت) للدلالة على التخصيص ، وهذا التقديم يشعر المتلقي بجو من الطمأنينة والسكينة في الدعاء، إذ يتناسب مع المقام الذي يحتم هذا الإجراء ويفرضه ويشير إلى ما في النفس من التوجه في الدعاء ، وتلك سمة إيمانية نفسية نحس بها .

ويبدو مما تقدم ان ظاهرة التقديم والتأخير – بوصفها عدولاً يقتضيه السياق ومقاصد الخطاب – لها أثر في بيان المعاني النفسية في خطاب النهج لان (النفس إنما تعني بتقديم من تهتم بشأنه وذلك لأنه ماثل نصب العينين وان التفات الخاطر إليه في ازدياد)[٥٣] .

ـ الحذف :

ويعد من الظواهر الأسلوبية التي احتضنتها اللغة العربية لميلها إلى الإيجاز والاختصار ، فهو عدول عن التركيب الأصلي إلى تركيب آخر بحذف جزء منه لدلالة يقتضيها السياق ولتوظيف طاقاته الإيحائية .

وقد حذفت العرب الجملة والمفرد والحرف والحركة[٥٤] ، ويتصل الحذف بالمعنى اتصالاً وثيقاً ، فهو (يحسن مع ترك الإخلال باللفظ والمعنى فيأتي باللفظ القليل الشامل لأمور كثيرة)[٥٥] .

وقد وصفه الجرجاني (ت ٤٧١هـ) بقوله : (هو باب دقيق المسلك لطيف المأخذ عجيب الأمر شبيه بالسحر فأنك ترى فيه ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة وتجدك انطق إذا لم تنطق وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبن ، وهذه جملة قد تنكرها حتى تخبر وتدفعها حتى تنظر)[٥٦] .

إذ يعتمد الحذف على تغييب بعض الدوال والتعويض عنها بوساطة شحن الدوال الأخرى بالمدلولات التي تجسد الثراء والتوازن والتوازي وتوفر جانب الأدبية في النص[٥٧].

وهذا يعني أن الحذف عارض تركيبي لا يلغي المحذوف تماماً بل يغيبه في البناء الظاهري ويتستر عليه في ذهن المتلقي مؤقتاً لغايات جمالية وفنية يعمد إليها

المبـدع ، إذ أن

بعض العناصر اللغوية يبرز أثرها الأسلوبي بغيابها أكثر من حضورها [٥٨] .

فعنـد مـا يحـذف الخطـاب ماهـو واضـح ومكشـوف مـن الـدلالات أنـما يـترك المجال لكل قاريء بأن يستوحي الدلالـة بحسب خبرتـه وتجربته التي تتناسب مع المحـذوف في الخطـاب[٥٩]

إذ يدخـل البنيـة دائـرة الكثافـة بحيـث لا يخترقهـا المتلقـي الا بعـد معانـاة فيكـون اكتسـاب المعنـى شـبيهاً باكتسـاب التصـور ، فيـزداد الـكلام حسـناً وتـزداد النفـس لـذة[٦٠].

يشـغل الحـذف حيـزاً في خطـاب النهـج إذ انـه يعـتري الجملـة والمفـرد والحـرف ، وقـد يكـون وراء استعمال هـذا الأسـلوب لمحـات نفسـية يلحظهـا المتلقـي مـن السـياق العـام اعتـماداً عـلى القرائـن المقاميـة .

ومن مظاهر ذلك في خطاب النهج :

ـ حذف الجملة :

تحـذف الجمـل في اللغـة مـن الـكلام تجنبـاً للإطالـة وجنوحـاً إلى الاختصـار ، ولذلـك نلحـظ أن حذفهـا يقـع في الأسـاليب المركبـة مـن أكثـر مـن جملـة كالشـــرط والقسـم والعطـف والاسـتفهام[٦١] ، لـذا يقـوم الحـذف بوصفـه سـلوكاً لغويـاً بتحويـل الجـزء المحـذوف مـن إطـار الخطـاب إلى إطـار الدلالـة

ومـن ذلـك حـذف جملـة جـواب الـشرط ، كـما في قولـه(عليه السلام): (**متـى أشـفِي غيظِـي إذا غضبـتُ أحـينَ أعجـزُ عـن الانتقـامِ فيقـال لي: لـو صـبرتَ،أم حـين أقـدرُ عليهِ فيقـالُ لي لـو عفـوتَ**)[٦٢]. تحقـق ايجاز هـذا الخطاب عن طريـق الحـذف وتضييـق

بنيته السطحية اثراءً لبنيته الدلالية ، وفيه إشارة الى الترغيب ، إذ يجب التأني عند الغضب في شفاء الغيظ وحذف جملة جواب الشرط وتقديرها (لو صبرت لكان أولى ، ولو عفوت وان العفو بك أولى)[٦٣] وأكثر الحذف في جواب (لو) من دون أن تتقدم أو تكتنف جملة تدل على المحذوف ، وإنما يعلم المحذوف بالقرينة العقلية وبما يلي من سياق اللفظ[٦٤] ، فالخطاب يحمل في طياته قيماً تربوية للسلوك الإنساني . وتحذف جملة القسم ويستغنى عنها باللام وهو حذف جائز[٦٥] ، فإذا قيل (لأفعلن ، أو لقد فعل ، أو لئن فعل ،ولم يتقدم جملة قسم فثم جملة قسم مقدرة)[٦٦]، نحو قوله (عليه السلام): **(ولوددتُ أنْ اللهَ فرَّقَ بيني وبينكم وألحقنِي بمن هو أحقُّ بي منكُمْ)**[٦٧] . الخطاب يدل في سياقه على التحسر والألم عنده (عليه السلام) حتى تمنى فراقهم واللحوق بمن هم أحق به منهم ، وقد حذف جملة القسم ، والتقدير : أقسم والله [٦٨] ، وقد أضفى القسم على سياق الخطاب دلالة التوكيد ، لان القسم جملة تؤكد بها جملة أخرى ، والغرض منه توكيد المقسم عليه سواء أكان نفياً أم أثباتاً[٦٩] ، أي توكيد شعوره بالألم والحسرة لما لا يرتضيه من أفعالهم ويأتي حذف جملة القسم ليكون مناسباً لمقام تحقير المخاطب،كما في قوله(عليه السلام): **(ولئن كان ما بلغنِي عنكَ حقاً لجملُ أهلكَ وشسعُ نعلِك َخيرٌمنكَ)**[٧٠]. فحذف جملة القسم من الخطاب والتقدير : أقسم بالله ، ثم أخذ في توبيخه والحكم بنقصانه وحقارته إن حق ما نسب إليه ذلك بتفضيل جمل أهله وشسع نعله عليه[٧١]. وفي حذف الجواب باعث إلى تصوره فيكون له أثره في نفس المتلقي[٧٢] ، وإنما (صار الحذف في مثل هذا أبلغ من الذكر لان النفس تذهب فيه كل مذهب ولو ذكر الجواب لقصر على الوجه الذي تضمنه البيان)[٧٣] . كما في حذف جواب الاستفهام في قوله (عليه السلام): **(ولكنْ بمنْ وإلى مَن؟ أريدُ أنْ أداويَ بكُم وأنتم دَائي)**[٧٤]

يصور حذف جواب الاستفهام الذي تقديره بمن كنت أستعين عليكم ، والى من أرجع في ذلك [٧٥] ، دلالة الندم والغضب من المخاطبين لتحايلهم وشقاقهم وقلة طاعتهم له .

وان عملية استدراج المتلقي وتحفيز طاقته الفكرية والانفعالية في تلقي الخطاب من أساسيات الوظيفة الفنية التي يضمنها المنشيء أسلوبياً بنية لا يذكرها، التي تشير باللمح إلى دلالات مخبأة [٧٦] ، نحو حذف جواب الاستفهام في سياق الدعاء في قوله (عليه السلام): (**قلت يا رسولَ الله ماذا لقيتُ من أمتكَ من الأودِ واللدَدِ ؟ فقال : أدعُ عليهِم**)[٧٧]. يصور الحذف دلالة الظلم الذي لاقاه الإمام (عليه السلام) منهم حتى شكاه إلى الرسول (**صلى الله عليه وآله**) ، فحذف جملة جواب الاستفهام والتقدير : لقيت من الأود واللدد ما لاقيت ، إذ كان في غاية الكرب من تقصيرهم في إجابة ندائه ودعوته إلى الجهاد[٧٨] ، وأفاد الحذف في إثراء الدلالة حتى تجسد ذلك في دعائه عليهم . وترتبط أسلوبية الحذف لغوياً بطلب الخفة والإيجاز إذ (إن العرب تحذف لسعة الكلام)[٧٩] ، ومن السعة لمح الدلالة ، كما في قوله (عليه السلام): (**صف لنا العاقل فقال : هو الذي يضعُ الشيءَ مواضعَهُ ،فقيل : فصف لنا الجاهل ، قال: قد قلتُ**)[٨٠]

والحذف هنا أبلغ من الذكر لما فيه من دلالة على تحقير الجاهل ، يعني ان الجاهل هو الذي لا يضع الشيء مواضعه فكأن ترك صفته صفة له ، إذ كان بخلاف وصف العاقل[٨١] .

ـ حذف الكلمة :

هو نوع يعتري التراكيب الاسنادية ، إذ يكون العنصر المحذوف يستغنى عنه بالقرينة الدالة عليه[٨٢] ، كحذف المبتدأ في قوله (عليه السلام) : (**جفاةٌ طغامٌ ، وعبيدٌ أقزامٌ ، جُمّعُوا من كلِّ أوبٍ ، وتلقطُوا من كُلِّ شوبٍ**)[٨٣].

يوحي الحذف بدلالة التحقير من شانهم ، ووصفهم بكونهم عبيداً إما لأنهم عبيد الدنيا وأهلها أو لان منهم عبيداً ، والمرفوعات الأربعة أخبار لمبتدأ محذوف ، أي هم جفاة (٨٤) .

ويكثر بعد القول ومشتقاته من أفعال وأسماء ذكر الخبر وحذف المبتدأ اعتماداً على الدليل من السياق اللفظي السابق(٨٥) ، نحو قوله (عليه السلام) : **(الم تقولوا عند رفعهِمُ المصاحفَ حيلةً وغيلةً ومكراً وخديعةً :أخوانُنَا وأهلُ دعوتَنا)** (٨٦) ، في الخطاب حذف المبتدأ بعد القول والتقدير (هم إخواننا) ، وفي الحذف إشارة إلى غضبه (عليه السلام) من هذا الرأي ، لان رفع أولئك للمصاحف ظاهره الاجتهاد في الدين وباطنه عدوان أي حيلة للظلم والغلبة ، وأوله رحمة لهم منكم وآخره ندامة لكم عند تمام الحيلة عليكم(٨٧) .

ويؤدي الحذف إلى تقصير المسافة بين الوحدات وتسريع النطق مما يضفي على الخطاب سمة التهديد والوعيد ، كما في قوله (عليه السلام): **(وأيمُ الله لتؤتينَّ حيثُ أنتَ ، ولا تتركُ حتى يخلطُ زبدُكَ بخاثرِكَ وذائبكَ بجامدِكَ)**(٨٨) ، فحذف الخبر من السياق والتقدير (موجود) إذ توعده على تقدير قعوده وأقسم ليأتينه بالمكان الذي هو به من لا يتركه ، وهو كناية عن غاية الخوف(٨٩).

واستغنى عن ذكر الفاعل ، في قوله (عليه السلام): **(فإنَّ الجهادَ بابٌ من أبوابِ الجنةِ فمن تركهُ رغبةً عنهُ ألبسهُ اللهُ ثوبَ الذلِّ وشملهُ البلاءُ وديثَ بالصغارِ والقماءةِ وضربَ على قلبهِ بالإسهابِ)**(٩٠).

ولا تقف فائدة الحذف في الخطاب عند الاقتصاد في التعبير وتوخي الإيجاز في الأداء لكون الفاعل مفهوماً من السياق ، وإنما تتعداه لإشاعة جو الرهبة والخوف عند المخاطب التارك للجهاد

وإذ يريد الخطاب التركيز على صورة مؤثرة في الدعاء يعمد إلى حذف الفعل لتبرز الدلالة ويتمحور الذهن حولها من أجل تأكيد إشارات نفسية ، كما في قوله (عليه السلام) (**اللَّهُمَّ سُقْياً منكَ مُحيِيةً ، مروية ، تامةً**)[٩١] .

وقد جاء الفعل (أسقنا) محذوف وجوباً ، لان (سقياً) من المصادر التي يجب حذف عاملها ، ولا يجوز استعمال فعلها ولا إظهاره فانتصب بفعل مضمر ، وجعلوا المصدر بدلاً من اللفظ بذلك الفعل[٩٢] ، فلو أظهر الفعل صار كتكراره من دون فائدة وبعض النحاة يظهر الفعل تأكيداً وليس بالكثير[٩٣] .

وهذه المصادر تستعمل للدعاء – له أو عليه – منصوبة بفعل مضمر متروك إظهاره[٩٤] ، فمن الدعاء عليهم نحو قوله (عليه السلام) (**وعلمُوا أنَّ الناسَ عندنا في الحقِّ أسوةٌ فهربوا إلى الأثرةِ فبُعداً لهم وسُحقاً**)[٩٥] .

أي لما كان شأنهم ذلك وعرفوا العدل عندنا في الحق هربوا إلى الاستئثار والاستبداد عند معاوية ، ولذلك دعا عليهم بالبعد والسحق ، وهما مصدران وضعا للدعاء والتقدير : بعدوا بعداً ، وسحقوا سحقاً[٩٦] .

وقد يقصد التعبير من حذف الفعل وإطلاق المدلول الاسمي ليشمل مساحات نفسية معبرة عن معنى التحذير ، كما في قوله (عليه السلام): (**فنفسَكَ نفسَكَ فقد بيَّنَ اللهُ لكَ سبيلَكَ**)[٩٧] ، إذ أمر المخاطب أن يحفظ نفسه بسلوك تلك السبل عما يلزم مخالفتها والعدول عنها وان الله تعالى بين له سبيل طاعته المأمور بسلوكها[٩٨] ، والتحذير أسلوب عرفته العرب ويقصد به التحذير من شيء ، ويحذف فيه الفعل مع فاعله المخاطب ، والتقدير أحذرك[٩٩] .

وارتبطت قيمة حذف المفعول به بالغرض من حذفه الذي يغني دلالة الفعل في التركيب[١٠٠] ، وإذ كان غرض المتكلم أن يثبت معنى الفعل للفاعل من دون أن

يتعرض لذكر المفعول[١٠١] نحو قوله(عليه السلام) :(**فصاحبُهَا كراكبِ الصعبة إنْ أشنقَ لها خرمَ وإنْ أسلسَ لها تقحَّمَ**)[١٠٢] ،والمراد أن الصاحب بتلك الأخلاق في حاجة إلى المداراة في صعوبة حاله كراكب الصعبة ، وحذف المفعول به والتقدير (خرم أنفها ، وتقحم المهالك) كذلك صاحب أخلاق المخاطب والمبتلى بها إن أكثر عليه إنكار ما يتسرع إليه أدى ذلك إلى مشاقته ، وان سكت عنه أدى ذلك إلى الإخلال بالواجب وذلك من موارد الهلكة[١٠٣] .

وإذ يريد التعبير التركيز على صورة مؤثرة يعمد إلى حذف المضاف ليبرز المضاف إليه ويتمحور الذهن حوله من أجل توضيح نفسية المخاطب ، نحو قوله (عليه السلام): (**إنّي أريدك لله وأنتم تريدونَنِي لأنفسِكُم**)[١٠٤] .

ولا يخفى ما في الخطاب من دلالة مكثفة للمعنى ، إذ يشير إلى صورتين الأولى مراد الإمام (عليه السلام) ونسب إرادته لهم إلى الله تعالى ، والأخرى مرادهم للدنيا ، وقد حذف المضاف والتقدير (لحظوظ أنفسكم) وفيه إشارة إلى الاختلاف بين حركاته ومقاصدهم ، ثم بين الفرق أي إنما أريد طاعتكم لإقامة دين الله وإقامة حدوده وانتم تريدونني لحظوظ أنفسكم من العطاء والتقريب وسائر منافع الدنيا[١٠٥] .

قد يوحي حذف حرف الجر في الخطاب بدلالة الحزن والألم من منطلق إن الحذف يؤدي إلى (إحداث نوع من التخفيف على الجهاز النطقي والاقتصاد في بذل المجهود العضلي عند المتكلم)[١٠٦] ، بما يناسب حالة الحزن في قوله (عليه السلام) : (**فأحفِهَا السؤالَ واستخبرْهَا الحالَ**)[١٠٧] .

فالخطاب من كلام له (عليه السلام) عند دفن الزهراء (عليها السلام) كالمناجي به رسول الله (**صلى الله عليه وآله وسلم**) ، وقد حذف حرف الجر (عن) لتحقيق ملحظ دلالي إذ أراد أن يرمز به للتشكي إلى الرسول (**صلى الله عليه وآله**) من أمته

بعـده والغلظـة عليـه في القـول عـلى قـرب عهدهـم منـه (**صـلى الله عليـه وآلـه**)[١٠٨] .

يتضـح ممـا تقـدم ، أن الحـذف قـد صّـور عـدداً مـن المعـاني النفسـية في الخطـاب ، فهـو يعـد عامـلاً مهـماً في الإيجاز والاختصـار ، فضـلاً عـن مـا فيـه مـن إثـراء الدلالـة بـما يوحيـه مـن معـان تضاعـف مـن إدراك المتلقـي وإحساسـه بالفكـرة التـي تـدل عليهـا العبـارة[١٠٩] .

٣ـ الالتفات :

عني القدماء بالالتفات بوصفه ظاهرة تعبيرية ، لها أهميتها فيما تحدثه من أثر في المتلقي ، وذلك (إن الكلام أذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع ، وإيقاظاً للإصغاء إليه ، من إجرائه على أسلوب واحد)[١١٠] .

ويعـد مـن شـجاعة العربيـة ، لان الشـجاعة هـي الأقـدام لان الرجـل الشـجاع يركـب مـا لا يستطيعه غـيره ويتـورد مـا لا يتـورده سـواه ، وكذلـك هـذا الالتفـات في الـكلام فـأن اللغـة العربيـة تختـص بـه دون غيرهـا مـن اللغـات[١١١] .

وإذا كان الاهتمام بالالتفات على انه نقل للقول من المخاطب إلى الغائب ومن الواحد إلى الجماعة ، فأن مفهومه الأوسع والأبلغ يشمل كل تحول أو انكسار أو عدول للأسلوب ونقل الكلام من حالة إلى أخرى مطلقاً ، داخل النسق التعبيري الواحد[١١٢] .

ولعل الوقوف عند هذه الظاهرة يعد من الأهمية ، لما تضفيه من قيمة دلالية تسهم في تحديد الأبعاد النفسية لخطاب النهج .

ويحـدث الالتفـات عـلى مسـتوى الضمائـر ، إذ إن (العـدول في اسـتخدام الضمائـر برنامـج أسـلوبي يخطـط لـه المرسـل وليـس مصادفـة لغويـة ، لذلـك ينبغـي رصـد كل

التبدلات الطارئة على مسيرة الضمائر ومعرفة قدرتها على التوصيل والتعبير)[١١٣] ، لان الضمير اللغوي ينطوي على ازدواجية صريحة فهو كلي في اللغة جزئي في الكلام : (أنا أو أنت أو هو) ضمائر يمكن أن يقولها أي شخص فتعنيه بذاته ، وهذه الازدواجية التي يحملها الضمير تسمح أن نميز بين الضمير والشخص ، فالضمير هو الملفوظ اللغوي في صيغه المعروفة والشخص هو المعنى الخارجي ، فالعلاقات اللغوية الداخلية هي التي تحدد الضمير والعلاقات اللغوية الخارجية هي التي تحدد الشخص[١١٤] .

ألا إن هذه الضمائر شأنها شأن أية ظاهرة لغوية أخرى يمكن أن تخرج من نطاقها المحدود داخل الجملة النحوية التقليدية لترتبط بأعلى نماذجها بالمعنى الداخلي للخطاب ، لان الالتفات من الفنون ذات الأثر الفعال في تنويع أنماط الكلام تلبية لبواعث نفسية شتى[١١٥] .

ففي قوله (عليه السلام) :**(وأشهدُ أنَّ محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم)عبدهُ ورسولهُ، أرسلهُ لإنفاذِ أمرهِ وإنهاءِ عذرهِ وتقديمِ نذرهِ ، أوصيكُمْ عبادَ اللهِ بتقوى اللهِ الذي ضربَ لكم الأمثالَ)**[١١٦] .

فقد عدل الخطاب من ضمير التكلم في (أشهد) إلى ضمير المخاطب في (أوصيكم) ، فالسياق آثر هذه البنية للالتفات ليحقق إيقاظاً ولفتا مناسباً لمقتضى المعنى في التحذير والوعظ للمتلقي وتذكيره بنعم الله تعالى عليه .

وقد يكون الالتفات من التكلم إلى الغيبة ، نحو قوله (عليه السلام): **(وإنَّ معي لبصيرَتي ، ما لبَّستُ على نفسي ، ولا لبِّسَ عليَّ وايمُ اللهِ لأفرطنَّ لهم حوضاً أنا ماتحُهُ لا يصدرونَ عنهُ ولا يعودونَ إليهِ)**[١١٧] .

يصور الالتفات بالانتقال من ضمير التكلم (معي) إلى ضمير الغيبة (لهم)

دلالـة التحذيـر والوعيـد ، إذ يشـير ذلـك إلى قـوة المواجهـة المؤكـدة بالقسـم لتهويـل الخطـب عنـد المتلقـي، فالصـور الالتفاتيـة هـي أن يجمـع بـين حاشـيتي كلامـين متباعدي المآخـذ والأغـراض وان ينعطـف مـن إحداهمـا إلى الأخـرى انعطافـاً لطيفـاً مـن غـير واسـطة ، تكـون توطئـة للصيرورة مـن أحدهمـا إلى الآخـر على جهـة مـن التحـول(١١٨) .

وقـد يحقـق الالتفـات تجسـيداً للموضـوع الـذي تؤخـذ منـه العـبرة وتدنـو بـه الحقيقـة الدالـة مـن القلـوب المعتـبرة ، نحـو قولـه (عليه السلام) : (**بكُـم أضربُ المدبـرَ ، وأرجـو طاعـةَ المقبـلِ، فأعينُـوني بمناصحـةٍ خليـةٍ مـن الغـشِّ ، سـليمةٍ مـن الريـبِ**)(١١٩) .

إذ جـاء الالتفـات مـن ضمـير الخطـاب (بكـم) إلى ضمـير التكلـم في (أرجـو) ، إذ يصورلنـا هـذا الانتقـال بتوجيـه الخطـاب إلى المخاطـب والاهتـمام بـه ، والعطـف عليـه بضمـير التكلـم في طلـب العـون والنصـح الخـالي مـن الغـش والريـب لمـا في ذلـك مـن أثـر في نفـس المرسـل والمخاطـب ، فالعـدول عـن ضمـير الخطـاب إلى ضمـير التكلـم يشـير إلى واقـع التأثـير في نفـس المتلقـي .

فالالتفـات هـو اسـتئناف نظـام جديـد في صياغـة التراكيـب يخالـف النسـق الأول ويتصـل بتوزيـع النسـق النحـوي وتنويعـه عـلى نحـو ينتـج شـكلاً بلاغيـاً جديـداً(١٢٠) .

يكـون الالتفـات أحيانـاً مـن الخطـاب إلى الغيبـة إيذانـاً بالإشـارة النفسـية مـن حيـث التغـير النفسي الناتـج عـن التغـير الأسـلوبي ، كـما في قولـه (عليه السلام): (**فاعلمُـوا – وأنتـم تعلمـونَ – بأنَّـكُمْ تاركُوَهـا وظاعنـونَ عنهـا واتعظُـوا بالذيـن قالـوا : (مـن أشـد منـا قـوة) ، حُمِلُـوا إلى قبورِهِـم فـلا يدعَـوْنَ رُكبانـاً**)(١٢١) .

فالالتفـات يشـير إلى تهويـل مـا هـم قادمـون عليـه وظاعنـون إليـه ، بتركهـم الدنيـا ، فخاطبهـم بضمـير المخاطـب (أنتـم) ثـم انتقـل إلى ضمـير الغيبـة في (قالـوا) للدلالـة عـلى النصـح والوعـظ بمـن سـبقهم ، فضـلاً عـن إن أسـلوب الخطـاب أخـص مـن

أسلوب الغيبة[١٢٢] ، فاستعمل الأسلوب الأخص في ذكر المتلقي الأخص لتقوية المعنى وتصوير ما هو مقبل عليه .

وقد يحصل الالتفات في صيغ الأفعال (الماضي والمضارع ، والأمر) أو ما يسمى بالالتفات الزمني لان الزمن والحدث يمتدان ليشملا بعداً إنسانياً يستوعب جانباً هاماً من حركاتنا وأفعالنا ومشاعرنا[١٢٣] .

ففي قوله (عليه السلام) : (**أضاءتْ به البلادُ بعد الضلالةِ المظلمَةِ ،والجهالةِ الغالبةِ، والجفوَةِ الجافيةِ والناسُ يستحلُّونَ الحريمَ ويستذلُّونَ الحكيمَ**)[١٢٤] .

يصور الالتفات بالانتقال من الماضي إلى المضارع دلالة المدح لشخص الرسول (**صلى الله عليه وآله**)، إذ نجد ان الفعل الماضي (أضاءت) هو الذي يؤسس النسق الطبيعي للتركيب ،كونه يؤسس بداية الخطاب ويتحدث عن أحداث انتهى زمانها، ثم ينقطع هذا النسق بالفعل المضارع (يستحلون ، ويستذلون) لتوضيح حالتهم المتجددة في هتك المحرمات والإذلال للحكيم كما إن الفعل المضارع يوضح الحال ، ويستحضر تلك الصورة حتى كأن الإنسان يشاهدها وليس كذلك الفعل الماضي[١٢٥] .

ومن الانتقال من المضارع إلى الماضي ، في قوله (عليه السلام): (**الحمدُ لله الفاشِي في الخلقِ حمدُهُ والغالبِ جندُهُ والمتعالِي جدُّهُ ، أحمدُهُ على نعمِهِ التوأمِ وآلائِهِ العظامِ الذي عظمَ حلمُهُ فعفَا وعدلَ في كلِّ ما قضَى**)[١٢٦] .

تتجلى من الالتفات دلالة التعظيم والتمجيد للذات الإلهية المقدسة ، فالعدول من الفعل المضارع (أحمده) إلى الفعل الماضي (عظم ، وعدل) لتجدد الحمد على النعم وثبوت العظمة والعدل والعطاء الإلهي ، ولان إيثار الماضي والعدول إليه دال على مبالغة في الثبوت والاستقرار[١٢٧] . فاستعمل الأسلوب الأخص في ذكر الفعل الأخص.

ويحصل الالتفات بالانتقال من الماضي إلى الأمر ، نحو قوله (عليه السلام) : (**وألقَى إليكُمُ المعذرةَ ، واتخذَ عليكُمُ الحُجةَ وقدَّمَ إليكُمْ بالوعيِد ، وأنذركُمْ بين يديْ عذابٍ شديدٍ فاستدرِكُوا بقيةَ أيامِكُمْ**)[١٢٨] .

تكمن القيمة التعبيرية للالتفات في الدلالة على تحذير السامعين من الوقوع في العذاب الشديد بعد إلقاء الحجة عليهم فالعدول من الماضي (القى ،و اتخذ ،و قدم ،و أنذركم) إلى الأمر (استدركوا)إنما يفعل ذلك توكيداً لما أجرى عليه فعل الأمر لمكان العناية بتحقيقه ، فعدل عن ذلك إليه للعناية بتوكيده في نفوسهم[١٢٩] .

فالانتقال من صيغة إلى أخرى أنما يكون من أجل الالتفات ليكمل أمر الخطاب وتتفاوت درجته في البلاغة[١٣٠] .

كما يحصل الالتفات من المضارع إلى الأمر ، وانه ليس الانتقال فيه من صيغة إلى أخرى طلباً للتوسع في أساليب الكلام فقط ، وإنما يقصد إليه تعظيماً لحال من أجرى عليه الفعل المستقبل وتفخيماً لأمره ، وبالضد من ذلك فيمن أجرى عليه فعل الأمر[١٣١] ، نحو قوله (عليه السلام) : (**إنَّما مَثلي بينكُمْ كمثلِ السراجِ في الظلمةِ يستضِيءُ بِهِ من ولجَهَا فأسمعَوا أيُّها الناسُ وعُوا وأحضِروا آذانَ قلوبِكُمْ**)[١٣٢] .

فالالتفات يشير إلى ما في نفسه (عليه السلام) من الحرص الشديد على مصلحة قومه ، فهو لا يريد لهم إلا ما يريده لنفسه لان مثل هذا الأسلوب أدلّ على التلطف بهم وادعى إلى قبول النصح ، فانتقل بالتعبير من المضارع (يستضيء) إلى الأمر (أسمعوا ، وعوا ، وأحضروا) ، فضلاً عن النداء الذي يقوي البعد الدلالي للخطاب.

فالانتقال من أسلوب إلى آخر أدخل في القبول عند السامع وأكثر لنشاطه وأعظم في إصغائه[١٣٣] ، فهو ليس حيلة من حيل جذب المتلقي وتشويقه ، لان ما

يحدث فيه من انحراف عن النسق ، أو انتقال في الإيراد الكلامي من صيغة إلى أخرى ليس انتقالاً استطرادياً ، وليس تعليقاً على ما قيل أو ما حدث أو ما شابه ذلك من وسائل تطرية نفس المتلقي والترويح عنه ، وإنما ينحصر الأمر في بيان معنى على قدر كبير من الرهافة والخفاء لا يلفت المتلقي إليه أو إلى البحث عنه إلا إدراكه للتغير الحادث في النسق اللغوي للخطاب(١٣٤) .

الخاتمة

- يشير العدول في الظواهر التركيبية الى طبيعة الموقف ومقاصد الخطاب ، ولعل ظاهرة التقديم والتأخير من أبرز تلك الظواهر ، إذ يمثل العنصر المتقدم بؤرة التركيز التي تستقطب العناية والاهتمام ، وإذ يعمد خطاب النهج إلى هذا الفن فانما يستهدف التركيز على جملة من المعاني الإضافية ومن بينها المعاني النفسية.
- صور الحذف عدد من المعاني النفسية في خطاب النهج ، فضلاً عن كونه عاملاً مهماً في الإيجاز والاختصار ، لما فيه من إثراء للدلالة بما يوحيه من معان تضاعف من إدراك المتلقي وإحساسه بالفكرة التي يدل عليه الخطاب .
- لعل الوقوف عند ظاهرة الالتفات يعد من الأهمية لما تضيفه من قيمة دلالية تسهم في تحديد الأبعاد النفسية لخطاب النهج ، لانه من الفنون ذات الأثر الفعال في تنويع أنماط الكلام تلبية لبواعث نفسية .

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين.

هوامش البحث:

(١) ينظر : بنية اللغة الشعرية : ١٥ .

(٢) ينظر : البلاغة العربية ، قراءة أخرى : ٢٠٤ .

(٣) الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية : ١٦٦ .

(٤) ينظر : المصدرنفسه : ١٦٢ .

(٥) ينظر : البرهان : ٣/ ٣٠٣ .

(٦) ينظر : البلاغة والأسلوبية : ٢٤٨ .

(٧) دلائل الإعجاز : ١٠٦ .

(٨) ينظر : الجملة العربية في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة (بحث) : ١٦٧ .

(٩) ينظر : المعاني في ضوء أساليب القرآن : ١٩٦ .

(١٠) ينظر : في نحو اللغة وتراكيبها : ٩٢ .

(١١) ينظر : دلالات التراكيب : ١٧٥ .

(١٢) ينظر : الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية : ١١٢ .

(١٣) ينظر : دلائل الإعجاز:١٠٦ وما بعدها ، و التقديم والتأخير في القرآن الكريم : ١١-٥٦.

(١٤) ينظر : أساليب المعاني في القرآن : ٣٠٨ .

(١٥) ينظر : نحو المعاني : ٨٦ .

(١٦) نهج البلاغة : خ١٦٠/ ٢٨٥.

(١٧) ينظر : النحو الوافي : ١/ ٤٤٧ .

(١٨) نهج البلاغة : ك ٢٨/ ٤٨٨.

(١٩) ينظر : النحو الوافي : ١/ ٤٤٩ .

(٢٠) نهج البلاغة : خ ٢٠٢/ ٤٠٣.

(٢١) ينظر : التقديم والتأخير في القرآن الكريم : ٥٩ – ٧٦ .

(٢٢) ينظر : الإيضاح : ١٣٥ .

(٢٣) نهج البلاغة : خ ١٨٥/ ٣٤٠.

(٢٤) ينظر : لسان العرب : ٩/ ٤٢٨ .

(٢٥) ينظر : أساليب المعاني في القرآن : ٣١٢ .

(٢٦) نهج البلاغة : خ ١٢٧/ ٢٣٣.

(٢٧) ينظر : التقديم والتأخير في القرآن الكريم : ٦٣ .

(٢٨) دلائل الإعجاز : ١٢٨ .

(٢٩) نهج البلاغة : ك ٤١/ ٥٢٥.

(٣٠) ينظر : دلائل الإعجاز : ١١٦ – ١١٧ .

(٣١) نهج البلاغة : ك ٥٠/ ٥٤١.

(٣٢) ينظر : أساليب المعاني في القرآن : ٣١٩ .

(٣٣) ينظر : التقديم والتأخير في القرآن الكريم : ٨٨ – ٨٩ .

(٣٤) نهج البلاغة : خ٨٨/ ١٤٤ .

(٣٥) نهج البلاغة :ح ٣٢٥/ ٦٧٧.

(٣٦) محاضرات في علم النفس اللغوي : ٢١٥ .

(٣٧) ينظر : التقديم والتأخير في القرآن الكريم : ٩٢ .

(٣٨) ينظر : شرح الكافية : ١/ ٢٦٠ – ٢٦٣ .

(٣٩) ينظر : النحو الوافي : ١/ ٤٥٢ .

(٤٠) نهج البلاغة : خ ٨٤/ ١٣٦

(٤١) ينظر : معاني النحو : ١/ ١٤٠ .

(٤٢) نهج البلاغة : ح ٢٤/ ٦٠٢.

(٤٣) نهج البلاغة : ك ٤٥/ ٥٣٦.

(٤٤) ينظر : مفتاح العلوم : ٤٢٢ .

(٤٥) نهج البلاغة :خ ٨٧/ ١٤٠.

(٤٦) ينظر : الجملة العربية والمعنى : ٢٣٠ .

(٤٧) نهج البلاغة : ك ٦٣/ ٥٧٩–٥٨٠.

(٤٨) ينظر : معاني النحو : ٢/ ٧٦ ، وأسرار التقديم والتأخير في لغة القرآن الكريم : ٧٢ .

(٤٩) ينظر : أساليب المعاني في القرآن : ٣٣٥ .

(٥٠) نهج البلاغة : ك٤٨/ ٥٤٠.

(٥١) المصدرنفسه : خ١/ ١٧.

(٥٢) المصدرنفسه : ك ١٥/ ٤٧٣.

(٥٣) دلائل الإعجاز : ١٠٠ – ١٠١ .

(٥٤) ينظر : الخصائص : ٢/ ٣٦٠ .

(٥٥) إعجاز القرآن (الباقلاني) : ٢/ ١٦٠ .

(٥٦) دلائل الإعجاز : ١٤٦ .

(٥٧) ينظر : علم اللسانيات الحديثة : ٣٦٣ .

(٥٨) ينظر : جدلية الإفراد والتركيب : ١٨١ – ١٨٢ .

(٥٩) ينظر : القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي : ١٠٠ .

(٦٠) ينظر : البلاغة العربية ، قراءة أخرى : ٢٢٢ .

(٦١) ينظر : ظاهرة الحذف في الدرس النحوي : ٢٥٣ .

(٦٢) نهج البلاغة : ح ١٩٤/ ٦٣٨ .

(٦٣) ينظر : شرح نهج البلاغة : ٥/ ٤٥٠.

(٦٤) ينظر : ظاهرة الحذف في الدرس النحوي : ٢٥٥ .

(٦٥) ينظر : المصدر نفسه : ٢٥٦ ، والحذف والتقدير في النحو العربي : ٢١٥ .

(٦٦) مغني اللبيب : ٢/ ١٧٤ .

(٦٧) نهج البلاغة : خ ١١٦/ ٢١٩ .

(٦٨) ينظر : شرح نهج البلاغة : ٣/ ٥٤٩ .

(٦٩) ينظر : الحذف والتقدير في النحو العربي : ٢١٤ .

(٧٠) نهج البلاغة : ك ٧١/ ٥٩١ .

(٧١) ينظر : شرح نهج البلاغة : ٥/ ٣٨٥ .

(٧٢) ينظر : اللغة في الدرس البلاغي : ١٨٩ .

(٧٣) النكت : ٧٠– ٧١ .

(٧٤) نهج البلاغة : خ ١٢١/ ٢٢٣ .

(٧٥) ينظر : شرح نهج البلاغة : ٣/ ٥٥٤ .

(٧٦) ينظر : الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية : ١٣٧ .

(٧٧) نهج البلاغة : خ ٧٠/ ١٠٨ .

(٧٨) ينظر : شرح نهج البلاغة : ٢/ ٣٤٨ .

(٧٩) التحليل اللغوي في كتاب سيبويه : ٢٧٦ .

(٨٠) نهج البلاغة : ح ٢٣٥/ ٦٤٥ .

(٨١) ينظر : شرح نهج البلاغة : ٥/ ٤٥٨ .

(٨٢) ينظر : ظاهرة الحذف في الدرس النحوي : ١٧٧ – ١٧٨ .

(٨٣) نهج البلاغة : خ ٢٣٨/ ٤٥٣ .

(٨٤) ينظر : شرح نهج البلاغة : ٤/ ١٩٣ .

(٨٥) ينظر : الحذف والتقدير في النحو العربي : ٢٥٠ .

(٨٦) نهج البلاغة : خ ١٢٢/ ٢٢٥ .

(٨٧) ينظر : شرح نهج البلاغة : ٣/ ٥٥٦ .

(٨٨) نهج البلاغة : ك ٦٣/ ٥٨٠ .

(٨٩) ينظر : شرح نهج البلاغة : ٥/ ٣٧٢ .

(٩٠) نهج البلاغة : خ ٢٧/ ٦٠ – ٦١ .

(٩١) المصدرنفسه : خ ١١٥/ ٢١٦ .

(٩٢) ينظر : الحذف والتقدير في النحو العربي : ٢٣٣ .

(٩٣) ينظر : شرح المفصل : ١/ ١١٤ .

(٩٤) ينظر : الطراز : ٢٥٠ – ٢٥١ .

(٩٥) نهج البلاغة : ك ٧٠/ ٥٩٠ .

(٩٦) ينظر : شرح نهج البلاغة : ٥/ ٣٨٤ ، والحذف والتقدير في النحو العربي : ٢٣٣ .

(٩٧) نهج البلاغة : ك ٣٠/ ٤٩٥ .

(٩٨) ينظر : شرح نهج البلاغة : ٤/ ٢٥٠ .

(٩٩) ينظر : ظاهرة الحذف في الدرس النحوي : ٢٢٧ .

(١٠٠) ينظر : اللغة في الدرس البلاغي : ١٨٦ .

(١٠١) ينظر : ظاهرة الحذف في الدرس النحوي : ٢٠٠ .

(١٠٢) نهج البلاغة : خ ٣/ ٢٩ .

(١٠٣) ينظر : شرح نهج البلاغة : ١/ ١٧٨ .

(١٠٤) نهج البلاغة : خ ١٣٦/ ٢٤٤ .

(١٠٥) ينظر : شرح نهج البلاغة : ٣/ ٥٨٣ .

(١٠٦) قراءة يحيى بن وثاب في ضوء علم التشكيل الصوتي : ١٣٠ – ١٣١ .

(١٠٧) نهج البلاغة : خ ٢٠٢/ ٤٠٣ .

(١٠٨) ينظر : شرح نهج البلاغة : ٤/ ٨ .

(١٠٩) ينظر : في البنية والدلالة : ١٣١ .

(١١٠) الكشاف : ١/ ١٢ .

(١١١) ينظر : المثل السائر : ٢/ ١٣٥ .

(١١٢) ينظر : أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية : ٥٥ .

(١١٣) تبادل الضمائر وطاقته التعبيرية ، (بحث) : ٢٠ .

(١١٤) ينظر : أقنعة النص : ٥٠ – ٥١ .

(١١٥) ينظر : فن الالتفات في مباحث البلاغيين (بحث): ٦٥ .

(١١٦) نهج البلاغة : خ٨٣/ ١٢٠-١٢١

(١١٧) المصدرنفسه : خ١٠/ ٣٩.

(١١٨) ينظر : منهاج البلغاء : ٣١٥ .

(١١٩) نهج البلاغة : خ١١٨/ ٢٢٠.

(١٢٠) ينظر : بلاغة الخطاب وعلم النص : ٢١٤ .

(١٢١) نهج البلاغة : خ ١١١/ ٢٠٩.

(١٢٢) ينظر : من أساليب التعبير القرآني : ٩٨ .

(١٢٣) ينظر : البنيات الأسلوبية : ١٩٦ .

(١٢٤) نهج البلاغة : خ١٥١/ ٢٦٣.

(١٢٥) ينظر : الطراز : ٢٦٧ .

(١٢٦) نهج البلاغة : خ ١٩١/ ٣٥٥.

(١٢٧) ينظر : الطراز : ٢٦٨ .

(١٢٨) نهج البلاغة : خ ٨٦/ ١٣٩.

(١٢٩) ينظر : المثل السائر : ٢/ ١٤٥ .

(١٣٠) ينظر : الطراز : ٢٦٧ .

(١٣١) ينظر : المثل السائر : ٢/ ١٤٤ .

(١٣٢) نهج البلاغة : خ١٨٧/ ٣٤٩.

(١٣٣) ينظر : الطراز : ٢٦٩ .

(١٣٤) ينظر : قراءة جديدة لتراثنا النقدي : ٨٧٩ .

المصادر والمراجع

١. أساليب المعاني في القرآن : السيد جعفر السيد باقر الحسيني ، الطبعة الأولى ، مؤسسة بوستان كتاب ، ١٤٢٨ هـ .

٢. الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية : د. مجيد عبد الحميد ناجي ، الطبعة الأولى ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ١٩٨٤ م .

٣. أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية :حسن طبل ،دار الفكر العربي،القاهرة ، ١٩٩٨ م .

٤. الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية: فتح الله احمد سلمان ، مطبعة الدار الفنية للنشر والتوزيع ، د. ت.

٥. إعجاز القرآن : أبو بكر الباقلاني (ت ٤٠٣ هـ) ، تحقيق: أحمد صقر ، الطبعة الخامسة دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٩٥ م .

٦. أقنعة النص في قراءات نقدية في الأدب : سعيد الغانمي ، الطبعة الأولى ، مطبعة دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٩١ م .

٧. الانزياح من منظور الدراسات الاسلوبية : د. أحمد محمد ويس الطبعة الأولى ، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، ٢٠٠٥ م .

٨. الإيضاح في علوم البلاغة : الخطيب القزويني (ت ٧٣٩ هـ) تحقيق : محمد عبد المنعم خفاجي ، الطبعة الخامسة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٨٠ م .

٩. البرهان في علوم القرآن : بدر الدين بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤ هـ) ، تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار عالم الكتب للطباعة والنشر ، المملكة العربية السعودية ، ٢٠٠٣ م .

١٠. بلاغة الخطاب وعلم النص :صلاح فضل ، عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة

والفنون والآداب ، الكويت ، ١٩٩٢ م .

١١. البلاغة العربية ، قراءة أخرى : محمد عبد المطلب ، الطبعة الأولى ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، مصر ، ١٩٩٧ م .

١٢. البلاغة والاسلوبية :محمد عبد المطلب ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٤م .

١٣. البنيات الأسلوبية : في لغة الشعر الحديث : مصطفى السعدني ، مطابع رواء ، الاسكندرية ، ١٩٨٧م

١٤. بنية اللغة الشعرية : جان كوهن ، ترجمة : محمد الولي ومحمد العمري ، دار توبقال ، المغرب ، ١٩٨٦م .

١٥. التحليل اللغوي في كتاب سيبويه : شعبان عوض جمعة العبيدي ، الطبعة الأولى ، ليبيا ، ١٩٩١ م .

١٦. التقديم والتأخير في القرآن الكريم : محمد أحمد عيسى العامري ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٩٦ م .

١٧. الجملة العربية والمعنى : فاضل صالح السامرائي ، الطبعة الأولى ، دار ابن حزم ، لبنان ، ٢٠٠٠ م .

١٨. الحذف والتقدير في النحو العربي : علي أبو المكارم ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠٠٨ م .

١٩. الخصائص : أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢ هـ) ، تحقيق : محمد علي النجار ، الطبعة الرابعة، الهيئة المصرية العامة للكتاب،ادارة التراث،١٩٩٩م.

٢٠. دلائل الاعجاز : عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) ، تحقيق محمود محمد شاكر ، الطبعة الخامسة ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ٢٠٠٤ م .

٢١. دلالات التراكيب ، دراسة بلاغية : د. محمد محمد أبو موسى ، الطبعة الثالثة ،

الناشر مكتبة وهبة ، القاهرة ، ٢٠٠٤ م .

٢٢. شرح الكافية في النحو : رضي الدين الاستراباذي (ت ٦٨٦ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د . ت .

٢٣. شرح المفصل : ابن يعيش موفق الدين يعيش بن علي (ت ٦٤٣ هـ) ، عالم الكتب، بيروت د . ت

٢٤. شرح نهج البلاغة : ابن ميثم البحراني (ت ٦٧٩ هـ) ، الطبعة الأولى ، دار الرافدين ، العراق ، ٢٠٠٩ م .

٢٥. الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز: يحيى بن حمزة العلوي (ت ٧٤٩ هـ) ، مراجعة : محمد عبد السلام شاهين ، الطبعة الأولى، دارالكتب العلمية، بيروت – لبنان ، ١٩٩٥ م .

٢٦. ظاهرة الحذف في الدرس النحوي : طاهر سليمان حمودة ، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع ، الاسكندرية ، د . ت .

٢٧. علم اللسانيات الحديث : عبد القادر عبد الجليل ، الطبعة الأولى ، دار صفاء للنشر والتوزيع ، عمان ، ٢٠٠٢ م .

٢٨. في البنية والدلالة ، رؤية لنظام العلاقات في البلاغة العربية : سعد ابو الرضا ، منشأة المعارف ، مصر ، د . ت .

٢٩. في نحو اللغة وتراكيبها (منهج وتطبيق) : خليل أحمد عمايرة ، الطبعة الأولى ، عالم المعرفة ، المملكة العربية السعودية ، ١٩٨٤م.

٣٠. قراءة جديدة لتراثنا النقدي : عز الدين إسماعيل ، النادي الثقافي ، جدة – السعودية ، ١٩٩٠ م .

٣١. قراءة يحيى بن وثاب في ضوء علم التشكيل الصوتي : أحمد طه حسنين ، الطبعة الأولى ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ٢٠٠٤ م .

٣٢. القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي : محمود البستاني ، الطبعة الأولى ، مجمع البحوث الاسلامية ، ايران ، ١٤١٤ هـ .

٣٣. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل : ابي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) ، راجعه : يوسف الحمادي ، الناشر مكتبة مصر ، د . ت .

٣٤. اللغة في الدرس البلاغي : عدنان عبد الكريم جمعة ، الطبعة الأولى ، دارالسياب للطباعة والنشر ، لندن ، ٢٠٠٨ م .

٣٥. المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر : ضياء الدين بن الاثير (ت ٦٣٧ هـ) ، تحقيق : أحمد الحوفي ، وبدوي طبانة ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، د . ت.

٣٦. محاضرات في علم النفس اللغوي : حنفي بن عيسى ، الطبعة الثانية ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ١٩٨٠ م .

٣٧. المعاني في ضوء أساليب القرآن : عبد الفتاح لاشين ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف ، ١٩٧٨ م .

٣٨. معاني النحو : فاضل صالح السامرائي ، الطبعة الثانية ، دار الفكر للطباعة والنشر ، عمان ، ٢٠٠٣ م

٣٩. مغني اللبيب عن كتب الاعاريب : ابن هشام الانصاري (ت ٧٦١ هـ) ، قدم له : حسن حمد ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ١٩٩٨ م .

٤٠. مفتاح العلوم : ابو يعقوب يوسف بن ابي بكر محمد بن علي السكاكي (ت ٦٢٦ هـ) ، الطبعة الأولى البابي الحلبي ، مصر ، ١٩٧٣ م

٤١. من أساليب التعبير القرآني ، دراسة لغوية وأسلوبية في ضوء النص القرآني : د. طالب محمد إسماعيل الزوبعي ، الطبعة الأولى دار النهضة العربية ، بيروت ،

١٩٩٦ م .

٤٢. منهاج البلغاء وسراج الادباء : ابي الحسن حازم القرطاجني (ت ٦٨٤ هـ) ، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة ،الطبعة الثالثة ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت، ١٩٨٦م

٤٣. نحو المعاني :أحمد عبد الستار الجواري ،مطبعة المجمع العلمي العراقي ، ١٩٨٧ م

٤٤. النحو الوافي : عباس حسن ،الطبعة الأولى ، آوند دانش للطباعة والنشر ، ٢٠٠٤م

٤٥. النكت في إعجاز القرآن : أبو الحسين بن عيسى الرماني (ت ٣٨٤ هـ) ، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، تحقيق محمد خلف الله ومحمود زغلول سلام ، دار المعارف ، مصر ، د. ت .

٤٦. نهج البلاغة : صبحي الصالح ، الطبعة الرابعة ، ايران ، ١٤٣١ هـ .

البحوث والدوريات

١. **تبادل الضمائر وطاقته التعبيرية** ، محمد نديم خشفة ،مجلة البيان الكويتية ، العدد ٢٩٠ ، آيار ،١٩٩٠م

٢. **الجملة العربية في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة** ، نعمه رحيم العزاوي ، كتاب المورد ، دراسات في اللغة ، بغداد ، ١٩٨٦ م .

٣. **فن الالتفات في مباحث البلاغيين** ، جليل رشيد فالح ، بحث في مجلة آداب المستنصرية ، بغداد ، العدد التاسع ، ١٩٨٤ م.

الفرائد العلوية
في إثراء القواعد النحوية

(دراسة في نصوص نهج البلاغة)

م. د. ظافر عبيس الجياشي
المديرية العامة للتربية في المثنى

توطئة:

من المجمع عليه أنَّ كلام الإمام عليّ (عليه السلام) قد شغف قلوب العلماء، والأدباء ملازمة ومطالعةً ،وملأ أسماعهم وأبصارهم، واستهوتهم روائعه، وسحرتهم أساليبه وألوانه، فوصفوه بما يدلّ على بعد أثره فيهم ،وإعجابهم به حتى قال الجاحظ (ت: ٢٥٥هـ) في البيان والتبيين: ((قال عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه: «قيمة كلّ امرئ ما يحسن»! فلو لم نقف من هذا الكتاب إلاّ على هذه الكلمة ، لوجدناها كافية شافية ، ومجزية مغنية؛ بل لوجدناها فاضلة على الكفاية، وغير مقصّرة عن الغاية، وأحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره))[١]. ورأى فيها الشريف الرضي(ت:٤٠٦هـ): ((الكلمة التي لاتصاب لها قيمة، ولاتوزن بها كلمة، ولاتقرن إليها كلمة))[٢].

إذ تتأتى أهمية هذا البحث النحوي في نهج البلاغة، أنَّه ضمَّ فرائد نحوية وقعت في مباحثَ حول كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) ، فكلامه من النصوص التي يستشهد بها في الدرس النحوي، وقد حاولت فيه أن أُلمع إلى ما وجدته من إشارات وفرائد نحوية في نهج البلاغة، يمكن أن تضاف إلى الدرس النحوي وتثريه؛ لأنّها من ابتكارات الإمام(عليه السلام) التي لم يصرح بها النحويون في مصنفاتهم.واقتضت طبيعة البحث أن يقسم على: توطئة ومبحثين، جاء المبحث الأول بعنوان القيمة العلمية لنهج البلاغة، وجاء المبحث الثاني موسماً بالفرائد العلوية في نهج البلاغة ، تلاهما الخاتمة بأهم نتائج البحث.

المبحث الأول

القيمة العلمية لنهج البلاغة

كان الإمام عليّ (عليه السلام) الطالب الأول في مدرسة القرآن ، وتحت رعاية معلمها النبي المصطفى محمد (صلى الله عليه وآله) ؛ لذا أجاد الإمام في محاكاة تلك المدرسة وذلك المعلم، وكتاب نهج البلاغة صورة صادقة للسان العربي المبين الذي اعزّه الله بالقرآن الكريم وحفظه، فهو المعنى الجامع المانع للعربية وعلومها.

لقد أفنى العلماء والأدباء حيزاً كبيراً من حياتهم في توضيح هذا السفر الخالد، وجلاء معالمه وروائعه، وإبراز قيمته، ولا نراهم وقفوا على الاحاطة بكل طاقات العطاء فيه. فكلامه حظي بما لم يحظ به كلام غيره من والعلماء والادباء من العناية التامة والاهتمام البالغ، فيراهم المتابع على امتداد القرون والاعصار بين جامع لحكمه، وراوٍ محدث لخطبه، وحافظ لقواله، ومتأثر باسلوبه، وناظم لحكمه؛ لأنّه (عليه السلام) فتح أمامهم جوانب فكرية واسعة، وآفاق علمية غير متناهية فصالوا على كلامه وأخذوا معاني أقواله، ومباني ألفاظه.

فكلام الامام علي(عليه السلام) في نهج البلاغة بكلّ صوره وأشكاله وجوانبه دعامة قوية لتراث الحضارة الإنسانية، وركيزة قويمة للشخصية الانسانية، لا تستأثر به مجموعة دون أخرى، ولا يختص به أهل ملة ونحلة دون غيرها، ولا ينحصر في أهل مذهب دون غيرهم من أهل المذاهب، وإنـّما كان مرجعاً حياً ونبعاً فكرياً متدفقاً لكل البشرية والاجيال والقرون والاحقاب، واصبح ينبوعاً صافياً وثروة فكرية، ومناعة علمية لكتاب اللغة العربية والمتطلعين إليها قديماً وحديثاً ينتهلون من لغته ويقتبسون من معانيه الوهاجة، ومبانيه المستقيمة ما يقوم لهم

فنهـم وينمـي مـن حصيلتهـم في اللغـة والادب والفكـر والمعرفـة[٣].

وقديـماً استـعان بـه كـبراء العربيـة لأدبهـم وتفكيرهـم كعبـد الحميـد الكاتب(ت:١٣٢هـ) الـذي كان يضرب بـه المثل في الكتابـة والخطابـة في أوائل القـرن الثـاني الهجري، وابـن نباتة(ت:٣٧٤هـ)، واضرابهـم مـن الكتـاب والادبـاء والبلغـاء، فاكسبهم هـذا الخصب المخضـوضر في بيانهـم وأسـلوبهم وأدبهـم ممّا لم يعهـد مـن ذي قبـل. فهـذا عبـد الحميـد الكاتـب يشـهد لـه حـين قيـل لـه :((مـا الـذي خرجـك في البلاغـة؟ فقـال حفـظ كلام الأصلـع يعنـي عـليّ بـن أبي طالـب))[٤]، وفي موضـع آخـر قولـه: ((حفظـت سـبعين خطبـة مـن خطـب الأصلـع (يعنـي بـه عـلي بـن أبي طالـب) ففاضـت ثـم فاضـت))[٥] .

وابـن نباتـه يعـترف بأنـه إنـما أخـذ مالـه مـن ذوق وفكـر وأدب عـن الإمـام، وهـو الـذي كان يـضرب بـه المثـل في خطبـاء العـرب في العهـد الإسـلامي: ((حفظـت مـن الخطابـة كنـزاً، لا يزيـده الإنفـاق إلاّ سـعة حفظـت مائـة فصـل مـن مواعـظ عـلي بـن أبي طالـب))[٦] .

ويقـول ابـن أبي الحديـد المعتـزلي في شرح النهـج: ((فهـو (عليـه السـلام) إمـام الفصحـاء وسـيد البلغـاء وفي كلامـه قيـل دون كلام الخالـق وفـوق كلام المخلوقـين ومنه تعلـم النـاس الخطابـة والكتابـة))[٧] . ويعقـد مقارنـة بـين أسـلوب الإمـام واسـلوب ابـن نباتـة بقولـه: ((نحـن نذكـر في هـذا الموضـع فصـولا مـن خطـب الخطيـب الفاضـل عبـد الرحيـم بـن نباتـة (رحمـه الله) وهـو الفائـز بقصبـات السـبق مـن الخطبـاء وللنـاس غـرام عظيـم بخطبـه وكلامـه ليتأمـل الناظـر كلام أمـير المؤمنـين (عليـه السـلام) في خطبـه ومواعظـه وكلام هـذا الخطيـب المتأخـر الـذي قـد وقـع الإجمـاع عـلى خطابتـه وحسـنها وأن مواعظـه هـي الغايـة التـي ليـس بعدهـا غايـة))[٨]، ويخـرج بنتيجـة مفادهـا:

((فليتأمل أهل المعرفة بعلم الفصاحة والبيان هذا الكلام –نهج البلاغة– بعين الإنصاف يعلموا أن سطراً واحداً من كلام نهج البلاغة يساوى ألف سطر منه بل يزيد ويربي على ذلك))[٩] .

وأما حديثاً فقد قيل فيه الكثير، من ذلك قول الأستاذ محمد حسن نائل المرصفي: ((نهج البلاغة ذلك الكتاب الذي أقامه الله حجة واضحة على أن علياً كان أحسن مثال حيّ لنور القرآن وحكمته، وعلمه وهدايته، وإعجازه وفصاحته. إجتمع لعليّ في هذا الكتاب ما لم يجتمع لكبار الحكماء، وأفذاذ الفلاسفة، ونوابغ الربّانيّين، من آيات الحكمة السابغة، وقواعد السياسة المستقيمة، ومن كل موعظة باهرة، وحجة بالغة تشهد له بالفضل وحسن الأثر. خاض عليّ في هذا الكتاب لجّة العلم، والسياسة والدين، فكان في كل هذه المسائل نابغة مبرّزا، ولئن سألت عن مكان كتابه من الأدب بعد أن عرفت مكانه من العلم، فليس في وسع الكاتب المترسّل، والخطيب المصقع، والشاعر المفلق، أن يبلغ الغاية من وصفه، أو النهاية من تقريظه. وحسبنا أن نقول: أنه الملتقى الفذّ الذي التقى فيه جمال الحضارة، وجزالة البداوة، والمنزل المفرد الذي اختارته الحقيقة لنفسها منزلا تطمئن فيه، وتأوي إليه بعد أن زلّت بها المنازل في كل لغة.))[١٠] .

ويقول الشيخ محمود شكري الآلوسي: ((نهج البلاغة قد استودع من خطب الإمام علي بن أبي طالب (سلام الله عليه) ما هو قبس من نور الكلام الإلهيّ، وشمس تضيء بفصاحة المنطق النبويّ))[١١].

وقال ميخائيل نعيمة: ((إن علياً لَمن عمالقة الفكر، والروح، والبيان في كل زمان ومكان))[١٢].

ما تقدم ذكره عن مكانة نهج البلاغة في الأدب واللغة أنه المنبع الفذّ الذي

التقى فيه جمال الحضارة، وجزالة البداوة، اختارته الحقيقة لنفسها منزلا تطمئن فيه، وتأوي إليه بعد أن زلّت بها المنازل في كل لغة، هذا يحدونا ويدفعنا الى تقحم الصعاب وركوب المصاعب والاسباب للغوص في هذا البحر الندي واكتشاف اسراره اللغوية ومبانيه النحوية، إذ وقفنا على بعض القواعد والمباني النحوية التي لم يتطرق إليها أو يدرسها أهل صناعة النحو، لتضاف الى ماذكره النحويون، من دون الخوض في المجالات الأخرى، فاحببنا أن تكون باكورة أمل وبداية جادة في إعادة القراءة في هذا السفر الخالد والافادة منه في الدرس النحوي .

المبحث الثاني

الفرائد العلوية في نهج البلاغة

النصوص الخالدة تنماز بقوة متنها الناشئ من تمكن منشئها من تكوينها؛ لما يمتلكه من أدوات لغوية وبراعة فنية في بناء العبارة وتمكن راسخ في التأثير في الآخرين واستيعابه كل الأحداث مع مرونة نصيّة لجميع الأزمان وإمكان انطباقه على أكثر من مصداق .

ففي نهج البلاغة من ((غرائب الفصاحة، وجواهر البلاغة العربية، وثواقب الكلم الدينية والدنيوية ما لا يوجد مجتمعاً في كلام ، ولا مجموع الأطراف في كتاب))[١٣]. فكلامه (عليه السلام)((دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوقين))[١٤]، وهو على ما ذكر يقع ضمن دائرة الاستشهاد النحوي.

وإذا كانت لغة الشعر في لسان لغة ما تختلف عن لغة النثر ؛ لأنَّ الأولى تخضع لقيود لا تخضع لها الأخرى كالضرورة الشعرية وغيرها؛ فإن لغة الشعر كانت موضع اهتمام النحويين العرب وهم على وعي بهذا ((فقد فرقوا بين الشعر والنثر وتحدثوا عن الضرورة الشعرية حديثا ينم عن فهمهم لما يقع أحياناً في اللغة من خروج على الشائع واعتمادٍ لأقيسة يُركن إليها على ضعفها))[١٥]. وقد صرّح العلماء بذلك، فالفراء (ت:٢٠٧هـ) يرى أنَّ لغة القرآن الكريم ((أعرب وأقوى في الحجة من الشعر))[١٦]. وكذا أبو الحسن الرماني(ت٣٨٦هـ) الذي يعتد بلغة القران ويراها أصح من الشعر في الاحتجاج[١٧]. وإذا كان الكلام النثري بهذه المنزلة وتلك الصفات في نهج البلاغة، فحري بالنحويين أن ينهلوا من معين نهج البلاغة، ويجعلوه مصدراً من مصادر استشهادهم، ويقعدوا قواعدهم ويؤسسوا

أقيستهم على كلامه.

ونحاول أنْ نلمع إلى ما وجدناه وتتبعناه من إشارات وفرائد في نهج البلاغة يمكن أنْ تضاف إلى الدرس النحوي وتثريه، من ذلك:

أولاً / الفرائد الظرفية :

١) مجيءُ ظرف المكان (أينَ) معرباً لا مبنياً:

تحدث سيبويه (ت١٨٠هـ) عن الظروف المبهمة وذكر منها ظرف المكان (أين) إذ قال: ((هذا باب الظروف المبهمة غير المتمكنة وذلك لأنها تضاف ولاتصرّف تصرّف غيرها ولاتكون نكرة وذاك : أين ، ومتى، وكيف، وحيث.....))[١٨]، فالأداة أين كما قال عنها ابن فارس(ت٣٩٥هـ) تكون ((استفهاماً عن مكان نحو: أين زيدٌ ؟ وتكون شرطاً لمكان نحو: أين لقيتَ زيداً فكلمهُ بمعنى في أي مكان))[١٩].

ولم يشر أحد من النحويين إلى أنّها تكون معربة صراحة، الّلهمّ إلاّ إذا قيست على ما ذكره الرضي الاسترابادي(ت٦٨٨ هـ) عند شرحه الأسماء المبنية ((وإذا نقلت الكلمة المبنية وجعلتها علماً لغير ذلك اللفظ فالواجب الإعراب))[٢٠].

وقد صرح بإعرابها بعض شراح نهج البلاغة عند ذكرهم قول أمير المؤمنين علي(عليه السلام): ((**وَلاَ يَنْظُرُ بِعَيْنٍ ولاَيُحَدُّ بِأَيْنٍ وَلاَيُوصَفُ بِالْأَزْوَاجِ وَلاَيُخْلَقُ بِعِلاَجٍ**))[٢١].

منهم الشارح المعتزلي (ت:٦٥٦هـ) إذ يرى في قوله:(ولا يحد بأينٍ) أنّ((لفظة أينٍ مبنية على الفتح، فإذا نكرتها صارت اسماً متمكناً كما قال الشاعر[٢٢]:

ليت شعري وأين مني ليتٌ إنّ ليتاً و إنّ لواً عناء))[٢٣].

فعلى ما ذكره الشارح تكون (أين) اسماً معرباً لأنّها نكرت قياساً على ليت، ولو.

بيد أنَّ الشارح التُستَري (ت:١١٥٧هـ) لم يوافق الشارح المعتزلي بكونها نُكرت فأعربت؛ بل هي اسم متمكن أصلاً، قال بعد ذكر قول المعتزلي آنفا :((قلتُ في ما قالَ أولا: إنَّ (أين) في قوله (عليه السلام))ولا يحدُ بأينٍ) أريد به لفظه فهو اسم متمكن لا أنّه نكرة ، وإنما يقال في مثل:(صه)أنّه قد ينكر فيدخله التنكير لا هنا، وثانياُ إنّ البيت الذي استشهد به كان (أين) فيه على أصله مبنياً على الفتح وإنّما (ليت) و(لو) أريد بهما فيه اللفظ فصارا اسمين وأعربا ، لا (أين) كما هو مدّعاه))[٢٤].

في حين أبدى الشيخ محمد جواد مغنية(ت:١٤٠٠هـ) رأياً بدا أكثر وضوحاً، إذ قال: ((لفظ (أين) يسأل به عن المكان، فإن أردت مكاناً خاصاً بنيتهُ على الفتح، وإنْ أردت أي مكان أعربت))[٢٥].

ولا يخلو ما ذكره الشيخ على وضوح عباراته من بعد فلسفي للسؤال عن نوع المسؤول المعني، وفيه الماعُ مما ذكره الشارح المعتزلي.

والذي نراه بعد الرجوع إلى نصّ الإمام (عليه السلام) وإنعام النظر فيه وتأملهِ، أنَّ باستطاعة الإمام أن يعبر بـ(ولا يحدُ بأينَ)، غير أنّه أراد النفي العمومي للمكان الإلهي؛ لأنّ الأين عبارة عن نسبة الجسم إلى المكان وهو سبحانه منزّه عن ذلك لبراءته عن التحيز. قال (عليه السلام) :((**مَعَ كُلِّ شَيْءٍ لاَ بِمُقَارَنَةٍ وَغَيْرُ كُلِّ شَيْءٍ لاَ بِمُزَايَلَةٍ**))[٢٦] فلا يحده شيء فتكون (أين) اخسمًا معرباً وتنوينه تنوين تنكير، وقد وقع نكرة في سياق نفي فأفاد نفي عموم الأمكنة عن الله تعالى ، وهذه الغاية من إعراب (أين) وتنوينها .

٢) تعلق الظرف بالفعل التام المتصرف:

معنى التعلق هو: ((الارتباط المعنوي لشبه الجملة بالحدث ، وتمسكها به ، كأنَّها جزء منه ، لا يظهر معناها إلا به ، ولا يكتمل معناه إلا بها))[٢٧] .

وهذا يعني أنَّ التعلق هو ارتباط ، وهذا الارتباط يضم طرفين : الأول شبه الجملة ، والآخر اللفظ الدال على الحدث ، وهذا الارتباط لا تكون الحاجة له بقوة واحدة في الطرفين((إذ حاجة شبه الجملة إلى الحدث أقوى من حاجة الحدث إلى شبه الجملة ، وذلك يتضح من عبارات (كأنها جزءٌ منه) ، (ولا يظهر معناها إلا به) . أما عبارة (ولا يكتمل معناه ـ الحدث ـ إلا بها) فإنَّ اكتمال المعنى هنا نسبي. أي : إنَّ المعنى يمكن أن يكون كاملاً في الجملة من دون الحاجة إلى شبه الجملة ، لكن بذكرها سيكون المعنى أتم ، و أكمل))[٢٨] .

والمراد بـ(شبه الجملة) هو الظرف(الزماني والمكاني) ، وحرف الجر الأصلي مع المجرور[٢٩] ، فـ(التعلق) من شروط الظرف والجار والمجرور ليكونا شبه جملة ، إذ إنَّ حرف الجر غير الأصلي لا يتعلق .

وتعلق الظرف بالفعل التام المتصرف في نهج البلاغة، له فوائد جمة تترتب عليه منها : **تحديد زمان الفعل، ومكانه، ومصاحبته، وتوكيده، وشرطيته**[٣٠]، **ومثال ذلك: تحديد زمان الفعل**، وهي الدلالة الرئيسة لظرف الزمان؛ لأنَّ الدلالة الزمانية من مقتضيات الأفعال ، لكن هذه الدلالة لا تكون دقيقة كدقتها بالتقييد بظرف الزمان، من ذلك قوله (عليه السلام): ((**لَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّةَ الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْهِ (صلى الله عليه وآله)**...))[٣١] .

الشاهد فيه تعلق الظرف الزماني (حين نزل) بالفعل التام (سمع) ليفيد

التحديد الدقيق لزمن الفعل ، إذ عُلِمَ من صيغة الفعل (سمع) أنَّه قد وقع في الزمن الماضي ، لكن ليس على وجه الدقة ، ولهذا تعلق الظرف (حين) بالفعل ليدل على زمان وقوعه بصورة دقيقة ، فسماعه (عليه السلام) لرنَّة الشيطان وقع حين نزل الوحي على الرسول (صلى الله عليه وآله)[٣٢] .

غير أن للظرف فوائد لم يشر إليها النحويون وهي: **المقابلة، وأكمال دلالة الفعل، ففي المقابلة** استعمل الإمام علي (عليه السلام) الظرف متعلقاً بالفعل لينبِّه المتلقي على اختلاف الحال في زمنٍ واحدٍ أو في زمنين مختلفين ؛ ليُلفت نظر المتلقي إلى إجراء مقابلة ومقارنة ما بين حالةٍ في زمنٍ معين وأخرى تقابلها أو تضادها في الزمن نفسه أو في زمنٍ آخر ، وهذه فائدة جديدة لتوظيف الظرف في اللغة العربية وجدت في نهج البلاغة لم يلتفت إليها علماء النحو، من ذلك قوله (عليه السلام) :((**فَقُمْتُ بِالْأَمْرِ حِينَ فَشِلُوا وَتَطَلَّعْتُ حِينَ تَقَبَّعُوا وَنَطَقْتُ حِينَ تَعْتَعُوا ، وَمَضَيْتُ بِنُورِ اللهَّ حِينَ وَقَفُوا**))[٣٣].

الشاهد فيه تعلق الظرف الزماني (حين) في الجملة الأولى بالفعل (قام) ، وفي الجملة الثانية بالفعل (تطلع) ، وفي الجملة الثالثة بالفعل (نطق) ، وفي الجملة الرابعة بالفعل (مضى)؛ ليفيد إظهار المقابلة بين أمرين في الزمن نفسه فقيامه (عليه السلام) بالأمر يقابل (فشلهم) ، و(تطلعه) يُقابل (تقبعهم) ، و(نطقه) يُقابل (تعتعتهم) و(مضيه بنور الله) يُقابل(وقوفهم)، وهذا التعلق للظرف مع الفائدة التي أعطاها (المقابلة) يتناسب مع السياق الذي ذُكِرت فيه هذه الجمل ، إذ جاءت في خطبةٍ له (عليه السلام) يذكر فيها فضائلَه ، وهذه الأفعال تكون الفضيلة فيها ظاهرةً إذا قُوبلت بمواقفَ غيره من الناس ، ولو حُذف الظرف في هذه الجمل لذهبت هذه الفائدة[٣٤] .

ومن ذلك أيضاً قوله (عليه السلام): **((فَمَنْ أَخَذَ بِالتَّقْوَى عَزَبَتْ عَنْهُ الشَّدَائِدُ بَعْدَ دُنُوِّهَا وَاحْلَوْلَتْ لَهُ الْأُمُورُ بَعْدَ مَرَارَتِهَا وَانْفَرَجَتْ عَنْهُ الْأَمْوَاجُ بَعْدَ تَرَاكُمِهَا وَأَسْهَلَتْ لَهُ الصِّعَابُ بَعْدَ إِنْصَابِهَا وَهَطَلَتْ عَلَيْهِ الْكَرَامَةُ بَعْدَ قُحُوطِهَا. وَتَحَدَّبَتْ عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ بَعْدَ نُفُورِهَا وَتَفَجَّرَتْ عَلَيْهِ النِّعَمُ بَعْدَ نُضُوبِهَا وَوَبَلَتْ عَلَيْهِ الْبَرَكَةُ بَعْدَ إِرْذَاذِهَا))**(٣٥) .

الشاهد فيه تعلق الظرف(بعد) في الجملة الأولى بالفعل(عزبت) ، وفي الثانية بالفعل (احلولت) ، وفي الثالثة بالفعل (انفرجت) ، وفي الرابعة بالفعل (سهلت) وفي الخامسة بالفعل (هطلت) ، وفي السادسة بالفعل (تحدَّبت) ، وفي السابعة بالفعل (تفجرت) ، وفي الثامنة بالفعل (وبلت) . ودلّ هذا التعلق في هذه الجمل السابقة أفاد إظهار المقابلة ، والتضاد ما بين صفتين في زمنين مختلفين ، فـ(عزوب الشدائد) ـ أي ابتعادها ـ يقابله (دنوها) ، و(حلاوة الأمور) تقابل (مرارتها) ، و(انفراج الأمواج) يُقابل (تراكمها) ، و(إسهال الصعاب) يُقابل (انضابها) ـ أي تعبها ـ ،و(هطول الكرامة) يُقابل (قحوطها) ، و(تحدب الرحمة) ـ أي عطفها عليه ـ يُقابل (نفورها) ، و(تفجر النعم) يُقابل (زوالها) ، و(وبول البركة) ـ أي كثرتها ـ يُقابل (ارذاذها) ـ أي قلتها .

وقد وظف الإمام (عليه السلام) هذا التقابل، لإظهار نعمة الأخذ بالتقوى ، فالشيء يكون أوضح وأظهر إذا وُضِعَ مع ما يضاده ويقابله، وهذا الإيضاح أراد (عليه السلام) منه الاتباع من المخاطبين، ولاسيما أنَّ هذه الجمل ذُكِرَت في سياق التوصية بالتقوى ، ومَن يُوصي بشيء فإنَّه لا يُوصي إلا لاتباع هذه الوصايا . لذا استعمل الإمام (عليه السلام) الظرف (بعد) لأداء هذه الفائدة ولو حُذف الظرف لذهبت هذه الفائدة(٣٦) . وقد جاء توظيف هذا التعلق والفائدة التي أفادها متلائمًا

مع السياق الذي جاء فيه .

أمّا فائدة وفرادة **إكمال دلالة الفعل**، ففي اللغة العربية وبحسب قوالبها القواعدية توجد مجموعة من الأفعال لا تستغني عن ظرف المكان ، ومن ثم تكون فائدة تعلق ظرف المكان بهذا النوع من الأفعال هي إكمال دلالة الفعل، وكان الإمام علي (عليه السلام) قد استعمل ذلك في نهج البلاغة بذكر مجموعة من ظروف المكان المتعلقة بأفعالٍ لا تتم الفائدة منها إلا بهذا التعلق من ذلك قوله (عليه السلام): ((**أَحَالَ الْأَشْيَاءَ لِأَوْقَاتِهَا وَلَأَمَ بَيْنَ مُخْتَلِفَاتِهَا**))[٣٧] .

الشاهد فيه تعلق الظرف المكاني (بين) بالفعل (لأم) ـ أي قرن ـ ليفيد هذا التعلق إكمال معنى الفعل ، والفعل (لأم) لا يمكن أن يستغني عن الظرف فلا يمكن أن تقع المقارنة إلا بين شيئين؛ لذا ذكر (عليه السلام) الظرف (بينَ مختلفاتها) ليتمم معنى الفعل .

ومنه قوله (عليه السلام): ((**يُؤَلِّفُ اللهُ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَجْمَعُهُمْ رُكَاماً كَرُكَامِ السَّحَابِ**))[٣٨] .

الشاهد فيه تعلق الظرف (بين) بالفعل (يؤلف) ليكمل معنى هذا الفعل، إذ لا يتم معنى (التأليف) إلا بذكر مكان وقوعه؛ لذا استعمل (عليه السلام) الظرف (بينهم) لإكمال هذا المعنى ولا يمكن أن يحذف الظرف إذ إنّ هذا يؤدي إلى أن يبقى الفعل من دون محل وهذا لا يمكن أن يكون[٣٩] .

وظهر ممّا ذكر تعلق الظرف بالفعل التام المتصرف في كلامه (عليه السلام) في نهج البلاغة الذي أعطى دلالات وفوائد مختلفة منها ما يوافق الدلالة العامة لهذا التعلق في العربية وهي تحديد زمان الفعل ومكانه ومصاحبته وتوكيده، وشرطيته ، ومنها ما هو جديد لم يتنبَّه إليه علماء النحو مثل المقابلة وإكمال دلالة الفعل .

ثانياً/ الفرائد الشرطية :

١) تصدُّرُ الاستفهام جواب (لو):

ذكر النحويون: إنَّ جواب (لو) لا يأتي إلاّ جملةً فعليَّةً، فعلها إمَّا أن يكون ماضياً مثبتاً، أو منفيّاً بـ(ما)، أو مضارعًا مجزومًا بـ(لم)[٤٠]، فالاستفهام لا مكان له في جواب (لو) - في الأغلب -؛ لأنَّ (اللام) وهي الرابط اللفظي الوحيد لجواب (لو) لا يصلح اقترانها بالاستفهام، لذا قال النحويون: إنَّ جوابها لا يأتي إلاّ جملةً فعليَّةً[٤١]، فضلًا عن ذلك فإنَّ الطلب يدلُّ على إحداث الفعل فوراً – من حيث الزمن – في الغالب، وسياق (لو) مفروض الصدق في الماضي .

وقد يأتي الاستفهام في جواب أدوات الشرط الجازمة، وحينئذٍ يجب أن يقترن بالفاء، لكن لم يرد في القرآن الكريم، ولا في كتب النحويين – بحسب الاطلاع - أنَّ جواب (لو) - وهي من أدوات الشرط غير الجازمة - قد جاء جملةً استفهاميَّةً .

وقد ورد في نهج البلاغة وقوع الاستفهام في جواب (لو) في موضع واحد، وهو قول الإمام علي (عليه السلام): ((**أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ الَّذِينَ وَرَاءَكَ بَعَثُوكَ رَائِدًا تَبْتَغِي لَهُمْ مَسَاقِطَ الْغَيْثِ فَرَجَعْتَ إِلَيْهِمْ وَأَخْبَرْتَهُمْ عَنِ الْكَلَإِ وَالْمَاءِ فَخَالَفُوا إِلَى الْمَعَاطِشِ وَالْمَجَادِبِ، مَا كُنْتَ صَانِعًا؟**))[٤٢].

الشاهد فيه مجيء جواب الشرط:(مَا كُنْتَ صَانِعاً؟) جملة استفهامية استفهامها حقيقي[٤٣]، ومجيء الاستفهام في جواب (لو) أمرٌ غيرُ وارد كما مرَّ، فكيف إذا كان هذا الاستفهام من غير رابط ؟!، فلا يحسن أن يكون الجواب من غير رابط إذا كان جملةً استفهاميَّة، إلاّ إذا كان الاستفهام بالهمزة، قال الرَّضي الاسترابادي في الكافية: ((وإذا كان جواب الشرط مُصدَّرًا بهمزة الاستفهام، سواء كانت الجملة فعليَّة أو اسميَّة لم تدخل الفاء))[٤٤]، غير أنَّ أداة الاستفهام في النص المتقدِّم هي (ما)، وقد

أُجيز حمل أدوات الاستفهام الأُخَر على الهمزة، بعدم اقترانها بالفاء، وقد تدخل الفاء فيها، لعدم عراقتها في الاستفهام[٤٥]، فعدم ارتباط (ما) في النص المتقدم له ما يسوّغه، وإنْ كان الرضي يتحدث على الفاء في جواب الشرط الجازم .

زد على ذلك إنَّ الجواب (مَا كُنْتَ صَانِعاً؟) لا يستحسن أن يقرن باللام، إذ إنَّ (ما) حينئذٍ تكون نافية لا استفهاميَّة ، وعليه يمكن القول: إنَّ اقتران الجواب بالشرط – هنا – هو اقترانٌ معنوي، وهو أفضل من الاقتران اللفظي؛ لأنَّه يعطي دلالات إضافية زيادةً على دلالة التعليق (الارتباط)، ومن هذه الدلالات أنّ هذا الشرط مجازي غرضه إثارة المخاطب الذي يكلِّمه الإمام (عليه السلام)، ومعرفة مدى استجابته لقول الحق الذي بَانَ له بعد أنْ سأل الإمام (عليه السلام) – عمَّا أرسله أصحابه أن يعلمهم به – وسمع منه، واقتنع بأنَّه على حق، وخصومه على باطل، فضرب له الإمام مثلاً بأسلوبٍ شرطي، ختمه بأسلوب الاستفهام، والكلامُ ((إذا نُقِلَ من أسلوبٍ إلى أسلوب، كان ذلك أحسن تطريةً لنشاط السامع، وإيقاظًا للإصغاء إليه من إجرائِهِ على أسلوبٍ واحد))[٤٦]، لذا أجاب هذا الرجل عن سؤال الإمام بالإيجاب وبايعه فيما بعد[٤٧].

ومن الأمور التي ساعدت على الانتقال من أسلوب الشرط إلى أسلوب الاستفهام في تركيبٍ واحد، ومن غير رابطٍ لفظي، هو طول جملة الشرط، لذا قال البلاغيون: ((إنَّ الكلام إذا جاء على أسلوبٍ واحد وطال، حَسُنَ تغيير الطريقة))[٤٨]، وهو ما جاء في النص المتقدِّم[٤٩] .

٢) جواب (لمّا) مضارع منفي بـ(لم):

اختلف النحويون في تحديد دلالة (لمّا) فمنهم من يرى أنّها ظرفية بمعنى (حين) ومنهم من يرى أنّها حرف فيه معنى الشرط ؛ لأنّها تؤدي معنى الربط

والتعليق، ذهب سيبويه أنّها حرف وجود لوجود[٥٠]، وعدّها بمنزلة (لو) قال:((هي للأمر الذي قد وقع لوقوع غيره وإنّما تجيء بمنزلة «لو» لما ذكرنا، فإنّما هما لابتداء وجواب))[٥١]. ويدل كلام سيبويه أنّها تختص بالفعل الماضي، وتقتضي جملتين وجدت ثانيتهما عند وجود أولاهما[٥٢].

أمّا ابن السراج(ت ٣١٦ هـ) ومن تابعه الفارسي(ت٣٧٧ هـ)، وابن جني(ت ٣٩٢ هـ) فقد ذهبوا إلى أنّها ظرفية بمعنى (حين)[٥٣]، وجمع ابن مالك(ت ٦٧٢ هـ) بين المذهبين إذ عدّها ظرفاً بمعنى (إذا) فيه معنى الشرط[٥٤]، واستحسن ابن هشام (ت٧٦١ هـ) هذا الرأي معللاً ذلك ؛ أنّها مختصة بالماضي وبالإضافة إلى الجملة[٥٥]، ((وإذا قُدّرت ظرفاً كان عاملها الجواب))[٥٦].

والظاهر أنّ (لّما) تدل على الربط والتعليق والظرف، فالربط فيها أنّها تدخل على جملتين وتقوم بعملية الربط بينهما، ومعنى التعليق، أنّها تعلّق الجواب بفعل الشرط، أمّا معنى الظرف فإنّها لا تخلو من معناه فكما أنّ الأدوات (متى وحيثما وأينما) ظروف ثم أصبحت كنايات تدل على الشرط، فكذلك الأداة (لّما) فإذا عُدّت ظرفاً بمعنى (حين) تكون الجملة الواقعة بعدها في محل جر بالإضافة فيكون الترابط ترابط تتميم ويكون الظرف نفسه متعلقاً بفعل الجواب ويكون الترابط (ترابط تقييد)[٥٧].

جاء فعل الشرط ماضياً في نصوص نهج البلاغة التي وردت فيها الأداة (لّما)، وهذه هي ميزتها فأنّها تختص بالفعل الماضي، كذلك الحال في جوابها[٥٨]، ولم يأتِ جملة اسمية، أو فعلاً مضارعاً، كما ورد ذلك في القرآن الكريم، من ذلك قوله (عليه السلام): ﴿**فَلَمَّا نَهَضْتُ بِالْأَمْرِ، نَكَثَتْ طَائِفَةٌ، وَمَرَقَتْ أُخْرَى، وَقسطَ آخَرُونَ**﴾[٥٩].

الشاهد فيه مجيء كل من فعل الشرط وجوابه بصيغة الماضي (**نهضتُ**)

(**نكثتْ**)، و(لّما) ربطت الجواب بالشرط وجعلته معلّقاً به، فنكوث الطائفة ومروق الأخرى وقسط الآخرون متعلق بالنهوض بالأمر، وهي بمعنى (حين) والتقدير: حينَ نهضتُ بالأمر، نكثتْ طائفة، ومرقت أخرى، وقسط آخرون.

وقد جاء في نهج البلاغة نص واحد ورد فيه جواب (لّما) مضارعاً منفياً بـ (لم) **وهذه الصيغة التركيبية** لم ترد في القرآن الكريم، **ولم نألفها عند** النحويين في مصنفاتهم. وهي قول الإمام عليّ (عليه السلام) في الخوارج لّما أنكروا تحكيم الرجال ويذم فيه أصحابه في التحكيم: ﴿**وَلَمَّا دَعَانَا الْقَوْمُ إِلَى أَنْ نُحَكِّمَ بَيْنَنَا الْقُرْآنَ، لَمْ نَكُنِ الْفَرِيقَ الْمُتَوَلِّي عَنْ كِتَابِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**﴾[٦٠].

الشاهد فيه جاء فعل **الشرط (دعانا) ماضياً، والجواب (لم نكنْ) مضارعاً منفياً بـ (لم)**[٦١].

ثالثاً/ الفرائد القسمية :

لقد تفرد(عليه السلام) في استعمال التركيب القسمي (برأ النسمة). فإذا كان القسم الصريح يُعلم بمجرد لفظه كون الناطق به مقسماً، نحو:أحلف بالله، فغير الصريح ((ما ليس كذلك نحو:علم الله وعاهدت وواثقت، وعليّ عهد الله وفي ذمتي ميثاق، فليس بمجرد النطق بشيء من هذا يُعلم كونه مقسماً ؛بل بقرينة كذكر جواب بعده نحو:عليَّ عهد الله لأنصرن دينه))[٦٢]، ولا يأتي القسم اعتباطاً؛ بل لغرض مقصود ((والغرض منه توكيد الكلام الذي بعده من إثبات أو نفي))[٦٣].

وقد استعمل الإمام تركيباً قسمياً أشار الشراح إلى سبق الإمام إليه، وتفرده، وإبداعه فيه، حتى عدّوه من مبتكرات الإمام ومختصاته ،هو(برأ النسمة). وردَ في نهج البلاغة في أربعة مواضع[٦٤]، في قوله(عليه السلام) حين أوصى بعدم

عصيانه ويصف مثيري الفتنة :﴿ **فَوَالَّذِي فَلَقَ اَلْحَبَّةَ وَبَرَأَ اَلنَّسَمَةَ إِنَّ اَلَّذِي أُنَبِّئُكُمْ بِهِ عَنِ اَلنَّبِيِّ اَلْأُمِّيِّ(صلى الله عليه واله وسلم) مَا كَذَبَ اَلْمُبَلِّغُ وَلاَجَهِلَ اَلسَّامِعُ** ﴾[٦٥]. إذ يرى الشارح الراوندي في قول الإمام: ((وبرأ النسمة أي خلق النفس وهذا قسم الإمام علي (عليه السلام)خاصة))[٦٦].

وتبعه فيما قال الشارح المعتزلي بقوله:((وبرأ النسمة أي خلق الإنسان، وهذا القسم لايزال أمير المؤمنين يقسم به ،وهو من مبتكراته، ومبتدعاته))[٦٧] . ولم يجد الباحث حسب تتبعه واستقرائه من أشار إليه من النحويين؛ فغرض الإمام (عليه السلام) من القسم هو أنْ يقول: إنَّ ما أخبركم به ليس من عندي؛بل هو من عند رسول الله، وفيه أشار إلى أنَّ ما يخبرهم به مأخوذ عن الله سبحانه .

رابعاً/ الفرائد التعجبية :

ومن ذلك:

١) التعجب السماعي(لله بلاء فلان):

للتعجب في العربية صيغ متنوعة، منها القياسية، والمبوب لها في النحو صيغتان أحداهما: صيغة (ما أفعله) نحو: ما أحسن زيداً ، وصيغة (أفعل به)، نحو: أحسن بزيد[٦٨]، والأخرى السماعية وعبارتها كثيرة لم يبوب لها في النحو ((لكونها لم تدل عليه بالوضع؛ بل بقرينة نحو: ﴿ **كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنْتُمْ أَمْواتاً فَأَحْياكُمْ** ﴾ (البقرة/ ٢٨)، ولله دره فارساً ، وسبحان الله))[٦٩]. ووردت الصيغة المذكورة في أعلاه في قول الإمام علي(عليه السلام) : ((**للهِّ بِلاَءُ فُلاَنٍ فَقَدْ قَوَّمَ اَلْأَوَدَ وَدَاوَى اَلْعَمَدَ**))[٧٠]. يقول الشارح المعتزلي:((لله بلاء فلان، أي لله ما صنع))[٧١]. بمعنى التعجب من عمله الحسن في سبيل الله ، ويروى (لله بلاد فلان) إي لله البلاد

أنشـأته وابتنتـه[٧٢].

٢) الاستفهام التعجبي باستعمال التركيب (فما عدا ممّا بدا):

الاسـتفهام طلـب يـراد بـه معرفـة شيء مجهـول،أي اسـتعلام مـا في ضمـير المخاطـب[٧٣] وهـو الغـرض الأسـاس منه، غـير أنَّـه قـد يضـاف إليـه معنـىً آخـر، حينـما يكـون صـادراً مـن متعجـب، ويسـمى استفهاماً تعجبيـاً؛ فيكـون الغـرض مـن إيـراده إثـارة العجـب عنـد مـن يخاطـب بـه، أو يتلقـاه نحـو قولـه تعـالى: ﴿**مـا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُـدَ أَمْ كانَ مِـنَ الْغائِبِـينَ**﴾ (**النمـل/ ٢٠**)[٧٤].

ووقـع هـذا النـوع مـن الاسـتفهام في قـول أمـير المؤمنـين (عليـه السـلام) لابـن عبـاس لّمـا أرسـله إلى الزبـير يسـتفيئه إلى طاعتـه قبـل حـرب الجمـل: «**فَقُـلْ لَـهُ يَقُـولُ لَـكَ اِبْـنُ خَالِـكَ عَرَفْتَنِـي بِالْحِجَـازِ وَأَنْكَرْتَنِـي بِالْعِـرَاقِ فَـمَا عَـدَا مِمَّـا بَـدَا**»[٧٥]. ويذهـب الشريـف الـرضي إلى أن الإمـام علياً(عليـه السـلام) ((أول مـن سـمعت منـه هـذه الكلمـة، اعنـي: فـما عـدا ممـا بـدا))[٧٦]، وتابعـه في هـذا القـول شراح نهـج البلاغـة منهـم الشـيخ المحمـودي في نهـج السـعادة ، قـال:((هـذه كلمـة فصيحـة مـا سـبق عليـاً (عليـه السـلام) احـد إليهـا))[٧٧]،وعدّهـا الشـيخ نـاصر مـكارم الشـيرازي مـن الروعـة بمـكان حتـى أصبحـت مثـلاً يحتـذى بـه ((وهـي عبـارة بعيـدة المـدى تشـير إلى مسـالة وهي:مـا الـذي صرفـك عـن الحـق إنْ اتضـح لديـك ،إلى الباطـل ، والعبـارة مـن الروعـة، واللطافـة بحيـث أصبحـت مثـلاً في الأدب العـربي))[٧٨].

رابعاً/ الفرائد الإنابية :

مـن ذلـك إنابـة (إلى) منـاب (البـاء)، إذ انفـرد بعـض الـشراح ببعـض المسـائل النحويـة التـي لم ينـص عليهـا النحويـون،أو يشـيروا إليهـا[٧٩] وهـي:

ذكرها الشارح المعتزلي عند شرحه قول الإمام علي (عليه السلام) :«**مَا أَنْتُمْ بِوَثِيقَةٍ يُعْلَقُ بِهَا وَلاَزَوَافِرَ عِزٍّ يُعْتَصَمُ إِلَيْهَا**».[٨٠] إذ يرى الشارح المعتزلي في قوله (عليه السلام) :(يعتصم إليها): ((أي بها فأناب إلى مناب الباء كقول طرفة[٨١]:

وإنْ يلتقي الحي الجميع تُلاقِني إلى ذروة البيت الرفيع المصمد))[٨٢] .

ورأى بعض النحويين في البيت الذي استشهد به المعتزلي أنّ (إلى) بمعنى (في)[٨٣]، وذهب آخرون أنهَّا باقية على أصلها[٨٤]. ويمكن أن يضاف هذا المعنى إلى معاني الحروف حسب رأي القائلين بالنيابة الحرفية .

هذا بعض ما وجدته من أقوال أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام) فيها آراء نحوية أشار إليها شراح نهج البلاغة، وذكر الباحث بعضها ؛ لضيق المجال ، ويمكن لمن ينعم النظر ويستقصي الشروح أن يجد أمثال ذلك[٨٥].

الخاتمة

١- كان الإمام عليّ (عليه السلام) الطالب الأول في مدرسة القرآن ، وتحت رعاية معلمها النبي المصطفى محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ؛ لذا أجاد الإمام في محاكاة تلك المدرسة وذلك المعلم، وكتاب نهج البلاغة صورة صادقة للسان العربي المبين الذي اعزّه الله بالقرآن الكريم وحفظه، فهو المعنى الجامع المانع للعربية وعلومها.

٢- كلام الامام علي(عليه السلام) في نهج البلاغة بكلّ صوره وأشكاله وجوانبه دعامة قوية لتراث الحضارة الإنسانية، وركيزة قويمة للشخصية الانسانية، إذ كان مرجعاً حياً ونبعاً فكرياً متدفقاً لكل البشرية والاجيال والقرون والاحقاب، واصبح ينبوعاً صافياً وثروة فكرية، ومناعة علمية لكتاب اللغة العربية والمتطلعين إليها قديماً وحديثاً ينتهلون من لغته ويقتبسون من معانيه الوهاجة، ومبانيه المستقيمة ما يقوم لهم فنهم وينمي من حصيلتهم في اللغة والادب والفكر والمعرفة .

٣- ظهر للباحث عند مطالعته نهج البلاغة وشروحه بعض الإشارات والفرائد النحوية التي يمكن أن تزاد على الدرس النحوي وتثريه ؛لأنها لم تستعمل من قبل النحويين لذا فهي تعد من مبتكرات الإمام (عليه السلام) ومختصاته، إذ سمعت منه أول مرة وهي:

أولاً / مجيء (أينٍ) ظرف المكان معرباً لا مبنياً. ولم يشر أحد من النحويين إلى أنّها تكون معربة صراحة، ولإعرابها بعدٌ دلالي، وعند إنعام النظر فيه وتأملهِ، ظهر أنَّ باستطاعة الإمام أن يعبر بالمبني، غير أنّه أراد بحسب السياق النفي العمومي

للمكان الإلهي؛ لأنّ الأين عبارة عن نسبة الجسم إلى المكان وهو سبحانه منزّه عن ذلك لبراءته عن التحيز. فلا يحده شيء فتكون (أينٍ) اسماً معرباً وتنوينه تنوين تنكير، وقد وقع نكرة في سياق نفي فأفاد نفي عموم الأمكنة عن الله تعالى، وهذه الغاية من إعراب (أينٍ) وتنوينها .

ثانياً / تعلق الظرف بالفعل التام المتصرف. وتعلق الظرف بالفعل التام المتصرف في نهج البلاغة، له فوائد جمة تترتب عليه منها : **تحديد زمان الفعل، ومكانه، ومصاحبته، وتوكيده، وشرطيته**، غير أن للظرف فوائد لم يشر إليها النحويون وهي: **المقابلة، وأكمال دلالة الفعل، ففي المقابلة** استعمل الإمام علي (عليه السلام) الظرف متعلقاً بالفعل لينبِّه المتلقي على اختلاف الحال في زمنٍ واحدٍ أو في زمنين مختلفين ؛ ليُلفت نظر المتلقي إلى إجراء مقابلة ومقارنة ما بين حالةٍ في زمنٍ معين وأخرى تقابلها أو تضادها في الزمن نفسه أو في زمنٍ آخر ، وهذه فائدة جديدة لتوظيف الظرف في اللغة العربية وجدت في نهج البلاغة لم يلتفت إليها من قبل .

ثالثاً / أمّا فائدة وفرادة إكمال دلالة الفعل، ففي اللغة العربية وبحسب قوالبها القواعدية توجد مجموعة من الأفعال لا تستغني عن ظرف المكان ، ومن ثم تكون فائدة تعلق ظرف المكان بهذا النوع من الأفعال هي إكمال دلالة الفعل، وكان الإمام علي (عليه السلام) قد استعمل ذلك في نهج البلاغة بذكر مجموعة من ظروف المكان المتعلقة بأفعالٍ لا تتم الفائدة منها إلا بهذا التعلق .

رابعاً / تصدُّرُ الاستفهام جواب (لو). لم يرد في القرآن الكريم، ولا في كتب النحويين – بحسب الاطلاع – أنَّ جواب (لو) – وهي من أدوات الشرط غير الجازمة – قد جاء جملةً استفهاميَّةً، إلا أنه ورد في نهج البلاغة وقوع الاستفهام في

جـواب (لـو) .

خامسـاً / جـواب (لّمـا) مضـارع منفـي بـ(لم) . وقـد جـاء في نهـج البلاغـة نـص واحـد ورد فيـه جـواب (لّما) مضارعـاً منفيـاً بـ (لم) وهـذه الصيغـة التركيبيـة لم تـرد في القـرآن الكريـم، ولم نألفهـا عنـد النحويـين في مصنفاتهـم .

سادسـاً / الفرائـد القسـمية . لقـد اسـتعمل الإمـام تركيبـاً قسـمياً أشـار الـشراح إلى سـبق الإمـام إليـه، وتفـرده، وإبداعـه فيـه، حتـى عـدّوه مـن مبتكـرات الإمـام ومختصاتـه ،هـو(برأ النسـمة). ولم يجد الباحـث حسـب تتبـعه واسـتقرائه مـن أشـار إليه مـن النحويـين .

سـابعاً / الفرائـد التعجبيـة . ومـن ذلـك: التعجـب السـماعي(لله بـلاء فـلان) ووردت الصيغـة المذكـورة في نهـج البلاغـة بمعنـى التعجـب مـن عملـه .

ثامنـاً / ومنـه الاسـتفهام التعجبـي باسـتعمال التركيـب (فـما عـدا ممّـا بـدا). يذهـب الشريـف الـرضي إلى أن الإمـام علياً(عليـه السـلام) أول مـن سـمعت منـه هـذه الكلمـة، وتابعـه في هـذا القـول شراح نهـج البلاغـة .

تاسـعاً / الفرائـد الإنابيـة . مـن ذلـك إنابـة (إلى) منـاب (البـاء)، إذ انفـرد بهـذه المسـألة النحويـة بعـض شراح النهـج، والتـي لم ينـص عليهـا النحويـون،أو يشـيروا إليهـا .

وختامـاً فهـذه محاولـة جـادة وبنيـة خالصـة، حرصـت أن تكـون صحيحـة في مضامينهـا سـليمة في مؤداهـا، فـإن أصبـت فللـه الحمـد والمنـة ،وإن كانـت الأخـرى فحسـبي أني دَرِبٌّ مغـرمٌ بنهـج البلاغـة ،ولغتـه العربيـة أتلمـس الصـواب، وانشـد الحقيقـة فالكـمال لله وحـده .

هوامش البحث:

1. البيان والتبيين، الجاحظ :١/ ٥٨-٥٩.
2. نهج البلاغة ، الشريف الرضي، ضبط نصه الدكتور صبحي الصالح:٤٨٢. والموجود في نسخ نهج البلاغة وشروحه:(قيمة كل امرئ ما يحسنه)، ينظر: شرح نهج البلاغ،ابن أبي الحديد المعتزلي:١٨/ ٢٣٠، ونهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة، الشيخ المحمودي:٨/ ٢٨٥،والمعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة ،محمد الدشتي: ١٥٧.
3. نهج الحياة(مجموعة بحوث ومقالات حول نهج البلاغة)، موسسة نهج البلاغة:١٣١-١٣٢.
4. ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، الثعالبي:١٩٧.
5. مصادر نهج البلاغة، عبد الله نعمة:٢٦.
6. بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، التستري/ ١/ ٦٢ .
7. شرح نهج البلاغة، (المعتزلي):١/ ٢٤.
8. المصدر نفسه:٧/ ٢١١ .
9. المصدر نفسه:٧/ ٢١٤ .
10. تمام نهج البلاغة، السيد صادق الموسوي:١/ ٨٧-٨٨.
11. المصدر نفسه:٨٧.
12. من بلاغة الإمام علي في نهج البلاغة، عادل الاسدي:٦٧.
13. من خطبة الشريف الرضي، نهج البلاغة :١١.
14. (شرح نهج البلاغة (المعتزلي) ١/ ٨.
15. أصول النحو العربي ،د.محمد خير الحلواني :٧٦.
16. معاني القران ،الفراء: ١/ ١٤.
17. الرماني النحوي ،مازن المبارك:٢٧٥.
18. الكتاب، سيبويه: ٣/ ٢٨٥،وينظر:اللمع في العربية ،ابن جني:١١.
19. الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها ،احمد بن فارس:١٤٦.
20. شرح الكافية في النحو، رضي الدين الاستراباذي: ٣/ ٢٦٨.

٢١. نهج البلاغة :٢٦٢.

٢٢. أبو زيد الطائي ، والبيت من شواهد سيبويه، ينظر:الكتاب :٣/ ٢٦٧.والمقتضب، المبرد: ١/ ٢٣٥، وخزانة الأدب، البغدادي: ٧/ ٢٩٩.

٢٣. شرح نهج البلاغة (المعتزلي)١٠/ ٨٩.

٢٤. بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة :١/ ٣٦٥.

٢٥. في ظلال نهج البلاغة، الشيخ مغنية:٤/ ٢٢.

٢٦. نهج البلاغة:٤٠.

٢٧. إعراب الجمل وأشباه الجمل ، فخر الدين قباوة : ٢٧٣ .

٢٨. تعلق شبه الجملة في نهج البلاغة، محمود عبد اللامي (أطروحة دكتوراه): ٤ .

٢٩. ينظر :شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك : ١/ ١٣٤ ؛ ومغني اللبيب : ٢/ ٩٩ ،

٣٠. ينظر: تعلق شبه الجملة في نهج البلاغة:٨٥-٩٤.

٣١. نهج البلاغة :٣٠١.

٣٢. ينظر: المصدر نفسه:٨٥-٨٦.

٣٣. نهج البلاغة:٨٠-٨١ .

٣٤. ينظر: تعلق شبه الجملة في نهج البلاغة:٩٥-٩٦.

٣٥. نهج البلاغة:٣١٣ .

٣٦. ينظر: تعلق شبه الجملة في نهج البلاغة:٩٦-٩٧.

٣٧. نهج البلاغة:٤٠.

٣٨. المصدر نفسه:٢٤١.

٣٩. ينظر: تعلق شبه الجملة في نهج البلاغة:٩٨-٩٩.

٤٠. ينظر: شرح التسهيل، ابن مالك ٤/ ١٠٠ ، والجنى الداني، المرادي: ٢٨٣ .

٤١. ينظر: شرح الكافية الشافية، ابن مالك: ٣/ ١٦٣٩، وشرح التصريح ٤/ ٢٢٥، وهمع الهوامع ٤/ ٣٤٨ - ٣٤٩ .

٤٢. نهج البلاغة:٢٤٤-٢٤٥.

٤٣. ينظر: منهاج البراعة: ١٠/ ١١٣ .

٤٤. شرح الكافية: ٤/ ١١٣ .

٤٥. ينظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها .

٤٦. الكشَّاف: ١/ ١٢٠ .

٤٧. شرح نهج البلاغة (المعتزلي): ٩/ ٢٩٩.

٤٨. البرهان في علوم القرآن: ٣/ ٣٢٥ – ٣٢٦ .

٤٩. ينظر: تراكيب الأسلوب الشرطي في نهج البلاغة دراسةٌ نحويَّةٌ ، كريم حمزة حميدي (رسالة ماجستير): ١٨٠–١٨٢.

٥٠. ينظر: شرح قطر الندى، ابن هشام: ٦٢ .

٥١. الكتاب: ٤/ ٢٣٤ .

٥٢. ينظر: مغني اللبيب: ٢٨٠.

٥٣. ينظر: المصدر نفسه : ٢٨٠ .

٥٤. ينظر: شرح التسهيل: ٣/ ٤١٧ .

٥٥. مغني اللبيب: ٢٨٠.

٥٦. المطالع السعيدة، السيوطي: ٤٧١ .

٥٧. ينظر: في بناء الجملة العربية، د.محمد حماسة: ٢٨٧ .

٥٨. ينظر: البحر المحيط، أبو حيان الاندلسي: ٣/ ٨٥، والبرهان في علوم القرآن: ٤/ ٣٨٤.

٥٩. نهج البلاغة: ٤٩.

٦٠. نهج البلاغة:١٨٢.

٦١. ينظر: أسلوب الشرط في نهج البلاغة – دراسة نحوية تطبيقية، يُسرى خلف سمير(رسالة ماجستير):١٠٠–١٠٣.

٦٢. شرح التسهيل: ٣/ ٦٣.

٦٣. اللباب في علل البناء والإعراب، أبو البقاء العكبري:١/ ١٤٤.

٦٤. ينظر:نهج البلاغة:٥٠، ١٤٧، ٣٧٤، ٤١٥.

٦٥. نهج البلاغة : ١٤٧ .

٦٦. منهاج البراعة، الراوندي : ١ / ٤٤١ .

٦٧. شرح نهج البلاغة (المعتزلي) ٧ / ٩٩.

٦٨. ينظر:كتاب شرح اللمع في النحو ،أبو الحسن الباقولي : ٣٠٩ ، وأوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ابن هشام الأنصاري : ٣ / ٢٥٠ – ٢٥٧ .

٦٩. توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، ابن أم قاسم المرادي: ١ / ٨٨٥.

٧٠. نهج البلاغة :٣٥٠.

٧١. شرح نهج البلاغة : (لمعتزلي) ١٢ / ٤، وينظر: شرح نهج البلاغة (علي محمد علي دخيل) مج:١/ ح٤/ ٣.

٧٢. ينظر: حدائق الحقائق، قطب الدين الكيدري:٢/ ٢١٥ ، وإرشاد المؤمنين إلى معرفة نهج البلاغة المبين، السيد يحيى الجحاف:٢/ ٦٤٧، ومنهاج البراعة في شرح نهج البلاغة (الخوئي) ١٤/ ٣٣٣.

٧٣. ينظر: كتاب الحدود في النحو،الرماني: ٤٢ ، وشرح المفصل،ابن يعيش: ٨ / ١٥٠ .

٧٤. ينظر: البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها ،عبد الرحمن الميداني :٢٧٨ ـ ٢٧٩ .

٧٥. نهج البلاغة : ٧٤ .

٧٦. المصدر نفسه : ١ / ٧٧ .

٧٧. نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة : ١ / ١٩٣ .

٧٨. نفحات الولاية في شرح نهج البلاغة ، الشيخ الشيرازي: ٢ / ١٦٠ .

٧٩. ينظر: رصف المباني في شرح حروف المعاني ، المالقي: ٨٠ – ٨٣ ، والجنى الداني : ٣٨٥ –٣٩٠.

٨٠. نهج البلاغة :١٨٣.

٨١. ينظر: ديوان طرفة بن العبد : ٣٠.

٨٢. شرح نهج البلاغة : ٨ / ١٠٧ .

٨٣. ينظر: كتاب معاني الحروف، أبو الحسن الرماني: ١١٥ ، وأدب الكاتب ، ابن قتيبة: ٣٩٥ .

٨٤. ينظر: الأصول في النحو ، ابن السراج: ١/ ٤١٥ ، وشرح الكافية : ٤/ ٢٧٢ .

٨٥. ينظر: بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة:٨/ ٢٥٠ .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. إتمام نهج البلاغة ، السيد صادق الموسوي ،توثيق الكتاب،الشيخ محمد عساف ،مراجعة الدكتور فريد السيد، ط/ ١،الناشر: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان،١٤٢٦هـ.

٢. أدب الكاتب، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، (ت : ٢٧٦هـ)، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط٤، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى- مصر، ١٣٨٢هـ-١٩٦٣م .

٣. إرشاد المؤمنين الى نهج البلاغة المبين ، السيد يحيى بن إبراهيم الجحاف الزيدي، (ت : ١١٠٢هـ)، تحقيق : محمد جواد الحسيني الجلالي ، تقديم محمد حسين الجلالي ، ط١ ، الناشر : منشورات دليل ما، قم - إيران ، ١٤٢٢هـ - ١٣٨٠ ش .

٤. أسلوب الشرط في نهج البلاغة – دراسة نحوية تطبيقية، يُسرى خلف سمير(رسالة ماجستير)قدمتها إلى مجلس كليّة الآداب في الجامعة المستنصريّة، ١٤٣٠ه- ٢٠٠٩م.

٥. الأصول في النحو، أبو بكر محمد بن سهل السراج النحوي،(ت ٣١٦هـ) ، تحقيق ، الدكتور عبد الحسين الفتلي ط٣ ، الناشر : مؤسسة الرسالة ، بيروت – لبنان ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٦. أصول النحو العربي ، الدكتور محمد خير الحلواني ، (د.ط) ، ١٩٧٩م.

٧. إعراب الجمل وأشباه الجمل ، تأليف الدكتور فخر الدين قباوة ، ط٥ ، الناشر دار القلم العربي حلب - سورية ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

٨. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، جمال الدين بن هشام الأنصاري،(ت:٧٦١هـ) ،تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد،ط٦،الناشر:دار الندوة الجديدة،بيروت ـ لبنان، ١٩٨٠م.

٩. البحر المحيط ، أبو حيان محمد بن يوسف الاندلسي،(ت : ٧٤٥هـ)، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، والشيخ علي محمد معوض ، وشارك في التحقيق د.زكريا عبد المجيد النوقي ، ود. أحمد النجولي الجمل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م .

١٠. البرهان في علوم القرآن، بدر الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله الزركشي (ت٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط/ ٣، الناشر: مكتبة دار التراث – القاهرة، ١٩٨٤م .

١١. البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها ،عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني ، ط/ ١ ، الناشر: دار القلم – دمشق ، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م .

١٢. بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة ، العلامة المحقق الشيخ محمد تقي التستري ، تحقيق : مؤسسة نهج البلاغة ، ط١ ، الناشر : دار امير كبير- طهران ، ١٤١٨ هـ ـ ١٣٧٦ش.

١٣. البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر ،(ت:٢٥٥هـ)،تحقيق: فوزي عطوي، ط/ ١،الناشر: دار صعب – بيروت،١٩٦٨م .

١٤. تراكيب الأسلوب الشرطي في نهج البلاغة دراسةٌ نحويَّةٌ ، كريم حمزة حميدي(رسالة ماجستير) قدمها الطالب الى مجلس كلية التربية(صفي الدين الحلِّي) في جامعة بابل، ١٤٣٢ه -٢٠١١م .

١٥. تعلق شبه الجملة في نهج البلاغة، محمود عبد اللامي (أطروحة دكتوراه)، قدمها الطالب إلى مجلس كلية التربية في جامعة بابل، ١١٤٢٩ه- ٢٠٠٨م.

١٦. توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك ،الحسن بن أم قاسم المرادي ،(ت : ٧٤٩هـ) ، تحقيق : عبد الرحمن علي سلمان ، ط١ ، الناشر: دار الفكر العربي القاهرة،١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٧١. ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، أبو منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي (ت:٤٢٩هـ)، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، ط/ ١، الناشر : دار المعارف – القاهرة، ١٩٦٥م.

١٨. الجنى الداني في حروف المعاني ، الحسن بن أم قاسم المرادي ، (ت : ٧٤٩هـ)،تحقيق : فخر الدين قباوة ،ومحمد نديم فاضل ، ط/ ١ ، الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م .

١٩. حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة ، العلامة قطب الدين الكيدري البيهقي ، من اعلام القرن السادس الهجري ،تحقيق : عزالدين العطاردي ، ط١ ، الناشر : مؤسسة نهج البلاغة ، نشر عطارد ، قم - ايران ، ١٤٢٦هـ .

٢٠. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي (ت : ١٠٩٣هـ)، تحقيق :محمد نبيل طريفي ، والدكتور اميل بديع يعقوب ، ط١ ، الناشر : دار الكتب العلمية ، بيروت ،١٩٩٨م.

٢١. ديوان طرفة بن العبد، شرحه وقدّم له :مهدي محمد ناصر . ط١ دار الكتب العلمية ،بيروت_لبنان ١٤٠٧ هـ_١٩٧٨م.

٢٢. رصف المباني في شرح حروف المعاني ، أحمد عبد نور المالقي ،(ت: ٧٠٢هـ)

، تحقيق: أحمد محمد الخراط ، (د.ط) ، الناشر: مجمع اللغة العربية بدمشق ،(د.ت).

٢٣. الرماني النحوي في ضوء شرحه لكتاب سيبويه ، مازن المبارك، ط/ ٣ ، الناشر:دار الفكر-دمشق،١٩٩٥م.

٢٤. شرح ابن عقيل، قاضي القضاة بهاء الدين عبدالله بن عقيل العقيلي الهمداني المصري ،(ت:٧٦٩هـ)تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية ،صيدا- بيروت ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م .

٢٥. شرح التسهيل (تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد) ، جمال الدين محمد بن عبدالله بن مالك ، (ت : ٦٧٢هـ)، تحقيق: د. عبد الرحمن السيِّد، د. محمَّد بدوي المختون، ط/ ١، الناشر: دار هجر – القاهرة، ١٩٩٠م .

٢٦. شرح التصريح على التوضيح على ألفية ابن مالك في النحو، لابن هشام الأنصاري، الشيخ خالد الأزهري (ت٩٠٥هـ)، ومعه حاشية الشيخ ياسين بن زيد العليمي، حقَّقه وشرح شواهده: أحمد السيد سيد أحمد، راجعه: إسماعيل عبد الجواد عبد الغني، الناشر:المكتبة التوفيقية، القاهرة، (د.ت).

٢٧. شرح الكافية الشافية ، جمال الدين محمد بن عبدالله بن مالك ،(ت : ٦٧٢هـ)، تحقيق: د. عبد المنعم أحمد هريدي، ط/ ١، الناشر: دار المأمون للتراث، المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، ١٩٨٢م .

٢٨. شرح قطر الندى وبلّ الصدى، جمال الدين ابن هشام النصاري ، (ت : ٧٦١هـ)، ومعه كتاب سبيل الهدى بتحقيق شرح قطر الندى، محمد محيي الدين عبد الحميد، ط/ ٤،الناشر: منشورات ذوي القربى، ١٤٢٧هـ .

٢٩. شرح الكافية في النحو ، رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي ،(ت: ٦٨٨هـ) ،تحقيق : يوسف حسن عمر ، ط١ ، الناشر : مؤسسة الصادق (ع) – طهران،١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥م .

٣٠. شرح المفصَّل ، ابن يعيش النحوي (ت: ٦٤٣ هـ) ، صحَّحه وعلَّق عليه : مشيخة الأزهر ، عنيت بطبعه ونشره : إدارة الطباعة المنيرية ـ مصر ، (د . ت) .

٣١. شرح نهج البلاغة، عز الدين بن هبة الله بن محمد بن محمد بن أبي الحديد المدائني المعتزلي(ت: ٦٥٦هـ)، تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم، ط/ ١ ، الناشر : مكتبة آية الله المرعشي النجفي- قم، ١٣٧٨هـ .

٣٢. شرح نهج البلاغة، علي محمد علي دخيل، ط/ ١، الناشر: دار المرتضى، بيروت- لبنان، ١٤٠٦ه- ١٩٨٦م.

٣٣. الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، أبو الحسن أحمد بن فارس(ت : ٣٩٥هـ)، تحقيق : الدكتور عمر فاروق الطباع ، ط/ ١، الناشر : مكتبة المعارف ،بيروت ـ لبنان ، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م .

٣٤. في بناء الجملة العربية ، د.محمد حماسة عبد اللطيف،ط/ ١ ، الناشر: دار القلم ، الكويت ، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م .

٣٥. في ظلال نهج البلاغة ، الشيخ محمد جواد مغنية ، ت : ١٩٨١م ،تحقيق : سامي الغريري ، ط١ ، الناشر : دار الكتاب الإسلامي ، قم ـ ايران ، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٥م .

٣٦. الكتاب ، سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت: ١٨٠ هـ) ، تحقيق وشرح : د. عبد السلام محمد هارون ، ط/ ٢ ، الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة

ـ مصر ، دار الرفاعي ـ الرياض ، ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م .

٣٧. كتاب الحدود في النحو، أبو الحسن علي بن عيسى الرماني النحوي ، (ت : ٣٨٤هـ)،تحقيق : الدكتور مصطفى جواد،ويوسف يعقوب،ط١،الناشر :المؤسسة العامة للصحافة والطباعة-العراق،١٣٨٨ه-١٩٦٩م.

٣٨. كتاب شرح اللمع في النحو ، أبو الحسن علي بن الحسين الباقولي ، ت : ٥٤٣هـ ، ط١ ، الناشر : دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.

٣٩. كتاب معاني الحروف ،أبو الحسن علي بن عيسى الرماني النحوي ، (ت : ٣٨٤هـ)،تحقيق : الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي ، ط/ ٣ ، الناشر : دار الشروق ، جدة ـ السعودية ، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.

٤٠. الكشَّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعُيون الأقاويل في وجُوه التأويل، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت:٥٣٨ه)، تحقيق وتعليق ودراسة: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمّد معوّض، شارك في تحقيقه: د. فتحي عبد الرحمن حجازي، ط/ ١ ،الناشر: مكتبة العبيكان – الرياض، ١٩٩٨م .

٤١. اللباب في علل البناء والأعراب ، أبو البقاء عبد الله بن الحسن العكبري ،(ت : ٦١٦هـ) تحقيق : الدكتور غازي مختار طليمات ،ط/ ١، الناشر : دار الفكر - دمشق ، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

٤٢. اللمع في العربية ،أبو الفتح عثمان بن جني ،(ت : ٣٩٢هـ). تحقيق : فائز حسون ،(د.ط) ،ط/ ١، الناشر : دار الكتب الثقافية - الكويت ، ١٩٧٢م .

٤٣. مصادر نهج البلاغة، عبد الله نعمة، ط/١، الناشر:دار الهدى-

بـيروت،١٩٧٢م .

٤٤. المطالـع السـعيدة شرح السـيوطي عـلى ألفيـة المسـماة بالفريـدة في النحـو والتصريـف والخـط ، جـلال الديـن عبـد الرحمـن بـن أبي بكـر السـيوطي (ت ٩١١هـ) ، تحقيـق وشرح د.طاهـر سـليمان حمـودة ،النـاشر: الـدار الجامعيـة للطباعـة والنـشر والتوزيـع ، الإسـكندرية ، ١٤٠١هـ-١٩٨١م .

٤٥. معـاني القـران ، أبـو زكريـا يحـى بـن زيـاد الفـراء(ت : ٢٠٧هـ) ، تحقبـق : أحمـد يوسـف نجـاتي ، ومحمـد عـلي النجـار ، وعبـد الفتـاح اسـماعيل شـلبي، وعـلي النجـدي ناصـف،(د.ط) ، النـاشر : دار السـرور (د.ت).

٤٦. مغنـي اللبيـب عـن كتـب الأعاريـب ، جمـال الديـن ابـن هشـام الأنصـاري (ت٧٦١هـ) تحقيـق : محمـد محي الديـن عبـد الحميد،النـاشر: مكتبة اية الله العظمى المرعـشي النجفـي ، قـم- ايـران ، ١٤٠٤ه.

٤٧. المقتضـب ، أبـو العبـاس محمـد بـن يزيـد المـبرد ، ت : ٢٨٥م تحقيـق : محمـد عبـد الخالـق عطيـة ، (د.ط) ، النـاشر : عـالم الكتـب ، بـيروت ، (د.ت)

٤٨. مـن بلاغـة الإمـام عـلي في نهـج البلاغـة، عـادل حسـن الاسـدي، ط/ ١، النـاشر: مؤسسـة المحبـين، قـم- ايـران،١٤٢٧ه -٢٠٠٦م .

٤٩. منهـاج البراعـة ، العلامـة المـيرزا حبيـب الله الهاشـمي الخوئـي ، ت : ١٣٢٤هـ ، ضبـط وتحقيـق: عـلي عاشـور ، ط١ ، النـاشر : دار إحيـاء الـتراث العـربي ، بـيروت- لبنـان ، ومؤسسـة المظفـر الثقافيـة - النجـف الاشرف ، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م .

٥٠. منهـاج البراعـة في شرح نهـج البلاغـة، قطـب الديـن أبـو الحسـين سـعيد بـن هبة الله الراوندي(ت٥٧٣هـ) ،ط/ ١، الناشر: مكتبـة المرعشي - طهران، ١٤٠٦هـ.

٥١. نفحات الولاية (شرح عصري جامع لنهج البلاغة) ، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ، ط/ ١ ، الناشر: مدرسة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، قم-إيران ١٤٢٦هـ .

٥٢. نهج البلاغة للإمام علي(عليه السلام) جمع أبي الحسن محمد بن الحسين الموسوي ،(ت : ٤٠٦هـ) ضبط نصّه وابتكر فهارسه ،د. صبحي الصالح، ط/ ٤ ،الناشر : دار الكتاب المصري – القاهرة ،ودار الكتاب اللبناني – بيروت ، ،١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م .

٥٣. نهج البلاغة للإمام علي(عليه السلام) جمع أبي الحسن محمد بن الحسين الموسوي ، ت : ٤٠٦هـ ، نسخة المعجم المفرس، اعداد الشيخ محمد الدشتي،ط:٦،الناشر:مؤسسة النشر الإسلامي – قم ،١٤٢٢هـ.

٥٤. نهج الحياة(مجموعة بحوث ومقالات حول نهج البلاغة)، موسسة نهج البلاغة، ط/ ١، الناشر:مؤسسة نهج البلاغة، طهران/ ايران، (د. ت) .

٥٥. نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة ، الشيخ محمد باقر المحمودي ، ط/ ١،الناشر: مؤسسة الطباعة والنشر الإسلامي ،طهران-إيران،١٤١٨هـ.

٥٦. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، (ت : ٩١١هـ) ، شرح وتحقيق: عبد السلام هارون، د. عبد العال سالم مكرم، الناشر:عالم الكتب – القاهرة ١٢٠٠م .

المحتويات

المحور اللغوي والأدبي

أثر الحذف في تماسك النص في عهد الإمام علي عليه السلام لمالك الأشتر رضي الله عنه

أ.م. د. كاظم عبد الله عبد النبي

كلية الإمام الكاظم عليه السلام

أثر نهج البلاغة في إثراء المعجم الشعري للمتنبي (ت ٣٥٤ هـ)

أ.م.د. أنوار سعيد جواد م.د. بشرى حنون محسن

جامعة كربلاء كلية العلوم الاسلامية

أساليب التوكيد في عهد الإمام علي (عليه السلام) للأشتر النخعيِّ(رحمه الله)

في ضوء التماسك النحوي

أ.م. د. وفاء عبّاس فيّاض

جامعة كربلاء - كليّة العلوم الإسلاميّة

استراتيجية الخطاب الحجاجي في كتاب الإمام علي (عليه السلام) لمعاوية

أ. م. د. لمى عبد القادر خنياب

كلية الآداب / جامعة القادسية

الاستعارة أداة للمسكوت عنه في نهج البلاغة فن صناعة الخطاب

أ. د. نـجاح فاهم العبيدي م.م.فراس تركي عبد العزيز

جامعة كربلاء – كلية التربية للعلوم الإنسانية

الإنـجاز بالقول في عهد الإمام علي (عليه السلام) ـ الأمر والنهي ـ

دراسة تطبيقية على وفق نظرية أفعال الكلام العامة

أ . م . د أحمد جعفر داوود   م . د حسين صالح ظاهر

كلية التربية – جامعة واسط   مديرية تربية كربلاء

التعليل في عهد الإمام علي (عليه السلام) لمالك الأشتر (رضوان الله عليه)

م. د. حميد يوسف إبراهيم

كلية العلوم الإسلامية / جامعة ذي قار

الحجاج وأثره في بناء العقيدة التوحيد في نهج البلاغة أنموذجا

م. د. موفق مجيد ليلو

جامعة الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) – ميسان

الضرورة الشعرية بين أحكام النحويين وكلام أمير المؤمنين (عليه السلام)

«دراسة في نقص الاستقراء النحوي»

م.م. حيدر هادي خلخال الشيباني

كلية التربية للعلوم الإنسانية ـ جامعة بابل

العدول في الظواهر التركيبية في خطاب نهج البلاغة

م. د . أحلام عبد المحسن صكر

جامعة ذي قار كلية التربية للعلوم الإنسانية

الفرائد العلوية في إثراء القواعد النحوية (دراسة في نصوص نهج البلاغة)

م. د. ظافر عبيس الجياشي

المديرية العامة للتربية في المثنى